

T  
83A

سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس

٦٥٨ - ٦٧٦ هـ

١٢٧٧ - ١٢٦٠ م

ميخائيل نجم خوري

Submitted in partial fulfillment of the requirements  
of the Degree of Master of Arts,  
in the History Department of the,  
American University of Beirut,

Beirut,

LEBANON.

1961.

# سيرة الملك السلطان الظاهر بيبرس

٦٥٨ - ٦٧٦ هـ

١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

مخائيل نجم خوري

ملاحظة: تتضمن الأطروحة في آخرها اي بعد الصفحة ٢٥٣

"تاريخ ابن الفرات

وهو تاريخ الدول والملوك"

المجلد السادس - الجزء الأول

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

صفحاتها ١ - ٢٠٦

سيرة الظاهر بيبرس

مخائيل خوري\*

في منتصف القرن الميلادي الثالث عشر / الهجري السابع استطاع المماليك ان يقضوا على السلطنة الايوبية ويستولوا على الحكم باسم المحافظة على السلطنة السابقة . ثم حدث في العراق حدث آخر هو سقوط بغداد بيد التتروانتها الخلافة العباسية فيها . واذ اضعنا الى ذلك ان الصليبيين كانوا مستولين على شاطئ بلاد الشام ، ولا يزالون يهددون بالتوسع اذ ركنا مدى الاضطراب الذي كان يسيطر على المنطقة في هذه الفترة . وفي هذه الفترة بالذات برز بين المماليك رجل هو الظاهر بيبرس استطاع خلال بضعة عشر عاما ان يدرك حقيقة الموقف ويستغله لصالحه ، بما له من حنكة ودراية ومقدرة ، واستطاع ، فوق ذلك ، خلال بضعة عشر عاما من سلطنته ان يقف بوجه الزحف المغولي الى بلاد الشام ومصر ، وان يكيل الضربات العنيفة القاضية للدويلات الصليبية ، وان يوطد ، بالتالي ، سلطنة المماليك .

تناولت هذا الرجل من النواحي المختلفة الشخصية والادارية ، والسياسية والعسكرية . ووجدته لا يبدع للناحية الشخصية وزنا الا بمقدار ما تخدم فيه النواحي الاخرى . وهو في هذه النواحي رجل / من الدرجة الاولى . وقد تناولت هذه النواحي بصورة مفصلة بقدر ما استطعت ان اجد في المصادر من معلومات دقيقة حول هذه النواحي . ثم خلصت الى القول ان هذا الرجل كان سائرا في مخطط عام فرضته الظروف حين جعلته مدافعا عن الاسلام ضد عدوين تترى وصلبيبي لانشاء سلالة من ذريته تحكم هذه المنطقة ، لكن هذه المحاولة فشلت وبقي من المخطط عدا . مستمر ادى في النهاية الى انفلاق وانحزال .

والرسالة في شخصية فصول . تناولت في الفصل الاول منها المصادر التي اعتمدتها

مبيننا منها ما كان اكثرها فائدة في هذه الدراسة . وقد اعتمدت طريقة التسلسل التاريخي في سردها .

ثم جعلت الفصل الثاني تمهيدا بينت فيه الحالة العامة في السنوات الاخيرة من عهد السلطنة الايوبية والسنوات الاولى من عهد المماليك - والاحداث الاخرى الخطيرة في هذه الفترة • وبعد ذلك انتقلت الى الحديث عن بيبرس • فحاولت جهد المستطاع ان ارسم له صورة في حياته قبل السلطنة منذ ان شرد عن اهله حتى نال السلطنة اثر اغتيال قطز • ولا ريب انه كانت لهذه السنوات اهمية كبيرة في تكوين شخصية بيبرس • وانتقلت بعد ذلك الى العهد الثاني من حياة هذا الرجل - وهو عهد السلطنة • كان عليه في البداية ان يقمع ثورات قامت عليه فور تسلم السلطنة، ويخلص من المناوئين •

وفي الفصل الخامس تناولت التنظيمات الداخلية التي اجراها بيبرس فاظهرت اهدافه السلاية واجراءاته الادارية لتوطيد السلطنة • والواقع ان هذا الفصل متم للفصل السابق •

وفي الفصل السادس تناولت علاقاته الخارجية مع التتر والصليبيين والسلاجقة والروم والارمن والاحباش والدويلات الاوروبية • وقد تبين لي هنا ان السلطان الظاهر قائد عسكري كبير ورجل دبلوماسي قدير استطاع ان يقود سفينته خلال هذا البحر الهائج الى شاطئ السلامة • ثم تحدثت عن منشآته في الفصل السابع واتيت على بعض نواحي المجتمع المملوكي في الفصل الثامن • وبعد هذا كان لا بد من تقييم لهذا الرجل فجعلت الفصل التاسع موضوع هذا التقييم • وقد حشدت فيه اراء المؤرخين القدماء والحديثين، قبل ان حاولت ابداء رأيي الخاص به •

جدول بالمصادر والمراجع العربية والاجنبية

٢٢ - ١	الفصل الاول - الاصول والمراجع
٤٦ - ٢٣	الفصل الثاني - تمهيد في الحالة السياسية العلامة قبل سلطنة الملك الظاهر
٢٣	٠١ عوامل متصارعة في بلاد الشام ومصر
٢٥	٠٢ صراع بين الايوبيين
٢٧	٠٣ فرقة المماليك البحرية
٣١	٠٤ المعظم تورانشاه
٣٣	٠٥ شجر الدر
٣٥	٠٦ عز الدين ايبك التركماني
٣٩	٠٧ المنصور نور الدين علي
٤١	٠٨ سيف الدين قطز
٦٦ - ٤٧	الفصل الثالث - بيبرس قبل السلطنة
٤٧	٠١ البداية
٤٩	٠٢ في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب
٥٢	٠٣ في عهد عز الدين ايبك
٥٣	٠٤ في بلاد الشام - الفارس الضال
٥٧	٠٥ عودته الى مصر
٥٨	٠٦ في معركة عين جالوت
٦٠	٠٧ اغتيال قطز
٩٩ - ٦٧	الفصل الرابع - بيبرس يوطد سلطانه
٦٧	٠١ الادارة الجديدة
٧٠	٠٢ ثورات ومحاولات انفصالية
٧١	سنجر الحلبي
٧٤	شمس الدين البرلي
٧٧	المغيث صاحب الكرك
٨٢	سيف الدين الرشيدى

٨٤	٠٣ احياء الخلافة
٩٥	٠٤ معاملته للامراء
٩٧	٠٥ رجال الدين
٩٩ - ١٤٤	الفصل الخامس - بيهرس في سياسته الداخلية وتنظيماته الادارية
٩٩	٠١ القضايا الداخلية
٩٩	الاعراب
١٠٢	الاسماعيلية
١٠٥	النوبة
١٠٨	سياسته الدينية
١١٢	٠٢ الجهاز الادارى
١١٢	السلالية
١١٦	القوات المسلحة
١١٧	اقسام الجيش
١١٧	عدده
١١٨	نققاته
١١٩	قيادته
١٢٠	معاملة الجند
١٢٠	لباس الجند
١٢٠	الاستعراضات العسكرية
١٢٢	التدريب العسكرى
١٢٣	القوات البحرية
١٢٤	٠٣ الادارة
١٢٦	مقابلتها مع الادارة الايوبية
١٢٦	موظفو الظاهر
١٢٩	لقب السلطان
١٣٠	الدار السلطانية
١٣٠	الموظفون
١٣٥	البريد
١٣٥	التجسس

١٣٧	الاقسام الادارية
١٣٧	خصائص الحكومة المملوكية
١٣٩	٠٤ القضاء
١٤٥ - ١٧١	الفصل السادس - بيبرس في علاقاته الخارجية - قسم اول
١٤٦	٠١ التتر - المرحلة الاولى
١٥١	المرحلة الثانية
١٥٢	المرحلة الثالثة
١٦١	٠٢ القبشاق
١٦٥	٠٣ الكرج
١٦٥	٠٤ السلاجقة
١٦٦	٠٥ ارمينيا
١٧٠	٠٦ الاشكرى
١٧٢ - ٢٠٧	الفصل السادس - بيبرس في علاقاته الخارجية - قسم ثان
١٧٢	٠٧ الصليبيون
١٧٥	المرحلة الاولى
١٨٠	المرحلة الثانية
١٨٨	المرحلة الثالثة
٢٠٢	قنبرص
٢٠٤	٠٨ الدول الاوروبية
٢٠٥	اسباب نجاح الظاهر على التتر والفرنجة
٢٠٦	٠٩ اليمن
٢٠٧	٠١٠ الحبشة
٢٠٨ - ٢٢١	الفصل السابع - شخصية الظاهر ومنشاته
٢٠٨	حياته الخاصة
٢١١	هيئته
٢١١	صفاته
٢١٣	منشاته

٢٢٢ - ٢٢٣	الفصل الثامن - حول المجتمع المملوكي في عهد الظاهر
٢٢٢	ميزاته
٢٢٥	الحالة الاقتصادية العامة
٢٢٩	المجاعات
٢٣٠	معاملة النصارى
٢٣٢	العلم والادب
٢٣٤ - ٢٥٣	الفصل التاسع - وفاة الظاهر ومكانته - خاتمة
٢٣٤	وفاته
٢٣٩	اراء المؤرخين فيه
٢٤٧	مكانته وخاتمة

جدول بالمصادر والمراجع .

- ٠١ . يا قوت الرومي ١٢٢٦هـ / ١٢٢٩م  
معجم البلدان . خمسة اجزاء  
بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧
- ٠٢ . ابو شامه ١٢٦٥هـ / ١٢٦٧م  
تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف  
بالذيل على الروضتين . صححه محمد زاهد بن  
الحسن الكوثري وعني بنشره عزت المطار الحسيني  
سلسلة " كتب نادرة " مصر ١٩٤٧م / ١٣٦٦هـ .  
الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير .  
الجزء التاسع . نشره الدكتور مصطفى جواد .  
المطبعة السريانية الكاثوليكية . بغداد ١٩٣٤م /  
١٣٥٣هـ .
- ٠٣ . ابن الساعي ١٢٧٤هـ / ١٢٧٥م  
تاريخ مختصر الدول . وقف على طبعه الاب انطون  
الصالحاني . المطبعة الكاثوليكية بيروت . ١٨٩٠م /  
١٣٠٨هـ .
- ٠٤ . ابن العبري ١٢٨٥هـ / ١٢٨٦م  
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر . قسم رابع .  
نشر وتحقيق سيدة فاطمة صادق في مؤلفها .  
Baybars I of Egypt. O.U.P. 1956.  
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة  
السابعة نشره الدكتور مصطفى جواد . المكتبة  
المصرية بغداد ١٣٥١هـ .
- ٠٥ . ابن عبد الظاهر ١٢٩٢هـ / ١٢٩٢م  
الذييل على مرآة الزمان . جزآن . حيدرآباد  
الهند . مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٤ -  
١٩٥٥ .
- ٠٦ . ابن الفوطي ٧٢٣هـ / ١٢٢٣م  
المريية بغداد ١٣٥١هـ .
- ٠٧ . اليونيني ٧٢٦هـ / ١٢٢٦م  
الذييل على مرآة الزمان . جزآن . حيدرآباد  
الهند . مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٤ -  
١٩٥٥ .
- ٠٨ . ابو الفداء ٧٣٣هـ / ١٣٣١م  
المختصر في اخبار البشر . ٤ اجزاء .  
القسطنطينية ١٢٨٦هـ .

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام .  
خمس اجزاء . القاهرة . مكتبة القدسي ١٣٦٧ هـ .  
دول الاسلام . جزآن . حيدرآباد الركن . مطبعة  
المعارف النظامية ١٣٣٧ هـ .

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ  
ابن العميد نشره E. Bloche باريس ١٩١٩ - ١٩٢٩

الوافي بالوفيات . نشره . ريتروس . ويدرنغ .  
النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية .  
١٩٣١ - ١٩٥٢ .

امراء دمشق في الاسلام . تحقيق صلاح الدين المنه  
مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ .  
فوات الوفيات . جزآن . حققه وضبطه وعلق  
حواشيه محي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة  
المصرية . القاهرة ١٩٥١ .

مرآة الجنان وعبرة اليقظان . مطبعة دائرة المعارف  
النظامية . حيدرآباد البنكن ١٣٣٩ هـ .

البداية والنهاية في التاريخ ١٤ جزءا . مطبعة  
السعادة . القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ .

تاريخ ابن الفرات . الجزء الساد من مخطوطة والجزء  
السابع حققه وضبطه نصه الدكتور زريق .  
سلسلة العلوم الشرقية ، الحلقة ١٧ ، منشورات  
كلية العلوم والآداب ، المطبعة الاميركانية ، بيروت  
١٩٤٢ .

صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزءا .  
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .

٠٩ . الذهبي ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م .

٠١٠ -

٠١١ . ابن ابي الفضائل ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م .

٠١٢ . ابن ابيك الصفدي ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م .

٠١٣ -

٠١٤ . ابن شاکر الكتبي ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ .

٠١٥ . اليافعي ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م .

٠١٦ . ابن كثير ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ .

٠١٧ . ابن الفرات ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ .

٠١٨ . القلقشندي ٨٢١ هـ / ١٤١٨ .

- ١٩ المقرئى ٨٤٥هـ / ١٤٤٣م . السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول - ثلاثة اقسام والجزء الثاني - قسيمان ، تحقيق محمد مصطفى زيادة • لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .
- ٢٠ - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر جمال الدين الشيال • مكتبه الخانجي القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢١ - اغاثة الامه بكشف الغمة • نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال • لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٢ - الخطط المقرئية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار • اربعة اجزاء - القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ وفي ٣ اجزاء ، مكتبة احياء العلوم ، الشياح ، لبنان ، ١٩٥٩ . الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٤ اجزاء مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية • حيدرآباد الئكن ١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ .
- ٢٣ ابن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م . النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١١ جزءا دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٠ . مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة تحقيق ج • د • كارليل • كمبردج ١٧٩٢ .
- ٢٤ ابن تفرى بروى ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م الضوء اللامع لاهل القرن التاسع • ستة اجزاء مكتبة القدسي • القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
- ٢٥ - السخاوى ٩٠٢هـ / ١٤٩٦ حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة • جزآن القاهرة • ١٣٢١ هـ .
- ٢٦ السيوطي ٩١١هـ / ١٥٠٥م تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد المكتبة التجارية الكبرى • القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٧ -
- ٢٨ -

- ٠٩ الذهبى ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م
- ٠١٠ -
- ٠١١ ابن ابي الفضائل ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م
- ٠١٢ ابن ايبك الصفدى ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م
- ٠١٣ -
- ٠١٤ ابن شاکر الکتبى ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م
- ٠١٥ اليافعى ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م
- ٠١٦ ابن كثير ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م
- ٠١٧ ابن الفرات ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م
- ٠١٨ القلقشندى ٨٢١هـ / ١٤١٨م
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام .  
 خمسة اجزاء . القاهرة . مكتبة القدسي ١٣٦٧هـ .  
 دول الاسلام . جزآن . حيدرآباد الركن . مطبعة  
 المعارف النظامية ١٣٣٧ هـ .
- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ  
 ابن العميد نشره E. Bloche باريس ١٩١٩ - ١٩٢٩ .  
 الوافي بالوفيات . نشره . ريتروس . ويدرنخ .  
 النشرات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية .  
 ١٩٣١ - ١٩٥٢ .
- امراء دمشق في الاسلام . تحقيق صلاح الدين المنه  
 مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ .  
 فوات الوفيات . جزآن . حققه وضبطه وعلق  
 حواشيه محي الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة  
 المصرية . القاهرة ١٩٥١ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان . مطبعة دائرة المعارف  
 النظامية . حيدرآباد الين ١٣٣٩ هـ .  
 البداية والنهاية في التاريخ ١٤ جزءا . مطبعة  
 السعادة . القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ .
- تاريخ ابن الفرات . الجزء السادس مخطوطة والجزء  
 السابع حققه وضبطه نصه الدكتورق . زريق  
 سلسلة العلوم الشرقية ، الحلقة ١٧ ، منشورات  
 كلية العلوم والآداب ، المطبعة الاميركانية ، بيروت  
 ١٩٤٢ .
- صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ جزءا .  
 دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .

- ١٩ المقریزی ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م . السلوك لمعرفة دول الملوك الجزء الاول - ثلاثة اقسام والجزء الثاني - قسمان ، تحقيق محمد مصطفى زيادة . لجة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ .
- ٢٠ — الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر جمال الدين الشیال . مكتبه الخانجي . القاهرة ١٩٥٥ .
- ٢١ — اغاثة الامه بكشف الغمة . نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشیال . لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ .
- ٢٢ — الخطط المقریزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار . اربعة اجزاء - القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ . وفي ٣ اجزاء ، مكتبة احياء العلوم ، الشیاح ، لبنان ، ١٩٥٩ . الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ٤ اجزاء مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدرآباد الیكن ١٣٤٨ - ١٣٥٠ هـ .
- ٢٣ ابن حجر العسقلانی ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م . النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ١١ جزءا دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٠ . مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة تحقيق ج . د . كارليل . كمبردج ١٧٩٢ .
- ٢٤ ابن تغری بردی ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م . الضوء اللامع لاهل القرن التاسع . ستة اجزاء مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
- ٢٥ — السخاوی ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . جزآن القاهرة . ١٣٢١ هـ .
- ٢٦ — تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٥٩ .
- ٢٧ —
- ٢٨ —

- ٢٩ ابن اياس ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م .  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ اجزاء بولاق  
القاهرة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ
- ٣٠ الاسحاقي ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م  
• اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول  
المطبعة الميمنيه • القاهرة ١٣٠٤ هـ  
• شذرات الذهب في اخبار من ذهب  
• مكتبه القدسي - القاهرة ١٣٥٠ هـ  
• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع  
• جزآن، القاهرة سنة ١٣٤٨ هـ
- ٣١ ابن العماد الحنبلي ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م  
٣٢ الشوكاني ١٢٥٠ هـ / ١٨٤٤ م  
٣٣ الطباخ - محمد راغب  
٣٤ كرد علي، محمد  
٣٥ حسن زكي محمد  
٣٦ - (ناشر)  
٣٧ سرور - محمد جمال الدين  
٣٨ -  
٣٩ حسن، علي ابراهيم  
٤٠ حمزه، عبد اللطيف  
٤١ -
- خطط الشام، ٦ اجزاء، دمشق، ١٩٢٥ - ١٩٢٨ .  
• فعون الاسلام، القاهرة، ١٩٤٨ .  
• في مصر الاسلامية، مطبعة المقتطف، مصر ١٩٢٧ .  
الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره • مطبعة دار  
الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨ .  
دولة الظاهر بيبرس في مصر • دار الفكر العربي  
القاهرة ١٩٦٠ .  
دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر  
محمد بوجه خاص • مكتبة النهضة المصرية القاهرة  
١٩٤٨ .  
ادب الحروب الصليبية • لجنة الجامعيين للنشر دار  
الفكر العربي • مطبعة الاعتماد مصر ١٩٤٩ .  
الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي  
الاول • لجنة الجامعيين للنشر • دار الفكر العربي  
القاهرة، لا تاريخ .

- ٤٢ زيادة، محمد مصطفى  
المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر • لجنة  
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٩ •
- ٤٣ سليم، محمود رزق •  
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي  
في النشر الفني • خمسة اجزاء - مكتبة الاداب  
القاهرة ١٩٤٧ - ١٩٥٥ •
- ٤٤ يوسف، جوزف نسيم •  
لويس التاسع في الشر الاوسط، القاهرة ١٩٥٦
- ٤٥ عاشور، سعيد عبد الفتاح  
مصر في عصر دولة المماليك البحرية • سلسلة الالف  
كتاب باشراف ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم  
بمصر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩ •

١ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق •

مجلد ١ سنة ١٩٢١ ص ٣٦	محمد كرد علي : العادلية والظاهرية
٦ ص - - -	- : الظاهرية
٣٣٨ ص - - -	- : جباية الشام في الاسلام
١٤٤ ص - ٥ سنة ١٩٢٦	- : ذيل الروضتين
مجلد ٢٢ سنة ١٩٤٧ ص ٣٧١	عباس عزاوي : سبط بن الجوزي - القطب اليونيني
مجلد ١٩ سنة ١٩٤٤ ص ٤٢٤	سليمان ظاهر : قلعة شقيف ارنون
مجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨ ص ٥٧٤	محمد احمد دهان : المدرسة الظاهرية
مجلد ٢٣ سنة ١٩٤٨ ص ٦١٨	مصطفى جواد : نظرات في ذيل الروضتين لابي شامة
مجلد ٢٤ سنة ١٩٤٩ ص ١٥٣	

٢ - مجلة الرسالة •

قسم اول سنة ٤ عدد ١٣٩ اذار	محمد فريد ابو حديد : موكب سلاطين مصر •
	١٩٣٦ ص ٣٢٥
قسم ٢ سنة ٣ عدد ١٠٥ تموز	ظافر الدجاني : دولة المماليك في حكم التاريخ
	• ١٩٣٥ ص ١٠٩٤
قسم ١ سنة ٨ عدد ٣٤٨ آذار	عبد الوهاب عزام : موقعة عين جالوت
	• ١٩٤٠ ص ٣٦٩

٣ - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة •

محمد كامل حسين : التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك مجلد ١٥ جزء اول
• مايو ١٩٥٣ ص ٥٧
محمد كامل حسين : بين التشيع وادب الصوفية في عهد الايوبيين والمماليك • مجلد ١٦
جزء ٢ سنة ١٩٤٥ ص ٤٥ •

- على ابراهيم حسن : آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية مجلد ٧ سنة ١٩٤٤ ص ٦٩
- محمد مصطفى زياده : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك
- مجلد ٤ جزء اول سنة ١٩٣٦ ص ٧
- ٨٨

٤ - المجلة التاريخية المصرية

- محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى مجلد ٣ عدد ١ مايو ١٩٥٠
- ص ٩١ - ١٠٢

٥ - مجلة الابحاث

- كمال الصليبي : النظام القضائي في مصر والشام عهد المماليك
- عدد كانون الاول سنة ١٩٥٨

1. D'Ohsson, Barson : Histoire des Mongols depuis Techinguiz Khan.  
The Hague - Amsterdam, 1834-35.
2. Heyd W. : Histoire du commerce du Levant au Moyen Age: Leipzig, 1885-86
3. Lane-Poole, S : The art of the Saracens in Egypt:  
London. Chapman. 1886.
4. " " " : The Story of Cairo. J.M. Dent & Co. - London, 1902.
5. Muir, Sir W. : The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt. Smith, Elder & Co. London. 1896.
6. Stevenson, W.B. : The Crusaders in the East;  
Cam. Uni. Press, 1907.
7. Arnold, Sir T. : The preaching of Islam  
N.Y. Scribners, 1913.
8. Demombynes G. : La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs Arabes.  
Bibliothèque archéologique et historique, Paris, 1923.
9. Grousset, R. : Histoire des croisades et du royaume franc de Jerusalem.  
3 vols. Paris, Plan 1934-36.
10. " " : L'Empire Mongol (1ere phase)  
Paris, Boeckard, 1941.
11. Wiet, G. : L'Egypte Arabe. Histoire de la Nation Egyptienne. Tome IV. Paris Gabriel Hanotaux.
12. Poliak, A.N. : Fendalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon. Royal Asiatic Society. London, 1939.
13. Cahen, C. : La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté d'Antioche.  
Institut Français de Damas, Bibliothèque Orientale, Tome I. Paris, Geuther, 1940.
14. Hitti, P.K. : History of Syria, including Lebanon and Palestine. London Macmillan, 1951.
15. " " : History of the Arabs. London Macmillan. 1956.
16. " " : Lebanon in History, London Macmillan, 1957.

17. Ayalon, D. : L'esclavage du Mamelouk  
Jerusalem Imp. Mercaze 1951  
The Israel Oriental Society-  
Oriental Notes and Studies no. I.
18. " " : Gunpowder and fire arms in the  
in the Mamluk Kingdom, A challenge  
to a Medieval Society. London  
Vallentine 1956.
19. Mayer, L.A. : Mamluke Costume, a Survey  
Geneve 1952.
20. Ziadeh. N. : Urban life in Syria under the  
early Mamluks. Beirut 1953.  
Publications of the Faculty of Arts  
and Sciences, A.U.B., No.24.
21. Runciman, S. : A History of the Crusades. 3.vols.  
Cam. Uni. Press. 1955.
22. Sadeque S.F. : Baybars I of Egypt. O.U.P.  
Pakistan, 1956.

ESSAYS:

1. Ayalon, D. "Al Bahriyya" E. I. Vol. I, new ed. p. 944-945.
2. - "Le Regiment Bahriyya Dans l'Armée Mamelouk". Revue des études islamiques, 1949, p. 133-141.
3. Clermont Ganneau, M. "Le Pont de Lydda construit par Sultan Beibars". Journal Asiatique, huitième série, Tome X. Nov. & Dec. 1887, p. 509-527 tome XII p. 305-310.
4. Kramers, J. H. "Mamluks" E. I. Vol. 3. p. 216-221.
5. Michel, B. "L'organisation Financière de l'Égypte sous les Sultans Mamelouks d'après Qalqachandi". Bulletin de l'Institut d'Égypte tome 7, 1924-1925 p. 127.
6. Perlmann, M. "Notes on Anti-Christian propaganda in the Mamluk Empire". (BSOAS see No. 7 below) pp. 843.
7. Poliak A. N. "The Influence of Chingiz Khan's Yasa upon the general organization of the Mamluk State". Bulletin of the School of Oriental and African Studies (SOAS) University of London. Vol. 10, 1940-42 pp. 862.
8. - "Les Revoltes en Égypte à l'époque des Mamelouks et leurs causes économiques". Revue des études islamiques Vol. 8. 1934, p. 251-273.
9. Sobernheim, M. "Baibars I" E. I. new ed. pp. 588.
10. "Seljuks". E. I. Vol. IV p. 211-212.
11. Wiet, G. "Baibars I". E. I. Vol. I. new ed. p. 1124-1126.
12. - "L'Historien Abul-Mahasin". Bulletin de l'Institut d'Égypte tome XII, session 1929-30 pp. 89.
13. Watson. CM. Ltd. Col. "The stoppage of the River Jordan in AD 1267". Palestine exploration Fund July 1895, p. 253-261.

الاصول والمراجع ( ١ )

يبدو لي ان سيرة الملك الظاهر بيبرس المفصلة التي تتناول حياته قبل السلطنة  
وبعدها بصورة دقيقة وتعطينا تقييما متزنا له لم تظهر بعد . ولم اجد بين الكتابات  
العربية التاريخية الحديثة المنشورة غير كتابين صغيرين عن هذا السلطان ، قدم  
احدهما رسالة ماجستير في جامعة القاهرة ، والثاني دراسة عنه مبينة على الرسالة  
السابقة . وكلاهما لجمال الدين سرور . وهو حرص فيهما على اظهار "فترية" بيبرس  
"ومصريته" ، متأثر بذلك بناحية البطولة الفردية التي تبرزها سيرة الرجل الشعبية .  
وهناك "دراسات في عصر المماليك عامة ، وفي عصر الناصر محمد خاصة" لعلي  
حسن ابراهيم ، تطرق فيها الى الظاهر بيبرس . اضيف الى هذا مقالات عربية نشرت  
خلال ربع القرن الاخير . ويغلب الطابع الصحفي على الكثير منها . او هي مقالات  
تناولت عصر المماليك بصورة عامة ، او تناولت ناحية خاصة منه ، وتطرت مع ذلك الى  
السلطان الظاهر من قريب او بعيد .

ولمحمود سليم رزق "عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي في النشر  
الفني" في خمسة اجزاء او جز فيها الحياة السياسية لعصرى المماليك . واهميتها  
المؤلف انه مجموعة فنية باسماء المؤلفات التاريخية والعلمية والادبية في  
هذا العهد . لكن الكتاب غير مفهرس فهرسة علمية دقيقة ، ثم ان المؤلف اففل ذكر  
المصادر بصورة عامة . وحين ذكرها اففل ذكر اسم المؤلف والصفحة مما لايسهل  
المراجعة عند الحاجة .

---

(١) اتناول هنا ما استطعت الاطلاع عليه مما هو مطبوع باللغات العربية والانكليزية  
والفرنسية بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ومخطوطة ابن الفرات . القسم السادس  
بجزئيه .

وللمستشرقين جهود في ميدان التاريخ لعصر المماليك ، نوه بها الدكتور نقولا  
زيادة (١) لكن كتاباتهم عن الظاهر بيبرس قليلة . ومعظمها يتناول هذا السلطان فسي  
مؤلف عام ، او يتناول ناحية منه . ولم يكن لدينا مؤلف بلغة اجنبية عن سيرة الظاهر  
بيبرس ، مختصرة ، ولكن واضحة ، حتى نشرت فاطمة صادق جزءا من مخطوطه ابن عبيد  
الظاهر قدمت له بدراسة عن حياة هذا الرجل العسكرية ، مبنية على المخطوطة .  
والاتجاه العام في السيرة التي كتبتها فاطمة صادق تمجيد للظاهر وتجريح لكل  
من انتقده . ولن اتناول هذا هنا وانما تناولته حين ذكرت المصادر الاولية وموقفها من  
بعضها (٢) .

والسؤال الآن هو عما سيَّب مثل هذا الاهمال . وقد سجله الدكتور نقولا زيادة  
واستغربه ثم تساءل ما اذا كان يمكن ان يعزى ذلك الى نفور من التصاق صفة المماليك  
بهذا العهد ام الى اعتقاد بان هذه الفترة كانت فترة تاخر وانحطاط (٣) . وانما صح  
ان هذا الاهمال يعود الى ان هذه الفترة ليست فترة ابداع وخلق ، فان الحقيقة هي  
اننا لم ننتبه الى اهمية هذه الفترة من جهة والى ان مصادر دراسة المماليك ومنهم الملوك  
الظاهر ، لم تنشر بعد كلها . ولعل المنشور منها اقل مما لم ينشر (٤) .

- 
- (١) "ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الاخيرة من دراسة التاريخ . . في عصر  
المماليك" هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية عن مجلة الابحاث ج ٢ ج ٣ .  
حزيران وايلول سنة ١٩٥٩ ، ص ١٢٣ .
  - (٢) ص ١١ - ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ادناه .
  - (٣) المصدر السابق ص ١٢٣ .
  - (٤) ويخيل لي ان الاحداث التاريخية الحالية التي تمس بلادنا العربية هي التي تنبهنا  
الى هذا او ذاك من رجال التاريخ الماضي ، او الى هذه او تلك من الفترات الماضية .  
فنكبة فلسطين مثلا اعادت الى الذهن ايام صلاح الدين الايوبي ، وهي ايضا اوحى  
لجوزيف نسيم يوسف دراسة "لويس التاسع في الشرق الاوسط" وكانت دراستا جمال  
الدين سرور عن الظاهر الذي طرد الصليبيين وصد المغول ، فكانه يظل وطنسي  
اسلامي يصارع الاستعمار .

والاصول من الظاهر بيبرس عربية بالدرجة الاولى ، ولكن هذا لا يعني ان مصادر اخرى بلغات اخرى لم تتناوله . الواقع ان المصادر الفارسية والاروبية المعاصرة له قد تناولته ايضا . ولكنني اهللت المصادر الفارسية لجهلي بهذه اللغة . واهطلت الاصول الاوروبية لان المؤلفات الحديثة عن الصليبيين افادت منها فاعتبرت عودتي الى هذه المراجع الاخيرة مغنية عن العودة الى الاصول — لاسيما وهي مكتوبة بلغات اولهجات اوروبية اجهلها ، ولاعتقادي بان المصادر العربية ، هي اوفاهها عنه ( ١ ) .

لنعد الآن الى المصادر العربية الاولية ، وهي تشمل ما كتب عن الظاهر بيبرس خلال قرنين ونصف قرن من الزمن :

ابوشامه : ٥٩٩ - ٦٦٥ هـ / ١٢٠٢ - ١٢٦٢ م . يهنا هنا من مؤلفاته " تراجم رجال القرنين السادس والسابع " وهو يعرف " بالذيل على الروهتين " وفيه سرد موجز لحياة الظاهر بيبرس في السنوات الاولى . وهو شاهد عيان للاحداث التي يصفها ولكنه لا يفصلها ، بخلاف ما فعل في " كتاب الروهتين في تاريخ الدولتين الزنكية والصلاحية " .

وهو في مؤلفه هذا يعطينا صورة عامة ليست مشرقة ، عن الحياة العامة في دمشق في ايامه . وقد نظم في ذلك قصيدة طويلة جاء فيها :

عجبا من مدرسين قضاة	يتبارون في الملابس (٢) بطرا
والذي كاتب التتار ومن سار	اليهم قصدا فأنسى واطرا

---

(١) وهذا هو رأي F. Sadeque (ص ١)  
(٢) هي في الاصل " اللباس " ولكن الوزن لا يستقيم معها .

كلما قلت دولة الحاكم اللجج، على برزالت قامت علينا اخرى

ثم يدوم الى الانصراف الى الفلاحة لانها من "احل كسب وائرى (١)

ابن شداد : ٦١٣ - ٦٨٤ هـ / ١٢١٦ - ١٢٨٥ م • ويهمننا من مؤلفاته في هذه الدراسة/السيرة الظاهر بيبرس وقد اسماها "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (٢) • وقد ضاع اكثرها الا القسم المتعلق بالسنوات الخمس الاخيرة من حياة هذا السلطان • وهذا لم ينشر بعد (٣) • ولو قدر لهذه المخطوطة ان تنشر لكانت هي والقسم المنشور من السيرة التي وضعها ابن عبد الظاهر سيرة للسلطان لا تعوزها الا السنوات المتوسطة من حكمه •

ولهذه السيرة اهمية خاصة ان المؤلف عاصر الاحداث واشترك في بعضها • وقد هرب من الغزو التتري الى القاهرة حيث حظي بعطف الظاهر وتشجيعه (٤) • فكان له من مكانته مايساعده على الاطلاع على خفايا الامور •

واذا كانت هذه السيرة لم تصلنا كاملة ، ولم يطبع بعد ماوصلنا منها ، فقد اطلعت على موجز لها في ابن تغرى بردى • وكذلك لخصها ابن شاکر الكتبي في "نوات السوفيات" وذلك باعترافه (٥) •

- 
- (١) تراجم ، ص ٢٢٢ - ٢٢٦ •  
(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٢٦ و ( C Cahen ) ص ٧٥ ولنلاحظ هنا ان لابن عبد الظاهر مؤلفا بذات الاسم •  
(٣) ( F Sadeque ) ص ٢ وملحق مقابل ص ٦٤  
(٤) ( F Sadeque ) ص ٢  
(٥) ج ١ ص ١٥٩ •

ابن عبد الظاهر: ٦٢٠ - ٦٩٢ هـ / ١٢٢٣ - ١٢٩٢ م . هو صاحب "الروض  
الزاهر في سيرة الملك الظاهر" وهي جزء من مدونات سجلها المؤلف بصفته كاتب  
انشاء منذ عهد بيبرس حتى عهد الاشرف خليل ، كانه كان يتوقع من كاتب الانشاء  
ان يحتفظ بيومييات ( ١ ) .

ضاع القسم الاكبر من هذه السيرة ولم يبق منها الا ما يتعلق بالسنوات  
الخمسة الاولى من سيرة السلطان (٢) . وقد نشرت فاطمة صادق هذا القسم  
الباقى باسم "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" . لكن اليوناني يذكر هذا  
الكتاب باسم اخر هو "الفضل الباهر من اخبار الملك الظاهر" او "في الفضل الباهر  
من سيرة السلطان الملك الظاهر (٣)" . ويذكر ابن الفرات انه صاحب "كتاب نظم  
السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" لكنه يعود في امته اخرى فيشير الى ان الكتاب  
من تأليف حفيد ابن عبد الظاهر (٤) .

قلنا ان ابن عبد الظاهر كان كاتب الانشاء ولذلك شهد الاحداث التي  
دونها واشترك فيها اشتراكا فعليا . والقسم المنشور من السيرة مليء بالاشارات الى  
مثل هذه المشاهد العيانية والمشاركة الفعلية (٥) .

ولهذه السيرة اهمية كبيرة . فقد اعتمدها كل من كتب عن الظاهر فيما

بعد . لخصها شافع بن علي ، ونقل عنها ابن الفرات باسهاب . وفي "الذيل على مرآة الزمان"

"الزمان"

- 
- (١) ( C.Cahen ) ص ٣٤
  - (٢) راجع ص ٤ .
  - (٣) اليوناني ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٥٦ .
  - (٤) ابن الفرات ج ٦ قسم اول ورقة ٦٥
  - (٥) منها تهئية شجرة نسب الخليفة (ص ٦١) تدبيح رسالة السلطان لبركة خان  
(ص ٨٢ - ٨٣) : كتاب تقليد السعيد ولاية العهد (ص ١٠٦) .

لليونيني ، وفي " السلوك لمعرفة دول الملوك " للمقريزي ، وفي " النجوم الزاهرة " لابن تغرى بردى ، اشارات كثيرة الى ان هؤلاء المؤرخين نقلوا عنه . يبدو انهم اعتمدوا سيرة ابن عبد الظاهر اكثر مما اعتمدوا السيرة التي كتبها ابن شداد . ولا فرو في ذلك فان منصب ابن عبد الظاهر يجعله اقرب من غيره الى معرفة دقائق سيرة الظاهر .

وانا كان لمثل هذا قيمة ايجابية . فان له ايضا قيمة سلبية . فقد عمد ابن عبد الظاهر الى المبالغة في وصف السلطان ورسم صورته مشرقة عنه ونسبه جميع الصفات الحميدة اليه واعتباره منقذا للاسلام (١) .

ثم ان ابن عبد الظاهر لجأ الى الاسلوب الادبي المصحح المزخرف فاضر هذا الاسلوب بسيرة الرجل لاسيما قبل ان تسلم السلطنة . فهو يجعل عز الدين الاقثم الذي انشق عن بيبرس بعد معركة نابلس مع الناصر صلاح الدين ، ودخل مصر ، داعية للناصر فيها ويجعل بيبرس يعود مع الناصر الى دمشق غير مبرر ذلك ، بخلاف ما تقوله جميع المصادر الاخرى (٢) .

وابن عبد الظاهر فيما يبدو ، يعمد الى ابراز عيوب الاخرين ليبرز بعد ذلك محاسن بيبرس . يقابله بالناصر صلاح الدين يوسف . ويصف الناصر بالضعيف اللاهي بينما الظاهر يحرق الام على ما يجرى بين سلاطين مصر وايوبي بلاد الشام (٣) .

ابن واصل : ٦٠٤ - ٦٩٧ هـ / ١٢٠٧ - ١٢٩٨ م . له " كتاب مفرج الكرب في اخبار بني ايوب " تناول فيه فترة المماليك الاولى . وقد نشر من الكتاب جزآن انتهيا بنهاية حياة صلاح الدين الايوبي ، لكني افدت من الاجزاء التي لم تنشر بعد بواسطة ما نقله كتاب استطاعوا الوصول الى مكان المخطوطه . كالتعليقات التي وضعها مصطفى زيادة ناشر " السلوك لمعرفة دول الملوك " وغيرها .

(١) ابن عبد الظاهر ص ١ ، ٢ ، ٤ ، ٢٠ ، ٢٣

(٢) المصدر نفسه ص ٨

(٣) المصدر نفسه ص ١٤

وابن واصل ، كابن شداد وابن عبد الظاهر ، كان اثيرا لدى السلطان . وقد

اختره للسفارة له عند مانفريد ( Manfred ) ملك صقلية .

وطبيعي ان يميل هؤلاء المؤرخون الثلاثة ، ابن شداد ، وابن عبد الظاهر ،

وابن واصل ، الى تفخيم الظاهر وتعظيمه . فقد عايشوه وخدموا في بلاطه ونالوا من

احسانه . ثم انهم راوا فيه البطل الذي تغلب على التتر واطرف الصليبيين بصورة نهائية .

وقد شاركهم ابو شامه هذا الموقف بالنسبة لانتصاراته على الصليبيين والمخول ، بيد ان موقف

الظاهر من دمشق كان يحول دون تفخيم ابي شامه له . ولعل قصر المدة التي عاشها

ابو شامه في عهد الظاهر يببرس لم تتح له ان يرى اهميته كغيره . اولعل ميله الى ذم

السلطات والاستياء من الحالة العامة حالا دون نيته خذوة عند السلطان .

وهنا لا بد من التساؤل : لماذا لم يكتب ابن خلكان ( ٦٠٨ - ٦٨٠ -

هـ / ١٢١٩ - ١٢٨٢ م ) شيئا عن السلطان الظاهر وله كتاب " وفيات الاعيان وانباء

ابناء الزمان " مع انه توفي بعده ببضع سنوات .

واخيرا يجب ان نشير الى ابن العبري ( ٦٢٣ - ٦٨٥ هـ / ١٢٢٦ -

١٢٨٦ م ) وله " تاريخ مختصر الدول " وقد اكتفى فيه باشارة خاطفة الى

المماليك عامة .

وهناك مؤرخو النصف الاول من القرن الهجري الثامن/الميلادي الرابع

عشروهم ابن الفوطي ، وببيرس الدوادار ، وقطب الدين اليونيني ، وشافع بن علي بن

عباس والنويري ، وابو الفدا ، والذهبي والمفضل بن ابي الفضائل .

ابن الفوطي : ٦٤٢ - ٧٢٣ هـ / ١٢٤٤ - ١٣٢٣ م . مؤرخ عراقي ، كان خازن كتب المستنصرية في بغداد . وكان واسع الاطلاع ، منصفاً في احكامه ، معتدلاً في عواطفه لكنه لم يتسن له ، لبعده عن مسرح الحوادث . ان يتثبت من كل ما يرويهِ (١) . وله كتاب " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة " وفيه موجز لحياة الظاهر بيبرس . بيبرس الدوادار (٢) : ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . له " زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة " وهو لم ينشر بعد وقد اسهم في معارك عدة قام بها الظاهر ضد الفرنجة والروم (٣) كان حاكم الكرك في عهد قلاوون ثم صار نائب السلطنة في عهد الناصر ابنه ثم سجن ما بين ٧١١ - ٧١٧ هـ . وكتب تاريخه هذا حتى سنة ٧٢٤ هـ .

قطب الدين اليونيني : ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م . له " الذيل على مرآة الزمان " نشر منه جزآن حتى الان . كتبه اليونيني كما يدل العنوان " ذيل على " مرآة الزمان " لسهـط ابن الجوزي ٥٨٢ - ٦٥٦ هـ / ١١٨٦ - ١٢٥٨ م . ولهذا المؤلف قيمة كبيرة ان ابن اليونيني يعطينا فيه معلومات لا توجد في غيره من المؤلفات (٤) . ثم ان له ميزة اخرى هي انه يسرد لنا الكثير من <sup>سيرة</sup>الشخصيات والقواد في الزمن الذي يورخ له . وهو دقيق في ذكر اخباره واسانيد له لكنه كثيراً ما يختلف عن المصادر الاخرى ، بالتواريخ وقد اشترت الى بعض هذا في موضعه .

وقد اخذ اليونيني معلوماته عن ابن عبد الظاهر وابن شامه وابن واصل مما يجعله موثقاً به من ناحية ويجعله ذا قيمة نسبية لنا حتى تطبع هذه الاصول .

---

(١) مصطفى جواد ، المقدمة ص ر  
(٢) هو بيبرس المنصوري عند (C. Cahen) ص ٧٨ وهناك مؤرخ باسم ابي بكر بن عبد الله بن ايبك ابن الدوادار ، وله كتاب في تسع مجلدات تناول المعاليك الاولى في الجزء الثامن وخص الناصر محمد بالجزء التاسع (C. Cahen) ص ٧٩ ولعلمهما مؤرخ واحد .  
(٣) Margoliouth DS "Baibars Al-Mansouri Dawadar" E I new ed (١ ص ٥٩٠)  
Ashtor E "Baibars al Mansouri" EI new ed (١ ص ١١٢٧)  
(٤) C Cahen ص ٧٩ - ٨٠ F Sadeque ص ٦

ثم ان المؤرخين اللاحقين اخذوا عنه او نقلوا رايه في بعض القضايا كقضية وفاة الظاهر مثلا . وقد نسخ ابن تغرى بردى عنه الشيء الكثير . وكذلك فعل ابن ابي الفضائل ويشير هذا الاخير الى مصدره على انه "المورخ" من غير ان يسميه . وقد قال ( E. Blochet ) انه يقصد النويرى بذلك ولكنني اعتقد ان ما ينسخه ابن ابي الفضائل عن اليونيني يوحي لنا باعتباره "المورخ" الذي يشير اليه ابن ابي الفضائل .

ولهذا المؤلف صفة بارزة جدا وهي فيه ابرز ما هي في اى مصدر آخر عن هذه الفترة وهي صفة التكرار فكثيرا ما يتحدث عن الحادث او الشخص في مكانين من الجزء الواحد او في الجزئين معا ( ١ ) .

شافع بن علي بن عباس : ٦٤٩ - ٧٣٠ هـ / ١٢٥١ - ١٣٣٠ م .

هو سبط ابن عبد الظاهر . اختصر السير التي كتبها جده للظاهر ولقلاوون وللخليل . وهو صاحب " المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية " وصاحب تاريخ الناصر محمد بن قلاوون ، وصاحب " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " وصاحب مجموعة عن شعراء عصره ( ٢ ) لكن شيئا من هذا لم ينشر بعد .

ابو الغداء : ٦٧٢ - ٧٣٢ هـ / ١٢٧٣ - ١٣٣١ م . صاحب مختصر

تاريخ البشر " في اربعة اجزاء . وقد تناول سيرة الملك الظاهر في الجزئين الثالث والرابع مختصرة عن ابن واصل وابن عبد الظاهر . ومن هنا كانت اهمية هذا المصدر وقد افدت منه كثيرا في الحديث عن صراع الايوبيين فيما بينهم . ثم جاء ابن السوردي

( ١ ) ج ١ ص ٤٥ و ٥٤ - ٦٠ من عز الدين ابيك و ٤٥ و ٦١ عن شجر الدر .

( ٢ ) ( G. Cahen ) ص ٧٨

( ٦٨٩ - ٧٤٩ هـ / ١٢٩٠ - ١٣٤٩ م ) فكتب له تنمة لكنه ليس

في هذه التنمة شي\* خاص او جديد بالنسبة للسلطان الظاهر .

النويرى : ٦٧٨ - ٧٣٢ هـ / ١٢٧٩ - ١٣٣٢ م . كان ناظر

الجيش في طرابلس ثم ناظر الديوان في الدقهلية والمرتاحية في عهد الناصر محمد بن قلاوون . كتب "نهاية الارب في فنون العرب" في ٣٢ مجلدا تناول فيها الادب والتاريخ معا . ولم ينشر حتى الان الا الاجزاء التي تتناول الادب .

وقد سجل النويرى في قسم التاريخ سيرة الظاهر بيبرس مفصلة منقولة عن ابي شامه وابن عبد الظاهر وابن شداد واليونيني . وقيمة سيرته ، عندما تنشره ، انها تحفظ لنا مقتطفات كبيرة من مصادر اخرى كثيرة ضائعة (١) .

الذهبي : ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ / ١٢٧٤ - ١٣٤٨ م . له "تاريخ

الاسلام" مطولا . ثم اختصره في كتاب اخر هو المنشور الذي اطلعت عليه . وقد نقل الذهبي معلوماته عن ابن عبد الظاهر وابن شداد وابي شامه واليونيني . وفي اختصاره توضيح للوقائع لكنه ليس فيه لذة التفصيل .

المفضل بن ابي الفضائل : ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م . قبلي . له "كتاب

النهج السديد والدر الغريد" نزيل به كتاب ابن العميد . طبيعي ان يكون ابن ابي الفضائل اهتمد المصادر السابقة وقد اشار اليها . لكن الغريب ان المؤرخين

اللاحقين لا يشيرون اليه البتة . وقد يعود ذلك الى انه كان مختلفا عنهم دينا او الى انه واياهم رجع الى ذات المصادر الاساسية . وكتابه هذا مصدر هام يعطينا رأى الاقباط بالسلطان الظاهر من جهة ويفصل لنا احيانا ، على اختصاره ، اشياء لاتفصلها المصادر الاخرى (١) .

ابن كثير : ٧٠١ - ٧٧٤ / ١٣٠١ - ١٣٧٣ م . وله " البداية والنهاية في التاريخ " في اربعة عشر جزءا . وقد خص الظاهر بقسم كبير من الجزء الثالث عشر ، تناول فيه سيرة هذا السلطان ، مرتبه بحسب السنين . والسيرة مختصرة ، لكنها تعطينا صورة واقعية مشرقة عن السلطان .

ولهؤلاء المؤرخين باستثناء هذا الاخير ، نظرة للسلطان الظاهر تختلف عن نظرة المؤرخين الاربعة الاول . وترى ( F. Sadeque ) انهم اتخذوا موقفا عدائيا من السلطان وعمدوا الى ابراز اسوأ ما فيه واختلفوا حوادث لا اثر لها من الصحة ، او اتوا بتعليقات لاتثبتها الوقائع ( ٢ ) . ولتايد هذه التهمة سرد المتهم عددا من الامثلة ، واولها حكاية استيلاء السلطان حين كان يحاصر الشقيف سنة ١٢٦٨ م على رسائل يحملها مسلمون من عكا الى نواب الشقيف تشجيعا لهم على الثبات امام هجمات الظاهر واعلاما لهم بشخص يمكن ان يتناولوا منه الاموال اذا احتاجوا ، ونصيحة بالافراج عن شخص اخر معتقل في الشقيف . لكن الظاهر اضاف الى هذه الرسالة نصيحة اخرى مؤداها الاستسلام عند استحالة الصمود مقابل الامان لانفسهم ولنسائهم ولا بنائهم .

ثم يقول ابن شداد ان الظاهر ، بعد هذا ، شدد الحصار حتى ان القوات المدافعة اضطرت ، عند استلام الرسالة ، الى المفاوضات والتسليم مقابل الامان .

(١) ( E. Blochet ) ص ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

(٢) ( F. Sadeque ) ص ٨ .

وهناك رواية ابن ابي الفضائل . فهي تتفق مع رواية ابن شداد حتى الاستيلاء على الرسالة ، وعلى محتوياتها - لكنها تختلف عن رواية المصدر السابق في انها تجعل الظاهري ياتي بمن يجيد معرفة الاشارات السرية بين الفرنجة ويكتب لقوات الشقيــــــــــــــــف رسالتين احدهما للنائب يحذره فيها من الوزير المقيم ومن جماعة اخرى معه ، وثانيهما للوزير يحذره فيها من القائد . ثم تعود الروايتان الى الاتفاق ، حتى كانت المفاوضة والامان والاستسلام ( ١ ) .

وقد ذكر النويري والذهبي الروايتين ولم يقطعا بصحة احدهما ( ٢ ) . ورواهما ابن الفرات ( ٣ ) على ان حامل الرسالة قصد السلطان وسلمه الرسالة فقرئت بعد التحيل وارسلها الظاهر لمقدمي الفرنجة في القلعة بامانات لقاء الاستسلام ، وكتب ايضا رسائل معكوسة عن الرسائل الحقيقية مما اثار الحذر بين الوزير والقائد . وليس يسهل الجزم الان . والفرق بين الروايتين واضح . وتتهم فاطمة صادق ابن ابي الفضائل بمحاولة تسويد صفحة الظاهر . لكن ابن الفرات يجعل هذا العمل " من سعادة الظاهر وحسن رايه " ( ٤ ) .

ثم هنالك قصة وفاة الظاهر بالتسم . يتفق ابن عبد الظاهر وابن شداد على القول بان الظاهر اكثر شرب القمز . فمرض واساء المعالجون معالجته وقضى نحبه ( ٥ ) . ولست احسب ان اليونيني وبيرس الدوادار اللذين اثبتا حكاية التسم يقصدان تشويه سمعة الظاهر ، والا قرب للمعقول ان رواية التسم نشأت من معالجة الظاهر بالجواهر ظنا ان به تسمما .

---

( ١ ) - ابن ابي الفضائل ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ( ٢ ) ( F.Sadeque ) ص ١١ .  
( ٣ ) - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٦ - ١٧ ( ٤ ) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٧  
( ٥ ) - ( F.Sadeque ) ص ١١ ، وقد عالجت هذه الحكاية في مكان اخر .  
( ٦ ) - ( F.Sadeque ) ص ١٢ - ١٣

وهنالك قصة ارسال الظاهر فائدا اشبهه في الشكل لحلف اليمين لاهل صفد ليتستلموا . وتقول فاطمة صادق ان القصة محض اختلاق . ثم قصة اغتيال قطز، الفرق بين مايقوله ابن عبد الظاهر والذهبي هو ان هذا الاخير روى ان الظاهر تقدم من قطز يرجوه منحه فتاة ثم اخذ بيده لتقبيلها حتى كانت الطعنة في ظهر السلطان . وراى فاطمة صادق ان الذهبي اضاف هذه القصة ليظهر طبع الظاهر الغدار .

ان اسباب هذا التغير يمكن ان تكون ثلاثة : - حسد الناظر من الظاهر وتأثيره على المؤرخين من جهة . واعتبار حياة الظاهر تمهيدا لحياة الناصر من جهة ثانية ، وبعد الشقة بين المؤرخين وبين الظاهر بحيث صار يمكن النظر اليه بحرية وتجرد من جهة ثالثة . وترى فاطمة صادق ان السبب الحقيقي للتغير هو الاول وحسب وتنكر ان يكون بعد الزمن هو الذي فعل فعله ان الناصر لم يكن جنديا قد يسرا فشعر بالحسد من الظاهر ببيبرس وقد كادت سيرته تصبح اسطورة في حياته . وتستند في ذلك الى رواية عن استيلاء الناصر من قناطر السباع التي بناها الظاهر (١) .

ولكنني ارى هذا التعليل خاطئا . ان هل يجوز ان نتهم هذه المجموعة من المؤرخين بانهم اجمعوا على التأمير على الظاهر ببيبرس بعد وفاته بنحو نصف قرن ؟ وهل يجوز ان نتهمهم جميعا بالانصياع الى توجيهات من الناصر محمد لتشويه سمعة الظاهر ؟ اليس يجوز لنا ، بناء على هذا ، ان نتهم المؤرخين السابقين بالتحييز للظاهر وباخفاء كل عيب من عيوبه ، تحت تاثير توجيه من توجيهاته ؟ لست اريد ان انكر ان السلطات قد " توجه " احيانا وقد تجد من يصفي اليها ولكنني لست اريد ان اجعل من هؤلاء المؤرخين صنائع .

ان تغير موقف المؤرخين من الظاهر واقع لا ريب فيه . ولكن ينبغي ان نجد لهذا التغير تعليلات اخرى .

اول ما ينبغي ان نتبته اليه هنا هو ان الصورة التي رسمها ابن عبد الظاهر وابن شداد للظاهر لا يمكن ان تكون حقيقة . ان الانسان الذي يصفه ابن عبد الظاهر اسطوري اكثر منه حقيقيا . واذ اخذنا حكايته عن افتيال قطز جاز لنا ان نتساءل ما اذا كان لم يختصرها ليحذف ما لا يليق تسجيله في مدونات ديوان الانشاء .

واما ابن ابي الفضائل فلا بد انه تآثر في موقفه بموقف الظاهر من النصاري عامة . ولعله يوسعنا ان نجد لكل مؤرخ لم يمدح الظاهر كابن عبد الظاهر ، سببا خاصا او تعليلا لموقفه . ولكنني احسب ان هنالك سببا عاما يفسر موقف المؤرخين جميعا . ان المؤرخين الاول عايشوا الظاهر وخدموه وراؤهم بانفسهم يحارب المغول ويصد هم ويحارب الصليبيين ويحتل بعض مراكزهم . لقد كان هذا الخطر المزدوج جاثما على صدور جميع الناس . كانت اهمية الظاهر في مآتيه العسكرية . اما الذين كتبوا عنه بعد نصف قرن فلم ينظروا اليه من هذه الناحية فقط . لقد وجدوا ان عليهم ان ينظروا اليه من نواحي مختلفة . من هنا نشأ هذا التباين في الموقفين . لست ارى ان انكر امكانية التوجيه والتاثير من السلطان الناصر على المؤرخين ولكنني لا ارى ان نجعل من هذا العامل الوحيد والاهم لهذا التغير في نظرتهم للسلطان الظاهر .

استاء الناصر من قناطر السباع ، وشعر بالحسد من سيرة الظاهر التي كادت تصبح اسطورة ، واحس بالالم لما لاقاه في بداية عهده بالسلطنة . ولكن هذا لا يفسر اجماعا من عدد كبير من المؤرخين على اظهار مآتيه العسكرية والعمرائية وتبيان سيئات كانت فيه . ان الذي فعله هؤلاء المؤرخون هو انزلوه من مستوى الاسطورة الى مستوى الانسان العادي .

وفي النصف الثاني من القرن الهجري الثامن / النصف الثاني من القرن الميلادي الرابع عشر عدد من المؤرخين تناولوا سيرة الظاهر بيبرس .

ابن شاکر الکتبي : ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م . صاحب " فوات الوفيات " وقد وضعه نيلا على " وفيات الاعيان ... " وفيه موجز لحياة الظاهر منقول عن ابن شداد (١) ولهذا اهمية .

عفيف الدين اليافعي : - ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م . له " مرآة الجنان وعبرة اليقظان " في اربعة اجزاء . وهو مختصر جدا . (٢) .

ابن الفرات : ٧٣٤ - ٨٠٨ هـ / ١٣٣٤ - ١٤٠٥ م . له " تاريخ الدول والملوك " انتهى فيه حتى سنة ١٣٩٦ م / ٨٠٠ هـ في تسعة اجزاء . خص منها الجزء السادس وبعض الجزء السابع بسيرة الظاهر بيبرس . وهو ينقل عن ابن فهد الظاهر وعن " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " الحفيد ابن عبد الظاهر ، وعن ابن شداد واليونيني وعن بعض اهل التاريخ . وقد نقل عن المصدرين الاولين مقاطع طويلة حتى اننا لو خذناها لبقى القليل مما لم ينسخ بلغته الاصلية . والملحوظ انه لم ينقل عنه احد ممن جاء بعده .

يبدو ان ابن الفرات اراد ان يعطينا صورة كاملة واضحة مفصلة عن حياة الظاهر بيبرس ، لذلك نقل بغزارة عن المصادر السابقة . ذكرا اسما مصادره معطيا الروايات المختلفة عن كل حادث حوله جدل . قليلا ما يقطع بحكم ، تاركا ذلك للقارى . وموقفه من الظاهر معتدل بوجه عام . فهو يمدحه ويعتبره بطلا ، ولكن هذا لا يمنعه من رؤية عيوبه ، او من تسجيل المآخذ التي اخذها عليه الآخرون . لذلك كان مؤلفه الوحيد الذي يجمع بين آراء المؤرخين بالظاهر .

---

(١) ابن شاکر الکتبي ج١ ص ١٥٩ - ٢ - وهنالک ابن حبيب الدمشقي (٧١٠-٧٧٧ هـ / ١٣١٠ / ١٣٧٧ م) . وله "درة الاسلاك في دولة الاتراك" .

وفائده في هذه الدراسة كبيرة لانه يورد مقطوعات طويلة من مخطوطات ليست في متناول يدي ، او انها ضائعة . وهو بهذا مفيد لانه يحفظ لنا كثيرا مما هو ضائع من سيرتي ابن عبد الظاهر وابن شداد ، وهو بذلك يسد الثغرة القائمة بضياع القسم الاخير من سيرة ابن عبد الظاهر ، والقسم الاول من سيرة ابن شداد . ومقابله ما نقله عن ابن عبد الظاهر بالقسم المنشور من هذه السيرة يثبت لنا انه كان دقيقا في نقله ، بحيث يصح عليه الاعتماد لمعرفة نص السيرة الاصلي .

ويتميز ابن الفرات بصفتين هامتين هما التفصيل والاستطراد . والتفصيل واضح من انه خصص ١٠٨ ورقات لكتابة تاريخ خمس سنوات من حياة الظاهر . اما الاستطراد فامتدته كثيرة . فعندما اراد الحديث عن الظاهر في القدس (١) مثلا عاد الى سرد تاريخ هذه المدينة منذ القدم . وعندما اراد الحديث عن القضاء (٢) في عهد الظاهر عاد الى ذكر اسماء القضاة منذ ان افتتح العرب مصر (٣) .

القلعشندي : ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م . له " صبح

الاعشى في صناعة الانشاء " في ١٤ مجلدا . وفيه معلومات تاريخيه عامة هامة ، لكن فائده الكبرى هي في تفصيل النواحي الادارية .

- 
- (١) ابن الفرات ج ٦ قسم اول ورقة ٢٠ - ٢٤ .
  - (٢) ابن الفرات ج ٦ قسم اول ورقة ٧٨ - ٩٠ .
  - (٣) وهناك ايضا ابن دقماق ( ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م ) وله " نزهة الانام في تاريخ الاسلام " ( فهرس المخطوطات العربية ج ٢ قسم ٣ ، التاريخ ص ٣١٥ ) و " الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين " المصدر نفسه ص ١٣٢ ويقال ان مصادر ابن دقماق افضل من مصادر المقرئزي وان كان هذا لم يرجع اليه . ( Pdersen, J. Art. " Ibn Dukmak", E.-I. Vol. II, P. 374 ) وقد نقل عنه ابن الفرات و اشار اليه في امكنه مختلفة . وابن خلدون ( ٧٣٢-٨٠٨ هـ / ١٣٣٢-٤٠٦ م ) صاحب " كتاب العبوديون المبتداء والخبر . . . " لكنني لم اجد فيه شيئا خاصا او هاما بالنسبة للظاهر .

بقي امامنا من المصادر الاولية عدد كبير وضعه مؤرخون في القرن الهجرى التاسع /  
الميلادى الخامس عشر . وهم المقرئى ، الظاهرى ، ابن تغرى بردى ، السيوطى ، ابن  
اياس (١) .

المقرئى : ٧٧٦ - ٨٤٥ هـ / ١٣٧٤ - ١٤٤٢ م . مؤلفاته كثيرة يهمننا منها  
هنا " السلوك لمعرفة دول الملوك " و " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " المعروف  
بالخطط المقرئية ، و " كتاب غاثة الامة بكشف الغمة " و " التبر المسبوك فيمن حج من  
الملوك " .

ليس في الكتاب الاخير عن الظاهر مالم يذكره المقرئى في الكتب الاخرى . واما  
" كتاب غاثة الامة " . . . ففائدته في انه يصور لنا الجو الاقتصادى الاجتماعى في عهد  
المماليك عامة . ويذكر لنا المجاعات التي حدثت في عهدهم - ومنها المجاعات في عهد  
السلطان الظاهر . وهذا الكتاب فريد في نوعه . او هو الاول في هذا الباب .  
و " الخطط المقرئية " وصف جغرافى للقاهرة ولبعض مدن مصر ، و اشارات تاريخية  
لتطورات طرأت على هذه الامكنة . ولذلك كان الكتاب مصدرا تاريخيا الى جانب  
كونه مصدرا طبوغرافيا . وقد اتهم انه نقل هذا الكتاب عن مؤلف سابق للاوحدى  
واضاف عليه اضافات غير ذات جدوى (٢) . ولم يدفع المقرئى هذه التهمة ، بل اكتفى

---

(١) ويمكننا ان نزيد اليهم عددا من المؤرخين كالعيني صاحب كتاب " عقد الجمان في تاريخ  
اهل الزمان " وابن شلهين صاحب " زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " وبهاء  
الدين الخالدى صاحب " المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء " ، ونور الدين  
الصيرفى صاحب " نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان " وابن خليل صاحب " نزهة  
الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين " ، وحسن الطولونى صاحب " النزهة السنه في  
ذكر الخلفاء والملوك المصرية " ، ( محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن  
الخامس عشر الميلادى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ ) .

ولكنني لم استطع الافادة من هذه المصادر .  
(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

لكنه لا بد من القول ان ثبوتها لا ينفي صدق ما يقوله المقرئ ولا يجرح في صحة احكامه ، وهو القائل بان الاصل هو معرفة ما يقال ، لا معرفة من قال .

بقي "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" وهو ما ينبغي ان نوجه اليه اهتمامنا هنا . اعتمد فيه المقرئ ابن عبد الظاهر وابن شداد واليونيني والذهبي ، وذكر ذلك في موضعه ولحظ الفروق في نظرتهم الى الملك الظاهر بيبرس . فلا بد له امام هذا الواقع ، وهو تلميذ ابن خلدون ، من ان يترث ويحذر في النقل ، ولا بد له من ان يكون له وجهة نظر خاصة بالسلطان .

لم يمدح المقرئ السلطان الظاهر كما فعل ابن عبد الظاهر ، وانما انتقده في نواحي معينة . هي قضية التشريع وقضية القضاء وقضية تأييد الخليفة في زحفه على بغداد وقضية الضرائب .

كان المقرئ ينكر على الحكام حق التشريع بصورة عامة . وكان يأخذ على الظاهر بيبرس انه ادخل شرائع مغولية خوفا من المغول او ارضاء لصديقه وحليفه بركة خان (١) ، وتزيد نعمة المقرئ على الظاهر بسبب ادخال نظام القضاة الاربعة مما اضعف نفوس الشافعية (٢) ويدل على نعمة المقرئ على الظاهر في هذا السبيل قول السلطان لمن رآه بعد موته في حلم بقوله "ما رايت شيئا اشد علي من ولاية قضاة اربعة ، وقيل لم يفرقت الكلمة" (٣) .

---

(١) ( F. Sadeque ) ص ١٩

(٢) وقد كان العلماء الشافعية والحنفية على عدا مستحكم يؤيد كل فريق منهم اميرا طامعا بالسلطنة . وقد امر قاضي شافعي بجلد المؤرخ ابن دقماق على رغم كونه صديقا للسلطان . ( F. Sadeque ) ص ١٩ .

(٣) المقرئ ، السلوك ص ٦٤ .

تم يعيد المقرئى عدم مساعدة الظاهر للخليفة في زحفه على بغداد النسي  
همسة في اذن السلطان بان الخليفة قد يعزله اذا قوى . كان الظاهر قد خصص  
مبلغا يكفي لتجهيز عشرة الاف جندي لغزو التتر في بغداد . ثم لم يحدث شي من  
هذا . اين ذهبت هذه الاموال ؟ وما هو السبب في عدم انفاقها ، اذا لم يكن  
ما ذكره المقرئى هو السبب ؟ وينبغي الا نخلط هذا بعدم تاييد ابني صاحب  
الموصل للخليفة . تقول المصادر انه لم يكن معهما مرسوم من الظاهر ، ولم  
تتنبه الى ان التتر هاجموا الموصل آنذاك ، فكان لابد لابني صاحبها ان يسادرا  
الى المدينة ابنيهما للدفاع عنها (١) .

وهناك قضية الضرائب وكيفية جبايتها . كانت الضرائب باهظة (٢) . وهذا  
ما لا ينفيه ابن شداد بقوله انه عاد فالغاها . ووسعنا التاكيد من ذلك من ابن الفرات  
(٣) حين ينقل شعر بمدح الظاهر منه :

ملك اذا ذكروا اسمه      فالعرب يقدف في القلوب  
وتكاد تخرج من مخافتها      اليه من الجيوب

وارغام وجهها دمشق وقضاتها على تجهيز جيش لمقاومة المغول سنة ٦٧٢ هـ ، دليل  
اخر على ثقل الضرائب التي كان يفرضها الظاهر . ويقول ابن شداد ان الظاهر  
الغاها عندما احتج احد المحدثين ولكن ابن الفرات يقول انه وعد الشيخ النوروى  
بالغاها لكنه اصصر على جمعها بعد انتصاره (٤) . ويقول اليونيني ان الظاهر كان

---

(١) وهذا مثل على ما قاله E. Blochet عن ان المؤرخين العرب لم يدركوا اثر  
ما كان يجرى في فارس وما وراء النهر على بلاد الشام ومصر . (النهج المديد  
ص ٣٧٠) .  
(٢) المقرئى السلوك ص ٦٤٠ . - ٣ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥  
(٤) ابن الفرات ج ٧ ص ٨٥ -

وهنا لا بد من ان نسال فاطمة صادق ما اذا كان المقرئى يعتبر بعد هذا متجنيسا على الظاهر . لست احسب ذلك . كان المقرئى ينظر الى الظاهر نظرة انتقاد وتحقيق ولا باس في ان تدفعه الى ذلك مبادئه الفقهية او محبته للحقيقة . ولكن هذا لم يمتنع المقرئى من ان يقول عنه انه " اول من قام بدولة الترك من يوم وفاة المنصورة " (١) ومن انه كان " بالجملة . . . من خير ملوك الاسلام (٢) " وعندى ان المقرئى احسن صنعا باعتماده المؤرخين اللاحقين لابن عبد الظاهر وابن شداد ، كما اعتمد عليهما ، حيث يجوز الاعتماد . وبذلك كان ما كتبه افضل سيرة للسلطان الظاهر .

ابن تغرى بردى : ٨١٣ - ٨٧٤ هـ / ١٤١١ - ١٤٦٩ م . صاحب " النجوم

الزاهرة في ملوك مصر والفاخرة " خص الظاهر منه بقسم من الجزء السابع . اعتمد فيه ابن شداد وابن الجوزى و ابا شامه وابن واصل وشهاب الدين محمود (٣) واليونيني . نقل بخزارة عن اليونيني ولكن فاطمة صادق ترى ان سيرته موجز لما كتبه المقرئى (٤) ولا ريب انه اعتمد المقرئى ، وانما الخريب انه لم يعتمد ابن عبد الظاهر .

وله ايضا " مورد اللطافة " ولكنه مختصر جدا وفيه اشارة سريعة للظاهر .

اما طريقته في التأليف فكانت سرد الحوادث الخاصة بالملطان سنة فسنة ثم يعود فيذكر الاحداث الاخرى في هذه السنوات ، مما ادى الى التكرار . ولعل ذلك مرده الى اعتماد اليونيني .

هذا ولا بد من الاشارة الى انه كان يتحرى الحقائق بدنه .

---

(١) المقرئى السلوك ص ٦٣٩ (٢) المصدر نفسه ص ٦٤١  
(٣) ٦٤٤ - ٧٢٥ هـ / ١٢٤٦ - ١٣٢٥ م . له دليل على تاريخ ابن الاثير . ضاع الا ما بقي منه في المؤلفات التالية ومنها النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى . ( Cahen )  
ص ٧٧ - ٧٨ .  
(٤) ( F. Sadeque ) ص ٢٤ .

السخاوي : ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م . له "الضوء اللامع لاهل القرن

التاسع" وفائدته ذكر سير بعض المؤرخين كالمقرئى .

السيوطي : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م . له "حسن المحاضرة في اخبار مصر

والقاهرة" في جزئين "وتاريخ الخلفاء" ولكنه ليست فيهما معلومات جديدة عن

السلطان الظاهر .

ابن اياس : ٨٥٢ - ٩٢٨ هـ / ١٤٤٨ - ١٥٢١ م . له "بدائع

الزهور في وقائع الدهور" وليس فيه غير بضع صفحات اختصر فيها سيرة الظاهر بيبرس ولكنه

تميز مع هذا الاختصار ، بنقده للحوادث لاسيما وهو القائل ان سيرة الظاهر كانت

عرضة للتفريق والاختلاق فكان عليه ان يختار (١) .

ان الاصول العربية عن سيرة الظاهر فنيه بالوقائع عن حياته العامة بعد ان

صار سلطانا . فهي هنا تسرد كل تغلاته وحركاته واعماله يوما بيوم ، لكنها فقيرة بسرد

ناحيتين هامتين من حياته وهما حياته قبل ان صار سلطانا ثم حياته الخاصة . وقد

ظهر هذا حين كنا نتحدث عن هاتين الناحيتين في مكان اخر .

ثم ان حياة هذا الرجل صارت مجالا للتفريق والاختلاق حتى اصبحت اخباره

تستغرق عدة مجلدات (٢) . وهذا بدوره ادى الى التناقض والمبالغات . ثم استتبع

هذا ان صارت له سيرة شعبية في اربعة اجزاء .

وهكذا نرى ان الذين ارخوا للظاهر انقسموا الى تسمين اساسيين كان اولهما

الذين عاصروه وعاشوه فلما كتبوا عنه مجدوه وراوا فيه الانسان الكامل الذي لا يخطي ولا

يظلم ولا يقسو ، وجعلوا منه الانسان المثالي في عصر مضطرب ، وبذلك مهدوا السبيل

---

(١) ابن اياس ج ١ ص ١١٢ (٢) المصدر نفسه ص ١١٢ .

للمصيرة الشعبية . وكان النسم الآخر من الذين اخذوا ، بعد وفاته بنصف قرن تقريبا ، ينظرون الى اعماله وماتيه جمله وينتقدونها ، لكنهم كانوا يرونه على رسم ما فيه من سيئات خفيفة ، وعلى رسم ما ارتكب من اخطاء او مظالم سياسية ، جنديا قديرا واداريا حازما وسياسيا ناجحا وسلطانا فشيئا وكان ابن شداد ، على رسم امتداد حبه له ، اول من سجل عليه فرض الضرائب الباهظة ولو انه عاد فالغاها ، ثم تبعه ابن عبد الظاهر فانتقده في عهد الاشرف خليل ، لانه لم يعن " بالمكاتبات السلطانية" ( ١ ) ولعله ، لو قدرت له فسحة من حياة وفرصة لاعادة النظر في سيرته ، لفعل .

---

( ١ ) ابن عبد الظاهر ، اللطاف الخفية ، ص ٣٨ .

تمهيد في الحالة السياسية العامة

تبل سلطنة الظاهر

١ - عوامل متصارعة في بلاد الشام ومصر .

كانت بلاد الشام ومصر في هذه الفترة لا تزال خاضعة للخليفة من الناحية النظرية . اما من الناحية الواقعية فكانت تتنازعها السلطة الايوبية في بعض هذه الفترة والسلطة المملوكية في بقيتها ، من جهة والسلطة الصليبية التي كانت تمتد على الشواطئ الشرقية للبحر الابيض المتوسط . زد الى هذا ان الصليبيين كانوا خطرا مستمرا مما جعل استغلال العلاقات بين المسيحيين والمسلمين امرا ممكنا . وان اخبار التتر كانت في القسم الثاني من هذه الفترة ، قد اخذت تتوالى على بلاد الشام ومصر فتروعهم ايما ترويح . وينبغي ان لانسى ايضا الجماعات العائشة فسادا في بلاد الشام كالخوارزميه (١) والاعراب والشهروزويه . (٢)

---

(١) انظر ملحوظة ٣ ص ٢٦  
(٢) هربهولا\* من شهروزور ، مقاطعة في تركستان ، امام التتر . وفي سنة ٦٥٦ دخلوا دمشق فاكرمهم الناصر صلاح الدين يوسف املا ان يناصروه لكنهم قادروه الى المغيث ، صاحب الكرك ، واطمعوه باحتلال دمشق . المفريزي السلوك ص ٤١١ - ٤١٢ .  
( V.Minorsky. Art "Sharazor." E. I. ) م ٤ ، ص ٣٤٤ )

وفي هذا الميدان اشتد التنافس بين الامراء الايوبيين بحيث لم يتسرع بعضهم عن الاتصال بالصليبيين للاستعانة بهم على البعض الاخر من الايوبيين (١) وازاء هذا التنافس والتناحر لم يعد للايوبيين شان عسكري يذكر .

وليس ضروريا ان ندخل هنا في تفاصيل هذه المنازعات • ينبغي ان نتناول بايجاز ، مظاهر هذا الصراع بين اعضاء الاسرة الايوبية ، خاصة الصالح نجم الدين ايوب واخيه العادل ، ابني (٢) الملك الكامل (٣) . ثم الصراع بين ثوران شهاب بن الصالح نجم الدين والمماليك البحرية ، حول السلطنة في مصر وبلاد الشام .

---

(١) صراع الكامل مع الناصر داود حول دمشق وعقده معاهدة مع الصليبيين ، سنة ٦٢٦ هـ ١٢٢٩ م . تنازل فيها لهم عن القدس وبعض القرى المجاورة وصراع الصالح اسماعيل مع عمه الملك الصالح نجم الدين واعطاؤه الفرنجـة عسقلان وطبرية ، والشقيف وصعد لمناصرته على عمه (ابو شامة ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ابو الفداء ج ٣ ص ١٤٨ و ١٨٠ ، المقرئى السلوك ص ٣٠٣ انظر ما يلي ) .

(٢) وهما من امين مختلفتين . وام الملك الصالح نجم الدين جارية سوداء تدعى ورد المنى .

(٣) هو ابن العادل سيف الدين ابي بكر ، شقيق صلاح الدين ، تسلطن على مصر ما بين ١٢١٨ و ١٢٣٨ ولم يتسلطن على بلاد الشام الا في السنة الاخيرة من حكمه . حاول احتلال دمشق سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م .

٢ - صراع بين الايوبيين .

توفي الملك الكامل بدمشق عام ٦٣٦ هـ / ١٣٣٨ م فاجتمع  
الامراء وملكوا الجواد (١) بن العادل في دمشق ، دون الناصر داود . اما  
السلطنة في مصر فنالها الملك العادل ابن الملك الكامل . وكان الملك الصالح  
نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل في كيفا (٢) ، فلم ترق له هذه الترتيبات  
فاتصل بامراء مصر يحرضهم على اخيه ، فاعتقل الامراء اخاه العادل (٣) واستدعوه  
اليهم ليتولى شؤون مصر . فجاءهم ، وفي يوم الاثنين ١٥ ذى القعدة  
سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٩ م بويح سلطانا على مصر وعمره  
٣٤ سنة (٤) .

- 
- (١) ثم غادر دمشق وتلك سنجا وعانه ثم خسرهما وسلمه الفرنجة للصالح اسماعيل  
(ابو الغداء ج ٣ ص ١٧٦ و ١٧٧)
- (٢) كان في هذا الحصن نائبا فيه عن ابيه (ابو الغداء ج ٣ ص ١٦٠ ، المقرئى  
السلوك ص ٢٤٤) .
- (٣) لا تتفق الروايات حول ما جرى له . فقيل انه قتل في السجن سنة ٦٤٠ هـ وقيل  
انه مات فيه سنة ٦٤٥ هـ .
- (٤) ابو الغداء ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٣ ، الذهبي ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٩ ، المقرئى  
السلوك ص ٢٦٧ و ٢٩٤ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٣ .

ولم ينته الصراع هنا . فان الصالح اسماعيل كان ينافسه السلطنة ، فامتنع عن الحضور اليه من بعدك واتفق مع صاحب حمص وهاجما دمشق ودخلاهـا سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ . وكان الملك الناصر داود ايضا يريد دمشق ، وهو متعاهد مع الملك العادل على مهاجمتها ، فوجد الملك الصالح جيشا لمحاربة الناصر داود لكن امراء • خذلوه في نابلس فاعتقله الناصر داود بالكرك ورفض تسليمه للعادل ولم يطلق سراحة الا بعد تدخل الخليفة في بغداد بسفارة ابن الجوزي ، وعقد اتفاق بينهما على ان تكون بلاد الشام للناصر داود ومصر للملك الصالح (١) .

لكن الملك الصالح يريد دمشق لنفسه . فما ان استقرت له السلطنة فني مصر سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ حتى قبض على الامراء الذين اعتقلوا اخاه العادل وزجهم في السجن (٢) ثم اخذ يتهيبا لمهاجمة دمشق . ويوم الجمعة ٢٤ ربيع الاول سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ خطب له بدمشق ثم قطعت الخطبة . وبعد فشل المفاوضات بين الملك الصالح نجم الدين والملك الناصر داود هيا الملك الصالح نجم الدين جيشا من الخوارزميه (٣) في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ وقصد الى بلاد الشام ليحاصر دمشق . لكن الناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص والصالح اسماعيل ، والفرنجية ، تحالفوا عليه والتفوه بين فزة وعسقلان فكسروهم وتابع سيره حتى ظاهر دمشق . ثم دخلها في سنة ٦٤٣ هـ وولى فيها نائبا عنه ، مسن

(١) ابو الغداء ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٣ ، ابن شاکر الكتبي ج ٢ ص ٨١ ، المقريزي ، السلوك ص ٢٦٧ و ٢٩٤ .

(٢) ابو الغداء ج ٣ ص ١٧٥ .

(٣) قبائل نزحت من تركستان الوسطى وخوارزم امام الزحف التتري . استخدمهم الملك الصالح نجم الدين في حصن كيفا ، وكان عددهم نحو عشرة الاف جندي ، وساعده في هذا الصراع لكنهم عادوا فانقضوا عليه واتصلوا بركن الدين بيبرس ، فير هذا الذي نوره له وايدوا الملك الصالح اسماعيل وحاصروا دمشق لكن الملك الصالح عاد فتغلب عليهم اخيرا وشتت شملهم . (ابو شامة ، ص ١٧٥ ، ص ١٧٨ ، ابو الغداء ، ج ٣ ص ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، الذهبي ج ٢ ص ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، المقريزي السلوك ص ٣٠٣ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ) .

فيران يدخل الخوارزميه معه ( ١ ) . وليس هذا العداً بين الملك الصالح نجم الدين واقاربته بالشقي الجديد . وهو يرجع الى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ حين كان الملك الكامل في الرقة فكتبت اليه زوجته ام العادل تتهم الملك الصالح نجم الدين بنية الانقلاب على ابيه وتحرض زوجها على تدارك الامر قبل استفحاله مؤيده دعواها بان الملك الصالح اشترى عدداً كبيراً من المماليك الاتراك باموال يجمعها من التجار ومن بيت المال . فما كان من الملك الكامل الا ان اعاد الى مصر وخلق ابنه الملك الصالح نجم الدين من ولاية العهد ( ٢ ) .

### ٣ - فرقة المماليك البحرية

هكذا وجد الملك الصالح نجم الدين نفسه منذ البداية امام منافسات اقاربه فماذا يحييه لولجا الى انشاء جيش خاص به من المماليك وقد عرف التاريخ الاسلامي كثيراً من الشواهد على ذلك ( ٣ ) .

لقد اعتمد الخوارزميه وهو في حصن كيفا ، ولكنهم طامعون لا يوهن جانبهم . ثم ان ممالك ابيه تفرقت عنه يوم هاجم الملك الناصر في نابلس ولم يبق معه الا جماعة من مماليكه الخاصة ، وها هم الخوارزميه يحاربونه بعد ان رفض السماح لهم بدخول دمشق ، فلا عجب بعد ذلك ان يذكر المماليك ولاءهم ويجعل منهم

- 
- ( ١ ) ابو الفداء ج ٣ ص ١٨٤ ، المقرئ ، السلوك ص ٣١٩
  - ( ٢ ) المقرئ ، السلوك ص ٢٣٨ و ٢٤٠
  - ( ٣ ) كان المعتصم بالله ، الخليفة العباسي في بغداد ، اول من استخدم المماليك الترك وكان احمد بن طولون اول من جلب المماليك الترك الى مصر وجعلهم عمدة جيشه ، ثم استخدمهم الفاطميون في جيوشهم .

جيشا يعتمد عليه عرف فيما بعد باسم المماليك البحرية (١) . وصادف استجلاب المماليك من بلاد القفجاق ( او القبشاق ) باعداد كبيرة ، فاستغل الملك الصالح ذلك واستكثر منهم حتى انه لم يجتمع لغيره من الايوبيين مثل ما اجتمع لديه منهم ، حتى ضاقت بهم القاهرة وتدمر الناس منهم وضجوا لسوء تصرفاتهم حتى لقبوا " بشر مجلوب " يجعل الناس " في ضر ايوب " ( ٢ ) .

هنا رأى الملك ، الصالح نجم الدين ايوب انه لامندوحة له ، لحماية اهل القاهرة ودفع الاذى عنهم ، من ان ينشيء المماليك ثكنات خاصة بهم فاختر لذلك جزيرة الروضة (٣)

- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ويمكن ان نضيف لانشاء هذه القرية سببين اخرين هما محاربة الفرنجة من جهة ، واستعداد لمحاربة المغول بعد ان اخذوا يهددون الخليفة والسلاجقة ، من جهة ثانية . ( F.Sadeque ) ص ٣١ من المقدمة . وينقسم عهد المماليك الى قسمين - المماليك البحرية والمماليك البرجية نسبة للمكان الذى سكنته كل جماعة . وتدعو المصادر الفترة الاولى بدولة الترك تمييزا لها عن دولة الجراكسة في المرحلة الثانية . ولعله يصح ان ندعو الفترة الاولى بعهد القفجاق ( او القبشاق ) نظرا لسيطرة هذا العنصر في هذه الفترة .  
D.Ayalon. Art. "Al Bahriyaa." E.I. ( new ed. ) م ١ ص ٩٤٤ - ٩٤٥ .
- (٢) ابو شامة ، ص ١٩٦ ، اليونيني ج ١ ص ١٨٧ ، ابو الفداء ج ٣ ص ١٨٨ ، المقرئى السلوك ص ٣٣٩ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٣ .
- (٣) كان هذا الاسم يطلق على جزيرة بين مصر والجزيرة . وفيها / ابن طولون حصنا ثم دارا للصناعة حتى جاء كافور الاخشيدى فنقلها الى مكان اخر وجعل من الجزيرة بستانا سنة ٣٢٥ هـ . وفي عهد الفاطميين عمرت الجزيرة بالناسروبنى فيها منتزه سمي باسم الروضة ثم اطلق اسم المنتزه على الجزيرة كلها . ثم جاء الملك الصالح نجم الدين ايوب فبنى القلعة ليبقى له ذكرا من جهة وليجعلها مسكنا له ولامرائه ولمماليكه . وقد شرع في حفر اساسها يوم الاربعاء ٥ شعبان سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤١ ثم بنيت فيها الدور السلطانية وانفتحت عليها الاموال الكثيرة حتى تم بناؤها بعد ثلاث سنوات على قول ، وبعد سنة ونصف سنة على قول اخر . ثم انتقل اليها السلطان ومماليكه وصارت ملجاء له من الخطر ، عدا انها كانت دار صناعة ومركزا لقياس ارتفاع ماء النيل . ( ابو الفداء ج ٣ ص ١٢٥ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٠١ والخطوط ج ٢ ص ٢٧٧ و ٢٩٧ وابن تغرى بوردى ، مورد اللطافة ، ص ٣٣ ،  
( A.Atiyeh, Art "Al Bawdah." E.I. Vol. III م ٠ ص ١١٣٢ )

بالقرب من المقياس حيث بني لهم قلعة جعل حولها الشواني الحربية المشحونة  
بالسلاح استعدادا للقتال .

ويبلغ عدد ممالিকে هؤلاء نحو الف مملوك بذل لهم الرواتب والجوامك  
واكرامهم ايما اكرام ، وامرهم وصيرهم بطانته ، لكنه منعهم من مخالطة الناس . ولعلمهم  
بسبب هذا ، اضطدوا به بعد انشاء القلعة بقليل فهرب بعضهم الى التيه وظلوا  
فيه خمسة ايام وصلوا بعدها الى بقايا مدينة وجدوا فيها اسواقا ودورا وصهاريج  
حلوة الماء وعتروا على دنانير ذهبية منقوشة عليها كتابة قديمة فاخذوها الى  
الكرك حيث استبدلوها . ولعلمهم كانوا بقيادة ركن الدين بيبرس الذي افتراه  
الملك الصالح نجم الدين ايوب فيما بعد واستماله اليه وقتله ( ١ ) .

وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ هاجم لويس التاسع ، ملك فرنسا ، مصر  
ونزل دمياط ودخلها بغير قتال واستولى على ما بها من ذخائر واسلحة كان الملك  
الصالح نجم الدين ايوب قد حشد لها فيها فعظم ذلك عليه وقصد المنصورة وهو  
مريض ميئوس منه وانزل العقاب بالمسؤولين . واراد بعض الامراء ان يجهزوا عليه  
ثم رجعوا عن ذلك خوفا من سطوته . ثم توفي في منتصف شعبان سنة ٦٤٧ هـ  
وكنتم خبر وفاته عن الجيش ( ٢ ) .

---

( ١ ) ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٨٨ ، المقرئى ، السلوك ص ٣٤٠ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٣ .  
( ٢ ) يبدو ان الملك الصالح اعتمد على بني كنانة في الدفاع عن دمياط فهرب هؤلاء  
عند وصول الفرنجة ، ولما انتصر الفرنجة والصالح نائم من اثر تخدير ، ارجف  
الناس بوفاته لكنه لما افاق شنق المسؤولين عن الهزيمة ( ابو شامة ، ص ١٨٣ ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن الفواطي ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، الذهبي ج ٢  
ص ١١٤ ، ١١٥ ، لابن اياس ، ج ١ ، ص ٨٥ ) .

توفي الملك الصالح نجم الدين ايوب في وقت حرج ، من غير ان يوصي بالسلطنة الى احد من بعده (١) . لكن شجر الدر ، زوجة ابيه ، اعلمت ثلاثة من الامراء بوفاة الملك الصالح ثم خرجت الى الجيش ودعته الى قسم يمين الولاة للسلطان ولايته ، وللامير فخر الدين الشيخ بالاتباع . ففعل الجيش ذلك ، ثم سار فارس الدين اقطاي ، كبير مماليك السلطان الميت ، الى حصن كيفا ليعود بتورانشاه الى مصر . فاسرع المعظم الى دمشق ودخلها يوم الثلاثاء ٢٩ رمضان سنة ٦٤٧ هـ بمواكب الامراء وبذل فيهم الاموال والخلع ثم فادرها يوم الاثنين ٢٦ شوال ، قاصدا الى المنصورة ووصلها في ذي القعدة ، وتسلم السلطنة وحلف له الامراء والجيش يمين الطاعة (٢) .

وكان الفرنجة قد احسوا بوفاة الملك الصالح نجم الدين ايوب ، فهاجموا المنصورة بعنف وتراجع الجيش الايوبي . ولما وصل المعظم تورانشاه نظم شؤون الدفاع واعلن التغيير العام وجهز العساكر . فانضم العوام والفلاحون للجيش فانهمز الفرنجة في معركة في ١٢ محرم سنة ٦٤٨ هـ وافاوضوا على اخذ " القدر وبعض الساحل " مقابل تسليم دمياط فرفض المعظم ذلك . ثم احتدم القتال ثانية فاستسلم الفرنجة واسر لويس التاسع نفسه . ثم رحل الملك المعظم الى فارسكور حيث لاقى حتفه (٣) .

- 
- (١) وقيل انه اوصى بتسليم البلاد بعده للخليفة العباسي في بغداد لانه لم يكن يرى ابنه المعظم تورانشاه مناسباً للسلطنة (ابو الفداء ج ٣ ص ١٨٨ ، المقرئ ، السلوك ص ٣٤٣ )
  - (٢) ابوشامه ، ص ١٨٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ، ابن شاذان السكيتي ، ج ١ ص ١٨٥ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٣٤٣ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، وازالنا لساء لنا لبيع عن السبب الذي حدا بالمعظم هي ان يتاخر في دمشق من ٢٩ رمضان الى ٢٦ شوال ، اجابنا ابن اياس ( ج ١ ص ٨٦ ) بانه ابطاً ريثما هو يموت ابوه . وهو يجعل تاريخ المبايعة اول محرم سنة ٦٤٨ هـ .
  - (٣) ابوشامه ص ١٨٣ ، ابن الفوطي ، ص ٢٤٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، الذهبي ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

٤ - المعظم تورانشاه - مقتله وسلطنه البحرية .

رقي المعظم تورانشاه العرش بمساعدة مماليك ابيه البحرية ، واحسن هؤلاء خدمته ، وبدلوا الجهد حتى احرز انتصار فارسكور . والمتوقع بعد ذلك ان يقوم بيسن السلطان والمماليك تعاون يثبت اركان السلطنة ، ولكن الذي حدث كان غير المتوقع .

ولهذا الخلاف بين المماليك البحرية والسلطان اسباب كثيرة سردها المؤرخون

وهي :

اولا . ورث المعظم عن ابيه صفات " الغضب والمؤاخذة على الذنب الصغير والمعاقبة على الهضم " حتى انه كان " لا يعجل عشرة ولا يعجل معذرة ولا يعرض سالف خدمة . . . . . والاشفاق لذيده لا تؤثر " (١) وكان شديد السطوة ، متجبرا لا يعيل الى احد من اصحابه ولا من اهله ولا من اولاده . وهل ننسى ما فعله ابوه يوم تولى السلطنة . السم يعتقل الامراء الذين جاؤوا به الى العرش .

ثانيا - كان يشرب الخمر ويضع امامه عددا من الشموع ثم ياخذ السيف ويضربها به مشيرا بذلك الى انه سيبيد المماليك البحرية .

ثالثا . طالب شجر الدر بشهوة والده فاجا بته بانها انفتها في محاربة الفرنجة فلم يقنع بالجواب ، وقتك بجدهته ام الملك الصالح نجم الدين لانها " انكرت عليه امورا لا ترضى " .

رابعا . نكح المعظم تورانشاه بوعده للفارس اعطى باقطاعه حصن كيفا .

خامسا . اتهم بالتهاون بمطاردة الفرنجة حتى انه ركب مركبا واخذ يتفرج على المعركة واعتبر انه " لا يتاتي منه خير ولا يجيي منه ملك يقيم منار بيته " .

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

سادسا - التنافس بين الامراء والدمر عند المعظم . وقد اعتقل السلطان احد كبار  
امراء الفرق المتطاحنة . وينفرد المقرئى بذكر هذا السبب ( ١ ) .

وهكذا نجد ان السلطان المعظم قد اثار جميع العناصر ، ولم يكن له عنصر  
يعتمد عليه في هذا الخضم . فكان ان انفقوا على قتله حين " ظن ان الوقت صفا له " .

بيد ان لي سوء الا هنا . ما هو الدافع الذى حدا بالامراء الى دعوته من

حصن كيفا وقد كان ابوه ابعده الى هناك خشية ان يقتله الامراء ( ٢ ) . قد يكون القول

بانهم انما اتوا به خصيما ليقتلوه ليكون ذلك رقبة الجسر الى تاسيس سلطان المماليك ،

قولا مبالغافيه يفترض التصميم المسبق . وعندى ان الخلاف يعود الى اتساع نفوذ

المماليك البحرية بالدرجة الاولى . وما الصورة التي يعطينا اياها ابن عبد الظاهر

لطريقة معاملة المعظم للبحرية ، والاعمال التي قام بها هؤلاء الادليل على سعة

هذا النفوذ . ويصور لنا ابن عبد الظاهر بوضوح خوف المماليك على انفسهم اذا ما

اطمان المعظم واستقر سلطانه ( ٣ ) . يبدو لي ان المماليك ارادوا ان تكون السلطة

الفعلية لهم ولذلك رفضوا تسليم البلاد للخليفة ، بينما اراد المعظم ان تكون السلطة

الحقيقية بيده ولا يتاتي له ذلك الا بابعاد هذا العنصر المتنقذ واستبداله بعنصر

جديد .

وفي محرم سنة ٦٤٨ هـ / ايار ١٢٥٠ م قتل المعظم تورانشاه بضرية سيف

---

( ١ ) ابن عبد الظاهر ص ٣ - ٤ ، اليونيني ، ج ١ ص ١٨٦ - ١٨٧ ، المقرئى ،  
السلوك ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ابن تغرى برلى ، مورد اللطافة ، ص ٣٣ ، ابن ابياس  
ج ١ ص ٨٨ .

( ٢ ) ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ٨٦ .

( ٣ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٣ - ٤ .

من احد المماليك حين مد السباط اذ تقدم اليه هذا المملوك وضره بالسيف  
فتلقى السلطان الضربة بيده فانقطعت اصابعه ، وهرب الى برج خشبي  
كان قد نصبه له هناك ، وهو ينادى " من جرحني " فقيل له . " انهم الحشيشية "  
فانكر ذلك وقال : " انهم البحرية " . واقسم انه سيبيدهم . وصعد الى اعلى البرج  
فاضم المماليك النار بالبرج ورموه بالنشاب حتى القى نفسه في النيل وهو يطلب  
من المماليك ان يتركوه يعود الى حصن كيفا فرفضوا واجهزوا عليه خشية  
ان يفتنهم ( ١ ) .

٥ - شجر الدر .

وبمقتل المعظم تورانشاه كادت الحالة تضطرب امام تصارع الامراء الطامعين  
( ٢ ) . حتى ان الاسرى الفرنج ثاروا وانطلقوا من السجون يخربون ويقتلون  
حتى استطاع الجيش بعد جهد ان يحيط بهم ويحول دون متابعة التخريب ( ٣ ) .  
وامام هذا الواقع اجمع راي الامراء على سلطنة شجر الدر ( ٤ ) ، زوجة الطك

- 
- (١) ابو شامة ، ص ١٨٥ ، ابو الغداء ، ج ٣ ص ١٩٠ ، ابن شاکر الکتبي ، ج ١ ص ١٨٧ .  
المقريزي ، السلوك ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ابن اياس ، ج ١ ص ٨٨ .  
(٢) وهم فخر الدين يوسف بن حموية ، وفارس الدين اقطاي ، وابو علي الهدباني .  
(٣) ابن الغوطي ص ٢٤٧ .  
(٤) جارية الملك الصالح ومحظيته . كان لا يفارقه في حل ولا ترحال . اما اصله —  
فقيل انه تركي وقيل انه ارمني . ( اليونيني ج ١ ص ٦١ ، ابو الغداء ، ج ٣ ص ٢٠١ ،  
المقريزي ، السلوك ص ٣٦١ ) .

الصالح نجم الدين ايوب، وتعيين عز الدين ايبك التركماني اتابكا لها . وفي  
صفر سنة ٦٤٨ هـ تسلمت السلطنة وارضت الامراء ومنحتهم الاموال والهدايا  
تعريزا لمركزها ، ولكنها لم تبق في دست السلطنة الا نحو من  
ثلاثة اشهر ( ١ ) .

وفي هذه الفترة ساست البلاد " احسن سياسة " وكانت الناس عنها  
راضية " ( ٢ ) وقع خلاف بين شجر الدر والامراء واستغل هؤلاء استياء  
الخليفة المستعصم بالله من بغداد ، والامراء الايوبيين في مصر  
وبلاد الشام واتفقوا مع القضاة على عزل شجر الدر وسلطنة عز  
الدين التركماني ، وتزويجها منه ( ٣ ) .

وباعلان عز الدين هذا سلطانا انتهى فعلا عهد السلطنة الايوبية  
في مصر . لم يكن الملك الصالح نجم الدين ايوب يعلم يوم انشأ  
الفرقة البحرية انه بذلك انما يدخل عنصرا جديدا سيقضي على  
سلالته ، ولكن هذا هو الذي جرى .

---

( ١ ) اليونيني ، ج ١ ص ٦١ ، ابو الفداء ج ٣ ، ص ١٩٠ ، المقريزي ، السلوك  
ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٩ .  
( ٢ ) ابن اياس ، ج ١ ص ٨٩ .  
( ٣ ) اليونيني ، ج ١ ص ٥٩ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ابن  
تخري بيري ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٣ ، ابن اياس ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ .

٦ - عز الدين ايبك التركماني ( ١ ) .

وعز الدين ايبك (٢) هذا تركي الاصل من مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب لازمه في حصن كيفا حتى صارجا شنكيره (٣) . ثم نال درجة الامارة . ثم صار اتابكا للعساكر في عهد شجر الدر ، وها هو يصبح زوجا لها وسلطانا على مصر في اوائل سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ (٤) .

ووجد عز الدين ايبك نفسه امام معارضة من بعض امرائه . والواقع انهم قبلوا به سلطانا اعتقادا منهم انه ضعيف الشوكة " من اوسط الامراء " ، يمكن عزله ساعة يشاءون (٥) لكن الامر الذي شغل باله واسكت المعارضة الداخلية هو مقاومة الامراء الايوبيين في بلاد الشام ، اى ما يمكن ان نسميه بالخطر الخارجي اليوم .

في ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م تسلم الناصر صلاح الدين يوسف دمشق واتصل بملوك بني ايوب في بلاد الشام فانضمت اليه قوات من بعلبك وبصرى وصرخد وعجلون والسلط فسي حلف ضد المماليك . مغتصبي السلطة من الايوبيين . فخشي المماليك ذلك واتوا بمظفر الدين موسى ابن الملك الناصر يوسف بن الكامل ،

- 
- (١) ينبغي ان لانخلطه مع امير اخر يحمل اسم عز الدين ايبك . وهو صاحب صرخد وقد قبض عليه الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٥ هـ . (اليونيني ، ج ١ ص ١٦ الذهبي ج ٢ ، ع ١١٤ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٣٠٩ ، و ٣٢٩ .
  - (٢) الكلمة تركية من جزئين ، الجزء الاول ، اى ، مفخمة معناها القمر والجزء الثاني بك ، ومعناها الامير ( ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ١٩ ) .
  - (٣) معناها ذواق الطعام قبل السلطان ، خشية التسمم .
  - (٤) ابو شامه ، ص ١٩٦ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٤ و ٥٥ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٣٦٨ ، ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٤ ، ابن اياس ج ١ ، ص ٩٠ . وتواريخ استلام عز الدين السلطنة مختلف فيها بين المصادر .
  - (٥) اليونيني ، ج ١ ص ٥٥ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ابن تغرى برلى ، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤ .

وقمره نحو عشر سنوات واقاموه سلطانا ولقبوه الملك الاشرف، وعينوا عز الدين  
اتابكا للجيش، او شريكا له في الحكم . واستمرت القوات الايوبية زاحفة نحو غزوه  
فاصطدموا بجيش المماليك عند العباسية، حيث انهزم بعض الجيش المصري  
وتبعه بعض جيش الايوبيين الى القاهرة واعلنوا سلطنة الناصر يوسف فيها، لكن  
القسم الاخر من الجيش الايوبي بقيادة الناصر نفسه ظل بعيدا مشردا فظن الايوبيون  
المنتصرون في القاهرة انه مات فعادوا نحو بلاد الشام . وعاد عز الدين الى القاهرة  
منتصرا (١) .

وظن عز الدين ان الفرصة مواتية للتخلص من الاشرف، لكن كبار امرائه  
عارضوه فقرر اعتقال فارس الدين انطاي فهرب هذا ومعه ما يقارب الفي فارس  
واتصلوا بالمغيث، صاحب الكرك، فاضطر عز الدين للتراجع عن خطته . فاعلن  
البلاد للخليفة المستعصم بالله ثم جدت الايمان للملك الاشرف بالسلطنة .  
ولعز الدين بالاتباعية، وعاد اليه البحرية الفارون (٢) .

وعادت المناوشات بين الاتايك المملوكي والناصر صلاح الدين يوسف واستمرت  
نحو سنتين (٣) حتى وجد الخليفة انه لا بد من التدخل للمصلح بينهما . وفي سنة  
٦٥١ هـ / ١٢٥٣ ارسل الخليفة البادراني (٤) للتوسط بينهما فانعقد المصلح

- 
- (١) ابو شامة، ص ١٨٦ البونيني، ج ١ ص ٥٥ و ٥٧، ابو الفداء، ص ٣ ص ١٩٢ المقرئى السلوك، ص ٣٦٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ٥٧، ٧٤، ٩٠، ٢٣٠ .
  - (٢) البونيني، ج ١ ص ٥٥، ابو الفداء، ج ٣ ص ١٩٢، المقرئى، السلوك، ص ٣٧٠ .
  - (٣) وفي هذه الفترة اتصل كل من الناصر صلاح الدين وعز الدين ايبك بلويسر التاسع في عكا لكسب محالفته . فناور هذا بين الطرفين وتخلص من بعض شروط الاتفاقية التي كان وقعها بالمنصورة لكنه بقي على الحياد (R. Grousset) ج ٣ ص ٥١٠ .
  - (٤) ولد سنة ٥٩٤ هـ . وسمع الكثير وتفقه وبرع وافتي ودرس وسفر للخليفة عند ملوك الشام وولي قضاء القضاة ببغداد . كان فاضلا صالحا متواضعا . توفي سنة ٦٥٥ هـ / ابو شامة، ص ١٩٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ٥٧ .

على ان تكون مصر لعز الدين والبحرية من جهة ، وبلاد الشام ، ابتداءً من  
غزة ، للناصر صلاح الدين يوسف ، من جهة ثانية (٢) .  
وبهذه الاتفاية التي اجريت على يدى رسول الخليفة ، قويت شوكة عز الدين  
وجمع حوله الامراء المخلصين له ريثما تسنح الفرصة للاستقلال بالسلطنة .  
وكان فارس الدين اقطاعى زعيم حركة المقاومة بين الامراء البحرية لاستقلال  
عز الدين بالسلطنة . وكان له نفوذ كبير بين المماليك البحرية . وطمع بالسلطنة  
وايده الامراء والتفت البحرية حوله . وكان يستهين بعز الدين ابيك وياخذ  
من بيت المال ما يشاء . وصار اصحابه يستولون على اموال الناس ونسائهم واتصل  
بالناصر صلاح الدين يوسف تحت اسم عز الدين وبصره . فلا بد من الفتك  
به ليتسنى له الاستقلال بالسلطنة . فاتصل عز الدين بالناصر صلاح الدين  
يوسف يستشير به بشأن الفتك بفارس الدين فلم يجبه . لكنه كان مصمما على التخلص  
منه .

كان فارس الدين قد طلب من عز الدين اخلاء قلعة الجبل ليسكن فيها  
مع زوجته بنت صاحب حماه . فلما علم السلطان بقرب وصول عروس فارس الدين الى  
مصر ، احس بضرورة السرعة بالعمل ليتخلص منه قبل دخول القلعة . فاتفق السلطان  
مع زوجته شجر الدر واتيا بعدد من المماليك ، بينهم سيف الدين قطز الى كمين  
في قلعة الجبل ، ثم استدعيا فارس الدين الى القلعة ظهر يوم الاربعاء

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ١٩٤ ، و ١٩٥ ، ابن  
تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠ و ٢٣ .

٣ شعبان سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ فجاء اقطاعي فير مكثرت . ولما دخل قاعة الاعمدة في قلعة الجبل اغلقت الابواب ليمنع مماليكه من الدخول ، وهجم عليه المماليك من كمينهم " وهبروه بالسيوف حتى مات " (١) .

وكرم عز الدين مقتل فارموالدين حتى المنرب ثم سرت الشائعات فاجتمع امام القلعة نحو سبعماية مملوك من البحرية ، ولما تحققوا الامر ، نبروا الهرب ، وخرجوا في الليل من القاهرة . وعمد عز الدين الى مصادرة املاك الهاربين واموالهم وزج انصارهم في السجون (٢) .

وهنا صفا الجولعز الدين فخلع الملك الاشرف واستقل بالسلطنة . فعاد الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحب الى مهاجمته مرة اخرى . وجرت معركة عنيفة اتصل فيها بعض المماليك العزيزية بالبحرية الهاربين وكادوا يعتقلون عز الدين لولا ان علم بالموامرة وفر المتآمرون كي لا يقبض عليهم . ومرة اخرى تدخل الخليفة بسبب وجود الخطر التتري وارسل البادراني لعقد الصلح بين الناصر وعز الدين وتم ذلك سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م على ان تكون مصر لعز الدين ، وبلاد الشام للناصر (٣) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الغوطي ، ص ٢٧٢ .  
المقريزي ، السلوك ، ص ٢٨٩ - ٣٩١ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢ ،  
٢٢٣ ، ٣٠٠ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٠ . ويقول اليونيني والمصدران الاخيران ان القتل  
كان الاثنين في ١١ شعبان .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦ - ٧ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الغوطي ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .  
المقريزي ، السلوك ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢ ،  
ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة  
ج ٧ ، ص ٣٤ و ٣٧ .

وفي سنة ٦٥٤ هـ : ١٢٥٦ م ارسل عز الدين ايبك الى الخليفة يلتمس منه  
تشريفا بالسلطنة . وكذلك فعل الناصر صلاح الدين يوسف ، لكن الخليفة منح التشریف  
لسلطان المماليك ( ١ ) .

ثم اراد عز الدين ان ينشيء حلفا مع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالتزوج  
من ابنته ، ليطوق بذلك ، الناصر صلاح الدين صاحب دمشق و حلب . لكن هذه  
المحاولة اودت بحياته .

فلما ان الامراء اتفقوا على سلطنته حسما لنزاع بينهم واعتقادا منهم بانسه  
اضعفهم . لكن عز الدين لم يكن ضعيفا ، ولم يكن يريد ان يكون ظلالا لغيره . فكان  
طبعيا ان ينغم الامراء عليه ويعملوا للتخلص منه ، فلما علموا بغيرة زوجته لانسه  
اراد التزوج عليها اتصلوا بها ونفذت لهم ما ارادوا . وقتل عز الدين في ١٤ ربيع  
اول سنة ٦٥٥ هـ / نيسان ١٢٥٧ . ثم اعلن انه مات فجأة فلم يصدق مماليكه  
الرواية وقبضوا على شجر الدر ومماليكها فاقروا بما جرى ( ٢ ) .

#### ٧ - المنصور نور الدين علي .

ومرة اخرى عاد الامراء الى الاختلاف حول السلطنة . ثم اتفقوا على سلطنة  
المنصور نور الدين علي ، بن عز الدين ، وتعيين سيف الدين قطز نائبا للسلطنة بالامير  
فارس الدين اقطاي المستعوب اتابكا للحساكر . ويوم الخميس في ٢ ربيع الاخر سنة ٦٥٥

- 
- ( ١ ) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .  
( ٢ ) ابوشامة ، ص ١٩٦ ، اليونيني ج ١ ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص  
٢٠٠ و ٢٠١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، مورد اللطافة ص ٣٣ ، ابن اياس ، ج ١ ص ٩٢ ،  
اما شجر الدر فقتلتها جواري ام علي ، زوجة عز الدين بالبقاقيب ورميت في خندق  
اياما حتى دفنت في تربتها بطريق السيدة نفيسة .

هـ / ١٢٥٢ ركب نور الدين بشعار السلطنة وصعد الى قلعة الجبل وحلف الامراء  
والجيش له بالطاعة والولاء (١) .

وبمقتضى عز الدين اخذ البحرية الفارون يعودون الى مصر . وكان

اول من عاد منهم البحرية الذين لجأوا الى السلاجقة (٢) .

وقد تميز عهد المنصور بثلاثة امور هي اصطداماته مع نائب السلطنة .

واصطدامه مع الايوبيين ببلاد الشام ، ثم دخول التتر بغداد . فقد اصطدم بنائبه

حول ملاحقة انصار شجر الدر والامراء الذين ثاروا عليه في رمضان ٦٥٥ هـ / ١٢٥٢

ثم سوى الامر بينهما (٣) ثم جرت معركة مع جيوش المغيث عند المالحية وانهزم

جيش المغيث وانتصر الجيش المملوكي بقيادة سيف الدين قطز (٤) . ثم

استولت جيوش التتر على بغداد واخذت بالزحف نحو حلب . فكانت فرصة

مناسبة لقطز ليخلعه ويستولي على السلطنة .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٠٥ ،  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، ص ٤٠٦ .

(٣) اليونيني ج ١ ص ٥٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٣ ،  
- ٤٤ .

(٤) اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ ، ٥١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، المقريزي  
السلوك ، ص ٤٠٦ .

٨ - سيف الدين قطز (١) .

كان قطز اشقر اللون ، وافر اللحية (٢) . وقيل انه ابن اخت السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، سبي عند غلبه التتار على خوارزمشاه وبيع في دمشق ثم اخذ الى القاهرة . ويقال ان اصل اسمه محمود بن مودود (٣) وقد كثرت الروايات حول قطز قبل سلطنته وكلها تشير الى انه واصل للسلطنة (٤) . ثم صار نائب السلطنة في عهد المنصور نور الدين علي . وفي اواخر سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ كثرت جماعته وصار صاحب الامر والنهي دون السلطان لصغر سنه . ولما افار التتار على بلاد الشام دعا سيف الدين قطز ، بصفته نائبا للسلطنة ، الاعيان والامراء والعلماء والقضاة السي موتمرفي دار السلطنة في قلعة الجبل للنظر في امر التتار . وحضر الاجتماع ابن العديم الذي قدم الى مصر من قبل الناصر صلاح الدين يوسف لتاليب الجهود على التتار . والشيخ عز الدين بن عبد السلام (٥) ، والقاضي بدر الدين السنجاري قاضي الديار المصرية ، والسلطان الملك المنصور .

- (١) معنى اسمه باللغة التركية الشرقية " الكلب المذبح " E.Blochot \* النهج السيد ص ٤١٤ ، ملحوظة ٤ .
- (٢) الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٤ .
- (٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٣٥ .
- (٤) حكاية حسام الدين بركة عن رفقته لقطز صغيرين حين كان الاول يسرح شعر الثاني وحكاية المنجم الذي قال له انه سيصبح سلطانا ويكسر التتار . (اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٣٠ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
- (٥) ولد سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م . لقب سلطان العلماء . له مواقف مشهورة في محاربة الصليبيين والملك الصالح اسماعيل حين سلمهم صفد والشقيف . كان خطيبا فسي جامع دمشق ، فعزل وسجن ثم اطلق سراحه فانتقل الى القاهرة سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م . كان محبا للرقص ، نافذ الكلمة ، مرهوب الجانب . (اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، ص ١٠٥ ادناه ) .

وطرحت في المؤتمرات قضيتان - اولاهما ضرورة اقامة سلطان قدير للموقوف بوجه التتر . وكانت حجة قطز ان المنصور ضعيف يلعب الحمام ويتفرج على مناقرة الديوك ومناطحة الكباش ويركب الحمير الغره (١) فلا يستطيع تنظيم حملة لصد الاعداء الغزاة وثانيتها جمع الاموال لتجهيز الحملة . وتحدث الحاضرون في القضيتين . ويبدو ان الامراء وافقوا على انه ليس لمثل هذه الحملة الا سيف الدين نفسه ، فكانه نال بذلك موافقة ضمنية على ما يبتغيه . اما القضية الثانية فقال ابن عبد السلام بصددها انه لا يجوز اخذ الاموال من الناس قبل ان ينفذ كل ما في بيت المال وكل ما مع الجند من اموال والات فاخرة (٢) .

وفي ذي القعدة (٣) من سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٨ استغل سيف الدين قطز غياب كبار الامراء في رمي البندق واعتقل المنصور واخاه ووالدتهما وسجنهم جميعا في قلعة الجبل واعلن نفسه "ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر قطز" ثم عاد الامراء فانكروا عليه ما فعل فقال ان قايته هي الاجماع على محاربة التتري ظل سلطان قاهر ووعده بالتخلي عن السلطنة بعد الانتصار حتى يكون الامر لهم يولون من يشاؤون ، فقبل البعض بهذا الكلام ، واعتقل الذين لم يرضوا به ، ثم حلف الجيش والامراء يمين الولا له (٤) .

---

(١) المقريزي ، السلوك ، ص ٤٠٦  
(٢) الذهبية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، المقريزي ، السلوك ص ٤١٧ ، ابن تغري بردي  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٣ ، ٩٥ .  
(٣) في ١٤ منه عند المقريزي ، السلوك ، ص ٤١٧ ، و ١٧ منه عند ابن تغري بردي ،  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٥ و ٧٢ .  
(٤) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٧ ، الذهبية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، المقريزي ،  
السلوك ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٥ و  
٧٣ ، ابن اياس ج ١ ، ص ٩٣ .

ثم اخذ يعد العدة لمواجهة التتر • فجمع الاموال من الاهالي بان فرض ديناراً على كل راس - ذكراً كان او انثى ، واخذ شهراً واحداً من اجرة الاملاك والاقواف ، واخذ زكاة معجلة عن اموال الاغنياء والتجار ، واخذ من الترك الاهلية ثلث اموالهم • واخذ على الغيطان والسواقي اجرة شهر ، واخذت ضرائب اخرى بحيث بلغ مجموع ما حصل عليه من الاموال نحو ستمائة الف دينار (١) •

ثم وصل رسل هولاء الى قطز برسالة دعوة الى طاعته ، وتهديد اذا رفض الطاعة فجمع المظفر امراءه للتداول في الامر فقرر الراي على قتل الرسل والمسير الى ملاقاته المغول • ثم ارسل مع ابن العديم رسالة الى الناصر صلاح الدين يوسف يعده فيها بالنجدة ويقول له انه لا ينافس الملك وانه نائبه في مصر • ثم نودي في مصر بضرورة الخروج للجهاد • واخذت الجيوش تزحف الى بلاد الشام • ويوم الاثنين ، ١٥ شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ تبعمهم المظفر قطز واجتمعت الجيوش كلها في الصالحية (٢) •

وتابع جيشه الزحف الى غزة بعد تراجع التتر عنها • ثم اتصل بالفرنجة لمعرفة موقفهم في هذا الصراع فارسلوا اليه الهدايا واعسروا عن استعدادهم لمحاربة التتر الى جانبه ثم تم الاتفاق اخيراً على الوقوف على الحياد (٣) •

(١) المقريزي، السلوك، ص ٤١٢ و ٤٣٧، وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ٥٥ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ابن اياس، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٥ •

(٢) ابوشامه، ص ٢٠٧ ، البيهقي، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ابو الفداء، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقريزي السلوك، ص ٤١٨ ، ابن تغري بردى النجوم الزاهرة، ج ٧ ، ص ٧٣ • وكان الناصر قد اراد الذهاب الى مصر • ووصل بالفعل الى غزة لكنه قفل راجعاً " الشىء " بلغه عن الملك المظفر " هو سعي هذا الاستمالة جنده • وبقي في وادي موسى ثم على بركة زيزاء حتى كبسه التتار ونقلوه الى هولاء ، ثم قتل بعد ذلك في حمص سنة ٦٦٠ هـ • (ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة، ج ٧ ، ص ٧٧ ، (E. Blochet) النهج السديد ص ٣٢٩ • وفي هذا الاجتماع كان الظاهر مؤيداً لقتل الرسل (رشيد الدين جامع التواريخ، ج ٢ ص ٣١٣) •

(٣) ابن عبد الظاهر، ص ١٣ ، (C. Cahen) ص ٧١٠ •

وفسي فزه جمع سيف الدين قطز جيوشه في استعراض عام وشرح لهم ماجرى الاقاليم التي وقعت تحت سلطان التتر ، وحرصهم على محاربة جيوش هولوكو .  
اما جيوش التتر فكان كتبغا نوبين (١) مقدمها . وكانه خشي الجيوش المملوكية وعدد ها اضعاف عدد جيشه - فقعد موثرا مع قواده المنظر في الامر . فاشار عليه بعض القادة بعدم الاصطدام ان ان جيشه لا يتجاوز عشرة الاف جندي ، لكنه اصر على اللقاء فكانت معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ / ايلول سنة ١٢٦٠ م .  
ومرت المعركة في ثلاث مراحل . ففي المرحلة الاولى انهزمت ميسرة المسلمين فاردفها المظفر قطز بالعساكر فانصر الجيش المملوكي وقتل كتبغا نوبين في المرحلة الثانية .  
عندها لجاء الجيش المغولي الى تل مجاور فهاجمه جيش المظفر قطز وانزل به هزيمة ساحقة ، في المرحلة الثالثة (٢) ثم تراجع التتر ، ولحققتهم الجيوش المملوكية في مرحلة تصفيه .  
ووصل خبر انهزام التتر الى دمشق في ٢٧ رمضان ففر منها التترومن والاهم ، ولحق بهم الناس يثخنونهم جراحا . ووقعت فتنه بين الاهالي ان ثار عمارة الناس على الذين تعاونوا مع التتر وقتلوهم ونهبوا اموالهم - من نصارى ومسلمين (٣) .

- 
- (١) معناها عشرة الاف . لكن المقريزي يقول ان معناها الف (ملحوظة ٣ ، ص ٧٨ ، ج ٧ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردى) . وقد كان قائدا عظيما يعتمده التتر (ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٠ - ٩١) .
- (٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦١ و ٣٨١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقريزي ، السلوك ص ٤٣٠ - ٤٣١ ، ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٥ ، ( R. Grousset ) ج ٣ ، ص ٦٠ و ٦٠٢ . اما اسباب الهزيمة فسوف تصرف التتر مع الاهالي ، وامتناع الفرنجة من مساعدتهم واستيلاء وهم من احتلال صيدا وعجز بيدرا عن صد جيوش قطز القادمة من غزه قبل وصول كتبغا ، وكثرة عدد جيوش المماليك بالنسبة لجيوش التتر .
- (٣) كان التتري دمشق يشجعون النصارى على المسلمين ، فلما تراجع التتر كان رد الفعل عنيفا ، ابوشامة ، ص ٢٠٧ ، و ٢٠٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقريزي السلوك ، ص ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .

وتابع المظفر سيره نحو دمشق • مر في طبرية ووصل دمشق في شوال وبقي فيها  
مدة لتنظيم شؤون بلاد الشام بعد ان خضعت له • فابقي الناس على ما كانوا عليه فسي  
اواخر ايام الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، وحرص على تأمين الناس على اموالهم  
واملاكهم واقف الغنثة بين الاهالي بان شق بعض الموالين للتمر ، ثم قرر على النصاري  
مبلغا من المال • ثم عين الامير علم الدين سنجر الحلبي واليا على دمشق • • ووزع  
الاراضي اقطاعات على امرائه واصحابه (١) •

وعين الامير شمس الدين اقوش الدبرلي العزيزي نائبا على السواحل وفسزة ،  
فجعل مقره نابلس مرة ، وبيت جبرين مرة اخرى (٢) • وولى السعيد علاء الدين علي بن  
بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، على حلب ، لعلمه بذلك يضمن ميل اخيه اليه ، فيظلمه  
على اخبار التترو تحركاتهم (٣) •

ثم توافد عليه صاحبا حمص وحماه فابقاها على اقطاعاتها لكنه اخذ السليبيه  
من صاحب حماه ومنحها لشرف الدين عيسى بن مانع امير العرب (٤) • وضرب عنق السعيد  
حسن ابن الملك العزيز عماد الدين لانه ناصر التترو وحارب جيوشه في عين جالوت ، واخذ

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٥ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٦٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ابو الفداء ،  
ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقرزي ، السلوك ، ص ٤٣٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم ج ٧ ،  
ص ٨٢ ، ٨٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٧ •
  - (٢) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، المقرزي ، السلوك ، ص ٤٣٣ •
  - (٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٦ ، المقرزي ، السلوك ص ٤٣٣  
ابن تغري بردي النجوم ج ٧ ، ص ٨٢ •
  - (٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، المقرزي ، السلوك ،  
ص ٤٣٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٧ ، ص ٨٢ ، ٨٣ •

منه الصبيبة وبانياس (١) •

وبعد هذه الترتيبات فادر سيف الدين دمشق عائدا الى مصر •  
وفي الطريق قتل في ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م •

---

(١) ابو شامه ، ص ٢٠٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ج ٢ ص ١٧ ، ابو  
الغداء ، ج ٣ ص ٢١٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣١ ، و ٤٤١ ، ابن تغري  
بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٠ •

بيبرس قبل السلطنة •

كان ضروريا ان ترسم صورة للسنوات التي سبقت وصول بيبرس الى السلطنة لان بيبرس شهدها واشترك في حوادثها وتأثيرها • ولعل هذا الاشتراك الفعلي فيها هو الذي حفزه الى الوصول الى السلطنة • وينبغي الان ان نتناول سيرته بالذات قبل ان صار سلطانا •

١ - البدايعة :

كان بيبرس (١) تركيا (٢) برلي (٣) الجنس • وقيل ايضا انه قفجاقى (٤) ، (او قفجاقى) الاصل •

ولد بيبرس في خيمة صغيرة لابوين فقيرين من جماعة الغومان (٥) في ليلة قاسية من ليالي السهوب القفجاقية الروسية • لكن سنة مولده ليست معروفة بالضبط • وتضعها المصادر بين سنة ٦٢٠ هـ / ٢٢٣ او سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ • وقد جعل المقرئى وابن تغرى بردى سنة الولادة عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ على وجه التخمين (٦) وجعلها اخر سنة ٦٢٢ هـ وجعلها ابن شاکر الكتبي سنة ٦٢٥ هـ • لكنه روى عن بدر الدين بيسرى رواية يستدل منها ان مولد بيبرس لم يسبق سنة ٦٣٠ هـ بكثير (٧) •

- 
- (١) معناها الفهد • المقرئى والسلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ •
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٢ ، المقرئى والسلوك ص ٤٣٦ ، ابن ايام ، ج ١ ص ٩٨ •
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٢ • وقد جعله ابو الفداء (ج ٤ ص ١١) برجعلي الجنس •
  - (٤) ابو الفداء ، ج ٤ ص ١١ • وترد ايضا "قفجاقى" كما في السلوك ، ص ٦٢٧ ، والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٤ •
  - (٥) وهم جماعة بدوية فزوا امارات روسيا الشمالية ثم فزاهم جنكيزخان عام ١٢٢٤ م وعام ١٢٤٢ ( F.Sadeque ) ص ٢٩ من المقدمة •
  - (٦) المقرئى ، السلوك ص ٦٢٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٤ •
  - (٧) ابن شاکر الكتبي ، ج ٩ ، ص ١٥٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٥ ، ٩٦ •

وفي هذه الاونة كانت الغزوات المغولية تتوالى على روسيا • وفي سنة ٦٣٩ هـ  
١٢٤٢ م • فزا التتر (١) القبجاق فاتصل هو\*لا\* بانس خان ملك اولاق (٢) يستجيرون  
به فقيل ان يغدوا عليه • ونزلوا في سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م بين جبلين ، مطمئنين  
من فزوات التتر ، لكن جنود انس خان غدروا بهم ، وقتلوا منهم جماعة ، وسبوا عددا اخر  
منهم • وكان بدر الدين بيسرى وركن الدين بيبرس بين الاسرى •  
كان بيبرس انذاك دون العشرين سنة (٣) فبيع الى تاجر بسيواس ، ثم الى اخر  
في حلب ثم الى تاجر ثالث • وهنا تختلف الروايات • ففي رواية بدر الدين بيسرى  
ان بيبرس حمل الى القاهرة حيث بيع الى الامير علاء الدين البندقدارى • وفي رواية  
اخرى ان الخامس مار به الى حماه وعرضه على صاحبها الملك المنصور فرفض هذا شراءه  
لان والدته اشارت عليه بان لا يشتريه لان في عينيه ملامح شر • فحمله الى تاجر في دمشق  
حيث باعه بثمانماية درهم لكنه عاد فرده "لبياض في عينيه" • فعاد به الخامس الى حماه  
واشتراه منه العماد الصائغ • وباعه هذا الى الامير علاء الدين ايدكين البندقدارى  
المعتقل في حماه (٤) • وفي رواية ثالثة انه بيع لعلاء الدين البندقدارى في دمشق (٥) •

- 
- (١) وعند ابن شاکر الکتبي (جا ، ص ١٦٠) ان العبارة هم الذين فزوا القبجاق  
واسروا بيبرس •
  - (٢) وهي ( Bolgary ) على نهر الفولخا الالهلى ( F.Sadeque ) ص ٢٩ من  
المقدمة •
  - (٣) تقول ( F. Sadeque ) ص انه كان حوالي الرابعة عشرة من عمره •
  - (٤) ابو الغداء - ج ٤ ، ص ١١ ، ابن شاکر الکتبي ، ج ا ص ١٦٠ ، المقرئى ، السلوك  
ص ٤٣٦ و ٥٧٤ ، ٦٣٧ ، ابن تغرى بوردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ ، ٩٦ •
  - (٥) محمد مصطفى زيانة ، حاشية ١ ، ص ٥٧٤ ، من "السلوك" للمقرئى •

وفي كل حال ، بقي بيبرس عند علاء الدين حتى انتقل الى الملك الصالح نجم

الدين ايوب في شوال سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م (١) .

وهكذا يكون بيبرس قد قضى نحو من سنتين عند علاء الدين . كيف قضاها ؟

المعقول ان يكون قضاها بالتدرب على ركوب الخيل والرماية . وكان الى جانب ذلك

يتلقى اصول الدين الاسلامي . ولا ريب انه كان في هذه الفترة يراقب احداث زمنه .

ويتعرف الى الصراع بين الامراء الايوبيين . ان طموحه لم يكن قد بلغ به بعد حد

التطلع الى الاستفادة من هذا الصراع والاضطراب ولكنه كان حاد الذهن ، نير البصيرة

لا يمكن لهذه الاحداث ان تمر دون ان تدع في ذهنه اثرا .

ان حياة بيبرس في هذه الفترة فامضة فكاد لانستطيع ان نتعرف الا على

خطوطها العريضة وحسب . لكننا نستطيع ان نحسب ان هذا الصبي القوي نظرتة

الاخيرة على ابويه وعلى الوادي التي كانت قبيلته تنزلها بشي من الحنان ، ويكتسب

من الخوف والتساؤل . ثم تصم بعض الوقت فنسي اهله واخذ يحاول ان يدرك الواقع

الذي يعيش فيه ، فاذا به يجد نفسه معروضا في اسواق النخاسية في مدينة اثرمدينية

ثم يجد نفسه مرفوضا لعاهة في عينيه . حقا ان الظروف قاسية .

٢ - في عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب .

كيف انتقل الى خدمة الملك الصالح ايوب ؟ ومتى انتقل الى خدمته ؟

ان المصادر تختلف في الاجابة على السؤال الاول . فهي تستعمل كلمة

الشراء (٢) مرة ثم تستعمل كلمة المصادرة ، او الاخذ او القبض مرة اخرى (٣) . ويبدو

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ .

(٣) المقرئ ، السلوك ص ٦٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٥ ، ٩٦ .

ان الملك الصالح نجم الدين ايوب اعجب ببيبرس لشجاعته ولقوة بنيته وفروسيته  
ومقدرته على الرماية ، ولاته كان "نجيبا لا ينبغي ان يكون الا عند ملك" فالحقه  
بحاشيته حين فضب على علاء الدين البندقدارى مرة ثانية سنة ٦٤٤ هـ (١) ، ويحصل  
على هذا الاعتقاد انه كانت قدمرت فترة على بيبرس في خدمة علاء الدين ، بحيث  
لغت صفاته هذه انظار الملك الصالح نجم الدين ايوب .

وهي كذلك مختلفة في اجابتها على السؤال الثاني . يقول G. Wiet : انه  
اول ما نسمع ببيبرس مع الصالح نجم الدين سنة ١٢٢٩ م (٢) . وهذا مستبعد جدا ،  
اول لعله مستحيل . ويبدو لي انه خلطه مع بيبرس اخر كان سجينا مع الملك الصالح نجم  
الدين ايوب في الكرك سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ (٣) . وفي هذه السنة يكون بيبرس  
في سن الثامنة عشرة ، على ابعد تقدير ، فهل كان قد مضى عليه وقت كاف ليلفت نظر  
الملك الصالح نجم الدين اليه ؟ ثم ان الملك فضب على علاء الدين واعتقله في حماه  
سنة ٦٤٤ / (٤) . اغلب الظن عندي ان وجود شخصين يحملان نفس الاسم في  
فترة واحدة ، وكون بيبرس الاخر من اخفاء الملك الصالح نجم الدين ايضا وانتقال  
بيبرس ، صاحب هذه السيرة الى خدمة الملك الصالح نجم الدين في شوال سنة  
٦٤٤ هـ - كل ذلك قد ادى الى مثل هذا التثويش

- 
- (١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٦ .
  - (٢) ( G. Wiet ) ص ٤٢٧ .
  - (٣) ابو الفداء ( G. Wiet ) ج ٣ ، ص ١٨٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص  
٣١٦ ، ٣١٧ .
  - (٤) النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

والخلط . ليس لدى ما يثبت ان الانتقال تم قبل هذا التاريخ الذي يعينه ابن تغرى بردى (١) .

وفي سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٢ م ، كان بيبرس قد لفت اليه انظار الملك الصالح نجم الدين ايوب فاعتقله وجعله جمدا ره (٢) . وفي سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م سار السلطان الى دمشق لرد صاحب حلب الناصر صلاح الدين يوسف ، عن حمص (٣) . وكان بيبرس في وفته . ومر الجيش في الشوبك وترك بيبرس في المدينة اثرا يحمل اسمه وتاريخ هذه السنة (٤) .

يبدو ان بيبرس اصبح لا يفارق السلطان من جهة ، وانه صار احد كبار الامراء البحرية ، من جهة ثانية .

ثم كانت الحملة الصليبية السابعة حين فزا لويس التاسع دمياط واحتلها وتوغل حتى المنصورة . هنا لعبت الفرقة البحرية بقيادة فارس الدين اقطاي دورا اساسيا في رد الغزاة . ولعب الامير بيبرس دورا هاما في هذه المعركة بما ابداه من ضروب الشجاعة والفروسية . ثم لعب دورا هاما ايضا في قتل المعظم تورانشاه . واليه ينسب التحريض على ضرورة قتل السلطان كسي لا يبيد البحرية . وهو الذي كالم له الضربة الاولى . وهو الذي اتهمه بانـه

- 
- (١) النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
  - (٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
  - (٣) المعقري ، السلوك ، ص ٢٣٠ .
  - (٤) ( E.Honigmann, Art. "Shawbak". ) م ٤ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

عاجزا عن ابقاء السلطنة في عقب الملك الصالح نجم الدين ايوب . واتهمه بالعمل  
للقضاء على امراء الدولة الصالحية ومصادرة اموالهم وتوزيعها على فيرهم (١) .  
لقد اصبح اسمه يذكر مع كبار زعماء البحرية ، امثال فارس الدين اقطاي وعز  
الدين ايبك وبلبان الرشيدى وفيهم (٢) .

### ٣ - عهد عز الدين ايبك .

ثم كان عهد عز الدين ايبك التركمانى . وكان بيبرس وفارس الدين قد صارا  
متنفذين ، اولعلمهما كانا اوسع نفوذا وقوة بين البحرية من السلطان نفسه . وقد  
كانا "يمنعانه من كل متعرض ويحميانه من كل متعرض" (٣) . ثم بدأت الاحتكاكات  
بين السلطان والفرقة البحرية ، وكان اول ما فعله السلطان ان هدم قلعة الروضة ونقل  
المماليك البحرية الى قلعة القاهرة ثم انشاء فرقة خاصة به عرفت بالمعزية (٤) .  
ومما يفسر هذه الاحتكاكات ، او يدعها ، ان بدر الدين بكتوت وقطرز وبيبرس  
التقوانات يوم بمنجم فطلب منه قطرزان يضرب له بالرمل ليرى مستقبله ، فقال له المنجم  
انه سيملك مصر ويكسر التتار . وضرب المنجم بالرمل لبيبرس ايضا فكان طالعه يدل  
على انه سيملك مصر وفيها (٥) .

وفي سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ قتل السلطان فارس الدين اقطاي فانقلت قيادة  
البحرية الى بيبرس بعده . كان البحرية نحو سبعمائة مملوك فجاؤوا الى القلعة فوجدوها

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٥٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٦ ، ملحوظة ٥ .  
(٢) ( F.Sadeque ) ص ٣٥ من المقدمة .  
(٣) ابن عبد الظاهر ط ٦ .  
(٤) المقرئى ، السلوك ص ٣٨٠ و ٣٨٦ .  
(٥) اليونينى ، ج ١ ص ٣٨٣ ، ٣٧٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٨٨ ،  
٨٩ .

مغلقة ثم رأوا راس فارس الدين اقطاعى يرمى تحت اقدامهم من سور القلعة فتحققوا خبر  
اقتيال فارس الدين وتداولوا في الامور فأووا انه لا بد من الهرب ، اذا شاءوا السلامة .  
وفي الليل خرجوا من القاهرة هارين في ثلاثة اقسام : اول قسم بقيادة الامير  
علم الدين سنجر الباشقردى ، اعقل العماليك البحرية واعرفهم ، وثاني قسم بقيادة الامير  
شمس الدين سنقر الجبيلي المشهور بالفروسية والشطارة ، وثالث قسم بقيادة بيبرس  
البنى قدارى ومعه سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وفيهما من الامراء .  
وتصد الفريقان الاولان السلاجقة الروم وتصد الفريق الثالث غزاة (١) .

#### ٤ - بيبرس في بلاد الشام - الفارس الضال

ولما وصل بيبرس وجماعته غزاة اتصلوا بالملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب  
دمشق وحلب وعرضوا عليه الدخول في طاعته . فاجابهم بالقبول . فساروا اليه مارين  
بالعناطق الساحلية التي يحتلها الفرنجة . وكان طبيعيا ان يلاقوا صعوبات في تامين  
القوت لكنهم لجأوا الى النهب والسلب .

وقاربوا دمشق في رمضان سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م فخرج الملك الناصر صلاح  
الدين لملاقاتهم والترحيب بهم فحلفوا له بالطاعة والولاء ، ثم خلع عليهم الناصر الخلع  
والاموال ، واكرم بيبرس بصورة خاصة ان منحه ٣٠ الف درهم وثلاثة قطريخال وثلاثة قطر جمال  
وملابس ، ثم اقطعها اقطاعا بحلب ، لكن بيبرس استبدله باقطاع في جنين وزرعين ، فقبل  
الملك الناصر بذلك . وهكذا استقر بيبرس واخذ بقية البحرية يتسللون اليه حتى جمع  
شمليهم (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٣٩٢ .  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٧ .  
(٢) انظر ملحوظة ٥٥ ص ٥٢ اعلاه .

ولعل في اختيار بيبرس جينين وزرعين اقطاعا له بدلا من حلب دليلا على بعد نظره من جهة ، وعلى انه كان قد اخذ يعتبر مصر هي المركز ، فيجب ان لا يتعد عنها ، وحلب بعيدة لايسهل تسلل رفاقه اليها .

ولكن حياة الاستقرار هذه لم تطل . ان عز الدين ايبك كتب للناصر صلاح الدين يوسف ولصاحب سلاجقه الروم يثير فيهما الحذر والريبة من المماليك البحرية (١) . وزاد فسي اضطرابهم انهم اخذوا يعملون للثار من عز الدين فاقنعوا الناصر صلاح الدين بمهاجمة مصر . وفي اواخر سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ هـ جهز الناصر المماليك البحرية بقيادة بيبرس ، واتبعهم بجيش من الشهرزورية ، لمهاجمة مصر ، فوصلوا الى غزة ثم عادوا ولم تجر معركة (٢) لان بيبرس حذر القائد المملوكي مما يببته الشهرزورية (٣) . وفي السنة التالية عاد الناصر فارسل لمهاجمة مصر جيشا آخر فيه البحرية بقيادة بيبرس ، لكن الخليفة تدخل وانعد الصلح على ان " لا يماوى الناصر عند احد من البحرية " . وقد قبل الناصر بهذا الشرط لارتياحه في صدق ولا البحرية له (٤) .

وهنا وجد بيبرس نفسه مضطرا للانتقال . فقصد القدس ، وهو تابع للملك الناصر صلاح الدين يوسف نكاية به ، واحتله وخطب فيه للملك المغيث صاحب الكرك ، ثم سار الى غزة وهي تابعة للناصر ايضا ، واستولى على فلاتها واعتقل واليها . فلم يجد الناصر بدا من مهاجمتهم واصطدم بهم في شوال ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ هـ عند نابلس حيث جرت معركة عنيفة انهزم فيها بيبرس ، وانقسم البحرية الى جماعتين : جماعة بقيادة الامير عز الدين ايبك الافهم ، دخلت مصر وقوبل افرادها بالاكرام من قبل السلطان نور الدين مولو ان الاهالي لم يكونوا راضين عن هذه العودة . (٥)

- 
- (١) المقريزي ، السلوك ، ص ٣٩٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٩٧ .
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ١٩٩ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١١٩ .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ص ١٣ .
  - (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ .
  - (٥) ابن عبد الظاهر ، ص ٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥٠ - ٥١ : ابو الفداء ج ٣ ، ص ٢٠١ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٤ - ٤٥ .

اما الجماعة الثانية فبقيت مع بيبرس • وذهبوا الى المغيـث ودخلوا في طاعته،

فاكرمهم صاحب الكرك ، وعلم بحرية مشردون بذلك فانضموا الى بيبرس في الكرك •

وهنا اختلط بيبرس بالشهزورية وتزوج من امرأة منهن (١) •

وكانت مصر لا تزال هد ف بيبرس • لذلك لم يقنع بما اصابه من هزيمات حتى الان •

فعاد الى اقناع المغيـث بمهاجمة مصر ، بحجة الشرعية ، واصغى المغيـث اليه وانفق مبالغ

طائلة من الاموال لتجهيز حملة لاحتلال مصر •

وسارت الحملة باتجاه مصر على مرحلتين كانت اولاهما جيشا بقيادة بيبرس

وكانت ثانيتهما جيشا اخر بقيادة المغيـث نفسه • وعلمت الجيوش المملوكية بذلك فزحفت

الى فزة بقيادة نائب السلطنة سيف الدين قطز • وجرت المعركة الاولى عند العباسية

في ذي القعدة سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ وفيها ابدى بيبرس فنونا شتى من الشجاعة

والاقدام ، فاتصل به بعض الامراء البحرية في مصر يشيرون عليه بالانضمام اليهم ، لكنه

رفض وتابع القتال حتى انهزم وتراجعت قواته ، ولقيت صعوبات جملة في تامين القوات

والماء •

وكان حقه على سيف الدين قطز ، وقد اشترك باغتياال فارس الدين اقطاي

لا يعرف حدا ، لذلك عاد الى المغيـث واقنعه ان يعيد الهجوم على مصر • وفي ربيع

الآخر ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ جرت معركة الصالحية وانهزم فيها جيش المغيـث وهرب هذا

لينجو بنفسه بعد ان نهب ما معه ، وفر بيبرس ايضا ، والتفيا في الكرك • وطبيعي ان ينقم

المغيـث على بيبرس توريطه في هذه المعارك الفاشلة لكنه خشي الخصومة العلنية

معه خيفة ان ينضم الى غيره (٢) •

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، ابن شاکر الکتبي ج ١ ص ١٦١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٣٤٠

ابن تغري بردی ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢٩ •

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٨ ، ١٠٤ ، اليونيني ، ج ١ ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٨٥ ، ابو الفداء ج ٣

ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، المقريزي ، السلوك ص ٤٠٦ ، ابن تغري بردی ،

النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٨ ، ٩٩ •

وعلم الناصر صلاح الدين يوسف بذلك فاراد ان يقضي على البحرية ، فارسل جيشه لمحاربتهم لكن قوات بيبرس المبالغة نحو ستماية مملوك بحوى ، كسرت جيشه وطارده الى جوار دمشق . فخرج الناصر بنفسه لصد هم ، لكنه فشل ايضا ، حتى كان بيبرس يقصد خيمة الناصر بالذات ويقطع اطنابها (١) . واصطدم الناصر بهم مرة اخرى في اوائل ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ ، لكنهم هربوا هذه المرة الى الكرك ، فتبعهم الى بركة زيزاء . واتصل بيبرس يستميله اليه فرفض . لكنه لما علم بانعقاد الصلح بين الناصر والمغيث على ان يسلم هذا الاخير من عنده . من الهجرة ، وجد نفسه مضطرا لمفاوضة الناصر للدخول في طاعته . واته الظروف ان المغول كانوا دخلوا بغداد ، فخشي الناصر على نفسه ، وفاوض بيبرس على اقطاعه نابلس وجنينين وزرعين فجاء ، بيبرس في رجب سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ ، فآكرمه الناصر واكرم جماعته ايما اكرام ( ٢ ) .

وهكذا عاد بيبرس الى الناصر . ولكنها كانت العودة الاخيرة ، قبل الرجوع الى مصر . حرضه مرة اخرى على مهاجمة مصر . فلم يقبل الناصر نصيحته هذه المرة . ثم فاضه على تجنيد اربعة الاف فارس يتوجه بها نحو الغرات ليمنع التمر من العبور الى بلاد الشام فما رضي الناصر ذلك ايضا ، لان زين الدين الحافظي عارض في مثل الحملة ، ولم تنفع حدة بيبرس في تأييد وجهة نظره ولا دعواه انه انما يبغى نصرة الاسلام . فما كان منه الا ان انزوى في خيمته ( ٣ ) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠ ، اليونيني ج ١ ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ابو الفداء ج ٣ ص ٢٠  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٧ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ص ١١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ١٦١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤١٤ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥٧  
(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢ ، اليونيني ج ١ ، ص ٢٦٥ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ص ١٦١ ، المقريزي ، السلوك ص ٤١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ٩٩ .

خمس سنوات مرت على بيبرس وهو في بلاد الشام يتنقل بين الناصر صلاح الدين يوسف المغيث ، او يعيش مشردا مع جماعته . ولم تسفر هذه السنوات الخمس عن نتيجة . فليس الناصر ولا المغيث بقادرين على احتلال مصر ولا على صد التتر . فلا بد بعد هذا من تغيير خطته . كانت السنوات الخمس كافية لاقتناعه بضرورة العودة الى مصر . ان رفاقه الذين هربوا معه يوم فر من عز الدين يتناقصون باستمرار بالموت حيناً او بالعودة الى مصر حيناً آخر . ثم ان اخبار مصر تحل اليه ان سيف الدين قطز يعد العدة لمجابهة التتر . لقدود لو يعود الى مصر محتلاً بعد ان فادرها هاربا ولكن الظروف لم تسعفه . وهنا يبدو لي ان بيبرس كان رسم لنفسه خطة واضحة اساسها العودة الى مصر حيث يستطيع ان يتأثر لغارس الدين اقطاي من جهة وحيث المجال مفتوح امامه للتقدم من جهة اخرى . ولا ننسى ابدا ان بيبرس عدو للتتر . فهم كانوا السبب المباشر في تشريداه عن اهله ، ثم هاهم يتحركون لعبور الفرات نحو بلاد الشام ومصر . اذا لا بد من العودة الى مصر .

#### ٥ - عودة بيبرس الى مصر .

ومن فزة كاتب المسطر سيف الدين قطز صاحب مصر في سنة ٦٥٨ هـ و١٢٥٩ / وارسل اليه الامير طيبرس الوزير يستحلفه له فحلف له قطز ووعدده الوعود الجميلة فغادر بيبرس فزة قاصدا الى مصر ومعه بعض اصحابه . ودخل القاهرة يوم السبت ٢٢ ربيع الاول سنة ٦٥٨ هـ : ١٢٥٩ فركب السلطان بذاته للقائه وانزله في دار الوزارة واقطعه قضاء قليبوب واعمالها ثم عينه اتابكا لعسكره

وجعله نافذ الكلمة في تدبير امور مصر (١) . وهكذا عاد الى مصر وراى نفسه في  
المرتبة الثانية بعد السلطان .

ولم يمض وقت طويل على عودة بيبرس الى مصر حتى دخل التتر دمشق بقيادة  
كتبغا . ثم ارسل هولاء كتابا الى سيف الدين قطز فيه تهديد ووعيد فجمع  
السلطان الامراء لآخذ رأيهم في الموضوع . وطبيعي ان ينقسم الامراء امام هذا  
الامر فمنهم من رآى الاستسلام وخشي مغبة مقاومة التتر ، ومنهم من ارتأى مقاومة التتر .  
وكان بيبرس من الجماعة الثانية الذين حثوا على ضرورة محاربة التتر (٢) .

#### ٦ - بيبرس في معركة عين جالوت .

وجرت استعدادات سريعة لمواجهة التتر ، ولا ريب ان بيبرس لعب دورا  
رئيسيا في هذه الاستعدادات اذ انه اشرف على قضية تسليح الجنود ، ودار عليهم  
يبث فيهم روح المقاومة ويدعوهم الى الاستبسال في سبيل رد التتر وابعاد  
خطرهم عن مصر وبلاد الشام ، ويصور لهم ، بأشجع صورة ، ما يمكن ان يقاسوه  
اذا قدر للتتر ان يدخلوا مصر . انني احسب ان بيبرس كان ، بعد المظفر  
سيف الدين قطز ، عصب المقاومة للمغول (٣) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ ، ابو الفداء ج ٣ ص ٢٠٩ ،

المقريزي ، السلوك ، ص ٤٢٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٠٠ .

(٢) اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ ، ابن اياس ج ١ ص ٩٦ وطلحوظة ٣ ادناه

(٣) رشيد الدين ، جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣

وأكملت الاستعدادات في شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ • ونزل السلطان من قلعة الجبل في موكب عظيم ثم سار الى الريدانية حيث امر بتوسيط اعضاء الوفد التتري ثم انتقل الى الصالحية حيث اقام حتى تكاملت حشوده • وراى قطز ان يرسل قسما ظليعيًا استكشافيًا من جيشه فاختر لذلك ركن الدين بيبرس البندقدارى ليقوم بهذه المهمة • فذهب بيبرس يستطلع اخبار التتر حتى اذا راهم ارسل الى قطز يعلمه بمكانهم • ثم اخذ يناوشهم ويستدرجهم من مكان الى اخر حتى وصل المظفر قطز الى عين جالوت (١) • وهنا جرت معركة حامية انتصر فيها التتر على جيش قطز • فتراجع هذا بجيشه • ثم برزت قوات بيبرس الكامنة ووضعت التتر بين فكي كماشه ابلو فيها بيبرس بلاء حسنا (٢) واظهر فيها من فنون القتال ما نفخ روح المقاومة في رفاقه والقى الذعر في خصومه • ومع ذلك فان التتر كادوا ينتصرون لولا كثرة الجنود المملوكية • ولولا ان قطز ارد ف الميسرة المملوكية في الوقت المناسب • ثم كانت المرحلة الثانية من المعركة عند بيسان • وهنا تكبد التتر خسائر جسيمة اعظم مما تكبدوه في المرحلة الاولى • لقد تلقوا الصدمة في المرحلة الاولى • وها هم الان ينكفئون في هذه المرحلة • وقد برز بيبرس في هذه المعركة ايضا ان انه كان يتنقل بين جنوده بناثا روح المقاومة • مقدما لهم القدوة الضرورية على الصبر وتحمل المشقات • لكن دوره كان اعظم من هذا في المرحلة الثالثة - مرحلة التصفية • فقد سبق بيبرس السلطان سيف الدين الى دمشق يطارد التتر • وظل يطاردهم ليل نهار حتى وصل الى حلب فحارم • ثم اصطدم بهم محتشدين عند افاميه وانتصر عليهم هنا ايضا (٣) • فعاد التتر الى الفرات •

- 
- (١) اليونيني ج ١ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ وابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٠١ ، وابن اياس ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ •
- (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، ١٤ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٣١ ، ( F.Sadeque ) ص ٤٠ •
- (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٣ ، ١٤ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٦٦ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٣ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٣٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٧٩ ، ٨٢ ، ١٠١ ، راجع ص ٤٤ اعلاه •

وهكذا استطاع بيبوس ان يمهّد بلاد الشام للسلطنة المملوكية ويطرده منها  
الترت بمعاونة السكان الناعمين الذين ثاروا على التتو على الذين تعاونوا معهم . ولئن  
لم يكن هنا مكان تفصيل موقف السكان من التتر فانه لابد من ان نلاحظ ان الاهالي  
لم يرضخوا عند الفتح ، وسرفان ما انتقضا عليهم حين اخذوا بالتراجع .  
اخذ بيبوس بالعودة الى دمشق ، حيث كان قطنز ، وقد ارسل اليه الرسائل  
يبلغه بما جرى له مع التتر ، ووافقها فيها وهو يجرى الترتيبات الادارية اللازمة (١) .  
كان بيبوس يمني نيابة حلب ، وقد وعده بها قطنز (٢) . اولعه طلبها منه .  
ولعله ينبغي لنا هنا ان نذكر ان بيبوس كان قد رفض اقطاعا في حلب سنة ٦٥٢ هـ  
لكن قطنز لم يمنحه هذه النيابة فحقد بيبوس عليه ، اولعل حقه زاد ، انه كان  
حاقدا عليه من قبل . اما سبب ذلك فلعله غير قطنز من الانتصارات التي نالها بيبوس  
ولعل خوفه منه ان ينافسها اذا ولي نيابة كبيرة كنيابة حلب (٣) .

#### ٧ - اغتيال قطنز .

ثم اتفق بيبوس وبعض رفاقه ، ومنهم سيف الدين انس وعلم الدين صنغلي  
وسيف الدين بلبان ، على اغتيال السلطان حين يعود الى مصر (٤) . وينبغي ان نعتبر  
هذا التاريخ حدا فاصلا في توضيح مطامع بيبوس واهدافه . ينبغي ان لا يكون عندنا  
ريب بعد الان بان بيبوس اصبح يستهدف السلطنة بالذات .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٥ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٧ ،  
ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠١ .
  - (٢) المصادر نفسها بصفحاتها في الملحوظة السابقة .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٦ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ص ٤٥ اعلاه .
  - (٤) اليونيني ، ج ١ ص ١ .

وبعد الترتيبات التي اجراها قنظ في بلاد الشام توجه الى مصر . فادرت جيوشه دمشق في ٢٦ شوال سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ . وفي ١٥ ذى القعدة (١) وصلت العساكر الى القصير (٢) . قبل الصالحية . وشعر السلطان ببيل الى الصيد وبضرورة اراحة جيشه بعد ما لاقاه من متاعب وماكسبه من نصره . فضرب دهلينزه عند القصير وامسك العساكر ان يواصلوا السير الى الصالحية ويضربوا خيامهم هناك وينتظروه . وذهب الجيش الا الجماعة الذين كانوا اتفقوا على اغتياله ، فقد راوا الفرصة مناسبة ، وبقوا معه . ومضى السلطان يبحث عن صيد . فلمح ارنبا فجرت امامه فتبعها ، وتبعه المتآمرون ، وبعدت به المسافة عن الدهليز . وتقدم اليه بيبرس وطلب منه امرأة من سبي التتر ، فاجابه السلطان الى ذلك ، فاهوى بيبرس على يد قنظ يقبلها ثم قبض على يده كي لا يستطيع استعمالها لامتساق السيف . وكان هذا التدبير علامة بين المتآمرين . هنا حمل سيف الدين انصر على قنظ وضره بالسيف ثم هجم البقية عليه واسقطوه عن فرسه وجرده من حسامه ، ثم رشقوه بالنشاب حتى اردوه قتيلا (٣) .

- 
- (١) يختلف المؤرخون حول هذا التاريخ . فهو ١٧ منه عند ابن عبد الظاهر (ص ١٦) وابي الفداء (ج ٣ ص ٢١٦) و ١٣ منه عند اليونيني (ج ١ ص ٣٧١) او ١٦ منه عنده ايضا (ج ٢ ص ٣١) . وهو ١٥ منه عند المقرئ (السلوك ، ص ٤٣٥) ، وابن تغري ، بردى (النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٨٧) وابن اياس ، (ج ١ ص ٩٧) .
- (٢) هي الخرابي عند الذهبي (ج ٢ ص ١٢٣) والمقرئ (السلوك ، ص ٤٣٥) ويجعلها اليونيني (ج ١ ص ٣٧١) ، وج ٢ ص ١) بين الخرابي والصالحية . ويسميا ابن اياس (ج ١ ص ٩٧) القرن .
- (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٧٠ ، ج ٢ ص ١ - ٢ ، ابو الفداء ج ٣ ص ٢١٦ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٨٤ ، وفي ملحوظه ١ ص ٨٤ ، من النجوم الزاهرة ، ان بكتوت هو الذي بادر السلطان بالضربة الاولى . ويقول ابو الفداء ، ان بيبرس هو الذي كمال له الضربة الاولى .

وبينما كان قظز يلفظ انفا سالا خيرة تلفت المماليك المتامرون بعضهم الى بعض  
كانهم لا يدرون ماذا يفعلون بعد تنفيذ القسم الاول من المؤامرة • اولحل نجاحهم السريع  
في تنفيذها اذ هلمهم • ثم تمالك بيبرس جاشه وتحدث الى رفاقه وذكرهم بان قظز ينال عقابه  
على اسهامه في قتل فارس الدين اقطاي وعلى امتناعه عن منحه نيابة حلب، ثم برر الاغتتيال  
بقوله ان السلطان قد يعتقلهم لو انه وصل مصر سالما • ثم دعاهم الى العودة الى الجيش  
ليرى الامراء رايهم في السلطان المقبل •

واسرع بيبرس ورفاقه الى الجيش وهم شاهرون سيوفهم التي لاتزال مغموسة بالدم •  
ووصلوا الدهليز السلطاني ووجدوا الاتابك فارس الدين المستعرب (١) في باب الدهليز •  
واوحت سيوفهم المشرفة للاتابك بما حدث ، ولكنه سالهم حين تقدموا اليه راجلين ، ليتأكد  
من صحة حديثه • فقالوا له انهم اردوا السلطان قتيلا (٢) •

كانت العادة ان تول السلطنة للملوك القاتل ، ولكنه ، لابد في كل حال ، ان  
يؤخذ راي الامراء ، فاستدعى الامراء للنظر في اختيار السلطان الجديد • وفي هذا المؤتمر  
تكلم الاتابك فقال ان بيبرس هو الذي دبر المؤامرة واشترك في تنفيذها وانه هو القاتل •  
وكان بيبرس حاضرا المؤتمر ، جالسا على طراحة ، بين بقية الامراء ، فتلقت  
اليه الامراء ، وتذكروا انه حاقده على سيف الدين قظز لانه لم ينل نيابة حلب وتذكروا حسن  
بلائه في معركة عين جالوت • ثم عادت بهم الذكريات الى تشرده والى حسن بلائه في معركة  
المنصورة ، وحسن اهتمامه برفاقه الامراء والجنود •

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ج ٢ ، ص ١ - ٢ ، المفريزي ، السلوك ص ٤٣٦ •

ثم عاد الاتابك الى الكلام فقال •

" اسمعوا يا اصحابنا • والله لو كان الملك المظفر حيا او له ولد له في عنقنا  
يمين اول ما كنت اتاثلكم بسيقي • وانما الساعة قد فات فيه الوقت ولا شك ان السدي  
قتله وفرر بنفسه وفعل هذا الامر العظيم ما فعله لغيره فمن قتله فهو احق بمكانه •  
ثم توجه الاتابك الى بيبرس وساله عن قتل المظفر قطز • فرد بيبرس انسه  
هو القاتل • واستشهد بالجماعة الذين كانوا معه فاشتبهوا ما قاله • ثم عاد بيبرس الى  
القول انه انما يبتغي ان يقيم " الدولة الصالحية على ما كانت عليه من نواميس ورسوم " •  
عندئذ ادار الاتابك نظره في الامراء كانه يقول ان الامر مفروغ منه ، بعد ان  
وعد بيبرس باقامة " الدولة الصالحية " ، فسكت الامراء ، فقال الاتابك لبيبرس :

" يا خوند اجلس على مرتبة السلطان " • (١)

فنهض بيبرس عن الطراحة وجلس حيث امره الاتابك (٢) •

بقي ان يقسم الامراء يمين الولاة والطاعة للسلطان الجديد • ولكنهم لم يقسموا  
له بذلك حين استدعاهم الاتابك ، وانما نظر بعضهم الى بعض • هنالك شروط يريدون  
ان يملوها قبل القسم • وعرف الاتابك ما يريدون ، فقال لبيبرس ان الامراء يريدون منه ان  
يمنحهم ما يستطيعه من الخلع والاموال لانهم بحاجة الى ذلك بعد ما نالهم من تعب

---

(١) النجوم ٧ ص ٨ و ١٠٢ اليونيني ج ٢ ص ٢ •

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، ١٨ اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، وج ٢ ، ص ١ و ٢ ، ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري  
بردي النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ •

واجهاد ، وبعدهما بدلوه في المعركة الاخيرة مع التتر .

لقد كانوا يتوقعون من السلطان الراحل ان يجرى عليهم النفقات بعد ما ايدوه ،

فينبغي لمن يحل محله ان يفعل ما كان متوقعا منه ان يفعله .

كان الاتابك جريثا وصريحا في كلامه . فايده الامراء ، لانه افصح عما في

صدره . فما كان من بيبرس الا ان حلف لهم بان يوزع عليهم ما تصل اليه يده .

عند ذلك تحرك الامراء نحوه ليقسموا له اليمين . وكان الاتابك اول المبايعين ،

ثم تبعه بقية الامراء ، طبقة فطبقة ، حتى جاء دور العسكر ، فحلفوا له اليمين ايضا . وكان

ذلك في ١٧ ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ (١) .

ووصل القاضي برهان الدين قادما من مصر . بجيش لملاقاة المظفر قطز فلما

علم بما جرى ، اقسم يمين الولاة للسلطان الجديد (٢) .

وشعر بيبرس ان بين الامراء عددا لا يوءيد ما حدث . انهم لا يريدون السلطنة

له ، وهم يرون ان قطز قتل بغير ذنب وقد كانت له اليد البيضاء في محاربة التتر (٣) .

ولكنه لم يستطع الا ان يسكت .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، وج ٢ ، ص ٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، اما المقرئى (ص ٤٣٦) وابن اياس (ج ١ ص ٩٨) فيقولان انه تسلم السلطنة في ١٥ منه . ولحل هذا الفرق - اليومين - يعود الى ماجرى من مشاورات . راجع ٦١ ملاحظة ١ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٠٨ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٧ .

وفي هذا النهار ذاته ، ١٧ ذى القعدة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ ، اخذ يعقود  
الترتيبات التي ترافق مجيء السلطان الجديد عادة - فعين فارس الدين اقطاي  
المستعرب اتابكا لعساكره واستخدم الامراء الذين كان الملك الصالح نجم الدين ايوب  
قد اختارهم ، ثم تلقى بالملك القاهر (١) .

وكان بيبرس اراد ان يبني اياما اخرى هنا ريثما تجيء بقية العساكر  
وتحلف له يمين الطاعة ولكن الاتابك اشار عليه بضرورة الرحيل الى مصر لان السلطنة  
لا تتم له اذا لم يدخل قلعة الجبل . وعزز رايه بان الناس قد يستغلون خبر موت  
السلطان ويحاولون تعيين سلطان اخر . فرحل السلطان الى مصر ومعه الاتابك وبعض  
خواصه من الامراء امثال بدر الدين بيسرى الشمسي وسيف الدين قلاوون وبدر الدين  
بيليك الخزندار (٢) .

وفي الطريق التقى عز الدين ايدمر الحلي قادم من مصر بجماعة من الجنود  
لاستقبال قطز ، فاعلم عز الدين بما حصل ، فحلف يمين الولاية للسلطان الجديد  
وقفل راجعا يتقدمه الى القلعة ليخبر الامراء بموت قطز ويحلفهم يمين الولاية لبيبرس  
بعد ابلاغهم وعزل السلطان وعود السلطان لهم . وفي ليل ١٩ ذى القعدة  
سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ دخل السلطان القلعة . وفي الصباح نادى المنادى في  
القاهرة :

ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص  
٢١٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤١٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٧ ، ابن تغري بوردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٨ . راجع ايضا ملحوظات ص  
٦٤ اعلاه .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ،  
المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ابن تغري بوردى ، كالنجوم ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .

وهنا نصح الوزير زين الدين بن الزبير السلطان بتغيير هذا اللقب الى الظاهر

وفي اخر النهار صار النداء بالسلطنة للملك الظاهر (١) .

وكانت القاهرة مزينة لاستقبال المظفر قطز ، وبقيت الزينة ولكن الاستقبال صار

للسلطان الجديد . اما الناس فاحسوا ببعض الغم ان انهم خشوا عودة البحرية وخافوا

ان يرجعوا الى ما عرفوا به من افساد وتخريب ولكنهم راوا انه لا مندوحة من التهليل واطهار

الطاعة ، فاخذ زعماءهم يتوافدون على قلعة الجبل يحلفون لهيمن الولا . وظلوا كذلك الى

ما بعد العصر (٢) .

وهكذا رقي بيبرس الى اعلى مركز يمكن ان يطمع اليه ملوك في ذلك الوقت . فقد

كان مملوكا اشتراه علاء الدين البندقدارى ثم صار في خدمة الملك الصالح نجم الدين

ايوب - فبرز عنده ، ثم خدم ابنه المعظم تورانشاه ، ثم اشترك في اغتياله ، ثم هرب الى

بلاد الشام عند مقتل فارس الدين اقطاي ، وتنقل فيها بين صاحبي دمشق والكرك ، الى ان

رجع الى مصر في خدمة قطز ، ثم خرج معه الى بلاد الشام لمحاربة التتر ، وفي طريق

العودة الى مصر بعد النصر على التتر ، اغتال المظفر قطز ، وصار سلطانا وبدا يك تحققت نبوءة

المنجم .

حقا ان سنة ٦٥٨ هـ كانت ذات اهمية . ففيها زحف التتر الى بلاد الشام

وخربوها - ثم انكسروا في عين جالوت وتراجعوا ، ثم قتل المظفر قطز ، واستلم السلطنة

بعده الملك السلطان الظاهر ركن الدين ابو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقدارى

الصالح النجمي الايوبي التركي (٣) .

(١) اليونيني ج١ ، ص ٣٧٢ ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، ابن ابي الفضائل ص

٦٩ - ٧٠ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٣٦ و ٤٣٧ . وان ابي الفضائل يختلف عن البقية

بجعل موعد الوصول الى القلعة في ١٦ ذى القعدة .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٧ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ج ٢ ، ص ٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص

٢١٧ ، ابن ابي الفضائل ص ٦٧ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٣٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم

الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ابن ايامر ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) ابو شامة ، ص ٤١١ ، ابن عبد الظاهر ص ٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٩٤ .

بيبرس يوطد سلطانه

اذا تذكرنا الظروف التي رافقت وصول بيبرس الى السلطنة عرفنا ان السلطان الظاهر لابد ملاق صعوبات جمة قبل ان يتوطد سلطانه • كان هنالك عدد من الامراء المنافسين له على السلطنة ، وكان الناس يكرهون حكم البحرية لانهم مفسدون مخربون ، ولانهم قوم مسهم الرق (١) • زد الى هذا ما يواجهه في الخارج من اخطار من التتر والفرنجة وقد تركت الموضوعين الاخرين الى الفصل الذي يتناول السياسة الخارجية ، وقد كان يمكن الحديث عن الموضوعات الاولى في معرض الحديث عن سياسته الداخلية ، ولكنني آسرت الحديث عنها في فصل خاص لانها وقعت في بداية عهده ، ولانها لم تكن لها صفة الاستمرار •

١ - الادارة الجديدة :

كان الظاهر قد بدأ بتعيين حكومته الجديدة وهو في القصير ، حيث قتل قطز • وقد عين فارس الدين اقطاي المستعرب (٢) • اتابكا لجيشه ، وعين بعض امراء الملك الصالح نجم الدين ايوب ، معاونين له • ولما وصل قلعة الجبل في القاهرة ، تابع تعيين اعضاء ادارته ، الجديدة • فامر ما فعله في القصير ، واستبقى صاحب زين الدين يعقوب الزبير على الوزارة (٣) • ثم عين اموش النجيبى استاذ الدار ، وعز الدين الافهم امير

- (١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣ •
- (٢) من ممالك الملك الصالح نجم الدين ايوب ، صار اتابكا لقطز ثم استمر اتابكا للظاهر حتى توفي في جمادى الاولى سنة ٦٧٢هـ / ابن كثير ج ١٣ ، ص ٢٦٦ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٦١٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٤٢ ، وينقد هذا الاخير بالقول ان الظاهر كان يتبهم به لكنه لم يسعه الا ان يبقيه لحزمه وعزمه وحسن رايه • ولما راي فارس الدين ان الظاهر يقرب اليه بيليك الخزندار تمارض نحو من سنة حتى مات •
- (٣) ولم يطل الامر به حتى عزله في ٨ ربيع الاول سنة ٦٥٩هـ وعين مكانه صاحب بها • الدين بن حنا • (اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٩) راجع ص ١١٨ ادناه •

جاندار ، وحسام (٢) الدين الدرفيل وسيف الدين بلبان الرومي ودادين ، وبهاء  
الدين الشهرزوري امير اخور ، وبدر الدين بيسرى الشمسي ، وسيف الدين قـالـوون  
وبدر الدين بكتوت ، وعز الدين بيدغان المعروف بسم الموت ، ولبان الهاروني فسي  
رتبه مقدمي الف ، وركن الدين اباجي ، وسيف الدين بكجري ، حاجيين (٣) .  
ثم اخذ يكتب للملوك والامراء في بلاد الشام واليمن والمغرب يبلغهم بانـه  
اصبح السلطان الامر الناهي . كتب الى الملك الاشرف (٣) صاحب حمص ، والسى  
الامير منصور صاحب حماه ، والى الامير مظفر الدين عثمان صاحب صهيون ، والسى  
الاسماعيليه ، والى الملك السعيد المظفر علاء الدين علي بن اولو نائب حلب والى  
الامير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق (٤) . فاجابه الملك الاشرف والامير  
المنصور والامير مظفر الدين عثمان بالاعتراف بسلطانه وبالطاعة له . وفي ١٠ ذى  
القعدة سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ جاءه صاحب حمص وحماه الى دمشق واعلنا خضوعهما  
له (٥) . اما صاحب الاسماعيليه وعلم الدين سنجر فلم يجيباه الى الطاعة وسنتحدث عن  
كل منهما على حدة .

- 
- (١) وهو "صيام" عند المقرئى ، السلوك ، ص ٤٣٨ .
  - (٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٦٧ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٣٨ ، ابن اياس ج ١ ، ص ٩٨ ، ٩٩ .
  - (٣) كان الاشرف وصل الى بعلبك في مستهل شعبان سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ وانره نائب هولاكوفي بلاد الشام نائبا على حمص والرحبة وتدمر وتلا باشر وقلاعها ، ثم جعل بلاد الشام كلها تحت نظره " (اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٥٦ و ٣٦٠) .
  - (٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ج ٢ ، ص ٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٦٨ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٣٦ ، ٤٤٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ٩٩ و ١٠٠ .
  - (٥) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٥٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٢ ، انظر ملحوظة ٥ ، ص ٧ اعلاه ، وفي شعبان سنة ٦٥٩ هـ جاءه الى القاهرة صاحب الموصل لتهنئته بالسلطنة فتلناه بالترحيب ثم جاءه صاحب الجزيرة وسنجر . (المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٠ - ٤٦١) .

ثم اصدر تعليماته بضرورة الاتصال بالبحرينة الذين كانوا لا يزالون مشركين خارج مصر ليعودوا اليه (١) . ونفى الملك المنصور نور الدين على بن عز الدين ايبك وامه واخاه الى الاشكري ، وقد كانوا معتقلين بالقلعة من ايام قطز (٢) .

ولكن هذه للتدابير لم تكن كافية اذ ان الناس كانوا لا يزالون يشعرون بالخوف من البحرية . فعمد الى الغاء الضرائب التي كان قطز استحدثها بحجة جمع الاموال لتجهيز الحملة على التتر . ثم اطلق سراح المساجين من اصحاب الجرائم ، ومن الجنود وانعم على الامراء ووجههم الخلع والعطايا . فكان لهذه التدابير اثرها في النفوس ، فانفرجت اسارى الناس واخذوا يقيمون الزينة ويدعون له (٣) .

وانتهت السنة . وكان لا يزال امام الظاهر تدبير آخر شكلي ينبغي القيام به وهو الركوب بشعار السلطنة (٤) .

---

(١) ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٣) ابن عبد الظاهر ص ١٩ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، ابن ابي الفضائل ص ٦٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ .

ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) وشعار السلطنة " فاشية سرج من اديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة والاعياد ونحوها . يحطها احد الركاب دارية رافعا لها على يدي يملفتها يمينا وشمالا وهي من خواص المملكة ومنها المظلة ويعبر عنها بالجتسر " . لكنه ينبغي ان نلاحظ انه كان لكل موكب او احتفال ترتيب . (القلعشندي ج ٤ ، ص ٧ - ٨) .

وفي يوم الاثنين السابع من صفر سنة ٦٥٩ هـ / كانون الاول سنة ١٢٦٠ ركب

الظاهر بشعار السلطنة وخرج من قلعة الجبل في هيبة الملك ثم نزل من وراء  
القاهرة وعاد فدخلها من باب النصر وشقها حتى خرج منها ثمانية من باب زويلة  
وكان الامراء والاعيان والجنود بين يديه • وقد زينت القاهرة فبرزت في حلبة بهيمة  
ونشرت الدنانير على السلطان في الشارع • ولما عاد الى القلعة منح امراءه ومقدميه  
وخواصه اموالا طائلة (١) •

كان هذا اول خروج الظاهر في موكب رسمي ، لكنه اتخذ من مثل هذه الموكب  
خطة رسمية فيما بعد • فكان يخرج على هذا الشكل الى لعب القبق مرة او مرتين (٢)  
في الاسبوع - لان مثل هذه الموكب تؤثر في الناس وترهبهم •  
ثم اخذت تتوالى عليه الاحداث التي تحتاج الى نشاط عسكري واليها وجه  
الظاهر اهتمامه •

## ٢ - ثورات ومحاولات انفصالية :

لاقى الظاهر في السنتين الاوليين من عهده ثورات ومحاولات انفصالية  
كثيرة ، كان بعضها خطيرا ، ولكنه استطاع القضاء عليها جميعا والمحافظة على  
سلطانه بفضل تدابيره السريعة العسكرية والسياسية معا • وقبل الحديث عن  
الحركات الانفصالية الخطيرة لابد من الاشارة الى بعض حوادث صغيرة  
حدثت في مصر •

وفي اواخر سنة ٦٥٨ هـ قام جماعة من السودان الركاب دارية بثورة فسي  
القاهرة مطالبين بعودة ال علي الى السلطنة • وكان زعيمهم يعرف بالكوراني لكن  
الجيش قضى عليهم في ليلة واحدة وعلقهم على باب زويلة (٣) •

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، وج ٢ ، ص ٩١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٤٤ •

(٢) راجع ملحوظة اعلاه •

(٣) المقريزي ، السلوك ، ص ٤٤٠ •

وفي ربيع الاول سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ جاء احد اجناد الامير عز الدين الصقلي (او الصقلي) الى السلطان الظاهر وبلغه ان استاذه يفرق الاموال على جنوده لتأييده في افتيال السلطان . وكان الامراء علم الدين الغتبي وبهادر المعزى وشجاع الدين بكتوت بين المشتركين في هذه المؤامرة ، فاعتقلهم الظاهر وقضى على المؤامرة فهداها (١) .

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٠ هـ قاد قاضي المقيس في مصر انتفاضة — الشهزورية والاكراك واستدعى شخصا من بني العباس لتنصيبه خليفة واقامة دولة اخرى غير دولة المماليك ، فقبض الظاهر عليه وشنقه عشية الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة (٢) . وفيما يلي عرض للمحاولات الخطيرة وللاجراءات التي اتخذها السلطان .

#### اولا - سنجر الحلبي :

كان علم الدين سنجر الحلبي طامعا بالسلطنة منذ عهد عز الدين ايبك التركماني . وقد نوى الاستيلاء على السلطنة بعد مقتل عز الدين ، لكن الامراء لم يؤيدوه ، فاضطر الى التخلي عن المطالبة بالسلطنة ، ثم ثقل امره على الناس فسجن في ربيع الآخر سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ في الاسكندرية الى ان افرج عنه السلطان المظفر سيف الدين قطز . وعينه نائبا على دمشق بعد معركة عين جالوت (٣) .

ولما علم بمقتل السلطان قطز ظن الفرصة مواتية للعصيان والاستقلال . فاذا لم

ينل السلطنة في القاهرة فلتكن له دمشق . وفي السادس من ذي الحجة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ ، اى بعد سلطنة الظاهر بايام ، جمع علم الدين سنجر الامراء والاعيان في دمشق وطلب منهم ان يقسموا له يمين الطاعة . لم يكن قد اعلن العصيان بعد ، وانما طلب ان يخطب

---

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٣٩ ، وج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٧٩ ، المقرئى السلوك ص ٤٤٧ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٠٨ ، ويقول هذا الاخير (ص ١٦٦) ان الظاهر عاد فانرج عن علم الدين الغتبي في ٢٦ شعبان سنة ٦٧١ هـ .

(٢) ابو شامه ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٢ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

لهما معا في دمشق وان تكون السكة باسميها معا وان يكتب على احد وجهيها  
" الملك الظاهر ركن الدنيا والدين " وان يكتب على الوجه الاخر " الملك المجاهد علم  
الدنيا والدين " . ثم اتصل بصاحب حمص وصاحب حماه وصاحب حلب طالبا منهم  
ان يؤيدوه في ذلك . ولم يؤيدوه امراء البلاد الشامية ، اما امراء دمشق فانقسموا  
بين مؤيد ومعارض . واما اهل دمشق واعمالها فسروا بذلك سرورا عظيما (١) .

هذه ثورة يواجهها الظاهر بيبرس فور اعلانه سلطانا . فلا بد من القضاء

عليها بسرعة قبل ان يمتد شررها ، لاسيما والتتر لا يزالون على تخوم بلاد الشام  
يتحينون الفرصة . ويزيد في خطورتها ان اهل دمشق ناصروا علم الدين . ولندكر  
ايضا ان بعض الامراء لم يبايعوا الظاهر بالسلطنة عن رضى . لذلك كان استمراره  
في السلطنة يعتمد ، الى حد بعيد على القضاء على هذه المحاولة ، وعلى الاحتفاظ  
ببلاد الشام ، وهي الدرع الواقى للسلطنة المملوكية ازاء خصومها التتر والفرنجية  
على السواء . ولندكر هنا ايضا ان الظاهر لم يخرج من القاهرة قبل ان يتأكد  
من فوزه على خصومه في بلاد الشام .

ارسل الظاهر بيبرس الامير جمال الدين اقوش المسمى الى بلاد الشام

يحمل كتابين . ثم اتبعه بجيش يقوده علاء الدين البندقدارى وبهاء الدين بنغدى  
الاشرفي ، وارسل ايضا الى البرلي نائبه في الساحل للمحاق بعلاء الدين الى دمشق  
للمعاون معهما على سنجر (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، ابو شامة ، ص ٢١٠ ، اليونيني ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ج ٢ ص ٣ ، ابوالفداء ، ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، المقرئ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن

ياس ، ج ١ ، ص ١٠٠ .  
(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، ج ٢ ص ٩٢ ، ١١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم

الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٧ .

وكان احد الكتابين الى سنجر نفسه يلومه فيه على فعلته ويدعوه الى الطاعة، ثم يهدده ، اذا اصر على موقفه \* ووصل الامير جمال الدين الى ظاهر دمشق في ٣ صفر سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م. واطلع سنجر على الكتاب وكان هذا الكتاب دفعه خطوة اخرى بعيدا عن الظاهر فجاهر بالاستقلال ، وقطع الخطبة باسم الظاهر ، وانفرد بها ، ثم ركب بشعار السلطنة ، وجمع العمال لعمارة قلعة دمشق (١) \*

عند ذلك ابرز جمال الدين الرسالة الثانية وهي موجهة لامراء دمشق وفيها تواقع بعود واموال وخلع يبذلها الظاهر لهم \* فخرج بعضهم عن طاعة الملك المجاهد وانضموا الى جمال الدين بظاهر دمشق \* وكانت الجيوش الظاهرية قد وصلت ايضا \* وفي ١٣ صفر خرج سنجر بجيوشه لمقاومة جيوش الظاهر ، فغلب على امره وهرب الى القلعة ، حتى اذا هبط الليل ، غادرها الى قلعة بعلبك ، ودخلت الجيوش الظاهرية دمشق واقامت فيها الخطبة للملك الظاهر (٢) \* وبقي علاء الدين بدمشق يدير شؤونها باسم الملك الظاهر نحو من شهر حتى جاء علاء الدين طبرس الوزيري من قبل الظاهر نائبا على قلعتها ومسؤولا عن اموالها (٣) \*

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٣ و ٣٧٤ ، ج ٢ ، ص ٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ابن تغري بروي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٨٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ \*
- (٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ، ابو الفداء ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٧٧ - ٧٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٤٤ ، ابن تغري بروي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، وينفرد هذا الاخير بجعل المعركة يوم السبت ، ١١ صفر \*
- (٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، ج ٢ ، ص ٩١ ، ١١٨ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٩ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٧٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٤٥ ، ابن تغري بروي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٨ \*

ثم راحت الجيوش الظاهرية تطارد سنجر الى بعلبك حتى اذا اعتقله فيها ارسلته الى مصر مقيدا في ١٦ صفر، فارسل الظاهر الامير بيسرى للقائه ، وادخله من باب القلعة خفية ، ثم عاتبه عتابا خفيفا ، وعانقه ، وادناه اليه ، واكرمه ، واطلق سراحه ، فعاود محاولة الاستقلال في حلب مرة ثانية ففشل ايضا (١) .  
واعقب هذا النصر خضوع سائر المدن الشامية للظاهر (٢) .  
ثانياً : شمس الدين اقوش البرلسي : (٣) .

كان قنطر تدعيته واليا على نابلس وغزة والسواحل وكان معه الامير بهاء الدين بغدى الاشرقي (٤) . وقد ذهب الى دمشق بصحبة علاء الدين البندقدارى لمحاربة سنجر الحلبي . ثم ورد الامر من الظاهر الى علاء الدين لاعتقالهما واعتقال جماعة من العزيزية ، ففر الجميع لكن بغدى عاد وسلم نفسه في ربيع الاخر سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ وحمل الى القاهرة وحبس في قلعتها حتى مات في السجن (٥) .  
اما البرلسي وجماعة الاشرقية والعزيزية والناصرية فواصلوا الفرار (٦) . فكتب علاء الدين للبرلسي يلومه على الهرب ويقول له ان المقصود هو بهاء الدين بغدى وحده ثم ارسل اليه " مثالا من مصر يرضيه " لكن البرلسي لم يثق به . واتصل بالاشراف صاحب حمص يحرضه على الثورة فلم يجبه . ثم اتصل بامراء حماه فاجابه بعضهم ووعدوه بانهم مستعدون لان يفتحوا له القلعة . وعرف المنصور صاحب حماه ، بالموءامرة فغير الحرس المتأمنين من دون ان يشعرهم بانه عالم بالموءامرة ، ففشلت خطة البرلسي (٧) . فعاد الى

- (١) ملحوظة ٣ ص ٧٣ . وص ٧٥ ادناه
- (٢) ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٩
- (٣) وهو برلسي برلو عند ابي شامه ص ٢١٥ ، والبرلسي عند ابن ابي الفضائل ص ٨٠ و ٨١ .
- (٤) ابن عبد الظاهر ص ٣٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢ .
- (٥) اليونيني ج ١ ص ٤٣٩ ، ج ٢ ص ٩٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ .
- (٦) ابن عبد الظاهر ص ٣٢ .
- (٧) اليونيني ج ٢ ص ١٠٤ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ .

المنصور نفسه يحرضه على الثورة ويدعوه الى تزعم الحركة الايوبية لاستعادة السلطنة فرد عليه المنصور نافيا ان يكون له مطمح بالسلطنة ، معلنا اقتناعه بحماه وطاقته لصاحب مصر ، منكرا على البرلي وامثاله ان يكونوا وفوا " لاحد من بيت " استاذهم حتى يفوا له . هنا هاجم البرلي حماه ثم ذهب الى شيزر .

وهنا لم يجد البرلي امامه الا اللجوء الى الحيلة . امر جنوده ان لا يلبسوا لباس الحرب وقصد بهم حلب واتصل بنائبيها منذ ربيع الاخر سنة ٦٥٩ هـ فخر الدين الحمصي للتوسط له عند السلطان الظاهر . وخرج فخر الدين الى ظاهر البلد ليلقاه ووجرت بينهما مفاوضة يبدو منها ان البرلي اعلن استعداده للعودة الى طاعة الظاهر مشروطا لقاء ذلك ان يعين نائبا على حلب ، ومقدما على مساكرها ويعطي جماعته اقطاعات ، من غير ان يجتمع بالملك الظاهر لقاء ذلك . واحسن فخر الدين بما يخامر نفس البرلي من طمع وخشي على نفسه منه ، فوعده بالذهاب الى القاهرة للتوسط لدى السلطان .

وخرج فخر الدين الحمصي من حلب ، فدخلها البرلي ، وعزل انصار الظاهر ونائبيه ، واقراصحابه فيها ، واقطعهم الاراضي ، ثم وزع الغلال المخزونة في المدينة على الاعراب الوافدين عليه بقيادة الامير ابن حديشة (١) .

وكتب فخر الدين الحمصي الى الظاهر يعلمه بما جرى ، فارسل السلطان جمال الدين اقوش المحمدي لمطاردة البرلي واعتقاله ، والتقى المحمدي بفخر الدين قادمًا من حلب فغاضم هذا الى المحمدي بناء على رسوم من الظاهر ، لمحاربة البرلي . ولتقوية الجيوش المطاردة للبرلي عفا الظاهر عن سنجر الحطبي ، وفي جمادى الاولى ولاء نيابة السلطنة بحلب ووضحه ما يلزم للقيام بشؤون النيابة . وجهز له جيشا يحارب به البرلي .

(١) اليونيني ، ج ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ابر الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٨١ .

ثم ضم اليه عز الدين الدمياطي ايضا . وخرجت هذه الجيوش من مصر في شعبان ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ قاصدة حلب . ولما علم البرلي بقدومها هرب الى الرقة فتبعه جمال الدين افوش المحمدي وادركه فيها فعاد البرلي الى المالينة والمخاتلة مرة اخرى واطعن خضوعه للسلطان وطلب من الاميران يتوسط له لدى بيبرس على ان يبقى له امارة حران لانه طرد التتر منها . ثم هدد باللجوء الى التتر ان لم يفعل ذلك فوعده المحمدي بالتوسط له لدى السلطان وتركه يذهب الى حران . (١) .

اما سنجر الحلبي فبقي نائبا في حلب . ثم عاد يحاول مرة اخرى ان يستقل فاتصل بوالي البيرة يعده بمبلغ من الذهب مقابل تسليمه المدينة . فاخذ الوالي المال ولم يسلمه المدينة - فاتصل بالبرلي في حران واستدعاه اليه واجتمعا في تل باشر (٢) فانضم عدد من رجال سنجر الى البرلي ، فضعف شان سنجر ، فهرب امام البرلي فدخل هذا الى حلب في رمضان ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ وارسل جنوده لمطاردة سنجر ولم يدركوه (٣) .

ومرة اخرى وجد الظاهر حلب تخرج من يديه فارسل جيشا لاستعادتها ففر البرلي في اوائل سنة ٦٦٠ هـ الى حران ثم الى امد ، لكنه عاد الى حلب بعد عودة الجيش وتظاهر بالطاعة للظاهر فعفا عنه السلطان وثبته في النياحة عليها . ولما اغار التتر على الموصل استنجد صاحب الموصل بالبرلي فاستاذن هذا الظاهر بالتوجه الى الموصل لمعاونة صاحبها ، فاذن له الظاهر شرط ان ينتظر جيشا اخريبعث به اليه ليوافيه في حران . فخشي البرلي ان يكون ذلك

(١) اليونيني ج ٢ ص ١٠٥ و ١٢٢ ، ابو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٠  
(٢) قلعة على نهر ساجور عند مئيتاب شمالي سوريا ، لم يذكرها المؤرخون العرب فيسير الحروب الصليبية . واكثره سكانها ارمن نصارى .  
E Honigmann ("Tel Bachir" EI) م ٤ ، ص ٧٢٢ - ٧٢٣ .  
(٣) اليونيني ج ٣ ص ١٠٦ ، ابن تغري بردى للنجوم ج ٧ ص ١١٣ .

في حران • فخشي البرلسي ان يكون ذلك شركا لامتقاله، فتصد سنجار • ثم وصل الامراء  
شمس الدين سنقر الرومي وعلاء الدين طيبرس الوزير وعلاء الدين البندقداري، فوجدوا  
ان البرلسي فرقتسلماو حلب وبقي علاء الدين البندقداري نائبا فيها • اما طيبرس فعاد  
الى دمشق، وسنقر فعاد الى القاهرة (١) •

وعرض هولاءكو على البرلسي ان ياتي اليه، فرفض البرلسي • وكانه تيقن ان حياة  
التشرد لن تجديه نفعا فاعلن ولاءه للظاهر، فعفا عنه السلطان، وجاء الى مصرفي  
ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ واکرمه الظاهراى اكرام واکرم العزيزية والناصرية  
الذين معه ايضا، ثم كتب له منشورا بستين فارسا واعطاه طبليخاناه، وصار يصطحبه في  
رحلات الصيد، لكنه عاد فاعتقله في ٢٨ رجب سنة ٦٦١ هـ، وكان ذلك اخر  
العهد به (٢) •

### ثالثا : المغيـث صاحب الكرك (٣) •

المغيث ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر الذي صار ملكا على مصر بعد وفاة  
الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٢٢ ثم سجنه الملك الصالح نجم الدين ايوب واستولى على السلطنة  
يد لامنه • كان شيخ الشيوخ في مصر اراد ان يمنح السلطنة للمغيث هذا بعد وفاة الملك الصالح نجم  
الدين لكن حسام الدين بن علي نائب السلطنة اعتقله بقلعة الجبل حتى جاء المعظم تورانشاه

- (١) ابن عبد الظاهر، ص ٤٣، اليونيني، ج ٢، ص ١٥٣، ابن ابي الفضائل ص ٩٥ - ٩٧،  
ابن الفرات ج ٦، ص ٢٨ والمقريزي، السلوك، ص ٤٧٥، ٤٧٦ • وقبل توزع الحطمة  
على هذا الشكل قصدت انطاكية وامعنت في اعمالها تخريبا ونهبيا وحرقا •
- (٢) ابن عبد الظاهر ص ٤٣، ٥٢، ٥٦ اليونيني ج ١، ص ٤٩٣، ٥٣٣، ج ٢ ص ١٩٤،  
ابو الفداء ج ٣، ص ٢٢٣، ابن ابي الفضائل، ص ٩٧، المقريزي، السلوك، ص ٤٧١،  
٤٧٦ •
- (٣) لا ذكر لها مع الفتوح العربية الاولى • واول ما ذكرت في عهد الصليبيين • ظنها هو • لا •

البتراء • بنيت سنة ١١٤٢ م • ثم صارت هنتفي السلطان المماليك • وقد بنى الصليبيون  
الشويك سنة ١١١٥ في عهد بحدوين الاول باسم Crac de Montreal او Mons Regalis

E Honigmann F Buhl Art "Karak" EI م ٢، ص ٨٥٥ و

Art "Shawbak" E I م ٤، ص ٢٤ - ٢٤١ وعلي ابراهيم حسن ص ٤٥ •

الشويك معتقلا . وبعد مقتل المعظم ، افرج عن المغيث ، وملك الكرك (١) .

وفي سنة ٦٥٩ هـ تسلم الظاهر الشويك من نواب المغيث فيها ، بناء على

اتفاق سرى بين الظاهر والنواب (٢) . فجهز المغيث الشهرزورية واغار بهم على

الشويك واستعاده ، لكنه اعلن الطاعة للظاهر حين اراد هذا استعادته . وسكنت

الظاهر لانهماكهما بدمشق وحلب . لكن الظاهر والمغيث . كانا بعد هذا ، لا يأمنا

الواحد منهما للاخر . فلما ذهب الشهرزورية الى مصر افراهم السلطان فانفصلوا

عن المغيث ، وكتب المغيث الى بعض امراء مصر والى جماعة من الشهرزورية يستميلهم

اليه . ثم اتصل بهولاكو . ثم عادا فتصالحا سنة ٦٦٠ هـ وفقا للظاهر عنه واتطع

ابنه الملك العزيز ذيبيان (٣) . لقد كان الظاهر يترث الفرصة السانحة .

وسنحت الفرصة سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . يوم السبت السابع من ربيع الاخر

سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ تصد الظاهر بلاد الشام ، مارا بمسجد التبنا حيث بقي حتى

العاشر منه ، وبغزة التي دخلها في ٢٧ منه . وهنا جاءته والدة الملك المغيث تشفع

بابنها وترجو الظاهر ان يعفو عنه . فتظاهر السلطان بقبول شفاعتها . ثم انتقل الى

الطور في ١١ جمادى الاولى وطلب من المغيث ان يوافيه اليها .

ولما كان المغيث لا يثق بالظاهر فانه ارسل له رسالة شفعية اغظ لسه

فيها الكلام ، ثم راح يسوف غي الذهاب اليه . وتعززت مخاوفه حين جاءته رسائل من

بعض اصحابه تخوفه من تصد السلطان وتؤكد له النية باعتقاله . ومنها رسالة من ناظر

خزانة الظاهر ينصحه بعدم الذهاب الى ملاقاته السلطان . ولم ييأس السلطان وانما

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣٩ و ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ابو الفداء ج ٣ ، ص ٢٢٣ ،

ابن ابي الفضائل ، ص ٧٩ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، اليونيني ، ج ٢ ص ١٠٧ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٦٨

الشويك معتقلا . وبعد مقتل المعظم ، أفرج عن المغيث ، وملك الكرك (١) .  
وفي سنة ٦٥٩ هـ تسلم الظاهر الشويك من نواب المغيث فيها ، بناءً على  
اتفاق سرى بين الظاهر والنواب (٢) . فجهز المغيث الشهرزورية وأغار بهم على  
الشويك واستعاده ، لكنه أعلن الطاعة للظاهر حين أراد هذا استعادته . وسكنت  
الظاهر لانهماكه بدمشق وحلب . لكن الظاهر والمغيث . كانا بعد هذا ، لا يأمن  
الواحد منهما للآخر . فلما ذهب الشهرزورية الى مصر افراهم السلطان فانفصلوا  
عن المغيث ، وكتب المغيث الى بعض امراء مصر والى جماعة من الشهرزورية يستميلهم  
اليه . ثم اتصل بهولاكو . ثم عادا فتصالحا سنة ٦٦٠ هـ وعفا الظاهر عنه واقطع  
ابنه الملك العزيز ذيبيان (٣) . لقد كان الظاهر يترث الفرصة السانحة .  
وسنحت الفرصة سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . يوم السبت السابع من ربيع الاخر  
سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ قصد الظاهر بلاد الشام ، مارا بمسجد التبن حيث بقي حتى  
العاشر منه ، وبغزة التي دخلها في ٢٧ منه . وهنا جاءته والدته الملك المغيث تشفع  
بابنها وترجو الظاهر ان يعفو عنه . فتظاهر السلطان بقبول شفاعتها . ثم انتقل الى  
الطور في ١١ جمادى الاولى وطلب من المغيث ان يوافيه اليها .  
ولما كان المغيث لا يثق بالظاهر فانه ارسل له رسالة شفعية افظل له  
فيها الكلام ، ثم راح يسوف غي الذهاب اليه . وتعززت مخاوفه حين جاءته رسائل من  
بعض اصحابه تخوفه من قصد السلطان وتؤكد له النية باعتقاله . ومنها رسالة من ناظر  
خزانة الظاهر ينصحه بعدم الذهاب الى ملاقاته السلطان . ولم ييأس السلطان وانما

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .  
(٢) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٩ و ج ٢ ، ص ١٩٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ،  
ابن ابي الغضائيل ، ص ٧٩ .  
(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، المعري ، السلوك ص ٤٦٨

الذهاب الى ملاقاته السلطان \* ولم ييأس السلطان وانما بحث له برسالة رقيقة لطيفة اتسم فيها اربعين مرة بالطلاق من ام الملك السعيد مشفوعة بهدايا واموال ، حتى اخذ المغيـث وارسل الرسائل التي وردته من اصحابه الى الظاهر ، فعمد هذا الى حيلة اخرى ان زعم انه هو الذي امرهم بكتابة مثل هذه الرسائل يختبر امانته \* فاطمأنت نفس المغيـث بعض الشيء وقرر الذهاب الى السلطان \* فسار اليه في جمادى الاولى سنة ٦٦١ هـ حتى اذا وصل بيسان خرج السلطان يستقبله \* واراد المغيـث التـرجـل بين يدي الظاهر فمنعه هذا وسارا جنبا الى جنب الى باب دهلـيز السلطان فدخل الظاهر دهلـيزه ، اما المغيـث فاخذ الى خرقة اخرى حيث اعتقل \* ثم سيق الى قلعة الجبل بالفاخرة بحراسة شمس الدين اتسـنـقر الفارقاني ، فوصلها ليله الاحد ١٥ جمادى الآخرة ، وسجن فيها ، وكان اخر العهد به ، ان انتهت حياته في شوال سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ (١) \*

ولما قبض السلطان على المغيـث تغيرت وجوه الامراء وانكروا ما جرى \* فرأى السلطان ان يوضح لهم جلية الامر \* فاستدعاهم الى اجتماع حضره صاحب حمص وقاضي القضاة بدمشق ، وعرض عليهم كتب المغيـث الى التتر يدعوهـم فيها لمهاجمة البلاد ويحدهم بالعون ، ثم تليت اجوبة التتر على ذلك ، وطلب منهم الحكم في القضية \* ثم شفـع الظاهر حـجـته باستدعاء رسل من هولاء للمغيـث كان هذا اخفاهم وانكرهم ، فايدوا ما قاله السلطان فافتى الفقهاء بفسخ اليمين اذا صحت التهمة ، ثم سجلت وقائع الاجتماع (٢) \*

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٠ - ٥٣٢ ، وج ٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ابن الفرات ج ٦ ، ص ١ و ١٥ ق - ١٦ ، والمقريزي ، السلوك ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٥١٢ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، اما كيفية مقتله ، فيقال ان زوجة الظاهر امرت جواربها فقتلته بالقباض \* .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ ، وج ٢ ، ص ١٠٧ و ١٩٤ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ١٦ و ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٢ \*

ثم تسلم الظاهر الكرك في ٢٣ جمادى الآخرة ودخل قلعتها الجمعة في ٢٥ منه وانعم على من بها وفقر لمن أساء إليه لما كان شريداً إذ إن أهلها لم "يخامروا" عليه . ثم نظم شؤنها وأمر بحمل الخلال إلى المدينة والقلعة ووزع أراضيها أقطاعات على أمراءه . وعين عز الدين أيدمر نائبا عليها ، وحلف المقدمون والنصارى فيها يمين الولاء له ، ثم طاف بالقلعة والمدينة وأمر بعمارة ما تجب عمارته . وفي ٢٨ جمادى الآخرة تبلغت القاهرة ما جرى له . وفي ١٦ رجب وصل السلطان إلى قلعة الجبل ومعه أولاد الملك المغيث ونسأوه فانزل العزيز عثمان في دار القطيعة يبين القصرين ومنحه الهبات وأعطاه طبلخاناً . لكنه عاد فاعتقله سنة ٦٦٩ ( ١ ) .

أما أسباب اعتقال المغيث فإنها واضحة مما سردناه . وهي تعود إلى خوف الظاهر من منافسة المغيث له وأمكان تكثف الأيوبيين حوله للمطالبة بالعرش ثم تخوفه من اتصال المغيث بالتمر . ويزيد أحد المؤرخين أن لذلك الخلاف سبباً آخر هو أن المغيث راود زوجة الظاهر عن نفسها حين فرزوها من الكرك إلى غزة ( ٢ ) . ولذلك أمرت بقتله بالقباقيب .

وقد شك اليونيني بالتهمة التي وجهها الظاهر للمغيث . واعتبرها محاولة لتبرير ما فعله . وقد كان السلطان دفع ألف دينار لشخص ليقتل المغيث ، ثم سكر هذا الشخص وأفسى السر ( ٣ ) . ويعلق المؤرخون على هذا التدبير الظاهري ويعتبرونه دليلاً على سوء طباع السلطان وميله إلى الغدر والعنف ( ٤ ) . وليس النظر إلى هذه القضية من زاوية خلقية شخصية فقط صحيحاً .

( ١ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٧ و ٧٥ و ٨٠ و ٨١ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٢ ، ٥٣٣ ، وج ٢ ص ١٩٣ ، أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢٢٦ ، ابن أبي الفاضل ، ص ١٠٩ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ٢٥ ق - ٢٧ والمقريزي ، السلوك ص ٤٨٣ ، ٤٩١ . وقد جعل تاريخ

استلام الكرك ٢٤ منه .  
( ٢ ) أبو الفداء ، ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٢٦ .

( ٣ ) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

( ٤ ) Sir W . Muir ، ص ١٧ ، ١٨ .

ان الظاهر كان رجل دولة ، كان ينظر الى المغيث على انه خصم سياسي فينبغي التخلص منه باى ثمن كان .

وباعتقال المغيث زال كل خطر جدى من الايوبيين على السلطان المملوكي . وان تكن حمص (١) وحماة (٢) وصهيون (٣) بقيت بايدي امراء ايوبيين ، فان هو لا الامراء كانوا مخلصين للظاهر .

- 
- (١) تسلمها الظاهر سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤ عند وفاة صاحبها الاشرف . ابن عبد الظاهر ص ٩٢ ، ٩٣ اليونيني ، ج ١ ص ٥٥٦ و ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ابن ابي الفضائل ص ١٢٩ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٠٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢١ وقد جعل الوفاة والتسلم سنة ٦٦١ هـ .
- (٢) في سنة ٦٥٩ هـ تعاون صاحبها حمص وحماة على صد التتر ، ثم زارا السلطان بدمشق . وفي سنة ٦٦٠ هـ ارسل صاحب حماة يعتذر للظاهر عن عدم تمكنه من الحضور اليه . وفي رجب من نفس السنة ارسل اليه تترا اعتقلهم . وفي سنة ٦٦٤ هـ حارب صاحب طرابلس الصليبي وزار مصر فرحب بالظاهر . وفي ربيع الاول سنة ٦٦٥ هـ اذن له بزيارة الاسكندرية ، وفي سنة ٦٧٣ هـ زاره في القاهرة واكرمه . كانت علاقته بصاحب حماة جيدة عموما . الا مرة ، في سنة ٦٦٢ هـ ، فقد ارسل اليه ينبهه الى ضرورة الامتناع عن اللهو . وقد بقيت حماة بيد الايوبيين حتى سنة ١٣٤١ م . (ابن عبد الظاهر ، ص ٤٥ ، ٥٢ ، ٩١ ، اليونيني ج ٢ ، ص ٣٦١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٠ و ٢٢٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٢٤ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٢ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٧١ ، ٥٠٣ ، ٥٥٦ ، ٦١٤ ) .

- (٣) كانت علاقة الظاهر بصاحب صهيون حسنة عموما . وفي سنة ٦٦٠ هـ ارسل صاحبها هدية للظاهر . واتصل به سنة ٦٦٤ هـ وفي سنة ٦٦٧ هـ سلمه مفاتيح القلعة . وفي سنة ٦٧٠ هـ توفي صاحبها وفي السنة التالية تسلمها الظاهر . (ابن عبد الظاهر ، ص ٥٢ ، اليونيني ، ج ٢ ص ٣٤٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ و ج ٤ ، ص ٥٧ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤٥ ، ١٠٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧ ، ٥٧٩ ، ٦٠٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٣٩ .

رابعاً : الامير سيف الدين الرشيدى :

كان هذا الامير قد ساعد السلطان للحصول على العرش فاكرمه اى اكرام واقطعه الاقطاعات الواسعة . فصار يحمي حاشيته حتى ولو آذوا الناس واستبد بامرهم . وافضى الظاهر عنه لكن الطمع بلغ بالرشيدى ان اراد الاستقلال بالكرك فلم يعد الافضاء عنه ممكناً . علم السلطان ان الرشيدى اتصل بالمغيث ونصح به بعدم القدوم على السلطان ثم علم بعد اعتقال المغيث ، ان الرشيدى كتب لاهل الكرك ان لا يسلموا القلعة للسلطان وعرض عليهم ان يتسلمها بنفسه . فمنع الظاهر الامير ان يسبقه الى الكرك ، ثم اشاع بان امراء استلموا القلعة فسكتت حركات الرشيدى . ثم ثار الامير لما علم ان السلطان خدعه ، واتصل بالبولي والدمياطي وجاؤوا بثلاثماية فارس الى حيث كان السلطان يصلي ، وتنبه السلطان للمؤامرة واهزل لغلاوون بالاستعداد ، ثم جاء الامير عز الدين اوقان الركني وابعد الرشيدى عن الظاهر . ويقال ان سبب فضبة الظاهر على الرشيدى انه اجتج على اعتقال المغيث . وفي ٢٢ رجب سنة ٦٦١ هـ ، اعتقل الظاهر الرشيدى في القاهرة (١) .

ولئن كان الظاهر قد قضى على المحاولات الاستقلالية هذه فان هذا انسان لا يعني انه لم يلسق مشاكل اخرى من هذا النوع في السنوات التالية ، والواقع ان هنالك امراء حاولوا الثورة او التآمر عليه في مناسبات اخرى وفشلوا . وفيما يلي عرض لها .

في رجب سنة ٦٦١ هـ قبض السلطان الظاهر على عز الدين الدمياطي وكان هذا قد نال خطوة في عيني السلطان فنال حق الحصول على اى شىء يريد في بلاد الشام من فزة الى الفرات . ثم تبين له ايضا انه ارسل جماعة مسلحين

(١) ابن عبد الظاهر ص ٧٧ ، ٨٠ ، ابو الغداء ، مج ٣ ، ص ٢٢٧ ، الذهبى ، مج ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن ابي الفضائل ص ١١ ، ابن الفرات ، مج ٦ ، ص ٢٨ ، ٢٨ ق - ٢٩ ، والمقرزى ، السلوك ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٥ .

ملثمين واستولوا على ما كان السلطان وهبه لاولاد الملك المغيث ظنا منه ان السر  
لن ينفضح . وعرف السلطان بالامر وقبض عليه ، لكنه عاد فافرج عنه ، فيما بعد واكرمه (١)  
وفي سنة ٦٦٩ هـ تكشفت للظاهر مؤامرة يبدر انه كان لدلايويبيين ضلع فيها  
فاعتقل العزيز بن المغيث بتهمة الاتفاق مع الشهرزورية لاعتقال السلطان واستلام  
العرش مكانه - ثم عاد فاعتقل مقدمي الشهرزورية ايضا (٢) .

وفي ذى الحجة من السنة نفسها امر بالقبض على عدد من الامراء ، بينهم علم  
الدين سنجر الحلبي وجمال الدين افوش المحمدي وعز الدين ايغان سم الموت ،  
وسجنهم بقلعة الجبل بحجة ان هو لا كانوا قد اتفقوا على قتله حين كان يحاصر  
قلعة الشقيف وقد اسرها في نفسه يومذاك لكن مدة اعتقالهم لم تطل اذ شرع  
بعد قليل من الوقت يطلق سراحهم ويقطعهم الاقطاعات الواسعة لان فيهم من ناصره  
في بداية عهد (٣) .

وفي سنة ٦٧٣ هـ عرف الظاهر ان ١٣ اميرا كاتبوا التتر يحرضونهم على  
فزو بلاد الشام . فاعتقلهم الظاهر ، ولما افروا بما فعلوا اعدمهم جميعا وكان اخر  
العهد بهم (٤) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٨ ، ٨٠ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، وج ٤ ، ص ٧ ،  
الذهبي ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١٠ ، ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ،  
ق ، المقريزي السلوك ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ،  
ص ١٥٤ .
- (٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٨٥ ، ابن الفرات ج ٦ ، قسم  
٢ ورقة ٨٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩٥ .
- (٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ، ابن الفرات ،  
ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة  
ج ٧ ، ص ١٥٤ .
- (٤) ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٢٦٨ .

على انه ينبغي ان نلاحظ ان هذه المحاولات كانت ترتدي طابعا فرديا فيسر  
خطير . ونلاحظ ايضا ان الظاهر اتبع ازاها جميعا خطة واحدة هي الاسراع في  
القضاء عليها بالقوة العسكرية ، وبالاعدام ، وبالحيلة ، قبل ان تستفحل . وينبغي ان  
نلاحظ ان مكانة الظاهر كانت بعد سنة ٦٦٢ هـ قد توطدت بحيث لا تستطيع مقاومة  
داخلية فردية ان تفسيه عن الحكم .

### ٣ - احياء الخلافة .

في محرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ تغلب هولاء على جيوش المستعصم بالله في  
بغداد ودخل عاصمة الخلافة العباسية فاتحا . وقضى على الخليفة والخلافة معا .  
وبذلك شغل منصب الخلافة نحو من ثلاث سنوات ، حتى رجب سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠  
حين احياها السلطان الظاهر بيبرس .

في رجب سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ ، بعد الانتصار على سنجر الحلبي في  
دمشق ، وصل الى القاهرة خبر من الامير علاء الدين البندقدارى والامير علاء الدين  
طبرس الوزيري ان رجلا وسيم الطلعة ، شديد القوة ، ذا شجاعة واقدام ، يدعي  
انه احمد بن الامام الظاهر ابن الامام الناصر وصل الى غوطة دمشق في نحو خمسين  
فارسا من عرب خفاجة عرفهم الامير سيف الدين قليح البغدادى ، فادما من بغداد ،  
بعد ان اطلقه التتر من سجنه . فصدر بيبرس تعليماته بضرورة الاهتمام بهذا القادم  
وبتسييره الى مصر بصحبة حجاب .

ويوم الخميس ٩ رجب وصل احمد الى المطرية بالقاهرة فلقاه السلطان  
والوزير وقاضي القضاة والشهود والمؤذنون والقراء والائمة واعيان الدولة واليهود  
بتواراتهم والنصارى بانجيلهم ، واهل المدينة ، مرحبين به . ودخل احمد القاهرة من  
باب النصر وشفاها وهو لابس السواد ، شعار بني العباس ، حتى خرج من باب زويلة

ثم صعد الى القلعة راكباً (١) .

ويوم الاثنين الثالث عشر من رجب، عقد السلطان الظاهر اجتماعاً في قلعة العمدة حضره الوزير والشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره من الفقهاء ، والائمة والعلماء والامراء والصوفية والتجار والكثير من الناس ، ثم وفد السلطان على الاجتماع وبصحبتهم احمد بن الامام ثم جلس السلطان مجلساً عادياً امام احمد " ولم تفرش له طراحة ولم يحط له كرسي ولا منبر " .

وكانت قضية التشبث من نسب الامام اول ما نظرفيه . شهد العربان بصحة نسبه امام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الاعز ، فقبل هذا الشهادة وثبتت نسبه ثم قام على قدميه وبايعه بالخلافة ، وتلقب باسم المستنصر ثم بايعه السلطان بها " على كتاب اللوم سنة رسول الله ( صلعم ) وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله واخذ اموال الله بحقها وصرفها في مستحقها " . ثم ركب الخليفة والسلطان وشقا القاهرة في وجوه الدولة واميانها ، والناس محتشدون يتفرجون على هذا المركب .

ويوم الجمعة ١٢ رجب ، ركب الخليفة من برجه في قلعة القاهرة الى جامعها وعليه الثياب السود وخطب خطبه ذكر فيها شرف بني العباس ثم قرأ الفاتحة وقرأ قسماً من سورة الانعام ، ثم صلى على النبي وترضى على الصحابة ودعا للسلطان ، ثم صلى بالناس صلاة الجمعة .

وفي ١٩ رجب ارسل الظاهر الى دمشق رسالة مطولة وصف فيها احتفال

التنصيب ودعا الناس لمبايعة الخليفة والخطبة له على المنابر .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٤ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤١١ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، وج ٢ ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، وقد جعل الامراء المرافقين لاحمد من بني مها رش ، وجعل وصوله في ٨ رجب ( ج ١ ، ص ٤١١ ) ، ابن ابي الفضائل ، ص ٨١ ، ٨٢ ، المقرئ ، ص ٤٤٨ ، ٤٦٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ١١١ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، وقد جعل الوصول الى دمشق في ١٩ رجب .

وفي نفس اليوم دعا السلطان الخليفة الى تزهة في الحراريق في النيل وطلعا الى

الجزيرة حيث اجرى استعراض بحرى حضره العامة ، ثم اقطع مماليك الخليفة اقطاعات

واسعة في نابلس ، ومنح مقدمهم طبلخاناه .

بقي بعد هذا ان يبايع الناس الخليفة قويا ، ان يقلد الخليفة بيبرس السلطنة ،

بصورة رسمية في احتفال علني عام ، اى ان يعلن للناس ان سلطنة الظاهر شرعية .

وفي مستهل شعبان سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م امر الخليفة بصنع خلعه سودا وطوق وقيد من

ذهب ، وبحملها الى خيمة منصوبة في بستان كبير في ظاهر القرافة ، ثم امر كاتب السر

الشريف ، فخر الدين بن لقمان ، ان يكتب التقليد بالسلطنة .

وفي الرابع من شعبان ركب الخليفة والسلطان والوزير ووجوه الدولة الى تلك الخيمة

فالبس الخليفة السلطان الظاهر بيبرس الخلعة وطوقه وقيده ، ثم صعد فخر الدين المنبر

وقرأ التقليد وقد بدأه بحمد الله الذي قيض للاسلام طوكا يعلنون شانه ، ثم حض الناس

على طاعة السلطان الظاهر واعترف بصنيعه الذي لا يفي الكلام لشكره مهجا طال ، لعطفه

على امير المؤمنين ثم قلده السلطنة على " الديار المصرية والبلاد الشامية والديار بكرية

والحجازية واليمنية والفراتية وما يتجدد من الفتوحات فورا وتجدد " ثم اخذ يوجه النصائح

للسلطان حتى يكون حكمه ناجحا عادلا ، وجعل الجهاد فرضا .

ثم بايع الناس الخليفة . وكتب السلطان الكتب الى الافاليم المختلفة يدعو

اهاليها لمبايعة الخليفة وللخطبة باسمه على المنابر ولضرب السكة باسمه . ثم ركب السلطان

بالخلعة والطوق وبين يديه الامير جمال الدين النجيبى الاستادار والوزير يحملان التقليد

والامراء والمشاة يشفون القاهرة موفد زينت اسواقها وضمت بالناس الالبسين الثياب الفاخرة

الداعين للسلطان بالنصر وبطول مدة الحكم ، ثم دخل السلطان القلعة وجلس على عرشه ، ومد



من اجتياز الفرات ، وبعث بسيف الدين الرشيدى وسيف الدين سنقر السرومي الى حلب لينجدا الخليفة اذا استدعاها . وفي ٢١ ذى القعدة (١) سار الخليفة نحو بغداد ومعه نحو ثلاثماية فارس حتى وصل الرحبة . وهنا رفض ابنا صاحب الموصل متابعة السير معه بحجة ان السلطان لم يعظهما مرسوما بذلك ، وانضم اليه ستون مملوكا من معاليك صاحب الموصل وبعض العرب من ال فضل ، وامير من حماه بنحو ثلاثين فارسا حتى بلغ جيوش الخليفة نحو الف جندي .

وبعد ثلاثة ايام فادر الخليفة الرحبة ومر على مشهد علي وزاوية الشيخ بوى ، ثم قائم عنقوا اجتماع هنا بابي العباس احمد ومعه نحو سبعمائة فارس . وجرت مفاوضات بينهما قبل ابو العباس بعدها بمناصرة الخليفة المستنصر . ثم تابع الخليفة سيره الى الحديثة ففتحها له اهلها ورحبوا به ثم انتقل الى النواوسه فالى هيث فدخلها عنوة في ٢٩ ذى الحجة وعرف قرابغا مقدم عمكر التترو بهادر على الخوارزمي شحنه بغداد بقدم الخليفة فخرجوا في عمكر بلخ خمسة الاف جندي الى الانبار فالى هيث<sup>حيث</sup> جرت المعركة في اواخر ذى الحجة سنة ٦٥٩ هـ واوائل محرم سنة ٦٦٠ هـ وهرب ابو العباس احمد وعدد من الامراء . اما الخليفة فلم يوقع له على اثر بعد ذلك . ولما علم السلطان بما جرى حزن حزنا شديدا " وراح ما صنعه في البارد " ( ٢ ) .

---

(١) بنسفي ان نلاحظان سير الخليفة من دمشق كان ٢٣ منه عند ابي شامة (ص ٢١٤) و ١٣ منه عند المقرئى (السلوك ص ٤٦٢) .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٢ ، ابو شامة ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، اليونيني جا ، ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٨٣ ، ٥٠٠ ، ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ابن ابي الفاضل ، ص ٨٨ ، ٩٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ابن تغرى بردى والنجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٥ ، ١١٧ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

وهنا ينبغي ان نسأل : لماذا عدل الظاهر عن تجهيز عشرة الاف جندي ؟ وهل  
اهتم الظاهر باستعادة بغداد ؟ ولماذا ؟ لم يستدع الخليفة الجند الذين كانوا في حلب  
ينتظرون اشارته ؟ ان قول ابن اياس ان ما صنعه السلطان راح في البارد دليل على ان  
السلطان كان يستهدف شيئاً من وراء هذا كله . ويثبت ذلك ان النفقات بلغت ارقاما ضخمة  
ولكننا لانعلم ما اذا كان هذا المبلغ رصيد للحملة بالذات ، ام انه هو كل ما انفق الظاهر  
على الخليفة منذ ان قصده في صرح حتى كانت نهايته في هيت . واذا كان هذا المبلغ  
قد رصد للحملة فقط ، فهل انفق ؟ او لماذا لم ينفق ؟  
الثابت ان الجيش الذي رافق الخليفة لم يعد الف جندي . فلماذا ؟ قيل انه جاء  
من همسرفي ان الظاهر ان الخليفة تقوى شوكته بعد استعادة بغداد وقد يخضعه من  
السلطنة . وقيل ان ابني صاحب الموصل لم يرافقه لانه لم يكن لديهما امر من الظاهر . ولعلهما  
عدلا عن مرافقته لسبب هجوم التتر على الموصل في ذلك الحين . ولعلهما فعلا ذلك للسببين  
معا . اولعل التتر قاموا بمهاجمة الموصل عندما علموا بالحملة على بغداد . وفي كل حال  
يبقى السؤال الاول عن السبب في عدم تجهيز عشرة الاف جندي بغير جواب قاطع .  
اما اهتمام الظاهر بفتح بغداد فيعود الى اشارة الخليفة من جهة والى ان مهاجمة  
بغداد جزء من خطة محاربة التتر من جهة ثانية . اضافة الى هذا ما يمكن ان يكسبه السلطان  
الظاهر من نفوذ معنوي بحال اخراج التتر من بغداد . ولكنني لا احسب الظاهر كان بالفعل  
يهتم باستعادة بغداد ، او انه كان يعتقد ان استعادتها امر معقول عسكريا . ان حفاوته  
بالخليفة كانت من قبيل المظاهر العفوية التي تفيد مركزه . ولقد احتفى بالخليفة في القاهرة  
ودمشق حيث ينبغي للناس ان يروا بانفسهم الخليفة والسلطان معا . اما الحملة فمناوشة لاكثر  
ولا اقل . ولو انه اراد فتح بغداد ، او لو انه اعتقد بما مكانية مثل هذا المشروع ، لقاد الحملة  
بنفسه . ثم انه ليس في وضع اخلي يمكنه من الاستعداد لمثل هذه الحملة (١) كما ان التتر

(١) حاول مرة اخرى مهاجمة بغداد - ثم عدل (ابن ابي الفضائل ، ص ١٤٥) .

والسلاجقة والفرنجية لا بد ان يختنموا مثل هذه الفرصة فيما لو اتاحها لهم .  
اما الجيوش الظاهرية المرابطة في حلب بانتظار اشارة الخليفة فانها عادت الى

مصر بعد فارة على اعمال انطاكية (١) . ولعل السبب في عدم استدعائها يعود الى ان  
الخليفة كان محاطا بالاعداء فلم يتيسر له الاستنجاد .

وهمقتبل المستنصر عمده الظاهر الى اقامة خليفة اخر . والخليفة الجديد هو ابو  
العباس احمد (٢) الذي فر من معركة هيث ثم دخل دمشق مع جماعة من الاعراب في ٢٢ صفر  
سنة ٦٦٠ هـ ، ثم سافر الى مصر في ٢٦ منه ولقيه الظاهر في الريدانية ودخلا القاهرة  
في ربيع الاول (٣) من السنة . فاحتفل به الظاهر وانزله بالبرج الكبير داخل القطعة ورتب  
له ما تدعو اليه الحاجة .

ومرة اخرى عاد السلطان الظاهر الى الاجراءات الضرورية لتنصيب الخليفة . فعقد  
(٤) مجلسا عظيما حضره الاميان والقضاة والامراء والعلماء ورسل بركة خان ثم جاء ابو العباس  
احمد راكبا . ثم جلس قريبا من السلطان ، وعظمت له شجره نسب وقرئت على الحاضرين ، حتى

---

(١) ابو شامة ، ص ٢١٤ ، ٢١٩ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،  
ج ٧ ، ص ١١٤ .

(٢) كان قد اختفى بعد دخول التتر بغداد ثم ظهر في اوائل سنة ٦٥٧ هـ عند امير خفاجه  
فارسله هذا الى نور الدين زامل بن حديفه امير الاعراب ، فالى ابن مهنا امير ال فضل  
حتى طلبه الناصر صلاح الدين يوسف لتنصيبه خليفة لكنه انشغل بوصول التتر . ثم بايعه  
قطز خليفة وارسله لاستعادة بغداد في سنة ٦٥٨ هـ ، ثم عاد الى دمشق فالى مصر حيث

وجد الامام احمد قد سبقه فعاد الى سلميه وبايعه البرلي ثم التقى بالمستنصر ، ابو شامة  
ص ٢١٥ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٦ .

(٣) او ربيع الاخر عند ابن ابي الفضائل ، ص ٩٤ . وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧  
ص ١١٨ ، وهو ٢٧ ربيع الاول عند ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢ و ٠ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص  
٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٤) في او اخر ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ عند ابي الغداء ( ج ٣ ص ٢٢٤ ) او ٨ محرم سنة ٦٦١ هـ  
عند الذهبي ( ج ٢ ص ١٢٦ ) و ٢ منه عند ابن الفرات ج ٦ ، ص ٠ ، والسيوطي ، الخلفاء ، ،  
٤٧٩ ، و ٩ منه عند ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢١١ ) .

إذا اعتبرت صحيحة بايعه الظاهر بالخلافة وتلقب بالحاكم بأمر الله . ثم خطب الخليفة  
وقلد السلطان "أمور البلاد والعباد" وجعله نسيمة في سلطنه . وبايعه الناس  
بالخلافة .

وخطب مرة أخرى بعد المبايعه فشكر الله على نعمائه ودعا إلى التقوى والطاعة  
لاولى الأمر . ثم خطب بحضور رسل بركة خان فتحدث عن تفضيح المغول بالاهالي ودعا إلى  
الجهاد واعتبر الامامة فرضاً من فروض الاسلام ، ثم امتدح السلطان . لكنه لم يدع  
لاستعادة بغداد بل تحدث عن الاتصال ببركة خان للحصول على مناصرته .

وفي ١٦ محرم خطب للخليفة بجوامع مصر . اما في دمشق فبعد ذلك بقليل ٤

ثم رتب له الظاهر نفقات تكفيته هو وعياله ومماليكه ، ووجب عليه الصعود اليه في اول كل شهر  
لتهنئته ، وامر بنقش الدنانير باسميهما معا .

وفي ليلة الاربعاء ٣ رمضان علم السلطان ان الخليفة لم يدبر لباي الفتوة

فالبسه اياه في احتفال كبير حضره رسل بركة (١) .

نلاحظ ان شكليات المبايعه كانت واحدة في المناسبتين . لكنها اختلفت

في نواح دقيقة معينه فينبغي ان نلاحظها . ففي هذه المرة لم يظهر السلطان من الاحترام

مثل ما ابداه للخليفة الاول . ووجب عليه الصعود اليه الى القلعة في اول كل شهر . ثم

إذا لاحظنا ان المبايعه تاخرت نحو سنة ، وانه اوجب عليه في ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ

ان يحتجب عن الناس ، وانه لم يعن برجل زعم انه ابن المستعصم (٢) سنة ٦٦٥ هـ ، ادركنا

مقدار تغيير وجهة نظره الى الخلافة .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٢٧، ٦١، ٦٥، ابو شامه ص ٢١٦، ٢٢١، البيهقي ج ١ ص ٤٨٣،  
٤٨٤، ٥٣٠، ج ٢ ص ١٥٣، ١٨٧، ١٨٠، ١٩٢، ٤ ابو الفداء ج ٣ ص ٢٢٣، ٢٢٤،  
الذهبي ج ٢ ص ١٢٦، ابن ابي الفضايل ص ٩٢، ١٠٥، ١٠٦، ابن الفرات ج ٦،  
ص ١٠، ١١، وفيه نص خطبه الخليفة . المقريزي، السلوك ص ٦٨، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٩٥،  
٤٩٧، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ص ٧، ١١٨، ١١٩، السيوطي، الخلفاء ص  
٤٧٩، محسن المحاضرة ج ٢ ص ٧٤، ابن اياس ج ١ ص ١٠٣،

بقي ان نسال عن سبب عناية الظاهر بالخلافة . وهنا لابد من العودة الى الوراء .  
ولو باختصار شديد ، ليتبين لنا موقف لظاهر من هذه القضية بوضوح . كان احمد بن  
طولون قد نوى ان يجعل الخلافة في مصر ، ثم استطاع الفاطميون ان يجعلوا القاهرة مركزا  
للخلافة كبغداد ، لكن صلاح الدين الايوبي اعاد السيادة الاسمية لبغداد ويقال ان الملك  
الصلاح نجم الدين ايوب قد اوصى بتسليم السلطنة بعده للخليفة في بغداد . وكذلك  
فعل عز الدين ايبك التركماني حين ضايغه الامراء الايوبييون .

ولم يكن بيبرس اول من فكر باحياء الخلافة بعد زوالها فقد كان الناصر صلاح الدين  
يوسف فكر باحيائها واستدعى اميرا عباسيا ورد على دمشق لتنصيبه خليفة ، لكن وصول التتر  
بلاد الشام شغله عن ذلك . ثم ان قطز علم من عيسى بن مهنا ، لما جاء دمشق ، بوصول امير  
عباسي ، فقال له ان ينفذه الى مصر لينصبه خليفة . وقيل ان قطز بايعه بدمشق ، فمسار  
وافتنح عانة والحديثة وهيثوالانبار وانتصر على التتر ثم كاتبه علاء الدين طيبرس الوزيري  
ان يقصد الظاهر بيبرس فامتنع حين علم بان اميرا عباسيا اخر يقصدها ، وقصد حلب حيث  
بايعه شمس الدين البرلسي (١) .

لم ينجح اولئك باحياء الخلافة ، ولكن الظاهر بيبرس وهو يسير على خطتهم ، اصاب  
النجاح في محاولته . والدافع للمثل ذلك هو رسوخ فكرة الخلافة في اذهان الناس بحيث  
عد زوالها كارثة ، وكون الخليفة لا يزال يمثل السلطة الشرعية العليا . كان الظاهر يسعى  
وراء عطف المسلمين عامة ووراء نيل لقب حامي الاسلام من جهة ، وكان يعمل على اكساب  
سلطانه الصفة الشرعية امام منافسيه نزد الى هذا انه كان يتزعم حركة مقاومة التتر . فاعاد تنصيب

---

(١) ابن ابي الفضائل ص ٩٣ ، ٩٤ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣١٧ . ونلاحظ هنا ان ما يروى عن  
رحلة هذا الخليفة لاستعادة بغداد هو نفس ما يروى عن الرحلة التي قام بها المستنصر  
في عهد الظاهر ، ولا قسى حقه فيها .

الخليفة رد على ما فعله هولاء بالاستعصم في بغداد . وقد راينا صدى هذا في نص التقليد

الذي ناله من الخليفة . وفي قول الامير سيف الدين قليح البغدادي عند وصول ابي

العباس للقااهرة " بهؤلاء " يحصل القصد من العراق " دليل على هذا (١) .

ولقد علل ر . هارتمان ( R Hartman ) احياء الخلافة العباسية في القااهرة

عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م بما يلي : ان زوال الخلافة العباسية ببغداد اوجد فراغا سياسيا لم

يؤثر على الفقهاء مقدار ما اثر على الحكام الذين كانوا لا يزالون يشعرون بالحاجة الى سلطة

تكسبهم الشرعية . كان ابو نعيم شريف مكة قد منح حاكم تونس الخفصي الاعتراف الرسمي بخلافته

ويلقب المستنصر سنة ٦٥٠ / ١٢٥٣ م . ولم يكن هذا الاجراء متمشيا مع معنى الخلافة فسي

مفهومهما السني . لكن هذا الاعتراف كسب قيمة جديدة حين قام المماليك بعد معركة عين

جالوت برسالة خبر النصر لابي عبد الله الخفصي وتسميته بامير المؤمنين ، اما بيبرس ، وهو اقوى

من سلفه ، فضل ان لا يمنح اعترافه الى جار قوى قد يكون خطرا عليه ، بل حل مشاكل الشرعية

ولا استمرار بتنصيب لاجي عباسي خليفه في القااهرة وتلقيبه بالمستنصر ايضا (٢) .

ولا ريب ان عمل بيبرس هذا كان ذا اثر في نفوس المسلمين حتى قيل له :

ايا اسد التراكيم ياركهم  
كسرت الطغاة جبرت العفاة  
ويا آخذ الثارب بعد المخافة  
قطعت الفرات وصلت الخلافة (٣)

وهنا نتساءل : هل افاد الظاهر من فزوة العراق ؟ ومن احياء الخلافة ؟ افادته محاولة

فزوة العراق ان جاءه بعض شيوخ عبادة وخفاجة واعلنوا ولاهم له . وكانوا عيونهم

(١) ابن عبد الظاهر ص ٢٤

(٢) نقلتها عن (B Lewis " Abbasids" EI new ed) ص ٢١ .

(٣) ابن اياسر ج ١ ، ص ١٠٢ .

للمماليك على التتر (١) . وافاد من احياء الخلافة ، انه جعل السلطنة المملوكية ذات صفة شرعية ، وجعل القاهرة مركزا للخلافة . بيد ان النفقات كانت كثيرة . ولقد استهدفت توطيد سلطانه باحياء الخلافة ، ولكن سلطانه في الحقيقة لم يكسب قوة فعلية لان الخلافة كانت جثة هامدة لاحياة فيها . وقد يحمل هذا على القول ان محاولته بشقيها ، لم تكن ناجحة (٢) . زد الى هذا ان احياء الخلافة هذا قد فتح المجال امام المدعين ، وفي رمضان سنة ٦٦٥ هـ جاء دمشق رجل زعم انه ابن المستعصم (٣) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٦ .  
(٢) ) ( Lewis "Abbasids" EI new ed B ١٠٦ ، ص ٢١ .  
(٣) ابو شامه ، ص ٢٤٠ .

٤ - معاملته للأمراء :

كان الظاهر كبير الحظ إذ انه عمل في خدمته عدد من الأمراء المخلصين القادرين عسكرياً . وكان هو يحسن اختيار هؤلاء من جهة ، ويحسن معاملتهم من جهة ثانية ، حتى يكسب قلوب البقية . وقد كانت خطته نحو أمراءه مبنية على العناية بأحوالهم والاطلاع على سائر شؤونهم ، وعلى العطف عليهم (١) كما فعل عند استلامه السلطنة بالأمراء المشردين وبابنائهم وكما فعل باتابكته فارس الدين اقطاعي إذ ترك له اقطاعاته على كثرتها (٢) مؤكداً فعل بنات الأمير حسام الدين الجوكندار سنة ٦٦٢ هـ إذ سامحهم بما يجب عليهم لبيت المال عليهم من تركة أبيهم وكما فعل بابن الأمير شهاب الدين الفيرزي إذ ابقى عليه اقطاع أبيه وترك الأرض لعائلة والى سمرين يستغلونها حين أسر الوالي (٣) .

ومما يوثق عنه انه زوج الأمير بدر الدين ييليك الخزندار بابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة ٦٦٠ هـ واحتفل له بعرسه وتكفل له بجميع النفقات (٤) وفي سنة ٦٦١ هـ انعم على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور ورفعته الى منصب الاستاذ دارية (٥) ، وفي محرم سنة ٦٦٤ هـ تولى الانفاق على عرس الأمير سيف الدين قلاوون واهداه الهدايا الوفيرة (٦) .

وانقض مجنون على أمير فقتله وجرح أميراً آخر في سنة ٦٦٤ هـ فقال الظاهر ان موت ولده السعيد اهون عليه من موت الجريح . فطابت بذلك قلوب الأمراء (٧) وفي رمضان

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٩ ق . (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٥ (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٠ ، ١٦٦ ، ٤٤٠ - اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٨٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٠٥ - ١٠٤ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ١٩٥ (٦) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ - المقرئ ، السلوك ، ص ٥٥١ ،

سنة ٦٦٦ هـ استطاع ان يفك شمس الدين سنقر الاشقر من الاسرا ان اشترط على هيثوم  
اطلاق سراح شمس الدين مقابل اطلاق سراح ليفون ابن هيثوم (١) . وفي سنة ٦٦٧ هـ  
منح احد امرائه اربعين فارسا وترك له موجودات ابيه على كثرتها (٢) .

هذا بالاضافة الى الخلع والهدايا التي كان يمنحها لامرائه سنويا .

وقد كان يرفي عددا من المماليك ، بين سنة واخرى ، كما فعل في رجب سنة ٦٧٠ هـ

هـ (٣) .

غير انه لم يكن يترك الحبل لامرائه على الغارب . ففي سنة ٦٦١ هـ غضب على احد

خواصه لانه قتل احد منادية سوق الخيل (٤) . وكثيرا ما كان يعتقلهم ، لكنه كان يعود الى

الافراج عنهم ، اذا لم تكن اخطاءهم وهم خطرة على سلطانه . واذا كان يعرف منهم القدرة

اعلى خدمته . لقد اعتقل علم الدين سنجر الحلبي ثم افرج عنه ليستعيد له حلب . واعتقل

عز الدين الدمياطي ، ثم افرج عنه سنة ٦٧٠ هـ وشرب معه القمزم . ومازحه في جمع من

الامراء (٥) .

واخيرا فانه كان لا يانف من مخاطبتهم بتواضع . فقد يكتب لهم ، اخوكم ، او والدكم ،

او بولدكم . واذا ذكرنا كيف عامل امراءه عند حصار صغد ، ان جلد بعضهم لنتهاونهم ثم ذهب

اليهم يحدثهم بلطف ببلغ حد الاعتذار ، بعد النصر ، وكيف وزع الاراضي والاقطاعات بعد

فتح فيسارية ، وكيف كان القدوة لهم فيشترك بنفسه في كل عمل مهما كان شاقا ، عرفنا ان

معاملته كانت سخية ، ودقيقة ، محسنة ، ولكنها تستتبع الطاعة وحسن الخدمة . وقد نالهما

منهم ، بوجه عام .

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٨٥ ز المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٠ ٢٥ - المقريزي ، السلوك ص

٥٨٠ - ٣ - ابن عبد الظاهر ص ٧١ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٩٧ ، ج ٢ ص ٤٢٠ ، ابو

الغداة ، ج ٤ ص ٧٠ - ٤ - ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ٣٥ ،

و - ٥ - ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ١٠٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠٧ .

٥ - رجال الدين :

كان الظاهر يفهم للمشايخ وزنا كبيرا . وكان يخشى باسهم ان ادرك سلطانهم على العامة ونفوذهم في صفوفهم . وكان يدرك مقدار خطرهم على سلطانه من جراء هذا النفوذ لذلك كان يتعمد زيارة كبارهم تيمنا وتبركا (١) .

وهناك عدد من العلماء ينبغي ان نتناول علاقتهم بالظاهر لنبين سياسته

نحوهم . واول هؤلاء هو عبد العزيز بن عبد السلام وقد رفض هذا مبايعة الظاهر

بالسلطنة قبل التاكيد من ان الملك الصالح نجم الدين اعترفه ، واحترمه الظاهر واعتبر

شهادته بالف شهادة واستشاره فحين يوليه القضاة بمصر . ثم حضر جنازته سنة ٦٦٠ هـ .

ويدل على مقدار تخوف الظاهر منه ما ينسب اليه من انه قال ان سلطانه لم يتوطد قبل

موت ابن عبد السلام (٢) .

وقاض اخر هو ابن بنت الاعز وقد كانت له منزلة كبيرة عند الظاهر ان ولاء منصب

قاضي القضاة واوكل اليه النظر في الدواوين والوزارة . ولم يحفل بوشايات صاحب بها

الدين عليه (٣) .

ثم الشيخ الامام ابو محمد شمس الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عطاء

الحنفي . وقد رفض مسابرة الظاهر عندما اراد مصادرة املاك اهل دمشق وبساتينهم مع

ان فضاة اخرين من المذاهب الاربع الاثنا عشر للظاهر بالكلام ، وقال انه لا يحل لمسلم ان

يتعرض لاراضي مملوكه . فغضب الظاهر بحجة انه نفى عنه صفة الاسلام ، لكنه عاد

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٧ . ٢ - كان ابن عبد السلام جريئا ، ثم الطوك الصالح

اسماعيل في جامع دمشق حين سلم الفرنجة صفد ، والشقيف بوز ذهب الى مصر ، وهنا

ايضا اسقط عدالة وزير لسماحه بوضع طبلخاناه على سطح مسجد . (اليونيني ، ج ١ ،

ص ٥٠٥ ، و ج ٢ ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٠٥ ، ابن شاكر الكتبي

ج ١ ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٨٩ - ٨٠ ، ق ٣ - ولد سنة ٦١٤ هـ

وتوفي سنة ٦٦٥ هـ اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٩٠٩)

فرضى عنه واستعظمه حين لم يلبس ولم يتراجع (١) . وهناك محي الدين ابو زكريا النووي .  
وقد بلغ منه انه " واقف الملك الظاهر في مرة في دار العدل بسبب الحوطة على  
بساتين دمشق وفي ذلك ، وكان الظاهر يقول انه يخشاه لمجرد رؤيته (٢) .

وكانت علاقة الظاهر به هو المشايخ رسمية ، قانونية ، كما نقول اليوم . لكن هنالك

شيخا اخر بلغت علاقته به ابعد من هذا كثيرا وهو الشيخ خضر . وقد وصل الى درجة

عالية من النفوذ لديه ، ان هدم بالقدس كنيسة وقتل قسيسها ، وهدم كنيسة اخرى

بالاسكندرية . وبنى له السلطان زوايا كثيرة في ظاهر القاهرة والقدس وبعلمك وحماه وحمص

واقف له عليها الاوقاف الكثيرة .

ويبدو ان سيرة هذا الرجل الاولى كانت سيئة . فقد تنقل في خدمة امراء مختلفين

سنة بعد سنة مستغلا نفوذه لديهم حتى انتقل الى زاوية بجبل المزة بدمشق حيث اجتمع

ببعض الصالحين واتصل ببيبرس في تشرده واخبره بما سيؤول اليه امره في المستقبل .

ولما بلغ نفوذه هذا المبلغ صار مسيرة نفرت منه الناس والولاة . وفي سنة ٦٧١ هـ

حق الظاهر بما نسب اليه وتثبت من صحة التهم ، فاكتفى باعتقاله وقد اشار عليه الاتابك

والامراء باعدامه لكن الشيخ انقذ نفسه ان زعم للظاهر ان بين اجليهما اياما يسيرة

ومات في معتقله سنة ٦٧٦ هـ (٣) .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ولد سنة ٦٣١ هـ  
/ ١٢٣٣ م وتوفي ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م . ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ابن  
الفرات ج ٧ ، ص ٨٥ ، ١٠٩ ،

(٣) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٠٤ ، وهو يجعل الاعتقال سنة ٦٧٠ هـ والوفاة ٦٧٥ هـ ،  
ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٣٦٥ ، ابن الفران ، ج ٦ ، ص ٦٠٨ ،  
ورقة ٩٦ ، ٩٧ ، ج ٧ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، المقريزي السلوك ، ص ٦٠٨ ، الخطيب  
ج ٢ ، ص ٤٣ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٦١ - ١٦٣ ، والغريب ان  
وفاته وقعت بعد وفاة الظاهر بايام . ويقول ابن الفران ان الظاهر ارسل بالبريد  
الى القاهرة لاطلاق سراحه فوصلت الرسالة بعد وفاة الشيخ !! .

بيبرس في سياسته الداخلية وتنظيماته الادارية

بعد ان تسلم الظاهر السلطنة واجه قضايا داخلية كثيرة منها الحركات الاستقلالية التي تحدثنا عنها في الفصل السابق . ومنها قضايا الاعراب والاسماعيلية والمشاكـل الاجتماعية والسياسية والدينية والتنظيمات الضرورية في الجيش والادارة والفضاء .

١ - القضايا الداخلية :

أ - الاعراب :

كان عز الدين ايبك اول من واجه قضية الاعراب من السلاطين المماليك . فقد ثاروا عليه في بلاد الصعيد وعلنوا انفتهم من خدمة ملوك مسهم الرق والتصلوا بالناصر صلاح الدين يوسف يحثونه على قصد مصر في سنة ٦٥١ هـ تمكنهم فشلوا في ثورتهم هذه . وثاروا مرة اخرى سنة ٦٥٣ هـ واخذ ثورتهم هذه ايضا (١) .

ثم جاء بيبرس فوجد انه لا بد من مواجهة قضيتهم بصورة جديدة كي لا يشغله وهو في حروبه مع الفرنجة والتتر . ففي سنة ٦٥٩ هـ حارب عرب زبيد الذين كانوا يخالطون الفرنجة ويدلونهم على نقاط الضعف في دفاع المماليك . حتى اذا غلبهم وجد ان سياسة العنف وحدها لا تكفي فاقطع امراءهم الاراضي والزهم خفر البلاد وجعل ابن مهنا اميرا على الاعراب جميعا . وقد يكون الخطر من علم الدين سنجر الحلبي هو الذي فرض عليه هذا السبيل (٢) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٥ المقريزي ، السلوك ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٥ . وعرب زبيد قبيلة منتشرة في الغوطة والمرج وصرخد وخوران والاحلاف قرب الرملة . (القلقشندي ، ج ٤ ص ٢١٣ ، ٢٢٤) .

وفي سنة ٦٦٠ هـ هاجم عريان الصعيد امير قوص، فهاجمهم الظاهر في رجب

وبدد شملهم (١) .

وفي سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م . جاء بعض عرب خفاجه الى مصر وابلغوا السلطان

انهم يحاربون التتر والطلعوه على اخبار شيراز فالبسهم الفتوة وانعم عليهم ثم ارسل معهم اميرا<sup>من</sup> عنده (٢) .

وبعد اعتقال المغيث صاحب الكرك احضر السلطان الامير عبيد وفيه من امراء بنسي

مهدى وبني عقبة وعفا عنهم مما بدر منهم سابقا واوجب عليهم حفظ البلاد حتى الحجاز (٣) .

وفي جمادى الاخرة سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ، ثار عليه اعراب المنطقة الشرقية فسي

مصر فحمل عليهم بعنف . وفي ٢٠ منه سمر بعض مقدميهم على الجمال فركن البقية الى

الهدوء والطاعة (٤) .

وفي هذه السنة ايضا ثار زامل بن علي على الامير عيسى بن مهنا في شمال بلاد

الشام ، فاعتقل الامير الشائر . ثم افرج عنه ووعد الاعراب الوعود الطيبة لكنه ثار مرة اخرى

واعترض طريق رسل السلطان الى شيراز واخذ الرسائل التي معهم الى هولاء ، فاعتقله مرة

اخرى في مصر (٥) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ ، جاءه عريان الحجاز والتزموا بدفع الزكاة والطاعة (٦) .

وفي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م . حين كان السلطان يقصد الحج اوهم ابن مهنا انه

يهاجم العراق . وفي بداية سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، ثار الاعراب على ابن مهنا فرجاه هذا ان

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٢ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٧١ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٩٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥١١ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨١ ، ٤٩٢ .

(٤) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٣٧ ، - ٥ - ابن عبد الظاهر ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ابو الفداء ، ج

٤ ص ٣ المقريزي ، السلوك ، ص ٥٣٦ ، ٥٤١ ، - ٦ - ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ١١ .

يسمح له بالقدوم الى مصر ، فلم ياذن له ، حتى اذا جاء السلطان الى حماه استدعاه اليه

واستدعى معه بقية الامراء ، ونظر في خلافهم ، وحل قضيتهم وخلع عليهم جميعا (١) .

وفي سنة ٦٧٢ هـ هرب احد امراء الاعراب من سجنه في مجنون الى التتر ثم عاد

يطلب العفو من الظاهر فرفض السلطان الصفع عنه قبل العوده الى السجن ووضع القيد في

رجليه . فرجع الامير الفار ، وفقا عنه السلطان (٢) .

وهناك عرب برقة . فقد كانوا يرفضون دفع الزكاة . وفي ذى القعدة سنة ٦٦٢ هـ

استدعى اميرهم واتفق معه على دفع الزكاة وحفظ البلاد ومطاردة العصاة . وفعل نفس

الشيء مع عرب الجهة الغربية من مصر (٣) . وفي سنة ٦٧١ هـ هاجم برقة كلها . وفي جمادى

الآخر من السنة التالية استسلم اليه امراءها وسلموه مفاتيح الغلاع (٤) .

وهكذا نجد ان العربان رفضوا الخضوع للمماليك منذ البداية بحجة انهم ملوك

مسهم الرق ، وكانوا ايضا يتهربون من دفع الزكاة . وكانوا على استعداد للانحياز الى التتر

والصليبيين واتصلوا بهم بالفعل ، بحيث كان الظاهر يشعر بحرج موقفه احيانا . اما معاملة

السلطان الظاهر بيبرس لهم فكانت تتراوح بين الشدة واللين ، بين القسوة والرحمة ، لكنها

كانت دائما مطبوعة بطابع الحذر . وكانت القبائل الغاطنة بادية الشام اخطر القبائل ، لقربها

من التتر والفرنجة على السواء ، فاضطر لومعدها الوعود الطيبة ، واطلاق الغلات لها ، وبذلك

ضمن انحيازهم اليه ، وجعل منهم ادلاء ومخبرين - اما الاعراب البعيدون عن مواقع الخطر

ففتك بهم بعنف .

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨٦ هـ ٨٧ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٥٩٩ .

(٢) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٨٠ - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ابن الفرات ،

ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٠٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٢١ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ - ٤ - ابن ابيسي

الفضائل ، ص ٢٢٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ،

ص ٢٤١ .

ثانياً - الاسماعيلية :

الاسماعيلية فرقة من الشيعة تعرف بالسبعية ان اعتبر اصحابها الامامة منتهية عند الامام السابع اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفي في المدينة المنورة سنة ١٤٣ هـ وحاربهم الخلفاء العباسيون فاستعانوا بالتفقيه وتلمسوا الملاحي في المراكز البعيدة . فلجأ علي اصغر اولاد اسماعيل الى بلاد الشام فالمغرب بينما انتقل ولده الاكبر محمد الى الشرق ومنه الاسماعيلية الهندية .

ومن الاسماعيلية الذين ايدوا عليا كان عبد الله بن ميمون القداح المتوفي سنة ٢٦١ هـ ، ومنهم مؤسسو الدولة الفاطمية في المغرب ثم الخلافة الفاطمية في مصر وبلاد الشام ، ومنهم الحسن بن الصباح المتوفي سنة ٥١٨ هـ ، وهو مؤسس الاسماعيلية المعروفين بالحناثين . اسس هذه الفرقة في قلعة الموت شمالي غربي فارس ومنها الفرع الشامي الذي تركز في السلمية في منطقة حلب (١) . وقد لعبت هذه الفرقة دورا هاما اذ اضطرت الخلفاء والملوك (٢) ان يدفعوا لها ضريبة ما بين ١٠٩٠ و ١٢٥٦ . وفي سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٢ حاصر جيش هولاء ركن الدين خورشاه بن علاء ثم اسره واضطره ان يقبل الارض بين يديه ويعطيه امرا للباطنية في بلاد الشام بتسليم قلاعهم للقنبر ، ثم قتله (٣) .

اما الاسماعيلية في بلاد الشام فكانوا في هذه الفترة قد اخذوا يضعفون حتى انهم كانوا يحتمون بالصليبيين او يدفعون ضرائب للاستتار به منهم (٤) .

EI "Assassins" Vol I pp 491  
C Huart "Ismailiya" EI Vol II pp 552

(١) ملحوظة ١ ، الطوك للمقريزي ، ص ٢٧٧ و  
(٢) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤ وورقة ٦٩ - ٣ - R Grousset ، ج ٣ ص ٥٦٢  
(٤) المقريزي ، السلوك ص ٥٤٣ ، و ٥٥٧ .

ثم جاء الظاهر بيبرس فنقم عليهم لانهم حاربوا صلاح الدين الايوبي حين كان يحارب الصليبيين ، وانهم يؤيدون الصليبيين ويمالئونهم وانهم " باطنية ملاحدة " لا بد من تطهير البلاد منهم . اذا لقد نقم الظاهر عليهم لسببين احدهما سياسي عسكري وثانيهما ديني مذهبي .

في سنة ٦٥٩ هـ ارسل صاحب قلاع الاسماعيليه رضى الدين بن العلي ونجم الدين بن الشعرائي رسولا حمل للظاهر في دمشق هدية ورسالة . وكان في الرسالة تهديد ومطالبة باستعادة اقطاعات ورسوم كانت لهما في عهد الناصر صلاح الدين يوسف وكان الظاهر لا يزال في بدء سلطنته امام مشاكل في بلاد الشام ، فقرر استعمال الحيلة مع الرسول . فاجاب الرسول الى ما كان في الرسالة لكنه اخبره حين ودّ العودة ، انه علم ان رضى الدين قد توفي وعرض عليه توليته مكانه ثم كتب له منشورا بذلك . فقبل الرسول وهكذا نجح الظاهر في احداث خلاف بين الرسول والمرسلين .

وعاد الرسول الى مرسله فوجد رضى الدين حيا يريزق فاضطر لكتفم الخبر ثم مات رضى الدين بعد عشرة ايام فابز الرسول منشور الظاهر ورضي نجم الدين بالمنشور لكن صام الدين مبارك بن رضى الدين رفض الخضوع لامر الظاهر فاعلن العصيان فسي قلعة العليقة . فازدادت نعمة الظاهر على الاسماعيليه وقرر ضربهم عسكريا . فارسل عملاء الدين ايدكين البندقدارى في رجب سنة ٦٦٠ هـ لضرب سرمين فثار انصار نجم الدين الاسماعيليه تايدا لوالي سرمين وجرحوا الامير البندقدارى وهو مار على جسر عند حماه فامسك الظاهر نواب الاسماعيليه تايدا لوالي سرمين في مصر فاضطر نجم الدين للتوصل من المسوولية ومسايرة الظاهر (١) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٥٨ ، وج ٢ ص ١١٤ ، و ١١٢ و ١٦٣ ، و ١٥٤ و ١٥٥ ، ابن ابي الفاضل ، ص ٩١ ، ٩٢ ، ابن الفرات ج ٦ قسم ١ ، ص ٩٦ و ٩٧ و قسم ٢ ورقه ٦٩ وورقة ٧٩ - ٨٠

وفي ذى القعدة سنة ٦٦٤ هـ جاء رسول الاسبتار الى الظاهر وساله المصالحة

على بلادهم في منطقة حمص وبلاد الدعوة فاشترط الظاهر لذلك تخلي الاسبتار عما كانوا  
ياخذونه من الاسماعيليه من قطائع على حماه وبلاد ابي تبيس ، ومناصفته على الضرائب التي  
ياخذونها من بلاد الدعوة ، فقبل الاسبتار بذلك وعقد الصلح (١) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ جاء رسول الامبراطور البيزنطي والفونس الاشبيلي ورسل ملوك  
الفرنجية وملك اليمن بهدايا الى صاحب قلاع الاسماعيليه ، فرفض الظاهر السماح للرسول  
بالمرور من غير ان يدفعوا ما يترتب على الهدايا والاموال من " حقوق ديوانية " فخافه  
الاسماعيليه وارسلوا اليه في جمادى الاخر سنة ٦٦٥ هـ اموالا لينفقها في الجهاد . وفي  
رمضان من السنة نفسها الغيت قطائع الاسماعيليه عن حماه وشيزر واقاميه وعيناب (٢) .

وهكذا ، نجد ان الظاهر استطاع خلال بضع سنوات ان يدق اسفينا في حقوق

الاسماعيليه وان يفرض عليهم ضرائب واموالا . لكنه لا يزال عليه ان يحتل قلاعهم .

وفي جمادى الاخرة سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م ، وجد صام الدين انه لا بد من

طلب العفو من السلطان . فارسل له هدية وشفع له عنده صاحب صهيون ، وصاحب حماه فرضي  
عنه الظاهر وكتب له منشورا باستنابته على حصون الاسماعيليه ، الكهف والخوابي ، والمينقة ،  
والعليقة ، والقدموس والرصافة . واستبقى مصياف له وحده . وفي رجب من السنة نفسها  
ارسل الى القلاع الاسماعيليه واليامن قبله شريكا لصام الدين . فثار هذا على الوالي لكنه  
اضطر للرضوخ اخيرا وللقبول بشراكة نجم الدين . ولدفع مبلغ الف دينار كل سنة (٣) . اما نجم  
الدين فكان عليه ان يدفع ١٢٠ الف درهم سنويا (٤) . ثم عاد فاعتقل صام الدين في ذى  
القعدة من السنة نفسها وسجنه في القاهرة . (٥) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٠ ، وابو تبيس حصن مقابل شيزر ياقوت ج ١ ، ص ١٠٣ - ٢ -  
ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، - ٣ - ابو  
الغدا ، ج ٤ ، ص ٦ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، - ٤ - ابو الغدا ، ج ٤ ،  
ص ٦ ، - ٥ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة  
٧٠ وورقة ٨٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٦ ، ٦٠٨ .

وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ م ، تسلم السلطان حصن العليقة (١) .

وفي صفر من السنة التالية تسلم الظاهر عددا من القلاع وثارث عليه القلاع

الآخري فافتنم الغرضة لانقضاض على مواقع الاسماعيليه ، وتسلمها جميعا وارسل اليها

نوابه ونقل الزعماء الاسماعيليه الذين يخشى باسهم الى ههر (٢) .

لقد كان الظاهر يساير الاسماعيليه حتى سنة ٦٦٨ هـ لكنه بعد هذا التاريخ

حين علم بمحاولات التتروالاوربيين للتحالف عليه ، وحين علم بإمكانية قيام حملة صليبية

جديدة ، تجمع بين التتر من الشرق ، والاوروبيين من الغرب ، رأى انه لابد من القضاء

عليهم ، كقوة عسكرية . وهكذا كان . وبقضائه عليهم تمهدت السبيل امامه لمهاجمة اسيا

الصغرى .

### ثالثا - النوبة :

تمتد بلاد النوبة على شاطيء النيل من شلال اسوان الى مروى قرب الشلال

الرابع وتنقسم الى قسمين ، النوبة العليا والنوبة السفلى . وتقع هذه الاخيرة بين اسوان

ووادى حلغا . اما النوبة العليا فتقع بين حلغا والشلال الرابع وتشمل حلغا ودنقله وتسمى

ايضا بلاد العلى او علوة (٣) وفي بلاد النوبة السفلى كان بنو كَنْز (٤) ، نسبة الى

عرب بني الكنز من ربيعه . وكان هو هو لا منذ عهد الحاكم بامر الله الفاطمي ، يتمتعون

ببعض الاستقلال .

---

(١) ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٧٩ - ٨٠ ، المقريزى السلوك ، ص ٥٩٣ .  
(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، ٤٧٣ ، ابو الغداه ، ج ٤ ، ص ٧ ، ابن الغرات ج ٦ ، قسم ٢  
ورقة ٨٧ - ٨٨ ، ورقة ١٠٣ ، ١٠٥ ، المقريزى السلوك ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، وهو يجعل تاريخ  
الاستلام في زى الحجة ٠ - ٣ - ملحوظة ١ ص ١٨٨ و ١٨٩ ، ج ٧ ، النجوم الزاهرة  
لابن تغرى بردى - ٤ - الكنز مقدم مصرى اقام باسوان واجتمع عليه الناس ، فظن انه يستطيع  
بهم تملك البلاد ، وهاجم قوص في عهد صلاح الدين ، ثم قلب على امره ، صفر ، سنة ٥٧٠ هـ  
١٢٧١ هـ / ابوتلما ، كتاب الروضتين ، طبعة وادى النيل ، سنة ١٢٨٧ هـ ج ١  
ص ٢٣٥ .

ثم جاء الظاهر بيبرس فتدخل ببلاد النوبة تدخلا فعليا ، لابل استولى عليها وجعلها جزءا من سلطنته (١) .

والنوبة خاضعة للمماليك من الناحية الرسمية ، لكن صاحبها كان كثير الاحتكاك بالتجار وبولاة المماليك في الجنوب ، ففي سنة ٦٦٢ هـ علم الظاهران صاحب سواكن وصاحب دهلك يتعرضان للتجار فارسل اليهما رسالة تهديد (٢) . وفي سنة ٦٦٤ هـ حين كان الظاهر بدمشق وصله الخبر باصطدام واليه في قوص بصاحب سواكن واستيلاء الوالي على سواكن وفرار صاحبها (٣) . وفي سنة ٦٦٧ هـ وصله خبر الاختلاف بين داود وابن اخيه مشكد (٤) وفي سنة ٦٧١ هـ هاجم صاحب النوبة عيذا بونهب جيش النوبة اهلها وقتل قاضيها وواليها ، فقام والى قوص بحملة تاديبه على دنقله وعاد بالاسرى والغنائم (٥) .

وازاء هذه الاحتكاكات كان لابد من حملة كبرى لاعادة احتلال النوبة . وقد جرت الحملة في سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ . وكان السبب المباشر لها ان داود ملك النوبة افسار على اسوان ونهبها واحرقها ، ثم اختطف مشكد ( او شكند ) مع ابن عمه داود هذا فجاء الى القاهره مستنجدا بالسلطان الظاهر . فامر الظاهر الامير استقر ، الفارقاني بالتوجه الى النوبة بحملة قويقوسار في اول شعبان سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ الى دنقله وفي شوال جرت معركة عنيفة قتل فيها معظم رجال الملك داود وفر الملك واسرت والدته واخته . . ودخل الفارقاني دنقله واقام مشكد ملكا فيها والبسه التاج ثم قرر عليه فطيحة سنوية هي ان يكون للسلطان ربع غلة البلاد من كل شي \* ، لكنها عدلت الى مايلي : -

(١) ثلاثة اقبال وثلاث زرافات وخمس اناك فهود ومائة جواد اصهب ومائة بقره منتجه .

(١) ( S Hillelson ) مادة " Nuba " الموسوعة الاسلامية ، مجلد

٣ ص ٩٤٥ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ص ٩٣ ، - ٣ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ ، المقريزي ، السلوك ص ٥٥٠ ، ابن تغري بوي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، - ٤ - ابن الفرات ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٧ . - ٥ - ابن ابي الفضائل ، ص ٢١١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٠٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠٨ .

- (٢) نصف فلة البلاد للسلطان علي ان يحرف النصف الباقي على عمارة البلاد .
- (٣) بلاد العلى والجبل - وهي ربح بلاد النوبة - للسلطان لقرنها من اسوان .
- (٤) يحمل للسلطان كل سنة قطن وتمرو بنية " الحقوق الجارى بها العادة من القديم " .
- (٥) دفع دينار من كل بالغ جزية سنوية .
- (٦) قبول نائب للسلطان في دنقله وطاعته .

ثم كتب نسخة هذه الاتفاقية وحذف عليها الاكابر والملك . وبقي الجيش

الظاهرى في دنقله ١٧ يوما خرب فيها كنيسة سوس ونهب ما فيها من ذهب وفضة  
واخذ الاتمشة والرقيق واطلق سراح الاسرى المسلمين ، ثم عاد الى القاهرة ، فوصلها  
في ٥ ذى الحجة سنة ٦٧٤ هـ .

ثم عاد الملك داود فاستسلم واستتب الامر للظاهر في بلاد النوبة ، وبلغ

خراجها وجزيتها مبلغا ضخما جعل السلطان ينشي " ديوانا خاصا لذلك (١) .

وهكذا نجد ان لعلاقة السلطان الظاهر بالنوبة ثلاثة دوافع هي :

اولا : حماية التجارة . وبلاد النوبة طريق تجارى من المحيط الهندى والبحر  
الاحمر .

ثانيا : تأمين الغلات منها . ويبدو انها كانت فنية بحيث استحقت انشاء ديوان

خاص لجمع الضرائب والغلات منها .

ثالثا : ضرورة حماية البلاد من عبث العابثين لاسيما والنوبة مجاورة لبلديين

صديقيين هما الحبشة واليمن .

---

(١) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، المقرئى  
السلوك ، ص ٦٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ابن

رابعاً - سياسته الدينية :

كانت الناحية الدينية هامة عند الظاهر بيبرس لما تحقق له من اغراض .  
ولست افقد بهذا ان بيبرس كان منافقا في تمسكه بالمظاهر الدينية . الواقع هو ان بيبرس  
كان حسن الاسلام شديد التمسك بكل طقوسه . حتى انه امر ببناء جامع من خام قرب خيمته  
للصلاة بها (١) . لكنه كان يدرك ان لهذه الناحية اهمية سياسية وعسكرية . فهو لم يعمل على  
امادة الخلافة لما لها من مقام ديني وحسب . ثم انه كان حريصا على سيطرته على مكة  
والمدينة لما في ذلك من تعزيز لمكانته بين المسلمين ، داخل حدود سلطنته وخارج حدودها .  
الملحوظ ان السلاطين المماليك عامة عنوا بصورة ظاهرة بانشاء الجوامع  
والمزارات . كانوا بهذه السياسة يودون التعويض عما فاتهم من شرف النسب ، وصرف الانظار  
عن سيئات حياتهم الخاصة . وواضح هذه الخطة هو الظاهر بيبرس . لم يكن في حياته  
الخاصة مايسو او يودى ، ولكنه كان في كل سنة يقوم بعمل ذي مغزى ديني يرضي به شعوره  
الديني من ناحية ويحقق له فرضا اخر من ناحية اخرى .

ففي سنة ٦٥٩ هـ ارسل الاموال والمعدات لعمارة الحرم النبوي بالمدينة  
وفي شعبان من سنة ٦٦١ هـ وصله خبر من امير المدينة ، بانه قصد مكة وعلق فيها الكسوة  
ببناء على اوامره (٢) وفي رمضان من السنة نفسها امر بتجهيز البنائين والنجارين والالات  
والاخشاب الى المدينة لبناء الحرم النبوي . وكان حريصا ان يعرف هذا عنه . فامر بان تحمل  
الادوات والاخشاب على بغال تطوف بها في مصر والقاهرة وان يركب معها ارباب الدولة  
والقضاة والمدرسون والصوفية والقراء . وفي شوال سارت القافلة الى المدينة ومعها كسوة البيت  
الحرام ايضا (٣) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٤٥ - ٢ - ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، المقريزي  
السلوك ص ٥٠٢ .

وفى صفر سنة ٦٦٢ هـ اخير الحجاج انه خطب للظاهر ببيروم بمكة وان نائبه تسلّم  
مفتاح البيت الشريف • فامر السلطان باباحة زيارته ثلاثة ايام من فيران يؤخذ من  
الزائرين (١) شي • وفى شعبان سنة ٦٦٢ هـ بلغه خبر تعليق كسوة الكعبة • وفى  
رمضان ثم صنع كسوة قبر النبي بالمدينة ، فارسلت اليها مع الشموع والبخور والطيب  
والزيت (٢) •

ثم زاد اهتمامه بمكة والمدينة • فى رجب سنة ٦٦٣ هـ جهز الاخشاب  
والحديد والرصاص وكسوة للكعبة وسيرها الى الكعبة مع العمال والمهندسين صحيحة  
نائب دار العدل • واستمر العمل حتى سنة ٦٦٧ هـ (٣) • وكان يرسل اليهم الاطباء  
والادوية وسائر ما يحتاجونه باستمرار •

وفى سنة ٦٦٤ جهز المحمل الى الحجاز وارسل معه اموالا وفلات لتوزع

هبات (٤) •

وفى رمضان سنة ٦٦٥ هـ ، تصدده مالك بن منيف بن شيحة الحسيني بهدية  
اذ كانت بين مالك هذا وعمه وحشه فقبلها الظاهر منه وولاه المدينة • فاستولى عليها  
سنة ٦٦٦ هـ • وهرب عمه الى مكة • ثم تجددت الخلافات بينهما فتدخل السلطان مرة  
اخرى وقرر لهما مبلغا من المال على ان لا يأخذا فلما من حاج وان لا يمنعوا احدا من الزيارة  
وان لا يتعرضا لتاجر وان يكون الخطبة والسكة باسمه • ثم وهب مالكا اوقافا ببلاد الشام (٥)  
وفى الظاهر بشؤون الحج • فى سنة ٦٦٥ هـ حج احد امرائه فبعث  
معه اموالا للصدقة (٦) وفى صفر سنة ٦٦٦ هـ خرج الظاهر بنفسه لاستقبال احد

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٠ ، المقريزى السلوك ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٢ - المقريزى ،  
السلوك ص ٥١٢ - ٣ - اليونيني ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٤٦ - ٤ - المقريزى السلوك ص ٥٤٤  
(٥) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٧ ، ورقة ٤٥  
المقريزى ، السلوك ، ص ٥٦٠ و ٥٧٩ ، ٥٨٨ •  
(٦) المقريزى ، السلوك ص ٥٦٢ •

امراهه عز الدين الطهي العائد من الحج للتبرك به (١) . وفي شوال سنة ٦٦٦ هـ خرج  
الركب المصري الى الحجاز للحج فعني بامر تجهيزهم ثم استقبلهم عند عودتهم فسي  
ضفر سنة ٦٦٧ هـ .

وكان في كل مناسبة يرسل كسوتين للكعبة ولقبر النبي ويبعث بالعطايا ويسهل  
الحج فازداد بذلك نفوذه (٢) .

وفي سنة ٦٦٧ هـ قرر السلطان الحج بنفسه . وقبل الرحيل اجري الترتيبات  
اللازمة (٣) ثم فادر القاهرة في ١٢ جمادى الاخرة الى خربة اللصوص خارج دمشق . وفي  
٥ شوال ذهب الى فزه فالقوار كانه ذاهب للصيد . ثم دخل الكرك في اول ذى القعدة  
وفي سادسه سار الى الشويك حيث قضى بضعة ايام . ثم استأنف السير الى الحجاز وهو  
متكتم (٤) في الوجهة المقصودة ، ومعه بدر الدين الخزندار و صدر الدين سليمان الحنفي  
وفخر الدين بن نعمان وتاج الدين بن الاثير ونحو ٣٠٠ مملوك ، وبعض اعيان الحلقة .  
ووصل المدينة في ٢٥ ذى القعدة . وبعد ايام قصد مكة فوصلها في ٨ ذى الحجة ولاقاه  
صاحبها ابو نفيي وعنه ادريس واعلنا خضوعهما له ، وثبتهما في امارتهما ، ثم سارا  
بين يديه الى فرفسات فمضى فمكة حيث صعد الكعبة " وفسلها بما" الورد وطيبها بيده " .  
وبقي فيها حتى ١٣ منه ثم عاد الى المدينة (٥) .

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، (٢) اليونيني ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، المقرئى ، السلوك ،  
ص ٥٨٠ .

(٣) ص ١١٤ ادناه

(٤) كان شديد الحذر حتى انه قطع لسان امير طلب منه اصطحابه الى الحج ، ووجه فرقة  
للمرابطة بظاهر الكرك ، واوهم ابن مهنا انه قاصد العراق .

(٥) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابو الغدا ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، ٦ ، اليونيني ج ٢ ص  
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٦٢ - ٦٣ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٨ .  
٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٨ ، التبر المسبوك ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ٩٠ - ٩١ - ٩٥ ، ابن اياس

ج ١ ، ص ١٠٧ .

قام الظاهر بالحج تحقيقا لطقس ديني . ولكنه استهدف ايضا الاطلاع على  
شؤون مكة والمدينة . كان له هدف سياسي ايضا . فقد اتصل بصاحب اليمن ودعا  
لمحاربة التترواحسن الى امراء ينبع وخليص واكابر الحجاز ( ١ ) . وكان قد علم بتحركات  
التترو نحو الحجاز ( ٢ ) ولا ننسى هنا ان الظاهر كان ينوي القيام بحملة ضد التترو في اسيا  
الصغرى ، فطبعي ان يستفيد من المظاهر الدينية لكسب عطف المسلمين . لقد جمع  
بذلك بين الجهاد والحج .

واعاد صلاة الجمعة والخطبة الى الجامع الازهر في ١٨ ربيع الاخر سنة ٦٦٥ هـ .  
بعد مناقشة بين الفقهاء بعد ان كان الحاكم بامر الله الفاطمي قد نقلهما الى الجامع  
الانور ( ٣ ) .

واهتم بمدينة القدس وبمدينة الخليل . ففي سنة ٦٥٩ هـ ارسل عمالا ومعدات  
لبناء قبة الصخرة ، واستعاد ما كان الامراء استولوا عليه من اوقاف الخليل . وفي  
جمادى الاخرة سنة ٦٦١ هـ زار القدس وراوى بحماية قبة الصخرة ، وتأمين نفقات القائمين  
عليها . وفي صفر سنة ٦٦٢ هـ اوقف فيها خانا ورتب بمدينة الخليل سماطا ورواتب  
للمقيمين والواردين . وفي سنة ٦٦٥ هـ عني بامر الكشف عن الماء بالقدس . ( ٤ ) .

- 
- ( ١ ) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨١ ، ٥٨٢ ، التبر  
المسبوك ، ص ٩١ - ٩٢ .
  - ( ٢ ) ابن الفرات ، ص ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٢ .
  - ( ٣ ) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣٤ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٢ - ٤ لكن التاريخ  
عنده ١٨ و ١٩ ربيع الاخر . وقد رأى السيوطي هذا التدبير سيئا . ( احسن  
المحاضرة ج ٢ ص ٧٤ ) .
  - ( ٤ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٨ ، ٧٤ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٤٥ ، ٥٠٥ ، ٥٦٠ .

واستطرادا من هذه السياسة كان الظاهر يكثر بذل الصدقات • وقد كانت المناسبة المفضلة لذلك هي رمضان • والامثلة على هذه الصدقات كثيرة ذكرت المصادر بعضها • لكن ابن عبد الظاهر، بعد ان ذكر ما فعله في رمضان سنة ٦٦١ هـ قال ان ذلك كان "على عادته" (١) •

وكذلك عنى الظاهر بنشر الاسلام • وهذا ما تدل عليه وسائله مع بركة ومعاملته للمتقين الذين كانوا يردونه مستامين (٢) • وعني ايضا بتنفيذ الشرع (٣) • وهكذا نجد ان سياسة الظاهر الدينية كانت مبنية على احترام المظاهر الدينية والقيام بما يتطلبه الدين من طقوس وعبادات، وعلى انشاء الجوامع والمزارات والزوايا والوقف وعلى العناية بالمدن المقدسة، لكنه كان حريصا على ان تعرف اعماله هذه وان تذاق بين الناس، مما يوحي بان اعماله هذه كانت ذات اهداف فير دينية •

## ٢ - الجهاز الادارى :

بما ان السلطان الظاهر كان يوجه نشاطه في الداخل الى توطيد المعاليك فسي ظل اسرته قد رايت ان ابداء الحديث عن الجهاز الادارى ببحث في السلاية عنده •

### اولا • السلاية •

نعلم ان الظاهر طمع بنيابة حلب، لكنه لما استولى على السلطنة، اخذ يطمع بالاحتفاظ لسلالته بالسلطنة على المعاليك مخالفا بذلك العرف المعمول به بين المعاليك بشأن الانتقال من سلطان الى اخر، والذي جاء الى الحكم بنفسه استنادا اليه، لم يكن

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ص ١٠٣ ، ١١٨ ، المقريزى ، السلوك ، ٥٠٥ ، ٥١٣ •
  - (٢) ابن عبد الظاهر ص ٩٩ ، المقريزى ، السلوك ص ٥١١ •
  - (٣) ابن عبد الظاهر ص ٢٥ - ٢٦ •

العرف المملوكي يقضي بالوراثة ولكن الظاهر اراد ان يجعله كذلك . وقد وجهت هذه الرقبة عنده جميع تنظيماته الداخلية الادارية منذ بدء عهده بالسلطنة .  
كان للظاهر عشرة اولاد بينهم ثلاثة ذكور وهم محمد بركة خان وقد ولد في صفر سنة ٦٥٨ هـ ، وسمي كذلك على اسم جده لاييه ، ويهدر الدين سلامش ونجم الدين خضر (١) .

وكان محمد بركة خان اكبر ابنائه الثلاثة . فقرر الظاهر اعلانه وليا للعهد بعده وطلب من الجيش ان يحلف له يمين الولاية ثم راح يدرسه على شئون السلطنة ، ويستغل كل مناسبة للتاكيد على سلطنته بعده . ففي سنة ٦٦٠ هـ حين كان عمر محمد بركة خان ، نحو سنتين فقط ، حلف الجيش له يمين الاخلاص والولاية من بعده . وفي سنة ٦٦٢ هـ ختته في حفل ضخم جمع ابناء الامراء والاعيان والاجناد والرعية ليختنوا معه ، ووزع الهدايا والاموال على الامراء والاجناد والرعية (٢) .

ويوم الخميس ١٢ شوال سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ ، قبل الذهاب لملاقاة التتار على البيرة استعرض الظاهر الجيش ، ثم اعلن ابنه وليا للعهد بعده ، ولقبه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خاقان ، ثم اركبه بابهة الملك وادخله القاهرة من باب النصر ، وشق به المدينة والامراء مشاء بين يديه ، وهو ، اى الظاهر ، يحمل الغاشية له بنفسه (٣) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٩ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١١٢ ،
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٣ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، لكنه يجعل الختان في ٥ ذى القعدة سنة ٦٦٣ هـ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن الفرات ج ٦ ص ١٠٠ .  
المقرئى ، السلوك ، ص ٤٦٨ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، وهو يجعل الختان بعد السلطنة ، سنة ٦٦٢ هـ ، ابن اياس ج ١ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٦ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ابن ابي الفضائل ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ٤٨ ق ، والتاريخ عنده ١٣ شوال .

وفي ١٢ شوال ، قرىء التقليد بتفويض عهد السلطنة للسعيد ، وفي التقليد اشارات الى جهاد الظاهر ضد الخصوم واطلان سلطنة السعيد المتابعة ما بدايه الوالد .  
ثم ارسل تسخا بذلك الى جميع النواب والولاة (١) .

ولم يكتف الظاهر بهذا . وفي يوم الخميس ٩ صفر سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٨ حين قرر ان يقوم بالحج جلس الظاهر في ايوانه في قلعة الجبل واحضر الشهود والقضاة لتحليف الامراء ومقدمي الحلقة بالسلطنة لابنه السعيد من بعده مرة اخرى . ويوم الاثنين ١٣ صفر ، دخل السعيد الايوان راكبا كما يفعل ابوه ، ثم جلس وقرئت عليه القصص ويوم الاثنين ، ٢٠ صفر ، اركبه السلطان مرة اخرى بابهة الملك ومشى امامه ومعهم الامراء والاجناد ، ثم عين له الامير بدر الدين بيليك الخزندار نائبا عنه لمساعدته . وبعد ذلك صار السعيد يجلس في الايوان لتصرف الامور مكان ابيه (٢) .

وفي جمادى الاخرة سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ سار الظاهر الى دمشق في حملة على الفرنجة واخذ معه ابنه السعيد وليس له من العمر الا ما يقارب الاثني عشر عاما وذلك لتعويده ، تحمل المشقات والتدريب على الادارة . لاسيما وقد كانت سفراته الى بلاد الشام كثيرة .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٩ ، ١٠٦ - ١٠٩ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ابن الفرات ، ج ٢ ، ص ٤٨ ق - ٥٠ ، والمقريزي ، السلوك ، ص ٥١٦ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٣٧ - ٣٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٤ .

وسار السعيد على نهج ابيه . ففي ١٢ رمضان سنة ٦٧٢ هـ سحب بعض الامراء وسار الى دمشق سرا ودخلها في ٢٦ منه . ثم عاد الى القاهرة مارا بشقيف ارتون وصفد ، حتى وصلها في ٢١ شوال سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ (١) . فوجد ان اباه قد قام له بمظاهرة اخرى في يوم ختان اخيه نجم الدين خضر في يوم عيد الفطر (٢) .

وفي ٢٤ محرم سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ ارسل الظاهر الامير بدر الدين الخزندار من دمشق الى القاهرة ليعود بالسعيد وبعض الامراء الى دمشق . وفي سادس صفر زوجه من فائزة خاتون ابنة الامير سيف الدين قلاوون . وفي ربيع الاخر سنة ٦٧٥ هـ عمل له العرس في القاهرة في مظاهرة كبيرة اذ استمر العرس بضعة ايام مدت فيها الاسمطة وتبارى فيها الجنود في الميادين . وتزاحم الناس للمتفرج ، واقامت الزينات ووزعت الخلع والهبات . وكان الهدف من تزويج ابنه بابنة قلاوون تثبيت مركز ابنه من بعده (٣)

هكذا نرى ان الظاهر كان يعد العدة لاستبقاء السلطنة في ذريته . لكن حلمه لم يتحقق . صحيح انما استطاع ان يورث ابنه السعيد السلطنة لكنها لم تدم في ابيه السعيد وبدر الدين سلامش من بعده فير سنوات قليلة . لقد كانت محاولته هذه تهيدا لغيره من بعده . فقد استطاع قلاوون من بعده ان يبقي السلطنة في ذريته نحو من ثلاثة ارباع القرن .

- 
- (١) المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩١ ، ٦١٢ .
  - (٢) ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٢ .
  - (٣) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ابن الفرات ج ٧ ، ص ٥١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩ ، لكن موعد الزواج عند هذا الاخير سنة ٦٧٣ هـ .

ثانيا - القوات المسلحة :

عني الظاهر ببيبرس بقواتها المسلحة عناية كبيرة • وهذا طبيعي • وهو يعود الى سببين اساسيين هما ان حياة المماليك نفسها كانت عسكرية في طبيعتها • فمنذ ان يوتس بالمملوك صغيرا ، يوضع في مدرسة خاصة ، تدعى طباقا ويشرف عليه راس نوبة طواشي فيحفظه القرآن ويلقنه الكتابة والشريعة وبعض الفقه ، حتى اذا ما قارب البلوغ اخذ بتدريبه تدريبا عسكريا • والمملوك في هذه الفترة خاضع لنظام دقيق حتى انه لا يسمح له بالخروج الى المدينة الا في اوقات معينة • وكان تدريبه يمر في مراحل مختلفة حتى اذا ما استكملها اعتق واعطي السلاح والحق بالمماليك السلطانية وقد تميز هذا النظام من امثاله بدقة التنظيم المتناهية •

والسبب الثاني الذي حدا بالظاهر للافتناء بالجيش مثل هذه العناية الكبيرة هو ان الاوضاع التي كانت تحيط به حتمت عليه ان يعنى بتنظيم قوات مسلحة وابقائها على استعداد دائم ، وفي مستوى عال من التدريب • وفي مثل هذا الجو كان لابد له من ان يكثر من شراء المماليك ومن ان يتشدد في اختيار جنوده وتدريبهم احسن تدريب •

وقد نشأ الظاهر ببيبرس نفسه هذه النشأة العسكرية • وكان نفسه ايضا ، فيما يبدو ، جنديا وقائدا منذ فطرته • ومنذ معركة المنصورة اخذ يبدي عناية خاصة بجماعته من الجنود • ولما فر الى بلاد الشام اكرم الذين لحقوا به وعني بشؤونهم برقم ضيق ذات يده • ولما استولى على السلطنة جمع شمل المماليك ورد عليهم ما كانوا خسروه في مدة التشرد وتفقد اولاد من ماتوا منهم وقرراهم ما يحتاجونه (١) •

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٠ •

### اتسام الجيش المملوكي :

كان الجيش المملوكي بصورة عامة يتألف من ثلاثة اقسام هي :

اولا : المماليك السلطانية وهم فئتان : الفرانيس او فرق السلاطين السابقين ،  
ومشتروات السلطان القائم ويسمون بالاجلاب . ومنهم يورث الخدم والحرس الخاصيه . وهم  
ما نسميهم اليوم بالجيش النظامي الدائم .

ثانيا : مماليك الامراء وهم اجناد الامراء المقطعين . والى جانب هؤلاء سكان  
البادية والقبائل التي يرضعها السلطان (١) .

ثالثا : اولاد الناس وهم اولاد الامراء ومنهم المجندون من المماليك الذين تألموا  
ونلاحظ ان السكان الاصليين لم ينفخروا في الجيش . ثم ان كل فرقة من هؤلاء  
كانت مستقلة عن الثانية ، ولا تختلط بها .

### عدد الجيش المملوكي :

ضم جيش السلطان الظاهر هذه الاقسام الثلاثة جميعا . وليس واضحا تماما عدد  
جيشه من كل فئة من الفئات الثلاث . بيد اننا نستطيع ان نحدد الفئة الاولى بما يقارب  
الاثني عشر الفا ثلثهم في مصر وثلثهم في دمشق وثلثهم في حلب . وقد قيل  
ان الظاهر رفع عدد جيوشه الى اربعة اضعاف ما كانت عليه عهد الملك المالح نجم الدين  
ايوب وبذلك بلغت اربعين الفا (٢) . اما الاربعون الفا فالارجح انها مجموع الجيوش من  
الفئات الثلاث اثناء الحملات الحربية . وتعطينا استعراضاته العسكرية فكرة عن ان جيشه كان ضخما .

(١) المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن شاذان الكتبي ج ١ ، ص ١٦٩ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٦٣٨ ، الخطط ، ج ٣ ، ص  
١٤٢ - ١٤٥ ، ابن تغري بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٧ ، بولياك ، ص ١٦ ، وقد  
قدرها هذا بستة عشر الفا .

ولما سئل الظاهر في استعراض سنة ٦٦٢ هـ ، ما اذا كان الجيش الذي يستعرضه هو كل

ما عنده من قوات ، اجاب انه جيش القاهرة وحدها (١) .

وكان الجيش موزعا على المدن الكبيرة في مصر وبلاد الشام ، وفي القلاع الداخلية

وفي الشغور .

وكان للامراء رتب تبدأ برتبة اميرمئة ، وهي العليا ، ثم امير طبلخاناه فامير

عشرة ، فامير خمسة . وكان عدد امراء المئة اربعة وعشرين اميرا وعدد امراء الطبلخاناه

ثلاثين اميرا (٢) .

### نفقات الجيش :

ولم تكن نفقات الجيش ثابتة ، ان انه لم يكن للجند مرتبات ثابتة . فالعمال

السلطانية نفقتهم على السلطان بالذات . اما جنود امراء الاقطاع فنفقتهم من الاقطاعات

التي يمنحها السلطان لهؤلاء الامراء . واما نفقة الفئة الثالثة فعما يرثونه من ابائهم ويزيد

على هذا ، للنفقات الثلاث ، ما يعطونه من مكاسب الحرب ، ومن هبات وخلق فسي

المناسبات المختلفة . ولئن لم يكن لدينا ما يدلنا بدقة على مقدار نفقات الجيوش المملوكية

عهد الظاهر ، فانه موسعنا ان نقرر انها كانت كبيرة جدا . وهنالك روايات قد تلقي ضوءا

على هذا . الاولى ان المظفر قطز جمع نحو ستمائة (٣) الف دينار لحمته على التتر في

عين جالوت خلال بضعة اشهر . والثانية ان الظاهر خصص نحو مليون دينار (٤) لتجهيز

عشرة الاف جندي في حملة على العراق ، والثالثة انه انفق نحو ٦٠٠ الف دينار (٥) في

حمته سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م ، على البيرة ، والرابعة انه فرض مليون (٦) درهم على اهل

دمشق للاسهام في حملته الاخيرة في اسيا الصغرى .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٣ ، - ٢ - راجع ص ١٢٧ الى ١٣٠ وملحوظات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٧ . - ٤ - ص ٨٧ ، اعلاه . - ٥ - الذهبي ج ٢ ،

ص ١٣٣ - ٦ - المقرئ ، السلوك ، ص ٦٤٠ .

وفي الخطط (١) فصل عن جيوش الدولة التركية ، اشار فيه الى كيفية تأمين نفقات الجيوش المملوكية فقال ان السلطان كان يحدد للامير ثلث الاقطاع ويجعل الثلثين لاجناده وان اقطاع امير المئين المقدم يتراوح بين ثمانين الف دينار ومئتي الف دينار وان اقطاع امير الطبلخاناه من ٢٣ الى ٢٠ الف دينار . اما الاجناد فادنى اقطاع الواحد منهم ٢٥٠ دينار .

ونقل القلقشندی عن ابن عبد الظاهر ، ان نفقات السلاح خاناه كانت تتراوح ما بين ٧٠ و ٨٠ الف دينار (٢) .

### قيادة الجيش :

كان السلطان الظاهر نفسه القائد الاعلى للجيش . وهو مطلق التصرف في شؤون الحرب والسلم يعاونه في ذلك مجلسان - مجلس السلطنة او المشور المؤلف من اتابك العساكر والخليفة والوزير وقضاة المذاهب وامراء المئين ، ومجلس الامور الخاصة وهو برئاسة امير من امراء المئين ، ومهمته بروتوكولية . وقد نظم الظاهر هذين المجلسين بحيث كانت كلمته هي العليا (٣) .

وكانت الفئة الاولى المماليك السلطانية مقسمة الى ثلاثة اقسام يسمى ثلثها الاول جيش الزحف . ثم يتبعه الثلث الثاني فالثالث اذا لزم الامر . (٤) . وكان الظاهر يعطي قواده تعليمات دقيقة مفصلة عند الهجوم ، وغالبا ما كان يسجلها في رسالة مختومة ويعطيها للقائد ويأمره الا يفتحها الا في مكان معين (٥) .

---

(١) المقرئري ج ٣ ، ص ١٣٩ ، ١٤٥ ، ٢ - القلقشندی ، ج ١٣ ، ص ٤٧٧ .  
(٢) القلقشندی ، ج ٣ ، ص ٤٨١ ، ج ٤ ، ص ٤٥ ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٥ ، حسن ، ص ١٦٨ ، وقد عرف الفاطميون المجلس الثاني وقد كانت له عندهم صلاحيات واسعة - ٤ - ملحوظة ٢ ، ص ١١٧ اعلاه .  
٥ - ابن عبد الظاهر ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، المقرئري ، السلوك ، ٥٢٣ - ٥٢٤ ،  
٥٢٥ ، الخطوط ج ٣ ، ص ١٤١ .

خطته في معاملة الجنود :

كان الظاهر يعامل جنوده معاملة طيبة اثناء السلم وفي المعركة . فقد عين لهم يوم الخميس من كل اسبوع لاستماع شكاويهم ، وكان يعنى بترتيب اخبازهم حتى لا يكون مجال للتذمر .

اما في الحرب فقد كان يضع نصب اعينهم هدفا يستجلبهم كحصرة الاسلام ويشدد على ذلك ويدعو له بقوة حين يتدمر الجند ، كما فعل اثناء الدفاع عن البيرة ، سنة ٦٦٣ هـ وكان لا يعرضهم الى مخاطر لاداعي لها .

لباس الجيش واسلحته :

كان الجندي يضع الكلوة الصفراء على راسه ، ويرتدى الغباء الابيض الضيق الاكام من القطن البعلبكي . وقد يكون لونه ازرق او احمر (١) .  
اما الاسلحة ، فمنها السيف والرمح والترس والنشاب . واما الالات فالمجانيق والدبابات ذوات العجل ، والزحافات والقواطع (٢) .

الاستعراضات العسكرية :

وليس ادل على هذه العناية بالجيش من الاستعراضات الضخمة المؤثرة التي كان الظاهر يجريها ، ففي سنة ٦٦١ هـ امر الظاهر امرأه واجناده ان يعملوا العدد الكاملة لهم ولعماليتهم . فاشتغل الجميع بذلك حتى اذا صدف ان مر احد في سوق السلاح لم يقدر على العبور من كثرة الخيل والاجناد . ولم يعد لاحد شغل غير الاهتمام بعدته الحوية ، فارتفع سعر الحديد واجر الحدادين من جراء ذلك . ثم اجري الاستعراض وكان كل جندي يمر امام السلطان فيسأله هذا عن حاله حتى اذا تظلم احدهم من اميره اوجب انصافه (٣) .

(١) المقرئ الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤١ - ٢ - المقرئى - السلوك ، ص ٤٢٥ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

وفي جمادى الاول سنة ٦٦٣ هـ ارسل الظاهر الامير سيف الدين بلبان الزينى امير علم الى بلاد الشام لتجهيز القلاع وعرض العساكر في حماه وحلب وفي الثغور المختلفة • ووجب على الامراء استكمال العدة للجهاد وامر بحمل خزانة كبيرة من المال من دمشق الى البيرة لنفقات الدفاع عنها (١) •

وقدر اجراء استعراض اخر في ذى القعدة من السنة نفسها فاصدر تعليماته بذلك منذ شعبان • فاهتم الامراء والجنود في القاهره ودمشق وحلب وحماه حتى انه لم يبق لهم ما يشغلهم غير تأمين السلاح للاستعراض • وامر ان لا يلبس في يوم الاستعراض الا عدة الحرب •

وفي اليوم المحدد للاستعراض جلس السلطان في صفة بجانب دار العدل عند بزوغ الشمس وجاء الناس منذ الساعة الباكرة يتفرجون وامتلأت الساحات جنودا حتى كانت العين لا تقع الا على خوذ لامعة وانوار ساطعة وخيول تصهل وجنود تقبل واطلاب سائفة وعساكر متلاحقة • ثم امر السلطان كل امير ومقدم ان يعرض جنوده وماليكه في يوم واحد • واستمر العرض يوما كاملا ، والجندي يجيب عما يسأل ، ثم ضاق الوقت فصاروا يمرون خمسة خمسة عشرة عشرة •

ومند المساء ركب السلطان بقية ابيض وساق الى الدهليز ثم عاد الى القلعة ومنها الى ميدان العيد حيث جرى لعب القبق ورمي النشاب •

وفي اليومين التاليين اخذ يوزع هباته على الملوك والامراء والخواص وارساب المناصب والعمائم والوزراء والقضاة حتى تعجب الناس من كثرة ما يبدل ، ثم ختم

الاستعراض بسماط في قلعة الجبل (٢) •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٨ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥١٠ •  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٠ - ١١٣ ، ابن الفرات ج ٦ ، ص ٥٣ و - ٥٤ ، المقرئى ،

السلوك ، ص ٥١٢ ، ٥١٧ - ٥١٩ •

وقد كان السلطان الظاهر حريصا على المظاهر للتأثير على الناس . فقد جاء بالسير حررد ( Sir Harold ) قسطلان يافا (١) لحضور الاستعراض و دعا رسل بركة لحضوره ايضا (٢) .

وفي اول سنة ٦٦٧هـ / امر بالاستعداد لاستعراض عسكري عام اشبه بالاستعراض السابق (٣) .

### التدريب العسكري :

ومن مظاهر اهتمامه بالجيش انه رتب لعب القبق ورمي النشاب ، ليستمر بذلك تدريب الجنود وجعل من لعبة البولو والصيد ميدانا للتدريب العسكري ايضا . وكان يقيم لذلك رحلات وحفلات خاصة . ففي سنة ٦٦١هـ رتب لعبة القبق بموفي سنة ٦٦٢هـ اقام احتفالا لرمي النشاب ، بعد الاستعراض الكبير ، وفي محرم سنة ٦٦٧هـ / ايلول ١٢٦٨ اقام احتفالا اخر خاصا برمي النشاب في ميدان الصيد ، ثم اتبعه بتدريب للجيش (٤) . وفي ذي الحجة سنة ٦٦٩هـ / تموز ١٢٧٠ لازم دار الصناعة لرمي النشاب . وكان يوجب على جنده ان يصنعوا النشاب بانفسهم .

وفي رمضان سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٤ اقام احتفالا للعب القبق ورمي النشاب معا دام بضعة ايام . وانقسم الجيش فرقتين وقامتا بمانسيه اليوم بالتدريب بالذخيرة الحية (٥) .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٤ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٥٣ ، ق ٠ - ٢ - ابن عبد الظاهر ، ص ١١٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٥٣ ، ق ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥١٩ - ٣ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٣٦ وورقة ٤٧ ، ٤٩ ، - ٤ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٤٨ - ٤٩ .  
(٥) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٢ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ابن ايام ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، والقبق خشبه عاليه في اعلاها دائره يحاول الرماة ادخال السهم فيها لاحكام الرمي . وكان لرمي القبق ميدان خاص بالقاهرة هو الميدان الاسود وقد بنيت فيه مصطبة خاصة للسلطان في محرم سنة ٦٦٦هـ ( المقريزي ، الخطط ج ٢ ، ص ١١١ ، نقلا عن السلوك ، ص ٥١٨ - ٥١٩ ملحوظة ٦ ) .

## القوات البحرية

كانت القوة البحرية قد اهتمت في السنوات السابقة لمجيء السلطان الظاهر بيبرس واستخدم الامراء رجال الاسطول في الحوايق . لكن الظاهر امر في سنة ٦٥٩ هـ ان يعود الامر الى ما كانت عليه الحالة في عهد الملك الكامل ، وانشاء الشواني في الاسكندرية ودمياط ، واصدر تعليماته بضرورة العناية بالاشباب . ويوم الاحد ١٩ رجب سنة ٦٥٩ هـ اجري استعراضا بحريا اشرف عليه هو والخليفة من جزيرة الروضة (١) .

ولما تحطم الاسطول الظاهري في فزوة قبرص ، اهتم ببناء اسطول جديد . وفي ذي الحجة سنة ٦٦٩ هـ تموز ١٢٧١ امر ببناء اربعين قطعة بحرية . وكان يشرف بنفسه على بناء الطرائد والسلاوير والحوايق في دار الصناعة . ويوم الاحد ١٤ محرم سنة ٦٧٠ هـ ١٢٧١ نزل الى دار الصناعة لتدشين الاسطول الجديد . وفي سنة ٦٧١ هـ نصب مئذنة منجنيق على اسوار ميناء الاسكندرية لصد الفرنج (٢) .

حقا ان الظاهر لم يهمل القوات البحرية الحربية ، لكنه لم يعن بها كما عني بقواته البحرية المسلحة .

وينبغي الا نختم هذا الفصل قبل الاشارة الى وسيلة اخرى لجاء اليها الظاهر للدفاع وهي استخدام القبائل لحماية الطريق والمناطق الواقعة على التخوم ، او اسكان هذه القبائل في مناطق الخطر . وفي سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٧ اسكن بعض التركمان في فلسطين واسكن البعض الاخر في كسروان (٣) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٠ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٤٧ .
  - (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٣٠ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ ، ٤٦٦ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٤٧ ، ٤٩٥ ، ٥٩٨ ، ٦٠٩ ، ٦٠٨ ، بالخط ، ج ٣ ، ص ١١١ ، حاشية ١ .  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ .
  - (٣) المقرئ ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥١ ، راجع ص ٩٩ وما يليها عن الاعراب .

عني مؤرخو الممالك عامة عناية كبيرة بتفصيل اسماء البلاد التي حكمها الظاهر ، ثم جعلوا منها لائحة فسموها اربعة اقسام . قسم ملكه ، وقسم احتله من الصليبيين وقسم آخر احتله من غير الصليبيين ، وكانت له فيها السيادة الكاملة وقسم رابع لم يستطع احتلاله بل قبل المشاركة في حكمه والمناصفة على غلاله .

تدبر الملك من مصر الى اليمن الى العراق وارض الروم والدروب .

اي ان ملكه امتد من تخوم اسيا الصغرى في الشمال الى الجزيرة العربية

والنوبة جنوبا اما شرقا فكانت الاراضي التي بارت بعد فزوات التتر حدا فاصلا بينه وبين

ايلخانات فارس . ولم تخضع له الجزيرة العربية كلها ولكنه كانت له صداقة مع صاحب

اليمن ، وسيطرة على مكة والمدينة ، لتأمين حماية الكرك والشويك ، والطريق الى اليمن (١)

ودامت مدة حكم الظاهر سبع عشرة سنة واثنين وتسعين يوما منذ جلوسه

في ١٧ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ الى وفاته في ٢٨ محرم سنة ٦٧٦ هـ .

---

(١) ملك دمشق وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ياشروصهيون وبلاطنس وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابي والرصافة والكرك والشويك وحلب وشيزر والبيرة والنوبة وبرقة ، وقيصرية ، والقلعة ومصيف ، وقيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكية ، وبخراسر وحصن الاكراد وعكار وحلبا والقرين وصافيتا ومرقبة ودرساك ودركوش وربعان وبانياس والمزبان ودلوييا وتشميش وكفردين وبزوية ، وسائر اقليم مصر ، وناصر الفرنجة على المرقب وانطرسوس . (ابن عبد الظاهر ، ص ١١٨ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٨١ / ٢٨٢ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٦٣٨ ، ابن تغري بوردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٦ - ١٨٨ ، ١٩٠ .

وطبيعي ان ادارة هذه البلاد الواسعة في وقت كانت الاخطار محدقة بها، تتطلب  
مقدرة كبيرة كالتي تحلى بها الظاهر. لكن هذا لا يكفي ولا بد من جهاز ادارى معين ولا بد  
لهذا الجهاز الادارى من اسم معينة يقوم عليها .

وينبغي ان نتنبه هنا الى ان العماليك ورثوا ادارة سابقة ولم يكن بوسعهم ان  
يستبدلوها بغيرها بسرعة. ثم ان طريقة مجيئهم الى السلطة حتمت عليهم ان يضيفوا للادارة  
السابقة اشكالا واساسا جديدة اقتضتها الظروف من جهة واقتضاها كونهم اترাকা عرفوا في  
مواطنهم السابقة نوعا تتريا وفارسية من الادارة من جهة ثانية . ويدلنا على هذا تركيب  
اسمائهم من مقاطع تركية وفارسية وروسية . وقد اتبع الظاهر قاعدة ملوك التتروا احكام جنكزخان في  
اليسق والتورا (١) .

وقد تنبه ابن تغرى بردى لذلك فقال " ان الملك الظاهر هذا هو الذي ابتداء في  
دولته بارباب الوظائف من الامراء والاجناد وان كان بعضها قبله فلم تكن على هذه الصيغة  
ابدا . اى ان الظاهر احتفظ باسما وظائف سابقة لكنه غير صلاحياتها من جهة وسلمها لجنود  
من جهة ثانية ، ثم انشأ وظائف جديدة منحها لرجال السيف .

(١) اليسق تركية ومعناها الترتيب والثورا تركية ايضا ومعناها المذهب . واصل كلمة اليسق هو  
سي يا . وسي فارسية معناها ثلاثة وسا مغولية معناها ترتيب . اى ان الكلمة تعنى الترتيب  
الثلاثي الذي اوصى به جنكزخان ابناء الثلاثة . ثم حرفت العامة الكلمة فقالوا "سياسة"  
ثم حذف الترك "سي" وحولوا "يسا" الى يسق . (ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٦،  
ص ٢٦٨ - ٢٦٩، وج ٧، ١٨٢ - ١٨٣) .

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ج ٧، ص ١٨٣ .

مقابلة الادارة الظاهرية بالادارة الايوبية من حيث الاسرار العامة .

كانت الادارة عهد الايوبيين تركز على قيام سلطان وراثي مركزه مصر ، ويتبع له الامراء الاتطاعيون من سلالته . وكان هؤلاء الامراء ذوي صلاحيات واسعة في اقاليمهم . وظلت الادارة المملوكية تحت سلطان مركزه مصر لكنها اختلفت عن سالفتها في انها كانت اكثر حزما واكثر مركزية فقد كان الظاهر يتطلب تنفيذ اوامره بسرعة وهدون تردد . وكان دائما مسيطرا على الادارة . فمعد سنة ٦٦٦ هـ / لم يبق ببلاد الشام امارة مستقلة استقلاليا عن السلطنة الا حماه فاستطاع بذلك ان يمنح ادارتها نسجا وتوازنا ضروريا لها . ثم انه لم يكن للسلطان الظاهر سلالة كما كان لصالح الدين الايوبي تضعف من سلطانه وتشل يده . ولم تكن السلطنة المملوكية وراثية من حيث المبدأ ولو شاء الظاهر ان يفعلها كذلك ، من حيث الواقع . اذ الى هذا ان السلطنة الايوبية كانت تابعة لخلافة مركزها بغداد لها صفة السيادة الشرعية عليها ولها قوة عسكرية . بينما كانت السلطنة المملوكية تابعة شكلها لخلافة وهمية من صنعها مركزها القاهرة .

السلطان الظاهر وموظفوه .

كان السلطان على راس الادارة المملوكية . وكانت له صلاحيات وسلطات واسعة كان في الحقيقة ، اولا بين زملاء - *primus inter pares* - ولكنه كان عظيما بينهم مهايا لا يجسرون على الدخول عليه بدون اذن (١) . وبلغ من هيئته ان كان البعض يخشون الدخول عليه ولو ماؤنين (٢) .

(١) المقريزي بالسلوك ، ص ٦٢٧ .

(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٩١ ، عندما استدعى عز الدين الدمياطي وعلي الدين الركني اليه لارسالهما لدمشق لافتعال طيبرس .

وكان السلطان يعين كبار موظفيه كالنواب والوزراء وكتاب السر والمحتسبين ونظار الدواوين

وكان له حق عزل هؤلاء الموظفين ساعة يشاء ، وله حق النظر في المظالم .

وكان الى جانبه امراء ارفعهم امراء المئة (١) وامراء الاربعين او امراء الطبلخانة (٢)

وامراء العشرة (٣) وامراء الخمسة .

وكان السلطان الظاهر دقيق المراقبة لموظفيه ونوابه جميعا . شديدا في محاسبتهم ،

سريحا في معاقبتهم او مكافأتهم وكان يطالع ورقة الصباح ، وهي نشرة يومية كان الوالي في القاهرة

يصدرها صباح كل يوم ذكرا فيها ما مر من حوادث . وكان يتنكر في الليل ويسير في شوارع

القاهرة ، ليراقب سير الامور . ففي سنة ٦٦٢ هـ كثرت الجرائم في خليج القاهرة اذ اختفى عدد

من الناس ثم تبين ان امرأة حسناء تخرى الشباب المثرين ، حتى يوافوها الى بيتها فتقتلهن

وتستولي على مالهن . فسرها السلطان وسمر معاوينها (٤) .

وفي ربيع الاول من سنة ٦٦٣ هـ تبين للسلطان ان نواب الوالي في القاهرة لم يسجلوا

في ورقة الصباح حوادث سرقة ونهب . فشنق المسؤولين عن الاهمال (٥) .

---

(١) عدد هم ٢٤ اميرا . وامير مئة مرتبة خاصة فيقال امير مئة مقدم الف . اسماهم الفاطميون  
الامراء المطوقين ، نسبة لاطواق الذهب (الفلقشندي ، ج ٢ ص ٤٧٦ ، والمقريزي ، السلوك

ص ٢٣٩ ، الخطط ج ٣ ص ١٣٩ ، ونفس الصفحة ، ملحوظة ١ ، للدكتور محمد مصطفى زيادة

(٢) امراء لهم الحق بدق الطبول . اسماهم الفاطميون " ارباب القصب " كان عدد هم ثلاثين اميرا .  
ويرجع دموميين التسمية الى ان خوارزمشاه جاء الخليفة العباسي الناصر ببغداد يضرب لنفسه  
النوبة . (الفلقشندي ، ج ٢ ص ٤٧٢ و ج ٤ ، ص ٥ ، المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٣٩

دموميين ص ( LIIV )

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ، ومنهم صغار الولاة والموظفين .

(٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، المقريزي ، السلوك  
ص ٥٢١ .

(٥) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٩ .

وفي ذي الحجة سنة ٦٦٤ هـ امر بتسمير جماعة من الناس ايضا (١) وتجول في القاهرة ذات ليلة في ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ فوجد جنديا عرى امرأة وراح يضربهما في مركز الوالي ولا يجروء الوالي على معاقبته . فاوجب انزال العقاب الشديد بالمجرمين (٢) .

وكان سريعا في معاقبة الوالي اذا علم منه شذوذا او تقصيرا . ففي شوال سنة ٦٦٠ هـ امر باعتقال علاء الدين طيبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق ، لانه اساء السيرة مع اهل دمشق ومكن العربان من شراء الغلال من دمشق بمخوف اهلها من هجوم التتر حتى بيعت الموجودات باثمان بخسة وبيعت الجمال باسعار عالية ، واثرى النائب اثراء اعتبره السلطان فير مشروع (٣) .

ولم تكن جولاته السرية تقتصر على القاهرة . فكثيرا ما كان يتنقل بين القاهرة والاسكندرية ودمشق وحماه وحمص سرا للاطلاع على حقيقة الحالة فيها (٤) . ففي ذي القعدة سنة ٦٦٢ هـ خرج بجولة تفتيشية في الجهات الغربية من مصر (٥) . وفي رجب سنة ٦٦٧ هـ فادر دمشق الى خربة اللصوص بالقاهرة سرا على خيول البريد ثم عاد الى دمشق والناس يظنونهم مريضا (٦) . وفي محرم سنة ٦٧٠ هـ قصد الكرك سرا ونقل نائبها الى حصن الاكراد وعين فيها نائبا جديدا ، ثم واصل السير سرا ، حتى وصل حماه (٧) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٥٣ ، وج ٢ ، ص ٢٣١ ، و ٣٦٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٧٣ ،

المقريزي ، السلوك ، ص ٥٤٠ .

(٢) ملحوظة ٣ ، ص ١٢٩ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ ، وج ٢ ، ص ١٥٣ ، ١٥٥ ،

١٩١ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٩٤ ، المقريزي ، السلوك ،

ص ٤٧٢ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ص ٥٨٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٥٥ ، و ٥٢١ ، ٦ - ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٥ ، اليونيني

ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٤١ ، وورقة ٦٤ ، المقريزي -

السلوك ، ص ٥٧٤ ، ٥٧٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٥ .

(٦) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، و ابي الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ٩٩ ، المقريزي

السلوك ، ص ٥٩٥ ملحوظة ٣ ص ١٢٩ ادناه

واتبع مع موظفيه ونوابه سياساً سياسها الثقة من جهة والمراقبة والتفتيش من جهة ثانية  
والمكانات والمعاقبة من جهة ثالثة . كان يعمل على استقرار الادارة ، لذلك " كان كل من  
ولاه . . . في مملكة او عمل ابقاه ولم يغير عليه ولا عزله " . فانه لم يغير اتنابكة حتى مات  
هذا سنة ٦٢٢ هـ . ولم يول الوزارة غير واحد هو صاحب بهاء الدين بن حنا (١) .  
وقل ان غير نائبا من نوابه في مصر . لكنه كان على غير ذلك في بلاد الشام فقد كان كثير  
رحلات التفتيش فيها . وكان يكثر من تغيير النواب والولاة والقادة العسكريين وقد قيل انه  
امر بكتابة ٨٠ مرسوما لاجراء تنقلات بين نوابه وموظفيه في يوم وليلة سنة ٦٢٠ هـ (٢) .  
لقد كان الظاهر يلعب الدور الاول في ادارته . ففي زمن السلم كان يقوم الى الصلاة  
صباحا ، ثم يخرج الى باب دهليزه فياتي به الناصر ليحكم لهم في قضاياهم ويعلم على كتبهم (٣)  
وفي زمن الحوب كان يشرف على الاستعدادات الحربية ، ويقود الحملات بنفسه .  
وهكذا نجد ان السلطان الظاهر جمع في ادارته بين مبادئ ثلاثة اساسية هي حسن  
اختيار الموظفين ، والثقة بهم ومراقبتهم ومحاسبتهم بحزم وشدة (٤) .

### لقب السلطان

كان صلاح الدين اول من تقلب بالسلطان في مصر ، ثم تبعه العماليك ، واتخذ الظاهر  
لقبا له بعد مقتل قطز ، ثم لقب " قسيم امير المؤمنين " فصار اسمه الكامل كما يلي :

- 
- (١) اليونيني ج ١ ، ص ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٧٩ ، المقرئ ، السلوك  
ص ٥٩٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٧٩ ، وقد دعاه  
الظاهر " يا ابي " ابن شاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ .
  - (٢) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٩٩ .
  - (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٨٧ .
  - (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣١ ، ٢٠٤ ، المقرئ ، السلوك ، ،  
ص ٤٥٩ ، ٤٤٠ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٤٠ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ،  
ج ٧ ، ص ١٤٥ .

• السلطان الملك الظاهر السيد الاجل الكبير ، العالم العادل ، المجاهد المرابط ،  
المسويد المظفر المنصور ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، سيد الملوك  
والسلاطين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ناصر الحق ، مغيث الخلق ، ملك البحرين ، صاحب القبلة  
خادم الحرمين الشريفين . محي الخلافة المعظمة ، ظل الله في الارض ، نسيم امير المؤمنين ،  
بيبرس بن عبد الله الصالحى (١) . • اما الدولة فسميت " المملكة الاسلامية " حينما او "الممالك  
الاسلامية" حينما اخر .

### السلطان السلطانية

كان السلطان يقيم في قلعة الجبل مع رجال حاشيته ورجال البلاط . وكانت له فيها  
خزانته واهراؤه ومطابخه واصطبلاته . وكانت الى جانبها دور للماليك الامراء ومسكن الاجناد  
وكانت شؤون القصر منظمة تنظيما دقيقا ، يسال عنها موظف كبير ومعه معاونون يختص كل  
واحد منهم بشان من شؤونه (٢) .

### الموظفون

وينقسم الموظفون في السلطنة المملوكية الى قسمين ذوى الوظائف العسكرية وذوى  
الوظائف المدنية . وقد حصر القلقشندي الوظائف العسكرية في ٢٥ وظيفة (٣) . وعند  
الوظائف الديوانية اموظائف حملة الاقلام فكانت تسعا ومنها الوزارة وكتابة السر ونظير  
بيت المال (٤) .

وفيمما يلي موجز لبعض هذه الوظائف :

(١) نقلا عن على ابراهيم حسن ، ص ١٥٧

(٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٥ .

(٣) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٦ ، ١٨ - ٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٨ .

الركاب خاناه ، وفيها اصطبلات لابغال والسباع والفيلة وخيول البريد ، والحوائج خاناه ،  
والشراب خاناه ، والطست خاناه ، والفراش خاناه ، ودار الضيافة (١) ، والزمام دار (٢)  
والخازندار الكبير (٣) ، والاستدار (٤) ، والخوان سلار (٥) ، والجميدار (٦) ، واميسر  
الشكار (٧) .

وهنالک الطبليخاناه ، ولها مهتار مسوول عن ادوات الموسيقى (٨) . والحاجب .

وقد جدد الظاهر هذا المنصب ليحكم بين الجند في شؤون الاقطاع ، ويامر فيهم ، ويقف

مع السلطان عند النظر في المظالم ، لا ان يحجب الناس عن الدخول اليه ، كما كان في بعض العهود

---

(١) عرفت هذه الوظائف في عهد الفاطميين تحت اسماء اخرى . الفلقشندی ج ٣ ص ٤٨٢  
وما بعدها وج ٤ ، ص ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، المقريزي ، الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) ومعناها ماسك البقجة ، الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢١ .

(٣) مسوول عما يجلب للبيوت السلطانية ، ومعه معاونون يدعى كل واحد منهم خازندار ينسب  
الى المهمة التي يقوم بها ، كخازندار الصنف اذا كان مسوولا عن الاقمشة ، وخازندار  
العين لضبط الدخل والخرج ، وهو امير طبليخاناه . الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢١ ، ج ٥ ،  
ص ٤٦٢ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، دموبين ص ( LIX )

(٤) امير مئة . ومهمته النظر في امور " الحاشية على اختلاف طوائفها وانواع وظائفها " من  
احوال السماط والمطبخ والمشرب ومراجعة الاطباء والبيوت السلطانية كالطست خاناه والفراش  
خاناه ، والاصطبلات ونفقات الامراء السلطانية . الفلقشندی ج ٤ ، ص ٢١ ، ج ٥ ، ص  
٤٥٤ ، ٤٦٠ ، دموبين ص ( LXII )

(٥) وهو كبير الخدم مكلف بالسماط السلطاني في الافراح والاعراس ومعه معاونون منهم الساقى  
والمرقدار والمهتار . الفلقشندی ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ ، ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ابن تغري بردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٦) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ٢٢ .

(٨) الفلقشندی ، ج ٤ ، ص ١٣ ، ص ١٥ ، دموبين ، ص ( LXIII ) . وقد عرفت  
هذه الوظيفة عهد الفاطميين .

السابقة واللاحقة (١) . ورأس النوبة ، وقد احدثها الظاهر ، لأول مرة في مصر ، وهي في التنرية بسول . ومهمة رأس النوبة رئاسة المماليك السلطانية والفصل في خصوماتهم ، واعتقال من يريد السلطان اعتقاله . وهو اميرمئة ، ومعه ثلاثة من امراء الطبلخانا (٢) . والدوادار ، وقد كانت وظيفة يليها مدني متعم ، اورجل من رجال القلم يحمل للسلطان الدواة ويحفظها ، لكن الظاهر رفعها الى مركز مرموق يليها امير عشرة (٣) ، وامير اخور وهو الناظر في امور الاصطبلات ، وخيل البريد ، والركائب المعدة لقطع المسافات البعيدة . وكان الظاهر اول من انشأ هذه الوظيفة . وكان يختار من امراء المئة ويعاونه نفر يختارهم بنفسه من امراء العشرة ومنهم السراخور المسؤول عن العلف (٤) . وهي في الاصل مغولية باسم " آق طشى " (٥) ، والمهمندار بمهمته استقبال الضيوف والسفراء والوفود وتعيين مركز كل منهم (٦) .

وهناك ايضا امير السلاح من امراء المئة ، وهو مسؤول عن الاسلحة والمسلحين ويحمل للسلطان سلاحه في الحفلات العامة (٧) وامير المجلس المسؤول عن الطبابة والادوية .

- 
- ١) القلقشندى ، ج ٤ ، ص ١٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٣ - ١٨٤
  - ٢) القلقشندى ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١١٥
  - ٣) ابن تغرى بروى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
  - ٤) القلقشندى ، ج ٤ ، ص ١٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
  - ٥) المقرئى ، السلوك ، ص ٣٤٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٥ .
  - ٦) القلقشندى ، ج ٣ ، ص ٤٨٨ ، عرفه الفاطميون باسم " نائب صاحب الباب " و ج ٤ ، ص ٢٢ .
  - ٧) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

- يجلس على رأس عيسر السلطان (١) • وأمير العلم وهو المسؤول عن الاعلام وقت ضرب  
الطبول واثناء السفر (٢) ، وصاحب الجناح الكرم ، وهو اول من يدخل على السلطان  
واخر من يخرج من حضرته • ويحضر تعيين الموظفين والولاة وتحليفهم اليمين (٣) •  
اما نيابة السلطنة فالحياها الظاهر لكثرة تغيبه عن القاهرة (٤) •  
واخيرا هنالك ثلاث وظائف ديوانية هامة هي الوزارة وكتابة الانشاء وديوان  
المالية • وكانت كتابة الانشاء تحت اشراف كاتب الانشاء ومعه موظفون من طبقتين اولاهما  
طبقة الرئاسة والثانية هي طبقة كتاب الدست وكتاب الدرج (٥) • وهي ما نسميه اليوم بوزارة  
الخارجية • وكان ديوان المالية مقسما الى دواوين لكل منها اختصاصه ومداخيلها  
وكل ديوان مسؤول عن ناحية معينة من الميزانية (٦) •

- 
- (١) المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ •  
(٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ ، دمومبين ص ( LXIII )  
(٣) حمزة ، ص ٥ •  
(٤) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ١٦ ، ج ٥ ، ص ٤٥٣ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٢ •  
(٥) القلقشندي ، ج ١ ، ص ١٣٧ ،  
(٦) ويحزو بولياك ذلك (ص ٥) الى الصعوبات المالية •

وهناك الوزير ، كان منصب الوزارة لأول بين مناصب رجال القلم لايديها امير عسكرى وكان للظاهر وزيران ، احدهما ، وزير دائم يبقى في القاهرة واخر يدعى وزير الصحة يرافقه في حملاته ورحلاته . وكان الوزير محترما حتى ان رؤساء مصر والقاهرة والامراء كانوا يمشون في خدمته عندما يعين في منصبه (١) .

وهكذا نجد ان الظاهر احتفظ بالوظائف القديمة ، بوجه الاجمال ، ولو انه غير صلاحيات بعضها واستحدث وظائف جديدة لكنه على كثرة الوظائف ، حدد لكل وظيفة صلاحيتها واختصاصها بوضوح (٢) . ونجد ايضا ان الظاهر قسم الادارة الى فئات ثلاث اولاهما تتعلق بالشؤون المنزلية الخاصة بموئائيتها حلقة وصل بين هذه الفئة والفئة الثالثة . اما هذه فهي الادارة العامة الداخلية والخارجية .

وكان لكل موظف شعار خاص به يدعى رنكا يحفر على انيه او تحفه او زجاجة او قطعة معدن . وكان للظاهر رنك هو الاسد (٣) ، وعلامة يضعها على مناشيره هي " المستعان بالله " (٤) . وهناك نحو خمسين رنكا عرفت حتى الان (٥) .

وقد استعان الظاهر على الادارة بجيش مني به بمنظمه ، ووزعه على الفروع الداخلية والشؤون الواقعة على الحدود (٦) .

---

(١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٢١ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٢٩ ، راجع ص ١٢٩ ، ملحوظة ١ . وكان وزير الصحة الاول فخر الدين بن حنا حتى ٢٤ شعبان سنة ٦٦٨ هـ حين استبدله باخر . اليونيني ج ٢ ص ٤٣٢ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٥٠ وقد جعل السنة ٦٦٩ هـ .

(٢) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٦  
(٣) بولياك ، ص ٣١ ، - ٥ - حسن ص ١٦٨ ومنها الكاسر ، والمقلمة ، والقاموس والبقجة ، والخونجة ( المنضدة ) ، وعصا البولوس ، وزهرة اللوتس ، والصولجان بالنسر .

(٦) انظر ص ١١٦ اعلالحديث عن الجيش .

## البريد

وقد عني الظاهر بترتيب البريد منذ ان رقي السلطنة لان سلطانه كان يعتمد الى حد بعيد على بريد سريع وامين لا يخفي عنه " شيئا من المتجددات ولا يطوى حالة من الحالات " ولتامين هذه السرعة رتب للبريد خيلا كانت في مراكز بين القاهرة والمدن الكبيرة الاخرى • وكان في كل مركز سوائون لا يتحركون الا بمرسوم سلطاني • ووضع في كل مركز جميع ما يحتاجه المسافرين • وقد كانت خيل البريد هذه صلة الوصل بين اجزاء السلطنة بحيث استطاع ان يجرى موكبا في القاهرة ودمشق في اسبوع واحد (١) • وكان الظاهر يستطيع الانتقال بين دمشق والقاهرة مرتين في الاسبوع • وكانت هذه الرحلة لا تستغرق اكثر من يومين وسبع ساعات فقط • وقد جاءه خبر انتصار قواته في البيرة سنة ٦٦٣ هـ الى يبنى في اربعة ايام (٢) • وكانت الاخبار تصله من سائر نواحي المملكة مرتين في الاسبوع، وكان على كاتب الانشاء ان يبلغه اخبار التتر والفرنج كل صباح ومساءً، حتى استطاع ان يسيطر على المملكة من قلعة الجبل •

### التجسس والعناية باستطلاع الاخبار:

والى جانب البريد كان للظاهر عدد من الخبيرين يطلعونه على الاخبار الداخلية والخارجية • وهناك عدد من القصص تدل على دقة اطلاعه على ما كان يحدث في سلطنته او على حدودها (٣) •

- (١) ابن عبد الظاهر، ص ٣٤ • المقريزي، السلوك، ص ٤٤٦، ٤٤٧ • ابن تغري بوردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٨٦، • ابن اياس، ج ١، ص ١٠٨ •
- (٢) ابن عبد الظاهر، ص ١٢٠ - ١٢١ •
- (٣) راجع ص ١٢٧ املاه •

وقد لاحظنا من اعتقاله الامراء انه كان شديد العناية بالاطلاع على الاخبار

السياسية الداخلية . واضيف هنا قصة عن اطلاعه من اجتماع عدد من الامراء في دار  
احدهم لانتقاد السلطان فسمّر احدهم وكحل عيني الآخر وقطع يده ورجله ، ثم منع الاجتماعات  
اطلاقا (١) .

ثم هنالك اخبار التتروقد كان له جواسيس في بلاطهم بفارس (٢) ، ولذلك علم بقدم  
رسل التترو الى المغيث . واستطاع ان يعلم بمجيء جواسيس التترو الى مصر عن طريق سيسر فسد  
عليهم الطريق واعتقلهم (٣) . وعلم ان ملك الكرج تنكر في زي راهب وجاء الى سيسر فعكا فيافا .  
وهنا علم به بدر الدين الخازندار فقبض عليه وارسله الى القاهرة (٤) وعلم ايضا بمجيء جاسوس  
الى البيرة سنة ٦٦٥ هـ فاعتقله واعدمه (٥) .

وهنالك قصة سلمان بن المويد بن عامر العقرباني المعروف بالزوين الحافظي . فقد  
كان كالقرعة الطافية على وجه الماء على حد تعبير هولاء ، من كثرة ما تنقل في خدمة الاسياد  
حتى استقر عند هولاء . وبقي اخوه بخدمة الظاهر . واوز هذا للاح ان يتصل باخييه  
ويرغبه بالعودة ، فاطلع الزوين الحافظي هولاء على الرسالة واستاذنه بمكاتبه امراء الظاهر  
ليثير فيه سوء الظن بامرائه ، فرفض هولاء اول الامر ثم عاد فرفض بعد الحاح . ووصلت رسالة  
الزوين الحافظي الى مصر فتسلمها الظاهر ورد عليه شاكرا ما فعله حتى لا يثير شكوك هولاء  
وبعث الرسالة مع جماعة احتالوا حتى اوصلوها لهولاء سرا ، فاعدم هولاء الزوين الحافظي (٦)

---

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢ - ( E Blochet )  
النهج السديد ، ص ٣٧٢ ، ملحوظة ٣ . ان يرى ان مسلمي فارس كانوا عيونا للظاهر عيسى

المغول وان امير سميساط كان جاسوسا له . - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٤ ، ٥ - ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ،  
ورقة ٢ ، ٦ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٢٩ ، المقرئ  
السلوك ، ص ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ .

كانت مصر مقسومة الى وجهين ، البحوى والقبلي ، بالإضافة الى القاهرة والاسكندرية

(١) وكان كل وجه منقسم الى نواحي واعمال .

وكانت بلاد الشام خمس (٢) نيابات هي الكرك (٣) وصفد ودمشق (٤) وحماه وحلب .  
وكانت الاداره في كل من هذه النيابات على فرار الادارة في القاهرة ، فمع النائب موظفون  
عسكريون ودينون ومديون (٥) وكانت اراضي هذه النيابات موزعة اقطاعات على امرائه .

(١) عن الظاهر بالاسكندرية وذهب اليها اكثر من مرة للتفتيش ، او للصيد او لمراقبة الاعمال الاصلاحية  
والاجراءات الدفاعية في الميناء ، ففي شوال سنة ٦٦١ هـ قصدها للصيد واهتم بامر مياهها . وفي ذي  
القعدة اجري فيها استعراضا عسكريا ووزع الهدايا والهبات ثم لعب بالكرة . وذهب لزيارة الشيخ الشاطبي  
والشيخ القباري - وجلس بدار العدل فيها ثم عاد الى القاهرة في ١٨ ذي القعدة . وفي صفر ٦٦٨  
قصدها مرة اخرى ومعها ابنه وذهب اليها سنة ٦٧٣ لبناء ما تهدم من منارها . (ابن عبد الظاهر ، ص ٨٤ ،  
٨٦ ، ٩٨ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٤٣ ، ج ٢ ص ١٩٦ ، ٤٣٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،  
٦١٦ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ١٤٧) هذا بالإضافة الى الانشاءات التي انشأها فيها  
- ٢ - لم يكن هذا التقسيم الادارى لبلاد الشام ثابتا . وكان اول تغيير هام فيه بعد وفاة الظاهر هو  
احداث نيابة طرابلس بعد فتحها سنة ١٢٩١ هـ - ٣ - عن الظاهر بالمدن الكبيرة في سلطنته ،  
كالاسكندرية والقاهرة في مصر والكرك وصفد ودمشق وحلب وحمص وحماه في بلاد الشام . ومعاملته لكل منها  
تصلح ان تكون بحثا مستقلا وقد تناولت علاقته بها باختصار في امكنه اخرى وينبغي ان اشير الى مثل هذه  
المعاملة للبقية هنا . فقد تسلم الظاهر الكرك في ٢٣ جمادى الاخرة سنة ٦٦١ هـ بعد ان تسلم الشويك .  
بناها الصليبيون في ذي الحجة سنة ٦٥٩ هـ وعني بهما عناية خاصة ان كان يمر بهما في كل رحلة الى بلاد  
السلام او الحجاز وفي صفر سنة ٦٧٣ هـ اقام في الكرك ١٣ يوما للكشف احوالها ثم جاءها سنة ٦٧٤ هـ .  
كانت الكرك هامة لموقعها ولانها مركز للسيطرة على العربان (ابن عبد الظاهر ص ٤٨ ، اليونيني ج ٢ ،  
ص ٤٦٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٩٨ ، ٥٤٤ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٤ ، ٦٢٤ ، ابن  
تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٤ ، ١٦٤ ) - ٤ - كان لدمشق مركز خاص في الدولة  
الظاهرية وقد كانت اهم نيابة بين نياباته ، وقد جعل فيها بلاطه في بلاد الشام . كان ياتيها المرة او  
المرتين في السنة ، وتكاد لا تضي سنة بعد تسلمها من علم الدين سنجر من غير ان ياتيها . كان فسي  
السنوات الاولى من سلطنته يعني باختيار النواب المخلصين القادرين موعاقب من يسي التصرف ، كما  
فعل بعلاء الدين طيبرس الوزيرى ، ثم عنى ايضا بتخفيف المصائب الاجتماعية ، كالسيول والمجاعات ، وعنى  
بالانشاءات فيها ايضا . لقد كانت ، دمشق تصلح ان تكون بستانا لمصر ولا شك ان احسن ما في البلاد  
البيساتين كما يقول القاضي الفاضل (حمزه ، ص ٢٤٩) لكن عفايته بها كانت عسكرية بالدرجة الاولى . وفي القسم  
الثاني من سلطنته ، حين اخذت حروبه مع الصليبيين والتتر تتوالى ، وحين انتقل ميدان الصراع الى اسيا  
الصغرى ماخذ يرهقها بالضرائب الباهظة حتى ضعفت بساكنها وانعدمت شمارها (ابن عبد الظاهر ،  
ص ٦٠ - ٦١ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ ، ٤٥١ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٥٣٩ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ،  
ص ١٧٤ ، ابن الغرات ، ج ٧ ، ص ٨٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٥٤٩ ، ٥٨٣ ، ٥٩٦ .

وكان الى جانبه هذا النيات ممالك وقلاع مستقلة فن هذا النيات ، تابعة للظاهر

راسامثل شيزر .

### خصائص هذه الحكومة ونوعها :

كانت لهذه الحكومة خصائص بارزة هي سلطان نشيط ، على راس جيش منظم مدرب ، ويريد سريع صادق ، يعاونه عدد كبير من المماليك الانصار ، جنودا وامراء ، ويطبق مبدأ العقاب والثواب بينهم ، شديد في احكامه ، سريع في تنفيذها ، يعتمد التحوى والارهاب ويمنع الاجتماعات ، ويراقب الجميع بدقة . اما الهيكل الادارى فمزيج من عناصر فاطمية وايوبية قديمة ومغولية مستحدثة .

• اما نوع هذه الحكومة فليس تعيينه بالامر السهل .

اول ما يلفت النظر انها حكومة اجنبية لم يشترك في وظائفها الا المماليك . اما سكان

البلاد الاصليون فلم يشتركوا فيها (١) .

وقد شبهها ( G Wiet ) بحكومة فيصر (٢) وشبهها على ابراهيم حسن

بالحكومة الاستبدادية المنيرة (٣) وجعلها عبد اللطيف حمزة الحكومة المدنية العسكرية (٤) .

ولكن مالنا نحاول ان نضع لهذه الحكومة صفات حديثة وقد حدها الظاهر بنفسه في وصية

لابنه السعيد ؟ قال السلطان الظاهر : انك صبي ، وهو " لا " الاكابر يرونك بعين الصبي ،

فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك ، وتحقق عنه ذلك ، فاضرب عنقه ، في وقته ولا تعتقله .

ولا تستشراحدا في هذا . وافعل ما امرتك به والا ضاعت مصلحتك " (٥) .

---

(١) ولعله طريف ان نذكر هنا انه عثرت على رنوك للنساء مما قد يوحي باشتراكهن بالحكم .

ولكن يبدو انهن لم يشتركن بالحكومة . واما الرنوك فعملها كانت لابائهن وازواجهن .

(٢) ( G Wiet ) ، ص ٣٤ ، المقدمة . - ٣ - حسن ، ص ٤٢ . - ٤ - حمزه ، ص ٤٥ .

(٥) ملحوظة ، ٥ ، السلوك ، للمقريزي ، ص ٦٤١ ، منقولة عن ابن واصل ، مفرج الكروب ، ص ٤٤ .

يتبين لنا من هذا ان الغاية الاولى من هذه الحكومة هي استمرار السلطنة في درية  
الظاهر . ومثل هذا الاستمرار يستتبع الدقة والحزم والمراقبة . حتى اذا تحقق السلطان ان احد  
يعمل لهدم هذه الغاية الاساسية ضرت رقبته . ولا فائدة من اعتقاله او استشارة احد في شأنه .  
وهذه هي الخطة التي سار عليها الظاهر . حتى كان الامراء يخشون القدوم اليه اذا دعاهم .  
لقد كان الظاهر يرى ضرورة نصرته الاسلام ، ولكن نصرته لا تكون الا على يديه . ولذلك ارى انها  
حكومة شخصية ، تستهدف اول ما تستهدف فابقاء السلطنة في شخص معين او في سلالة معتمدة  
في ذلك على طبقة من الرقيق المجلوب من الخارج متعاونه معه على استغلال البلاد والعباد  
بالدرجة الاولى ، متخذة نصرته الاسلام شعارا ، لاجئة الى اية وسيلة للاحتفاظ بهذه السلطنة  
في هذه السلالة ازاء المماليك والسكان الاصليين معا . وانها حكومة عسكرية دقيقة التنظيم مع  
ذلك . هنالك جماعة من المماليك ، منظومون تنظيميا عسكريا استولوا على بلاد ، فتظموا ادارتها ،  
بالمهم من احساس اصيل بالحكم ، على حد قول ( G Wiet ) ( ١ ) ، في سبيل تأمين  
القوت والسلطنة . وساعدهم في ذلك ان الفرنجة والتتر كانوا يحتلون بعض بلاد الشام ،  
فاتخذوا حماية الاسلام شعارا في هذا الصراع .

#### القضاء :

ادرك الظاهر اهمية القضاء منذ البدايات وادرك ان تثبيت سلطانه يقتضي له نظاما  
مقبولا من القضاء . وقد كان لرجال القضاء والعلماء نفوذ كبير . ولذا ذكر هنا موقف القاضي  
ابن عبد السلام منه عند المبايعة ( ٢ ) .

( ١ ) ص ٣٤ ، مقدمة .

( ٢ ) راجع سياسة الظاهر الدينية ، ص ١٠٨ اعلاه .

ويتبين اهتمام السلطان الظاهر بالتنظيم القضائي من رسالة وجهها للقاضي ابن بنت الاعز عند توليته القضاء وقد جاء فيها : نفوس اليه الحكم العزيز بجميع الديار المصرية . . . لما علم فيه من فضل ما زالت ثماره تجني ومساغ حميدة ما برح الى الخلائق محسنا . . . فليباشر هذا المنصب الذي اضحى ظل شرفه وارفا . . . وليول من القضاء من يحيى من العدل سننا ويميت من الباطل بدعا . . . وليتفقد امر العـدول الذين اصبحوا على الحقيقة عدولا عن المنهج القويم راغبين عن المحامد بما ياتونه من كل صنف ذميم ، ولا يترك منهم الا شاهدا كان على المعايب غائبا او متورعا . . . واموال الايتام والاقواف فلا يباشرها الا من كان لمباشرتها اهلا ومن يتحقق ان يكون عليها قفلا . . . واهض عزيزمك في اقامة منار الشريعة بعد العقود . . . (١) .

بقي المذهب الحنفي سائدا في مصر حتى اواخر القرن الهجري الرابع / الميلادي العاشر حين اخذ المذهب المالكي ينتشر لكن قيام الدولة العبيدية قضى على المذاهب السنية واكتفى بالقضاء الشيعي . ثم جاء صلاح الدين فقضى على القضاء الشيعي واكتفى بتولية القضاء الشافعي . واستمرت الحال على هذا الموال حتى جاء الظاهر (٢) .

في ١٠ جمادى الاولى سنة ٦٥٩ هـ استدعى الظاهر القاضي تاج الدين عـبد

الوهاب المعروف بابن بنت الاعز وعرض عليه القضاء . واراد القاضي التنصل فتشدد في شروطه ، لكن الظاهر قبلها لثقتة به واجابه اليها وعينه قاضي القضاء وعزل برهان الدين الخضر بن الحسن بن علي السنجاري واعتقله عشرة ايام ثم افرج عنه وعينه قاضيا على الوجه القبلي من مصر فقط - ثم عزله نهائيا في رمضان سنة ٦٦٠ هـ لانما ظل فيما طلبه منه السلطان امانا تاج الدين فبقي قاضي فضاة حتى توفي في ١٧ رجب سنة ٦٦٥ هـ (٣) وعين مكانه قاضيـــــــــــــــــ

(١) نقلها سرور (ص ١٣٨) عن النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٨ ، قسم ١ ، ص ٨ - ١٢ .  
(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٣٤ ، - ٣ - اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٤١ ، ٤٥٩ ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ابن شاکر الكتبي ، ج ١ ، ص ٥٣٥ ، المقرئ ، ص ٤٤٨ ، ٤٧٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٥ ق . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١١ .

احدهما للوجه البحري ، وثانيهما للوجه القبلي ، (١) .

وفي دمشق عزل السلطان القاضي نجم الدين بن سني الدولة في ٨ ذي الحجة سنة ٦٥٩ هجرية وعين مكانه شمس الدين بن خلكان . وكان له ان يقضي " في جميع بلاد الشام من العرش الى سلميه يستنيب فيها من يراه لذلك اهلا " وكان له فوق ذلك ان ينظر في شئون الاوقاف والمدارس والبيمارستان (٢) .

وفي ذي القعدة سنة ٦٦٠ هـ خول السلطان تاج الدين في مصر حق استنابة من يراه مناسباً من المذاهب السنية الاربعة للقضاء . وهذا هو ما كان سمح به لابن خلكان في السنة الماضية . وبذلك تم التعديل الاول لنظام القضاء في مصر وبلاد الشام (٣) . اما التعديل الثاني ، وهو الاهم ، فقد وقع سنة ٦٦٣ هـ . كان القضاء شافعيًا بيدى ابن بنت الاعز فجعله في ذي الحجة في هذه السنة على المذاهب السنية الاربعة في مصر ، وفي محرم من السنة التالية ، في بلاد الشام . فصار يعين قاضيًا للمالكية وقاضيًا للحنفية وعاقداً للحنبلية ، وبقي ابن بنت الاعز للشافعية في مصر . ولنذكر هنا ان الظاهر كان سنة ٦٦٠ هـ قد اجاز لتاج الدين استنابة من يريد في الاحكام من مدرسي الصالحية . (٤)

ولهذا التعديل دوافع ، ولا ريب ، ولكنها ليست واحدة عند المؤرخين . فقد كثرت القضايا بحيث لم يعد قاضي واحد يستطيع ان يفصل فيها كلها ، ثم كثرت الناس المنتمون الى المذاهب السنية المختلفة . فوجب الاكثار من عدد القضاة على المذاهب المتعددة لتسهيل امور الناس . قد يكون هذا دافعا معقولا . ولكن هنالك دافعا اخر هو ان الامراء الظاهرية لم يكن يروقهم ان يكون على راس القضاء رجل واحد كابن بنت

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٢ - ابو شامة ، ص ٢١٥ ، اليونيني ، ص ٤٦٠ ، وج ٢ ، ص ١٢٤ ، ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، ٠ - ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، وقد خلط بين هذا التعديل والتعديل التالي ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٤٩٦ ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٧٢ ، ٥٠١ . ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٣ - ٠٤ - ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٥ ق .

لم يكن يرونهم ان يكون على راس القضاء رجل واحد كابن بنت الاعز ، يدقق ويتوقف في تنفيذ الاحكام ريثما يتحقق القضية . ويروى ان الامير جمال الدين ايدفدى العزيزى ، بعد احتكاكات بالقاضي ، اقترح على السلطان تعيين قضاة من المذاهب الثلاثة الاخرى <sup>الاخرى</sup> <sup>بوتوك الشافعية</sup> لتاج الدين (١) . وبذلك يكون الظاهر قد كسر احتكار الشافعية للقضاء . واضعف نفوذها في الدولة (٢) . ويظهر ان هذا التعديل لم يكن مرضيا للجميع فقد روى المقرئى ان الظاهر قال لرجل رآه في منامه : ما رايت اشد على من ولاته قضاة اربعة وقيل لي فرقت الكلمة (٣) .

اما الجيش فكان له قضاء مستقل . وكان قاضيهم يجلس بدار العدل الى جانب السلطان وهو دون بقية القضاة . وفي سنة ٦٦٢ هـ الغى حق الوصي بالاستيلاء على موجودات اليتيم (٤) . وفي سنة ٦٦٣ هـ اجاز للاميران تعيين شهودا عدولا في الجيش تسمع اقوالهم ليشهدوا بوصايا الجنود الذين يموتون في ساحات القتال (٥) .

وازاء اهتمامه الكبير بالقضاء فقد كان طبيعيا ان يبني دار عدل . ففي سنة ٦٦١ هـ انشاء دار عدل تحت الفلحة بالغاخرة (٦) ، ثم رتب دار السعادة بدمشق دارا للعدل (٧) .

وكان السلطان الظاهر يحضر الى دار العدل كلما سئمت له الفرصة . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد حضر الى دار العدل في رجب سنة ٦٦٠ هـ مطالببا باسترداد بئر

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٩ ، ابن ابي شامه ، ص ٢٣٥ ، وقد جعل تنفيذ التعديل في دمشق في جمادى الاولى سنة ٦٦٣ هـ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٦٤٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٢١ - ١٢٢ - ١٣٧ السيوطي حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١١ ، وكان ابن بنت الاعز قد قضى بفسخ شراء السدار الموقوفة ولو لم يتمكن البائع من رد الثمن يرفض تسليم ربح اوقاف الرسول صاحب المدينة بحجة انه لا يثق به مع ان الظاهر كان يريد ذلك ، ورفض شهادة احد الامراء . . .
- (٢) السيوطي حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ( F Sadeque ) ، ص ٢٠ - ٣ - ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ . وقد رات فاطمة صادق (س) فيه اثبتاتا من المقرئى على السلطان . - ٤ - ابن الفرات ، ج ٦ قسم اول بورقة ٤٤ ق .
- (٥) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٣٦ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٣٦ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٧٧ و - ٦ - المقرئى السلوك ، ص ٤٠١ . - ٧ - ابن عبد الظاهر ، ص ٣٣ ، المقرئى ، السلوك ص ٥٤٩ ، ٥٣٨ .

كان حفرها في عهد عز الدين ايبك ، ولم يسمح للغاضي ان يقف له لانه جاء متقاضيا .  
ووقف الى جانب خصمه (١)

وحضر دار العدل في رجب سنة ٦٦١ هـ واوصى بعدم استيلاء الوصي على اموال  
خشدا شينسته حتى لا يضيع مال اليتيم وامر بضبط اموال اليتامى والتحقيق مع الاوصياء (٢) .  
وفي ذي القعدة سنة ٦٦١ هـ كان في الاسكندرية فحضر دار العدل فيها (٣) .  
وحضرها ايضا في محرم سنة ٦٧٢ هـ . ثم اوصى نائبه فيها ان يحضر دار العدل اثناء  
فيا به ليقضي بين الناس .

وهناك امثله اخرى غير هذه لحضرة دار العدل . ويتبين منها جميعا ان الظاهر  
كان دقيقا في محاكماته . فقد زعم رجل في بداية سنة ٦٦٢ هـ ان شيخ الحنابلة يتمنى  
زوال دولته لانه لم يجعل للمحنابلة نصيبا في مدرسته الظاهرية في مصر ، فتحقق من الامر  
ووجد الخادم يدس على الشيخ فعاقبه (٤) . وجاءه رجل في نفس السنة وادعى ملكية  
بستان صور منه في ايام عز الدين ايبك ففضى الظاهر برد البستان له بعد ان اتى  
المدعى باوراق تثبت دعواه (٥) .

وكذلك كان السلطان دقيقا في مراقبة القضاء . ففي صفر سنة ٦٦٠ هـ اعتقل القاضي  
برهان الدين السنجاري ثم عزله (٦) وفي سنة ٦٦٩ هـ ، عزل القاضي

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٥ - ٢٦ : البيهقي ، ج ١ ، ص ٤٨٨ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠١ ، والمقرزي ، السلوك ، ص ٥١٢ ، وقد جعل المقرزي تاريخ  
هذا التعديل سنة ٦٦٢ هـ - ٣ - المقرزي ، السلوك ، ص ٥٠٠ .  
(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٠ ، المقرزي ، السلوك ، ص ٥٠٣ .  
(٤) ابن عبد الظاهر / ٦ - راجع ص ١٤٠ اعلاه .  
(٥) ص ٩٠ .

شمس الدين بن خلكان في دمشق (١) واجرى تحقيقا مع قاضي اتهم في سنة ٦٢٠ هـ .  
بان لديه ودائع لتجار مات بعضهم فتبين للسلطان صدق التهمة ، فاعتقل القاضي وصادر  
داره (٢) . وهنالك قصته مع الشيخ خضر . فقد اعتقله في سنة ٦٢٩ هـ لكثرة الشكاوى  
عليه ، مع انه كان اشيرا عنده ، وحقق فيما نسب اليه وابقاه معتقلا وتوفي بالمعتقل (٣) .  
لكن تدابيره هذه لم تحل دون وقوع المظالم لاسيما في دمشق . وقد صدف ان  
كان فيها ثلاثة قضاة اسم كل منهم شمس فقيهم :

اهل الشام استوا بوا	من كثرة الحكماء
ان هم جميعا شمس	وحالهم في ظلام

وقيل ايضا :

بدمشق آية قـد	ظهرت للناس عاما
كلما ولي شمس	قاضيا زادك ظلاما (٤)

وكان للقضاة لباس خاص مميز يختلف باختلاف الرتب . فقد كان كل من القاضي  
والعالم يلبس عمامة شاش كبيرة ويرسل بين كتفيه ذوابة تمتد حتى اخر سرج دابته ، او كان  
يلبس الطيلسان عوض الذوابة . اما قاضيا الحنفية والشافعية فتميزا بلبس طرحه تستر  
العمامة وتنسدل على الظهر . ولا يجوز للقاضي ان يلبس الحرير ولا الالبسة الملونة فـي  
المنزل (٥) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٦ ، هو القاضي شمس الدين الحنبلي ، وقد ذكر ابن الفرات  
( ج ١ ، قسم ٢ ورقة ٩٢ - ٩٦ ) الكثير من سيرته .  
(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٣ ، - ٣ - راجع ص ٩٨ ، اعلاه .  
(٣) ابوشامه ص ٢٣٦ - ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٣٧ .  
(٥) القلقشندي ، ج ٤ ، ص ٤١ .

بيبرس في علاقاته الخارجية - قسم اول

- عندما تسلم الظاهر ببيبرس السلطنة وجد نفسه امام عناصر مختلفة تتحد للقضاء عليه . وهي القوات الصليبية والقوات المغولية وما يتبع هاتين المجموعتين من قوات محلية مساييرة لهما خوفا منهما او حقدا على الظاهر ، كدولة السلاجقة وكدولة الارمن . وطالما عملت هذه القوى للاتحاد في محاربة السلطان ببيبرس . وكان طبيعيا امام هذا الواقع ان يتبع السلطان الظاهر سياسة توءدى الى شق الخصم من ناحية ، والى انشاء كتلة من المؤيدين تناصره ، والى تقوية جيشه ليكون الدعامة الاولى في هذا الصراع . اما الجيش فالحديث عنه في مكان آخر . واما شق الخصم فواضح من مخالفته مع القيشاق ومحاولة التحالف مع الاشكرى . واما كتلته التي انشأها فكانت القوات المملوكية محورها . ولتأمين هذه الكتلة فقد ساير بعض المواقع الصليبية في بلاد الشام في البداية ، ثم انشأ صداقة مع صاحب اليمن ، واخيرا احتل بلاد النوبة .

وقد يسهل علينا ان ننظر الى هذا الصراع على اساس ديني . ولا سيما اذا تذكرنا ان السلطان الظاهر كان دائم الاشارة الى ان هدفه هو نصرة الاسلام ومقاومة خصومه . ولكنني ارى ان هذا الصراع كان سياسيا قبل كل شيء . آخر . ان ببيبرس لم يقاتل التتر ( ١ ) لانهم مالوا للمذهب المسيحي النسطوري ، ولم يقاتل الصليبيين لانهم نصارى . الحرب بين

---

( ١ ) كان المغول متساهلين دينيا . ويبدو ان الاكثرية كانت بوذية مع ميل للنصرانية النسطورية . E. Blochet ، النهج السديد ، ص ٣٧٢ ، ملحوظة ٣ ، و ص ٣٧٣ . R. Grousset ج ٣ ، ص ٥١٩ . ويرى الاول ان العداة بين البوذية والاسلام قديم مستحكم . لكن المقرئى ( السلوك ، ص ٢٠٥ ) يقول انهم " كانوا لا يدنون بدين الا انهم يعترفون بالله تعالى من غير اعتقاد وشريعة " .

السلطان والتتر سياسي قتي حقيتها . ومبعث هذا الصراع حماية الدولة المملوكية الناشئة من خطر مداهم . لقد استطاع المماليك ان يرجعوا التتر الى ما وراء الفرات وها هم يهددون الصليبيين بالابادة ، فطبيعي ان يعتمد التتر للثأر وان يعتمد الصليبيون للدفاع ، وطبيعي ان ينتهج بيبرس سياسة تمنع تكتل هاتين القوتين ، او تضعف هذا التكتل بحال حدوثه . ان توسع المغول نحو الغرب ادى بهم الى الاصطدام بالمماليك ، فكانوا الحلفاء الطبيعيين وكانت الخصومة سياسية في طبيعتها . ان المغول لم يقوموا بحرب دينية على المماليك (١) . وحالف الظاهر بيبرس المغول القبشاق ، وليسوا كلهم مسلمين ، ومحاربه ايلخانات فارس وهم مسلمون ، لما ينبغي ان يكون الصراع دينيا .

ولنستعرض الان هذه العلاقات :

### ١- التتر - المرحلة الاولى :

في مطلع القرن الهجري السابع الميلادي الثالث عشر ، بدأ ظهور التتر بشكل يوشعر في تاريخ الخلافة العباسية ، في الجهات الشمالية من بلاد الصين ، جنوبي فربي بحيرة بايكال . ثم اتحدت القبائل التركية والتتبية واخذت تزحف الى الغرب (٢) وكانت خلال هذا الزحف تتصل بالاوروبيين لتضع الخلافة بين شقي الرحي (٣) . وفي سنة ٦٥٤ هـ عظم امر التتر وتواترت الانباء بقصد العراق والزحف نحو بلاد الشام وبينما كان التتر يزحفون الى الغرب بقواهم المنتصرة هذه كانت الخلافة في بغداد

---

(١) ( R Grousset ) ج ٣ ص ٥٦٢ ، ملحوظة ١ .  
(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٢٠٤ : ( W Barthold ) مادة ( "Tatar" ) الموسوعة الاسلامية مجلد ٤ ص ٧٠٠ ، ٧٠٢ .  
(٣) كما جرى سنة ١٢٤٥ مع البابا كلمنت الرابع ( Clement IV ) و ١٢٤٧ مع اينوسنت الرابع ( Innocent IV ) وسنة ١٢٥٢ مع لويس التاسع ( R Grousset ) مجلد ٣ ص ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥ .

بيد المستعصم بالله الذي كان "سهل الاخلاق" . خفيف الوطأة . . . مستضعف الرأي ،  
ضعيف البطش ، قليل الخبرة بامور المملكة ، مطموعا فيه ، غير مهيب في النفوس . ولا مطلع  
على حقائق الامور . وكان يخفض جيشه ، ويهمل تحذيرات صاحبي الموصل واربل له ، ويعني  
بجمع المال ويسماع الاغاني والتفرج على المساخرة " محاطا باصحاب " مسئولين عليه وكلهم  
من ارازل العوام ، الا ابن العلقمي " مما حال دون وصول الاخبار الصحيحة اليه ( ١ ) .

وفي محرم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ كانت الجيوش التترية تحاصر بغداد من الجهة  
الغربية بقيادة بايجو ، ومن الجهة الشرقية بقيادة هولوكو نفسه ، ونشبت معركة عنيفة اسفرت عن  
استسلام الخليفة لهولوكو في ٤ صفر / ١٠ شباط ونهاية الخليفة والخلافة العباسية في  
بغداد ( ٢ ) .

- 
- ( ١ ) ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٤٢ ، ويؤيده في ذلك اليونيني ، ج ٢ ، ص ٨٦ ، ٢٥٤ - ٢٥٦ ،  
ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، ابن تهرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥ ، ٤٨ ، ٦٤ .
- ( ٢ ) ابو شامة ، ص ١٩٩ ، ابن الطقطقي ، الفخرى ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،  
٨٩ . ابن الفوطي ، ص ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ . ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ،  
٢٠٣ . الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٢٠ . المقرئ ، السلوك ، ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ، وهو وابو شامة يجعلان  
مقتل الخليفة في سادس صفر ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥ - ٤٨ - ٥٠ .  
ولا بد من الاشارة هنا الى ان جميع المصادر باستثناء ابن الطقطقي يجعل ابن العلقمي الخائن  
الذي خامر مع هولوكو ولعب الدور الاول في اسقاط الخلافة ، بينما يجعله ابن الطقطقي الوحيد  
الذي " كان من اعيان الناس وعقلاء الرجال " . وكان مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض  
صباح مساء " ( ص ٢٤٢ ) والذي كان يشير على الخليفة " بالتيقظ والاحتياط والاستعداد " لمعرفة  
بحقيقة الواقع ( ص ٢٤٤ ) . وينفي عنه المخابرة ويثبت ذلك بان هولوكو لم يكن ليستخدمه لو كان  
مخامرا لقله الثقة به ( ص ٢٤٧ ) . ثم تنتهي حياته عند ابن الطقطقي ( ص ٢٤٧ ) بمرض بينما  
يختلف المؤرخون الآخرون فيما اذا كان اهين ام اكرم على يد هولوكو . قبل موته . اما  
استسلام الخليفة فيقال فيه انه عائد لانخداعه بان هولوكو مستعد لتزويج ابنته بابي بكر  
بن المستعصم بالله . واما كيفية نهايته فقليل انها اختناق او اغراق بالماء او رفس في الكيس  
او تغطيس ببساط .

وانتشر الذعر بين الناس واخذوا يغادرون بغداد طلبا للنجاة • واعتبر سقوط

الخلافة داهية اصابت الاسلام لا افضح منها ولا ادهى (١) •

ثم توافد الملوك على هولاكو يعلنون له الطاعة ، ثم عين هولاكو الامير على بهادر

شحنه ببغداد وعين فيها الصدور والنظار والنواب (٢) •

وبعد هذه الترتيبات اندفعت جيوش التتر في ثلاثة اتجاهات • فقصده هولاكو

حران وحاصر ماردين ومياقارقين حتى استسلم صاحباهما • واندفع صندفون نحو الموصل

والجزيرة وسنجار • فاستسلمت الموصل وقتل صاحبها وهرب ابنه الى القاهرة ، وعرب صاحبها

الجزيرة وسنجار الى دمشق فالقاهرة • واتجه سموط بن هولاكو نحو حلب وارسل لاهلها رسالة

يطلب فيها قبول شخنتين مغوليين في المدينة والقلعة حتى اذا انهزم الناصر صلاح الدين

يوسف كانت حلب لهما واذا انهزمت الجيوش التترية كان الراي لاهل حلب ، فرفض الناصر

ودخل التتر حلب عنوة في صفر سنة ٦٥٨ ، كانون الاول ١٢٥٩ واعطوا السيف في رقاب

ابنائها • اما القلعة فلم يدخلوها حتى ربيع الاول •

---

(١) اليونيني ج ١ ص ٨٥ • ولم تنفذها صلوات جيوش المماليك في مصر عندما كانوا

يحاربون المغيث والبحرية عند العباسية (عن اليونيني ، ج ١ ، ص ٨٩) •

(٢) اليونيني ج ١ ، ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ • ابن الغوطي ، ص

٣٣٢ ، ٣٤٧ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤١٠ •

وعلى اثر هذا النصر جاء الا شرف صاحب حصص الى هولاء فابقاه في مملكته وجاءه محي  
الدين بن الزكي من دمشق فعينه على قضاء بلاد الشام . ثم استتاب عماد الدين الغزويني  
نائبا على حلب (١) ثم عاد هولاء الى الشرق لخلاف وقع حول اختيار الخان الاعظم  
بعد وفاة اخيه منكوخان .

اما الجيش التتري فواصل الزحف الى حام فحماه . وفر امامه المنصور صاحب  
حماء الى مصر . والناصر صلاح الدين يوسف . ثم دخلوا دمشق في ربيع  
الاول من السنة . ولما رفضت قلعة دمشق الاستسلام حاصرها فسم من التتر  
وانتشر القسم الاخر يعيشون فسادا حتى بلغوا فزة والكرك ثم عادوا الى دمشق  
واستلمت القلعة في جمادى الاولى . فسم تصدوا بعلمك ودخلوها واحتلوا  
صيدا في رمضان (٢) .

وهكذا اصبح القسم الشمالي من بلاد الشام خاضعا للتتر ، وبقي عليهم  
احتلال القسم الجنوبي ، فاتصل كتبغا بالمغيث يدعو الى طاعته فاجاب هذا  
اجابة مراوغة (٣) . ثم ارسل الى قطر يدعو للاستسلام ، فرفض قطر ،

اليونيني

- (١) ابن عبد الظاهر ص ٤٤ ، ٤٥ ، ج ١ ص ٩١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ،  
٤٥٣ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٩٥ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن الغوطي ، ص  
٣٣٩ ، ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ . الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٢ ،  
١٢٣ ، ابن ابي الفضايل ، ص ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٤ ، ٩٧ ، المقرئ ، السلوك ص ٤١٤ ،  
٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٤ - ٧٦ .
- (٢) ابو شامة ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، اليونيني ، ج ١ ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،  
٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ . ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،  
المقرئ ، السلوك ، ص ٤٢٣ - ٤٢٥ - ٤٢٧ - ٤٣٤ .
- (٣) اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٥٨ : ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢١١ .

وكانت معركة عين جالوت في رمضان ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ثم معركة حمص في  
محرم سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م وتراجع التتر بعدها عبر الفرات (١) .

(١) كان سيف الدين قطز قد ولي السعيد علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ نائبا على حلب  
واقطع بعض امراء العزيزية والناصرية ارضا بجوارها . فاساء السعيد السيرة حتى  
ابغضه الناس والجند . ولما قتل السلطان قطز استغل التتر الفرصة وعاودوا الهجوم  
الى البيرة في ذي الحجة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م فارسل نائب حلب نجدة صغيرة  
الى البيرة ابادها التتر فغضب الامراء من السعيد واعتقلوه في ١٦ ذي الحجة ونفوه  
الى قلعة مجاورة ولوا عليهم الامير حسام الدين الجوكندار . وفي هذه الغوضى  
افتحم التتر حلب وبدلوا الامان لاهلها وهرب حسام الدين الى حماه لتحذيره فاساء  
به الظن ثم هرب امير حماه ايضا لما تحقق الخبر . وهنالك التتر بامانهم لاهل حلب  
واعملوا السيف في رقابهم .

وعند حمص جمعت قوات حمص وحلب وحماه وهي نحو الف واربعماية جندي مقابل  
سنة الاف للتتر . فانتصرت قوات المدن الثلاث وتراجع التتر ودخلوا حلب مرة ثالثة  
ودعوا الناس للانقسام حلبيين وافرابا . فظنت كل جماعة ان السلامة في الغرفة الاخرى  
ولما تم الانقسام ضرب التتر اعناق الاغتراب وتقساموا الحلبيين اسرى فيما بينهم .

ثم استطاعت قوات فخر الدين الحمصي وعلم الدين سنجر الحلبي من قبل  
الظاهر ان تستعيد حلب في اواخر سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م . وبعد ذلك صارت حلب  
مركزا هاما بالنسبة لمقاومة التتر والقضاء على الفرنجة ومهاجمة اسيا الصغرى . لقد  
صارت منطلقا للدفاع والهجوم معا ( ابن عبد الظاهر ص ٣٣ - ٣٤ - ٤٣ ، ابو شامة ،  
ص ٢١٢ . اليونيني ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٥٥٤ ، ج ٢ ، ص ٣  
٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٤١٠ ، ٤٦٩ .  
ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ . ابن ابي الغضائل ، ص ٧  
- ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٦٣ ،  
٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٥٨٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٠٤ . )

وبهذا اختتمت المرحلة الاولى من التوسع التتري نحو الغرب، وفيها تعذر على التتر ان يسيطروا على بلاد الشام . فلجأوا الى خطة المناوشة والهجمات التخريبية المحدودة فسي مرحلتهم الثانية .

اما السلطان الظاهر فوجد ان الوسيلة الفضلى لمقاومة التتر هي في الجمع بين الوسائل الدبلوماسية والعسكرية معا . كانت للتتر ثلاث دول متنافرة في الصين والقبشاق وفارس . وقد كانت عدائته موجهة الى ايلخانات فارس فلا بد اذا من مصادقة القبشاق . وقد استمرت المفاوضات بين الظاهر وبركة خان نحو من سنتين ادت الى تحالف بينهما وضع الايلخانات بين شقي الرحسى (١) .

### المرحلة الثانية :

انتهت هذه المرحلة بوفاة هولاكو سنة ٦٦٤ هـ (٢) / شباط ١٢٦٥ م . وقد جرت فيها عدة مناوشات بدأت سنة ٦٦٠ هـ حين هاجموا الموصل باتجاه حلب ، فارسل السلطان الظاهر الجيش للقائهم بمبعث بجماعة اخرى لحرق الاعشاب في طريق التتر فتوقف الزحف (٣) .

وفي سنة ٦٦١ هـ هاجم التتر قلعة الروم فبعث نائب البيرة ، الحد الفاصل بين الايلخانات والمماليك ، والمرصد لتحركات التتر ، يعلم السلطان بذلك (٤) وفي محرم سنة ٦٦٣ هـ ، بينما كانت القوات المملوكية متفرقة في المراعي ، وبينما كان الظاهر في الصيد حشد التتر قواتهم عند البيرة ، ظنا منهم ان المماليك لن يستطيعوا جمع جيوشهم لصد هم . ولكن السلطان سرعان ما جرد نحو اربعة الاف جندي بقيادة بدر الدين الخزندار وامر بتجريد اربعة الاف اخرى بقيادة عز الدين ايجان . وسار الجيشان في ٤ ربيع الاول ،

---

(١) انظر ص ١٦٤ وما بعدها مادناه . - ٢ - قال ابو الفداء ( ج ٤ ، ص ٢ ) والمفريزي ، السلوك ، ص ٥٤١ ، وابن ابي الفضائل ( ص ١٤٥ ) ان الوفاة وقعت سنة ٦٦٣ هـ ، ولو انهم لم يتفقوا حول اليوم الذي مات فيه . وقال ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٤٥ ، ٢٢٠ ) والذهبي ( ج ٢ ، ص ١٢٨ ) ان وفاته كانت سنة ٦٦٤ هـ ، اليونيني سنة ٦٦٤ هـ ، التتري سنة ٦٦٤ هـ ، ج ٢ ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣ - ابن عبد الظاهر ، ص ٥٦ - ٥٨ ، ابو شامه

وارسل الى المنصور صاحب حماه لينضم الى الجيشين الاولين ، فتراجع التتر عن البيرة مع انهم كانوا قد نصبوا عليها ١٧ منجنيقا .

وتابع الظاهر سيره حتى وصل صيدا وهنا جاءه الخبر بتراجع التتر ، فسر بذلك ، وارسل

الى البيرة الالات والاسلحة والجنود والمؤونة ما يكفيها لحصار عشر سنوات (١) .

لم تكن هذه المرحلة طويلة ولكن السلطان الظاهر افاد منها كل الافادة . فقد وجد

فيها متسعا من الوقت للاستعداد ، ولعقد التحالف مع بركة خان ، وللقضاء على المغيـث ،

وللتفاهم مع الفرنجة في جنوب بلاد الشام للموقف على الحياد في الصراع المقبل (٢) .

وللتفاهم مع الفرنجة في جنوب بلاد الشام للموقف على الحياد في الصراع المقبل (٢) .

### المرحلة الثالثة :

بدأت هذه المرحلة بارتقاء اباغا الى السلطنة الايلخانية سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م . وهي

المرحلة الثالثة والنهائية في الصراع بين بيبرس والتتر . وقد كانت اطول المراحل واعنفها

واكثرها تعقيدا . فقد كانت بين طرفين من حيث الاسم ، ولكنها تناولت السلاجقة والارمن

والصليبيين والاوروبيين ، في الواقع ، وجرت معاركها في شمالي بلاد الشام ، وفي

اسيا الصغرى ايضا .

وتتميز هذه الفترة بما يلي :

اولا : محاولات جديدة للتفاهم بين التتر والاوروبيين للقيام بحملات مشتركة على المماليك .

ثانيا : اتصالات بين اباغا والسلطان الظاهر ، للتفاهم في الظاهر ، وللالهاء في الحقيقة .

(١) ابن عبد الظاهر ص ١١٩ - ١٢٠ ، ابو شلحة ص ٢٣٢ ، اليونيني ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ابن ابي

الفضائل ص ١٣١ - ١٣٢ . ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، والمقريزي ، السلوك ، ص

٥٢٣ - ٥٢٥ ، ٥٤٣ . وهنا في صيدا ذهب المصيد وتقنطر وانهشم وجهه ، وجاءه صاحب

يافا يهدايا . ( المقريزي ، السلوك ، ص ٥٢٤ ) .

(٢) ( F Sadeque ) ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ثالثا : ميل الاشكرى (بيزنطية) الى التتر صراحة .

رابعا : الحملات العسكرية العنيفة في بلاد الشام وفي اسيا الصغرى .

على انه ينبغي ان نقسم هذه المرحلة الى قسمين امتد الاول منهما الى سنة ٦٧٤ هـ وامتد القسم الثاني منهما حتى وفاة السلطان الظاهر . وقد اعتبرت السنتين الاخيرتين جزءا من هذه المرحلة الثالثة لعلاقتها الوثيقة بما جرى خلال السنوات العشر الاولى منها ، بين الظاهر والتتر . ولان المعارك فيهما كانت امتدادا للمعارك السابقة . واعتبرتهما مميزتين عن السنوات العشر الاولى لان المعارك فيهما جرت خارج اراضي السلطنة المملوكية ، ولان الظاهر ، فيها يخيل الي لم يقم بها لمجرد الدفاع فقط .

وفي ذى الحجة من سنة ٦٦٤ هـ ارسل ابافا هدية ورسالة للظاهر بيبيرس يعرض فيها المصالحة (١) ولكن هذه المحاولة فشلت . فعمد ابافا الى وسيلة اخرى لمجابهة خطر المماليك وهي الاتصال بالفرنجة للتحالف معهم وعاد الى مهاجمة بلاد الشام . وفي ٦٦٥ هـ ، افارت قواته على الرحبة ونهبت وخرت (٢) . وفي صفر سنة ٦٦٦ هـ افارت قواته على حلب لكنها تراجعت امام استعدادات الظاهر (٣) ثم اتصل بالبابا لعقد حلف لمحاصرة المماليك وما لاحت له تباشير نجاح هذه الخطة حتى ارسل للظاهر رسالة مع جماعة من التتر ومن اصحاب سيسر يهدده فيها ويندد باصله ثم يدعوه لعقد الصلح فرد الظاهر على ذلك بالمطالبنة بالعراق والجزيرة وبلاد الروم وبلاد الشام (٤) .

---

(١) اليونيني ج ٢ ص ٤٦٧ . المقريزي ، السلوك ص ٥٥٣ . ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ص ١٥٥ ، ١٥٦ - ٢ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٥ - ٣ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٣ ، المقريزي ، السلوك ص ٥٦٤ - ٤٠ - ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٣٩ ، ٤٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٧٤ مواين تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ص ١٥٤ .

وبعد الاتفاق مع الفرنجة على ان يهاجموا ساحل بلاد الشام ، قامت قوات ابا فا في صفر  
٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م بهجوم على حلب . فارسل الظاهر علاء الدين البندقدارى الى شمالي  
بلاد الشام ليحول دون وصول الجيوش الفرنجية القادمة من سويس عبر البحر ، وسار بنفسه الى  
فزه في ربيع الاول ، ورد هجوما من فرنجة عكا على جينين وصفد ، وواصل السير الى دمشق  
ودخلها في ٧ ربيع الاخر ، وفشلت هذه الحملة المشتركة لسرعة تحركات الظاهر من جهينة  
ولانعدام الانسجام والتوقيت المضبوط بين القوات التترية والفرنجية . زد الى هذا ان الحملة  
التي كان لويس التاسع يهيئها للشرق ، انحرفت الى تونس . ولعل للمصدفة ايضا يدا في  
انتصار الظاهر ان رياها هبت على سفن القوات الفرنجية فافرقتها (١) .

وعاد الظاهر الى القاهرة . وفي محرم سنة ٦٧٠ هـ بدأ بجولة تفتيشية في بلاد الشام  
فمر في الكرك ثم دخل دمشق في ١٢ صفر ، ثم قصد حماه في ١٦ صفر وعاد الى دمشق في ٢٦ منه  
ثم جاء الخبر بان ابا فا امر البرواناه بقصد بلاد الشام بعشرة الاف جندي . وفي ربيع الاول  
وصلت هذه القوات عينتاب وعمق حارم فاشاع الظاهر اخبار الزحف التتري بصورة قويسة  
ليهرب السكان ، وتراجعت حاميته ليتوغل المغول لعله يستند رجهم الى الداخل فيبيدهم  
وما ان انتصف ربيع الاول حتى كانت قواته بقيادة بدر الدين بيسرى وانسنغر الفارقاني وبعض  
جيوش العربان تقف امام التتر تردها على اعقابها . ووصل بقواته الى البيرة ودخلها في  
٢٥ جمادى الاخرة .

اما التتر فتراجعوا عبر الفرات ، لكنهم عادوا الى مهاجمة حران في ٢٥ رمضان فردهم  
مرة اخرى ثم عاد الى دمشق فالقاهرة فدخلها في ٢٣ محرم سنة ٦٧١ هـ . ثم عاد الى دمشق  
في ٢٩ منه وبقي فيها حتى ٥ جمادى الاولى .

---

(١) المقرئى ، السلوك ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

ورأى ابافا نفسه عاجزا عن متابعة الحملة لاسيما وقد تحرك القبشاق والجفطاي  
(١) فعاد الى مفاوضة الظاهر مرة اخرى . ف ارسل اليه في نهاية ٦٢٠ هـ ، بواسطة البرواناه  
يدعوه اليه لعقد الصلح . ثم اسفرت هذه الاتصالات عن ارسال وفد من قبل الظاهر الى ابافا  
للمفاوض . وطلب الوفد الظاهري استعادة ما استولى عليه ابافا من بلاد المسلمين فرفض  
ابافا واقترح استمرار الوضع الراهن . ثم حصلت مشادة بين الطرفين فعاد الوفد الى دمشق  
في ١٥ صفر ٦٢١ هـ (٢) .

ولما فشلت المفاوضات عاد التتر الى الهجوم مرة اخرى . ففي ٥ محرم ٦٢١ هـ  
كان السلطان في دمشق فعلم بحركة التتر الى الرحبة فذهب الى القصر فعاد التتر الى البيرة .  
وهنا قصد السلطان القاهرة ووصلها في ١٣ منه واصدر تعليماته للاستعداد للذهاب الى  
بلاد الشام ، ثم كتب الى نوابه وامرائه في بلاد الشام ليتهيأوا . وفي ١٥ منه اجري تمارين بحريسة  
وفي يوم الاربعاء ١٩ منه ساق الى بلاد الشام . ومرة اخرى اعاد ابافا المحاولة لعقد الصلح  
اذ ارسل وفدا يدعوه الظاهر الى استنابة من يشاء للمفاوضة فرفض وتابع استعداداته وتدريباته  
واجري استعراضا عسكريا في ظاهر دمشق حضره الوفد التتري ثم عاد الوفد في ٤ ربيع الاول سنة  
٦٢١ هـ .

وفي ٥ جمادى الاول سنة ٦٢١ هـ كانون الاول ١٢٢٣ نزل التتر على البيرة  
ونصبوا عليها المجانيق وسدوا معاير الغرات . وامام هذا الهجوم جهز الظاهر الامير فخر  
الدين الحمصي الى جهة حام و جهز علاء الدين الحاج طيبرس الوزيرى الى جهة اخرى  
نحو الغرات ، وارسل جماعة الاستطلاع اخبار التتر فعملوا ان عددهم نحو ثلاثة الاف جندي .

---

(١) ابن ابي الفضائل ص ١٤٥ ، ابن الغرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٨ ، ٧١ ، المقرئى ، السلوك  
ص ٥٤٩ .

(٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٦٧ ، ٤٧٢ ، ابوالفداء ج ٤ ص ٧ ، ابن الغرات ، ج ٦ قسم ٢ ورقة ٩٠ ،  
٩١ وورقة ١٠٠ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠٠ .

وفي ١٨ جمادى الاولى اتبع الظاهر الجيوش الثلاثة بجيش رابع بقيادته ومعه نحو عشرة مراكب صيادين مفككة جهازها في بحيرة حمص محمولة على جمال . ووصل الفرات فوجد التتر مرابطين على الشاطي " المقابل فانزل مراكبه في النهر ليصنع منها جسرا وشحنها بالجنود وتراموا مع التتر بالنبال والنشاب حتى استطاع قلاوون ان يخوض الفرات ومعه عدد من الجنود وعدة وافرّة ثم تبعه بدر الدين بيسرى الشمسي في جمع اخر من الجند . ثم التقى الجنود بانفسهم الى الفرات وعاموا فيه " الفارس الى جانب الفارس وهم متما سكون بالاعنة ومجاديفهم رباحهم وعلى خيولهم الحديد " واجتازوا النهر حشودا لا افرادا ثم انتشروا ياء سرور وينهبسون . ولم يجدوا للمقرا اثر افظن الظاهر ان التتر يكمنون له . فلم يتبعهم ، بل اكتفى بالاستيلاء على البيرة وكان جيشه قد لاقى مشقات كبيرة في هذه الحملة .

ثم منح نائب البيرة هبات وخلعا واموالا . ووزع العطايا على اهل البلد وزاد عدد جنود الحامية ، ثم قفل راجعا الى دمشق ، فالقاهرة (١) .

وفي محرم سنة ٦٧٢ هـ / تموز ١٢٧٣ م عرف السلطان ، وهو في القاهرة ، ان اباقا توجه الى بغداد بجيش كبير ينوي اقتحام بلاد الشام . فاعلن الظاهر النفير العام . ان اوجب على الجميع ان يتهيأوا للحرب ، ثم توجه الى دمشق فوصلها في ١٧ صفر / ايلول حيث علم ان التتر تراجعوا بعد ان علموا بوفاة البابا غريغوري العاشر واستحالة قدوم حملة صليبية مؤيدة لحملة من الشرق . فعاد الظاهر الى القاهرة . ثم عاد التتر للهجوم مرة اخرى في جمادى الآخرة سنة ٦٧٢ هـ ، فبعث السلطان الامير عيسى بن مهنا فتراجع التتر ظنا منهم انه السلطان وفي جمادى الآخرة سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ ، عاود التتر الهجوم على البيرة ، فتاهب السلطان لملاقاتهم بموصل الى حمص حيث علم انهم عادوا (٢) .

(١) ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٧ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ابن ابي الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٠٠ - ١٠٣ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٤٠٤ ، ٦٠٧ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢ - ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ١٥٩ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٢١ .  
( F Sadeque ) ، ص ٦٣ .

وفي السنتين الاخيرتين من حكمه كانت الاصطدامات في آسيا الصغرى . هنا كان السلطان الظاهر قد اخذ يطمح باحتلال آسيا الصغرى، بعد ان عقد هدنة مع الفرنجة في بلاد الشام، وبعد ان فشلت محاولات التفاهم بين التتر والاوروبيين لتطويقه . لم يكن الدفاع هو العامل الذي حدا به لهذه الحملات الاخيرة وانما هو عامل التوسع .

وفي رمضان سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٧ ، استناب السلطان الامير اسنقر الفارقاني في خدمة ابنه الملك السعيد وترك لهما خمسة الآف جندي، ثم خرج في ٢٠ منه الى المنزلة حيث عيد العيد . وفي ١٢ شوال غادر المنزلة الى بلاد الشام ومعه وزير الصحبة وكبار الامراء ووصل دمشق في ١٧ منه، ثم دخل حلب في اول ذى القعدة، ثم غادرها الى حيلان، من قرى حلب وجعلها قاعدة للهجوم على بلاد السلاجقة . وهنا امر نور الدين علي بن مجلي نائب حلب ان يتوجه الى نهر الساجور في منبع ويقم على الفرات ليحول دون عبور التتر الى بلاد الشام . وهنا ايضا انضم اليه ابن مهنا لنصرته، ورد غزوة تترية واسر عددا ضخما من التتر (١) . وفي ٣ ذى القعدة قسم السلطان الجيشة بقسمين قاد احدهما بنفسه وقاد سنقر الاشقر القسم الآخر . وذهب السلطان الى كينوك او الحدث الحمراء في آسيا الصغرى، وكان احد قواده قد افتتحها له سنة ٦٧١ هـ (٢) ، ثم الى ككسو فاقجار بند وملكها كلها . اما سنقر الاشقر فاصطدم بنحو ثلاثة الآف جندي تترى وانتصر عليهم في ٩ ذى القعدة (٣) .

---

(١) ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٤٩ - ٥٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦٦ - ١٦٧ . ٢ - المقريزي، السلوك، ص ٦٠٨ . ٣ - ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٥٠ - ٥١، وهو ينقل عن ابن عبد الظاهر وضفا دقيقا لطريق الحملة : المقريزي، السلوك، ص ٦٢٨، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

ولم يكن هذا الانتصار سوى بداية حملة استغرقت نحو من شهر • وبعد هذه المعركة احتشدت قوات الروم السلاجقة والتتر عند نهر جيحان • فأرسل السلطان طليعة من جيشه تستكشف مكان العدو • فوجده في صحراء ابلستين منتظما في أحد عشر طلبا ، في كل منهم الف فارس • وفي العاشر من ذي القعدة اصطدم الجيشان وكادت الجيوش التترية تنتصر ، وجرت معركة عنيفة تزجل فيها فرسان التتر وقتلوا قتالا عنيفا • لكن الجيوش الظاهرية اضطرتهم للتراجع واللجوء الى المرتفعات المجاورة حيث حاطت بها قوات السلطان الظاهر وبادتها ، وفر البرواناه و السلطان السلاجقة ( ١ ) •

وجرد السلطان سنقر الاشقر لمطاردة التتر ، فزحف نحو فيصرية الروم ومعه كتاب امان لاهلها • ثم لحقه حتى وصل العاصمة السلجوقية في ١٥ ذي القعدة فرحب به سكانها • وفي يوم الجمعة ، ١٧ منه ، وضع على رأسه جترني سلجوق ودخل دار السلطنة وجلس على عرش السلاجقة ، ثم دخل الجامع للصلاة وخطب باسمه في جوامع فيصرية السبعة ( ٢ ) •

وهنا وصلت رسالة تهنئه من البرواناه الفار يعبده فيها بالعودة اليه بعد ١٥ يوما لكن الظاهر لم يامن له • وفي ٢٠ ذي القعدة عاد الظاهر نحو بلاد الشام • وفي طريق العودة جرد جيشا بقيادة طيبرس الوزيرى لمهاجمة الرمانه الارمنية لان هيشوم ناصر الروم في موقعه ابلستين ثم واصل سيره الى ابلستين وجمع بعض قتلى جيشه حتى اذا جاء اباغا الى الساحة توهم ان قتلى المماليك ليسوا كثيرا • ثم سار الى الدرند فحارم فانطاكية فحلبه حتى وصل دمشق في ٥ محرم سنة ٦٢٦ هـ • وما كان يدخل دمشق حتى علم بقدم اباغا الى اسية الصغرى ، وتهايا لقصده بلاد الشام ، فعاد الى الاستعداد لملاقاته • ولكن اباغا تراجع ( ٣ ) •

- 
- ( ١ ) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، ١٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٥١-٥٢ ، المقرئى السلوك ص ٦٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٧-١٧٠ •
  - ( ٢ ) ابو الفداء ، ج ٤ ص ١٠ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥٢-٥٦ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢٨ - ٦٣٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩
  - ( ٣ ) ابن الفوطي ، ص ٣٨٩ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ١٠ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٥٧ - ٢٧٥ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٥٦-٥٩ ، ورقة ٦٠ ، المقرئى السلوك ، ص ٦٣١ - ٦٣٣ ، ٦٣٥ ، ابن بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ابن اياس ، ج ١ ، ص ١٠٩ •

وهنا ينبغي ان نسأل سؤالاين وهما : ما هو السبب المباشر لهذه الحملة ؟ وما هي فوائدها ؟ السبب الحقيقي للحملة هو استمرار الصراع بين السلطان الظاهر والتمر . اما السبب المباشر فهو ان البرواناه ، اتصل بالسلطان الظاهر سنة ٦٧٢ هـ يدعو لاحتلال بلاد الروم ثم عاد فطلب من السلطان تاجيل حملته ، فاتصل امراء سلاجقة اخرون بالسلطان الظاهر يدعونه لاحتلال بلادهم ويعدونه بالعون . فعقد السلطان مجلسا عسكريا قرر فيه مهاجمة بلاد السلاجقة (١) وهكذا يكون السلطان قد هاجم قيصرية بناء على دعوة من بعض ابنائها .

ولئن كانت قيادة الحملة قد برهنت عن دراية عسكرية من حيث سد معابر الفرات الى بلاد الشام ، وارسال فرق استطلاعية قبل الهجوم ، وعدم اخذ اع بوعد البرواناه (٢) بالعودة اليه بعد ١٥ يوما فان نتائج هذه الحملة لم تكن شيئا بالنسبة لما تكبده فيها من نفقات ومشقات ، وخسائر بالارواح ، لعلها لم تكن اقل من خسائر التمر . اليس من المعقول ان قتلاه كانت اكثر من قتل التتر فعمد الى اخفاء هذه الحقيقة بدفن القتلى ؟ اما دخوله قيصرية وجلوسه على عرش السلاجقة فمن قبيل "المرجلة" الفارفة . الم يكن يكفي ان رد التتر عن البيرة ، فلا داعي بعد ذلك لتحويل ميدان القتال الى اسية الصغرى . انراه كان يتوقع البقاء في بلاد الروم ؟ لست احس بذلك ممكنا وقد احس بذلك فور دخول قيصرية ، فعمد الى الانسحاب ، تاركا العاصمة السلجوقية للانتقام التتري . وهب ان ابانا واصل زحفه على بلاد الشام في محرم ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ فماذا كان يحدث والسلطان مريض ميمسوس منه ، والجيش لا يزال متعبا ؟ وكانى با بن ابي الفضائل يعتبر هذه الحملة مغامرة لا فائدة منها (٣) . وها هو المقرئ يقول ان الخوف والندم ظهرا عليه وهو في قيصرية لتوريط جيوشه في بلاد الروم (٤) . ثم ان ( E Blochet ) يرى ان الحملة كانت حماقة لان الروم انفسهم لم يكونوا متفقيين على دعوته (٥) .

- 
- (١) اليونيني ج ٢ ، ص ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٤١ - ٢٥٧ ، ابن الفرات ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٣٤ ، المقرئ ، السلوك ص ٦٢١ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ .  
(٢) معنى الكلمة : الحاجب ، وهو لقب مندوب التتر عند السلطان السلجوقي ، وقد لعب سليمان الدين البرواناه هذا دورا هاما في هذه المعركة . انظر ١٨٣ ادناه .  
(٣) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ . - ٤ - المقرئ ، السلوك ، ص ٦٣٣ .  
(٤) ( E Blochet ) النهج السديد ، ص ٣٨٧ .

والى جانب هذه الحروب المتواصلة بين إيلخانات فارس والارمن والسلاجقة الروم من جهة  
والظاهر بيبرس من جهة ثانية ينبغي ان لا ننسى علاقات اخرى بين الطرفين تتناول لجوء الكثيرين  
من التتروالسلاجقة الى الظاهر بيبرس . ففي ٢٧ ذى القعدة سنة ٦٦٠ هـ جاء الى دمشق  
نحو ٢٠٠ فارس تترى ومعهم نساءؤهم واولادهم هاربين من جيش هولاكو المنهزم امام جيش بركة (١) .  
ويوم الخميس ٢٤ ذى الحجة من السنة نفسها جاءت الى مصر جماعة تترية مستأمنة فاكرمهم  
الظاهر ومنحهم اقطاعات كثيرة . ثم اخذ اللاجئين يتواترون جماعة اثر جماعة حتى خشي السلطان  
منهم وحذرهم . ففي رجب سنة ٦٦١ هـ علم ان طائفة كبيرة منهم قادمة اليه فخرج لملاقاتهم  
بالسلاح حتى اذا كانوا خصوما حاربهم واذا كانوا اصدقاء اكرمهم . وكانوا اصدقاء . فانعم  
عليهم وتزوج بنت مقدمهم كرمون (٢) .

وفي محرم سنة ٦٦٢ هـ وصلته جماعة اخرى مستأمنة من بغداد . وفي جمادى الآخرة ايضا  
جاءه بعض امراء العراق فرارا من هجوم هولاكو على بغداد . وفي سنة ٦٦٧ هـ ، بعد سلطنة  
ابنه جاءته دفعة اخرى (٣) . وفي صفر ٦٧٢ هـ وصله الامير شمس الدين بهادر امير غشت  
جلال الدين خوارزمشاه فاكرمه (٣) . وفي ١٧ محرم منه ٦٧٥ هـ جاءه وهو في دمشق  
عدد كبير من المخول والسلاجقة لخلانهم مع البرواناء وتأميره عليهم عند ابغا (٤) .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٦ - ٨٨ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، وج ٢  
ص ١٩٥ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٥٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٠١ ، ٥١٥ . ابن تغري  
بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٠ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٦ .

(٤) المقريزي ، السلوك ، ص ٦١١ ، ابن ابي الفضائل ، ص ٢٣٩ - ٢٤٤ .

القبشاق فرع من المغول استوطن الاضغاق الجنوبية من روسيا . ويدعون بالقفجاق ايضا .  
اما المشورخون الفرنجة فيدعونهم بالقبيلة الذهبية .

كان بركة خان (١) (١٢٥٦ - ١٢٦٦) اول سلاطينهم المشهورين وقد اعتنق الاسلام  
واختلف مع هولاكوه ، وكانت عاصمته سراي شرقي ستالينغراد (٢) . وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١ كان  
بركة خان قد اعلن اسلامه . وفي سنة ٦٦٠هـ وقعت الحرب بين بركة خان وهولاكوه لاستيلاء بركة  
من تاسيس دولة الايلخانات بفارس والامتناع عن اعطاء القبشاق نصيبهم من الاسلاب (٣) . فكان  
طبيعيا بعد هذا ان يتصل السلطان بيبرس ببركة خان للتعاون معا على هولاكوه .

وفي محرم سنة ٦٦١هـ ارسل السلطان الظاهر الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين  
كشريك برسالة وهدية الى بركة . وفي الرسالة حض على الجهاد وعرض لما يقوم به في سبيل الاسلام  
واخباره باحياء الخلافة (٤) . والتقى وفد الظاهر في القسطنطينية بوفد من قبل بركة خان فعاد  
مجد الدين مع وفد بركة خان الى السلطان الظاهر ، وتابع سيف الدين سيره الى بركة خان .

---

(١) كان " خفيف اللحية كبير الوجه في لونه اصفرار ، يلف شعره عند اذنيه . في اذنه حلقة  
فيها جوهرة ثمينة لبسه لباس ياتو عليه قبائي خطائي ، وعلى راسه سراقح وحياصه من ذهب  
مجوهرة . وفي وسطه سولق بلغاري اخضر وفي رجله خفا حمر . . . بلباك ابيض وليس في وسطه  
سيف . وفي حياصته قرون معوجه معممة بذهب . . . جالس على تخت مرخي الرجلين على كرسي . . .  
لان به وجع النقرس " يستقبل السفراء في خركاة وعنده ٥٠ او ٦٠ اميرا ومعه زوجته .  
(اليونيني ، ج١ ، ص ٥٤٢) .

(٢) اليونيني ، ج٢ ، ص ٣٦٤ ، ابو الفداء ، ج٤ ، المقریزی ، السلوك ، ص ٥٦١ ،  
W.Barthold مادة Bereke نقحها J.A.Boyle في الموسوعة الاسلامية ،  
الطبعة الجديدة ، مجلدا ، ص ١١٨٧-١١٨٨ .

٥٣ ابن عبد الظاهر ، ص ١١٦ ، اليونيني ، ج١ ص ٤٨٧ ، ٥٣٦ ، ج٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ،  
الذهبي ، ج٢ ، ص ١٢٦ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، المقریزی ،  
السلوك ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، ٤٦٥ ، ٤٧٣ ، ابن تغري بريدی ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ،  
ص ٢٢٢ ، D\*Ohoisson ص ٣٧٧ .

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٩ - ٦٠ ، ١١٣ ، ابن الفرات ، ج٦ ، ص ١١١ ، المقریزی ، السلوك  
ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

ووصل وفد بركة خان القاهرة فخرج سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ عبر الاسكندرية ومعه رسالة مضمونها ان بركة خان " محب للدين وان هذا العدو يعني هولاء قد تعدى على المسلمين واستولى على بلادهم . وقد رايت ان تقصده ، من جهتك واقصده من جهتي ونصدمه صدمة واحدة فنقلته او نظرده عن البلاد . ومتى كانت واحدة من هاتين اعطيتك ما كان في يده من البلاد التي استولى عليها " (١) .

هذا ما كان يريد الظاهر .

ثم واصل الوفد الظاهري برئاسة سيف الدين كشرىك سيره الى بركة وعاد من عند بركة خان ومعه وفد اخر . وفي جمادى الاولى من سنة ٦٦٠ هـ ارسل الظاهر وفدا ثانيا الى بركة خان يعلن موافقته على ماورد في رسالته اليه ، ثم وصله وفد بركة في ذي القعدة سنة ٦٦٢ هـ والظاهر يتهيأ للاستعراض العسكري الكبير (٢) فحمل له دعوة باللوق (٣) وانعم على اعضاءه بهدايا سنينة .

وردا على ذلك جهز السلطان وفدا من اعضاءه الامير فارس الدين اقوش المسعودى الى بركة خان برسالة وهدية . وكانت الرسالة في سبعين ورقة بغدادية تحتوى على ايات واحاديث ترفب بالجهاد وتصف كثرة جند مصر ، ثم توافق على مقترحات بركة خان . وكانت الهدية تتضمن الحيوانات الغربية كالزرافة والغرد والهجين والخيول العربية والحمير المصرية الوحشية والخدم والاحباش والجوارى والمشاعل والشعدانات الغضبية والحصر العبدانية والامتعة والسياب وما الى ذلك مما لا يحصى كثرة (٤) .

- 
- (١) ابن عبد الظاهر ص ٨١ ، اليونيني ج ١ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، وج ٢ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ابن ابي الفضائل ص ١١٠ ، ١١١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٢ و .
  - (٢) ابن عبد الظاهر ص ٦٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ابو شامة ، ص ٢٣٢ ، المقرئى ، السلوك ص ٥١٧ ، ٥٣٨ .
  - (٣) وهي بساتين ومزروعات ليس فيها ائبنة الا ماعمره القاضي الفاضل ، ثم بنى الظاهر فيها الدور وانزل فيها التتر الوفود والمستامين ( المقرئى ، الخطط ج ٢ ، ص ١١٧ ، السلوك ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
  - ملحوظة ١ - ٢ .
  - (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١١ ، ١١٢ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٣١ ، و ٣٢ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٩٥ .

وفي ١٧ رمضان سار وفد السلطان من القاهرة الى القسطنطينية . وكان الاشكري فائبا عن عاصمته في حرب مع الفرنجة ، وعنده وفد من قبل هولوكو، فسار الوفد الظاهري اليه فاكرم اعضاءه ، ووعدهم بالمساعدة عندما يعود الى العاصمة . فعادوا الى القسطنطينية لكنه استمر يماطلهم سنة وثلاثة اشهر . فاستاذنه الوفد بمواصلة السير الى بركة خان او بالعودة الى القاهرة . فان لا احد الاعضاء بالعودة الى القاهرة واحتجز البقية وبينهم الامير فارس الدين اقوش المسعودي ، نحو سنتين اخريين حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوان وفسد البقية (١) .

وفي هذه الفترة هاجم بركة خان القسطنطينية فهرب الاشكري واستنجد بالامير فارس الدين فقال هذا المقدم القيشاق ان الاشكري صديق للظاهر ، واعطاه وثيقة بانه باق عند الاشكري برضاه . ثم انسحبت الجيوش القيشاقية . وهنا سمح الاشكري للوفد الظاهري بمواصلة السير الى بركة خان ومعه رسالة تعهد فيها بخرامة سنوية معينة مقابل الصلح (٢) .

ثم سار الوفد الى بركة خان مارا على ساحل السودان فالقرم حتى استقبله مندوب بركة خان وانزل اعضاءه منزلة حسنة حتى كان يوم المقاتلة مع بركة خان . دخل اعضاء الوفد عليه بموجب الاداب المتبعة في بلاطه وتليت الرسالة واعجب بها ، ثم اكرمهم واکرمتهم

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٨٢ ، اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، ابن ابي

الفضائل ، ص ١١١ - ١١٣ . ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٤٧ ، ص ٥١ و .

(٢) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٨ ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١٤ . ابن الفرات ،

ج ٦ ، ص ٤٧ و - ٤٧ ق .

زوجته ايضا ، وسألهم عن سبب التأخير ، وعني بالاستئسفة عن مصر ، ثم كتب رسالة الى

الظاهر ، وسيروفا بصحبتهم الى الظاهر (١) .

وكان طبيعيا ، عندما علم الظاهر بتأخير هذا الوفد عند الاشكري ، ان يرسل وفدا

اخر الى بركة في رمضان سنة ٦٦٣ (٢) .

وتوفى بركة خان في رجب سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م . وخلفه ابن اخيه منكوتر وفي صفر

من سنة ٦٦٦ هـ ارسل الظاهر اليه يعزيه بوفاة عمه بركة خان ويعرض عليه استمرار التحالف

بينهما لمجابهة اباغا فقبل (٣) .

وفي سنة ٦٦٨ هـ هاجم منكوتر القسطنطينية (٤) وفي السنة التالية جاء الى الظاهر

رسالة من زعماء القبشاق يؤيدونه ويعلنون الولاء له فاجابهم السلطان مؤكدا استمرار الجهاد (٥)

وفي ذي القعدة سنة ٦٧٠ هـ وصل رسل منكوتر الى الظاهر بدمشق عبر بلاد الاشكري ،

فالبخر ، حيث استولى عليهم مركب من المتشابهين وادخلهم عكا ، فوجب صاحبها تسييرهم الى

السلطان بموجب حلف مع الظاهر . لكن المتشابهين لم يردوا الاسلاب فامر السلطان بمصادرة

تجارهم في الاسكندرية . وكان مع الرسل رسالة مضمونها وعد برد جميع ما استولى

- (١) اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٢ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١١٨ ، ١١٩  
ابن الفرات ج ٦ ، ص ٥٢ و ٥٢٠ ق اما الاداب المتبعة لديه فهي الدخول على اليسار  
حتى تؤخذ الرسائل فينتقل الوفد الى اليمين ، والجلوس على الركبتين ، والتجرد من السلاح  
والعدة وعدم دوس عتبة الخركاة ، وعدم حمل قوس او نشاب وعدم اكل الخبز او فسل الثياب  
في الخركاة (اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٤٢) واعتذر فارس الدين عن تأخره بان الاشكري اخره  
فابرز له بركة خان الوثيقة التي سلمها لمقدمه ولما عاد فارس الدين الى القاهرة في جمادى  
الآخرة سنة ٦٦٥ هـ اعتقله السلطان وصادر امواله (اليونيني ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ، ج ٢ ص  
١٩٧ ، ١٩٨ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٥٦) - ٢ - المقريزي ، السلوك ، ص ٥١٤ ، ٥١٧ ،  
٥٢٨ - ٣ - اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٤ ، ابن الفرات  
ج ٦ ، ورقة ٢٤ ، المقريزي ، السلوك ص ١٧ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ - ٤ - ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٦  
- ٥ - ابن الفرات ج ٦ ، ص ٢ ، ورقة ٧٣ - ٧٤ .

عليه بيت هولوكو من بلاد الاسلام مقابل نجدة بيت بركة لاستئصال شافة بيت هولوكو .

• واجاب السلطان الظاهر على الرسالة بالقبول (١) .

وفي رجب سنة ٦٧٤ هـ بعث السلطان الظاهر بوفد ورسالة الى منكوتر (٢) . ومع ان المصادر لاتشير الى مضمون الرسالة ، فالارجح انها ذات علاقة بحملة بيبرس على بلاد الروم وارمينيا .

وهكذا نرى ان العلاقات بين بيبرس والترك كانت عدائية مع ايلخانات فارس في عهدى هولوكو وابنه ابافا ، وودية مع القيشاق في عهد بركة خان وابن اخيه منكوتر .

٣ - الكرج ،

في رجب سنة ٦٦٦ هـ عاد رسول الظاهر من بلاد الكرج بجوابه مضمونه تاييد الظاهر والقيشاق وعداء ايلخانات فارس (٣) .

٤ - السلاجقة :

احتلت القوات التترية بلاد الروم سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م وابقى هولوكوركن الدين بن غياث الدين سلطانا على البلاد لكنه جعل معه مقيما من قبله (٤) . وفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م اختطف الاخوان ركن الدين وعز الدين فكان الخلاف فوصة للسلطان الظاهر للدخل . ولما ايد التتر ركن الدين ايد السلطان الظاهر عز الدين فارسل هذا رسالة له يتنازل فيها عن نصف بلاده واستنجد به على اخيه ، فارسل الظاهر جيشا لنصرته (٥) ولكن عز الدين لم يستطع

- 
- (١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، وابن ابي الفضائل ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠٧ .  
والمتشابهين عند ابن ابي الفضائل ، هي البيسانيين ، عند اليونيني ولعلها نسبة الى بيزا .  
(٢) المقريزي ، السلوك ، ص ٦٢١ . (٣) ابن الغرات ج ٦ ، قسم اول ورقة ٧٧ وج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١٧ وج ٧ ، ص ٥ .  
(٤) اليونيني ، ج ١ ، ص ٨٦ ، ( E.I. "Seljuks" ) مجلد ٤ ، ص ٢١٢ .  
(٥) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٠ ، ٥١ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٧٠ .

مع ذلك ، الوقوف امام اخيه الذي يناصره التتر المحتلون . فهرب عز الدين الى انطاكيه  
ثم الى القسطنطينية (١) .

ثم ساءت العلاقة بين المقيم التتري معين الدين سليمان البرواناه وركن الدين فاتصل  
البرواناه بالظاهر يدعوهم الى بلاد الروم . ثم ذهب الى اباغا بناء على طلبه ، ولما عاد الى  
قيصرية ، دب الخلاف بينه وبين السلاجقة الذين كانوا اتصلوا بالظاهر معه ، فحاربهم  
ثم ادى هذا الى قدوم السلطان الظاهر في اواخر سنة ٦٢٥ هـ في حطة الى بلاد الروم (٢) .

### ٥ - ارمنييا :

كانت ارمنييا دولة صغيرة ناشئة تريد تثبيت اقدامها في زمن مضطرب وعاصمتها ميس  
" مدينة كبيرة ذات اسوار على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير " وكان طبيعيا بعد  
امتداد سلطان التتر الى بلاد الروم ان تنشأ هذه الدولة صداقة التتر . لذلك زار ملكها  
هيثوم ( ١٢٢٦ - ١٢٢٠ ) الخان التتري الاعظم في قراقورم سنة ١٢٥٥ ، واعلن ولاءه له .  
وطبيعي بعد هذا ان يرى الظاهر في هذه الدولة عدوة له .

وكان هذه الدولة الصغيرة الناشئة كانت تطمح بشمال بلاد الشام لذلك كانت  
منذ اوائل القرن الهجري السابع /الميلادي الثالث عشر تخير على مدن بلاد الشام الشمالية  
واتخذت انطاكية حليفها ، فاعده لهذه الغزوات على بلاد الشام . ففي شوال سنة ٦٦٠ هـ /  
١٢٦٢م . افارت قوات ارمنييه على منطقة حلب فنهبت الفوعة وسرمين ( او سلمين ) وجبل ببلون ،  
فرد هم نائب الظاهر في حلب واسر بعضهم وارسلهم الى القاهرة فوسطوا .

---

(١) اليونيني ، ج١ ، ص ٤٥٨ ، ج ٢ ، ص ١١٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٤٢٠ ، . وبخصوص الرسالة للظاهر راجع ابن الفرات ج ٦ قسم ١ ص ٢٢-٢٣

(٢) راجع ص ١٥٧ ، وما يليها .

وفي صفر من سنة ٦٦١ هـ • جمع التكفور هيثم جيشا اخر وافار على الجومة والعمق وجبل  
ليلون ومعرة مصرين وسرمين والغوطة بدلالة رجل من اهل الغوطة واسر عددا من ابنا الغوطة  
وهرب البقية الى دار الدعوة حيث نجوا وكاد القائد يقتل (١) •

وفي هذه السنة ايضا زحفت جيوش هيثم على سلاجقة الروم لتأييد التتر • وهنا فسي  
عاصمة السلاجقة تحالف هيثم والسلاجقة والتتر على محاربة المماليك (٢) •

وفي ربيع الاخر سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م هاجم هيثم عينتاب ومعه نحو الف جندي فصدته  
جيوش حمص وحماه ، فاستجار بالتتر فارسلوا له نجدة من سبعماية فارس لكن الثلوج والامطار  
حالت دون وصول النجدة في الوقت المناسب • وفي جمادى الاخرة من السنة نفسها جرد جيشا  
جديدا لمهاجمة حمص والبس بعض جنوده البسة تترية ليوهم الخصوم ان التتر في نجده •  
لكن قوات الظاهر ردت بعد ان كبده خسائر جسيمة (٣) •

كان الظاهر في هذه الفترة يحاول تصفية خصومه الاقربين من فرجة وارمن استعدادا  
للصراع المنتظر مع التتر • لذلك راي انه لا بد له من حملة تاديبية على سيمس ويبدو ان التكفور  
كان هادين الظاهر عند تسلمه العرش على خراج مراح يمثله بتاديته • وفي ١٩ شوال سنة  
٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ م بعد احتلال صفد ، قصد دمشق ودخلها يوم الخميس في اول ذي القعدة •  
وهنا جاءه رسل صاحب سيمس بهدية ورسالة للمصالحة فرفض الهدية والرسالة واراهاهم رؤوس  
قتلى اتى بهم من فزوة على عكا (٤) • لقد جاءت محاولة الصلح هذه متاخرة فكان طبيعيا  
ان تفشل • •

---

(١) اليونيني ج ١ ، ص ٤٩٦ و ٥٣١ ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، ١٩١ - ١٩٢ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ ، ابن ابي الفضائل ص ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢ - ابن عبد الظاهر ص ٩٧ •  
(٢) ابن عبد الظاهر ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، والمقريزي السلوك ص ٥١ ، ٥١١ •  
(٣) ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ملكته يجعل تاريخ الحملة  
سنة ٦٦٣ هـ ، ابو الفداء ج ٤ ، ص ٣ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٥١ ، ٥٥٩ ، و شذرات  
تاريخية من صحائف منسيه "لمؤلف مجهول" ، نشر الاب شيخو في المشرق عدد ١٨ سنة ١٩٢٠  
ص ٦٠٢ •

عند ذلك اخذ هيثوم يستعد للحرب • وفي ٣ ذى القعدة سنة ٦٦٤ هـ تحرك جيش  
الظاهر بقيادة الامير اقصنقر الفارقاني وعز الدين بيدغان المعروف بسم الموت وقلاوون الالفي  
نحو الشمال ودخلوا قيليقيا في ٢٢ ذى القعدة واسروا عددا كبيرا من الارمن بينهم ابن هيثوم  
وقتلوا منهم عددا كبيرا ايضا بينهم شقيق لهيثوم • ثم انتشر الجيش المملوكي الى جهة بلاد  
الروم والمصيصة وادنه واياس وطرسوس حتى وصلوا سيس في ذى الحجة ، حيث كان صاحب حماه  
ينتظرهم ثم قفلت قوات الظاهر راجعة الى بلاد الشام فخرج من دمشق يلاقيها محتفيا بها (١) •

وفي سنة ٦٦٥ هـ ارسل هيثوم رسالة الى الظاهر في صدد يدعوه للمصالحة • ولكن  
الظاهر رفض مرة اخرى (٢) • يبدو ان الظاهر لا يريد ان يصالحه الا بعد ان ينص جناحيه لذلك  
لم يرض بعقد الصلح مع هيثوم الا بعد ان احتل انطاكية سنة ٦٦٦ هـ • ان وجد هيثوم نفسه  
مرفعا على التنازل عن درساك وبهسننا ومرزبان ورعنان وشيخ الحديد والذوب ، وهي قلاع  
اعطاها له التتر عند احتلال بلاد الشام • ووعد ايضا بالتدخل لدى اباغا لاطلاق سراح الامير  
شمس الدين سنقر الاشقر الذي اسره التتر عند دخول حلب ، مقابل اطلاق سراح ليفون بن  
هيثوم وابن اخيه وغلماهما الماسورين سنة ٦٦٤ هـ • وحاول هيثوم التلصص من تنفيذ المعاهدة  
لكنه اضطر لتنفيذها لانقاذ ابنه من الاسر • وتسلمه في رمضان سنة ٦٦٦ هـ • وتم الصلح بين  
الظاهر وهيثوم ثم منحه بهسننا اقطاعا منه له (٣) •

---

(١) ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ ، ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٣ ، ابن ابي الفضائل  
ص ١٥٥ ، ٢٣١ و ٢٣٢ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٤٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ابن تغري بردى النجوم  
ج ٧ ، ص ١٤ ، ابن اياس ج ١ ، ص ١٠٤ • (٢) • المقريزي السلوك ص ٥٥٩ •  
(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ ، ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٥ ، ابن ابي الفضائل  
ص ١٥١ ، ١٥٢ •

وبقي الصلح نحو سبع سنوات • ففي اواسط سنة ٦٧٢ هـ كتب الظاهر الى نائبه بحلب ان يستعد لغزو سيمس ، وبالفعل ذهبت بعض طلائعه الى مرعش ثم عادت (١) • اما الظاهر فاستناب الامير شمس الدين اقسنقر الفارقاني بالديار المصرية وتوجه الى بلاد الشام في ٤ شعبان ٦٧٣ ، فدخل دمشق في ٢٩ منه ثم قصد حمص وحماه في رمضان • وجند عساكرهما وعربانهما • ثم وجه تسما من جيشه الى البيرة ليسد معاير الغرات على التتر • وساق بنفسه على راس القسم الاخر الى سيمس مارا بدرساك فالدريند فباب اسكندرونه واستولى على ايماس وادنه ومصيصه وهاجم طرسوس ، ودخل سيمس في رمضان ٦٧٣ هـ اذار ١٣٧٥ • وباد الكثرين من الارمن وغنم الغنائم الكثيرة ، لكن جيوشه لاقت مشقات كبيرة • وفي ٢٠ شوال عاد بجيشه الى بلاد الشام حتى اذا وصل عمق حارم اعاد توزيع جميع المكاسب بين جنوده • ثم ذهب الى دمشق فدخلها في ندى الحجة ٦٧٣ هـ / حزيران ١٢٧٥ ، فالى القاهرة فدخلها في جمادى الآخرة سنة ٦٧٤ هـ : كانون الثاني ١٢٧٦ م (٢) •

ما هو سبب نقض الصلح ؟ وما هو سبب الحملة ؟ يقول ( G Wiet ) ، ان الظاهر كان يريد هذه الدولة ان تبقى فقيرة ضعيفة (٣) ولكنه يبدو لي ان مداخلات السلطان الظاهر في بلاد الروم جرته الى مثل هذه الحملة • وقد كتب البرواناه للسلطان الظاهر يحرضه على غزو سيمس عام ٦٧٢ هـ على ان ينجده لفتح بلاد الروم في العام التالي (٤) ويبدو لي ايضا ان السلطان الظاهر اصبح بحاجة الى مواصلة الحروب • كانت لديه قوات عسكرية كبيرة ينبغي عليه ان يجد لها متنفسا •

- 
- (١) ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٩ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٦٨ - ٥٧٠ ، ٦١٦ ، ابن الفرات ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ١ مو ٢٩ ، ٣٠ ،
  - (٢) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، ج ٤ ، ص ٩ ، الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، ابن ابي الفضائل ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٢٥ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٦ ، ٦١٨ •
  - (٣) ( G Wiet ) ، ص ٤٢٤ •
  - (٤) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ •

كان الظاهر والاشكري ميخائيل باليولوفوس خصوما للفرنجة ، ثم ان الصداقة بين السلطان الظاهر والقيشاق تحتم على الاشكري ان يميل الى مصادقة الظاهر لينجو من هجمات القيشاق .  
ويزيد في ضرورة هذا ان مطامح التتر والسلاجقة في بلاد الروم لا يمكن ان تتحقق الا على حساب الامبراطورية البيزنطية . من هنا يتوقع المرء ان يجد الاشكري الى جانب الظاهر بوجه عام ولكن الواقع هو ان العلاقات بينهما لم تكن كذلك . فقد كان الاشكري يناور بين المماليك والتتر ليوهم كل طرف انه ليس خصمه .

وقد بدأ الظاهر بايفاد الرسل والهدايا الى الاشكري لمصادقته . وفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ارسل اليه وفدين . وكان اولهما بطريك واساقفة كان الاشكري قد طلبهم للنصارى الملكانيين في بيزنطيه . وعاد هذا الوفد في رجب . وثانيهما يحمل هدية فيها زرافة وتحف فريضة ورسالة قراها الاشكري احدى عشرة مرة . وعاد هذا الوفد في شعبان . وارسل الظاهر ايضا الادوات والالات اللازم لترميم جامع في بيزنطيه مبني في سنة ٥١ هـ (١) .

وفي رمضان سنة ٦٦١ هـ اخرج الاشكري رسل الظاهر بيبرس الى بركة . ولما علم الظاهر بذلك جمع الاساقفة وابزلهم نسخ يمين الاشكري له على حسن الجوار ثم اطلعهم على تصرف الاشكري ازاء وفده الى بركة . فاجمعوا على ان عقاب مثل هذا العمل هو الحرم . فارسل الظاهر للاشكري رسالة مع راهب يعلن فيها استعداد له لمساعدته للتفاهم مع بركة وقد كان هذا هاجمه سنة ٦٦٢ هـ وادى هذا الى مساعدة فارس الدين المسعودي للرحيل الى بركة (٢) هنا يمكن ان نعتبر ان العلاقات الودية بين الطرفين قد انتهت . كان الاشكري في طريق التفاهم مع هولاء وكذلك اخرج وفد الظاهر الى بركة (٣)

(١) ابن عبد الظاهر ص ٥٠ ، المقرئ ، السلوك ص ٤٦٩ ، ٢ - ابن عبد الظاهر ص ٢٨ ، ٥٠ و ٥٣ ، والمقرئ السلوك ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٥ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥١٤ ، و ٥٣٨ .  
(٣)

وفي سنة ٦٦٢ هـ ، وسع الخرق بين الطرفين ، إذ ان الاشكري اعتقل عز الدين كيكاروس اللاجي ، اليه بعد خلافه مع اخيه ركن الدين حول سلطنه السلاجقة ، بتهمة التآمر مع امراء البيزنطيين لقلب الاشكري من الحكم (١) . وعز الدين هذا صديق للظاهر . واعقب الاشكري هذا التدبير بان ارسل في رجب سنة ٦٦٣ هدية للظاهر كانه يحاول اصلاح الحال . واستمر في مناورته السياسية هذا بان ارسل هدية ايضا الى هولاء في نفس السنة . وادت المفاوضات مع التتر الى عقد تحالف بينهما والى تزويج ابنه بابنة الاشكري لتوطيد هذا التفاهم ، مما جعل العلاقات مع الظاهر سيئة (٢) .

وبهذا التفاهم بين الاشكري وايلخانات فارس من جهة ، والتفاهم بين الظاهر وبركة من جهة ثانية اخذ القيشاق يهاجمون القسطنطينية ، دخلوها سنة ٦٦٨ هـ مما حمل الاشكري ان يكون اشد حذرا في علاقاته الخارجية وفي سنة ٦٦٧ هـ اتصل بالظاهر ، ثم لم يعد يتدخل في الحروب التي جرت بين الظاهر والتتر والسلاجقة والارمن . حتى انه في سنة ٦٧٠ هـ ارسل للظاهر وفدا وقابله السلطان بالمثل (٣) وتبادلا الرسائل سنة ٦٧٤ هـ ايضا (٤) .

وهكذا نجد ان السلطان الظاهر قد استطاع ان يصد التتر بسياسته التي وضعها لنفسه ان نجح بشق الخصوم المغول وبمحالفة قسم منهم وبانشاء جبهة متناسكة بوجه عام مدعومة بقوات مملوكية كبيرة ، لقد كانت معاركه مع التتر تجري في بلاد الشام في المرحلة الاولى لكنه استطاع ان ينقل ميدان المعركة الى بلاد الروم الموالية للمغول . ولعل مقدرته في هذه المعركة الطويلة تتجلى على احسن وجه حين نجح في الحؤول دون قيام تحالف بين القوات التترية والقوات الصليبية المحلية والاروبية . وبهذا مهد السبيل للسلطنة المملوكية بعده ان تقضي على ما تبقى من المراكز الصليبية في بلاد الشام وان تقف بوجه الزحف التتري التالية .

(١) ابو الفداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ ، والمقريزي السلوك ، ص ٥٢٢ ، - ٢ - المقريزي ، السلوك ، ص ٥١٤ ، ٥٢٧ .

(٢) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٣٦ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٨٨ ، ٦٠٧ ، - ٤ - المقريزي ، السلوك ، ص ٦٢١ .

بيبرس في علاقاته الخارجية ، قسم ثان

٧ - الصلبيون .

يمكن النظر الى علاقاته مع الصليبيين من زاويتين ، الزاوية الدينية المبدئية والزاوية السياسية العسكرية . ولكن السلطان الظاهر لم يميز بين الناحيتين . لم يكن عنده مكان للصلبيين في بلاد الشام . لقد كان مسلما ينادى بحماية الاسلام والمسلمين من المعتدين ، وينصرة الاسلام والمسلمين على المعتدين .

وكان السلطان بعد هذا موغدا دولة المماليك . وكان يرى في الصليبيين خصوما سياسيين لهذه الثورة الناشئة . فمعركته اذا معهم معركة كيانية . ولم يكن يهمه في ذلك انه قضى عليهم كقوة عسكرية وسياسية فعالة بعد معركة المنصورة . ولم يكن ينسى ان الصليبيين عيون للمخول على الجيوش المغولية . ونسي ان لويس التاسع اتصل بعز الدين ايبك التركماني سنة ١٢٥٢ للتحالف معه على الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحلب ، وكان يحسب ذلك تدخلا منه في شؤون المنطقة . ونسي ان الفرنجة في جنوب بلاد الشام ايدوا قطز في حربه مع التتر وعرضوا عليه المساعدة العسكرية . ونسي ان بعض الصليبيين حاربوا التتر وان الكنيسة حرمت بوهمند لتحالفه مع التتر . (١)

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٣٨٣ ، R.Grousset ، ج ٣ ، ص ٥٠١ ، ٥٢٦ E.Blochot  
النهج السديد ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ ، جوزف نسيم يوسف ، ص ١٢٨ .

لقد كان الظاهر يستهدف في حروبه مع الصليبيين شيئا واحدا هو ان يببدهم ابادة تامة فيرمفرق بين الناحية السياسية والناحية الدينية وفي هذه الناحية اختلفت سياسة الظاهر عن سياسة صلاح الدين الايوبي . وقد كان هذا ينبغي القضاء على الصليبيين كقوة سياسية عسكرية محتلة لكنه لم يكن يرى بأسا من التعامل معهم كأفراد او كمستوطنين .

ولم يكن السلطان الظاهر يستطيع القضاء عليهم جميعا مرة واحدة . فكان لابد من ضرب مراكزهم واحدا بعد واحد . وكان لابد له ايضا في هذه المعركة من ان يمنع عنهم الامدادات من اية ناحية . لذلك ينبغي ان نذكر هنا ان تحالفه مع القبشاق حال دون معونة ابلخانات فارس والديولت الصليبية ، بصورة جدية منتظمة ، ولذلك ايضا انشاء محالفات مع بعض دول اوربا كصقلية ورافونه وجنوى واستطاع بذلك عزل الفرنجة في بلاد الشام .

لما تسلم الظاهر ببيبرس السلطنة سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ كان الصليبيون يسيطرون على الشريط الساحلي من بلاد الشام . وبعد صراع دام استمر سبعة عشر عاما ضاق هذا الشريط وتصر بحيث لم يبق للصليبيين عند وفاه الظاهر الا بعض ما بين عكا وطرابلس .

مرت علاقات الظاهر بالدول الصليبية في ثلاث مراحل . ففي السنوات الاولى من سلطنته حتى نهاية سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ كان يعاهد الدول الصليبية على الصلح ليتسنى له القيام باستعداداته العسكرية والسياسية ، في الداخل والخارج ، ليعود لمحاربة الدول الصليبية بعد ذلك . ثم كانت المرحلة الثانية وفيها احتل موقعين هامين هما فيساريسه وصفد ، ثم كانت المرحلة الثالثة وفيها حطم التحالف بين التتروالدول الاوروبية عن طريق البابا ، واحتل مواقع صليبية هامة كانطاكية وحصن الاكراد ، وانحرفت الحملة الصليبية الاخيرة الى تونس . وعقد احلافنا مع بعض الدول الاوروبية . فاستكان الصليبيون في بلاد الشام بعد ذلك الى الهدوء والحياد .

وبرزت الناحية الاقتصادية في هذه الحروب بشكل واضح . ان عمد بعض الصليبيين

الى محاربة الممالك اقتصاديا . وفي سنة ٦٥٨ هـ زوروا الدراهم في يافا جاعلين نسبة الفضة فيها الى النحاس بنسبة ١٥ الى ٨٥ بالمئة مما احدث الرعب بين الناس ، ولما اخرجوا هذه النقود للتدخل منها بشراء البضائع تزايدت الاسعار وافتقر قوم واستغنى اخرون (١) . ثم حاولت بعض الدول

الصليبية منع التعامل التجاري مع المماليك بالاشباب والحديد لانها مفيدة في الصناعات العسكرية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية قامت علاقات السلطان الظاهر مع جنوى على التبادل التجاري . وكانت التجارة الهدى فالاول من تبادل السفارات السياسية مع ضقلية . حتى ارافون فقد رات نفسها ، بعد فشل المعونة العسكرية لحكا ، مضطرة لعقد تحالف تجارى مع المماليك . ثم ان بيروت لعبت دورا كبيرا في المبادلات التجارية عبر البحر المتوسط . فقد وجه السلطان الظاهر الى بيروت اهتماما خاصا .

والى جانب الحملات العسكرية العنيفة فقد كانت في هذا الصراع ، في مرحلتيه ، حملات صغيرة استكشافية استهدفت منها الطرفان التخريب والالهاء .

اما ميدان هذا الصراع فكان يلاذ الشام بصورة رئيسية ولكنه امتد في مرحلته الثانية الى تونس واسية الصغرى . وقد ظن الصليبيون ان مهاجمة تونس تمهد السبيل لاحتلال مصر ، وقد اعلن السلطان الظاهر عزمه على مساعدة تونس لصد الصليبيين في محرم سنة ٦٦٩ هـ ، كما ان حملاته على ارمينيا كانت ذات علاقة بالحروب الصليبية ايضا .

ونلاحظ ان السلطان الظاهر قد قاد الدفة في هذا الميادين بحنكة ومهارة . وما ان كانت سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ حتى كان الصليبيون في بلاد الشام قد اصبحوا خاضعين له او محايدين في حروبه مع التتر والارمن والسلاجقة . لقد كالت الضربات الفاضية للصليبيين في بلاد الشام بحيث انه استطاع ، بعد سنة ٦٧٠ هـ ان ينقل ميدان الصراع مع التتر الى اسية الصغرى . ومع انه لم يحتل عكا وطرابلس فانه كان قد اضعفهما حتى ان احتلالهما لم يتاخر بعده فير سنوات معدودة .

وهناك نتيجة هامة اخرى لحروب الظاهر مع الصليبيين . لقد مهد السلطان الظاهر السبيل امام سياسة انعزال وانسغلاق . الا يمكن القول ان انقطاع هذه المنطقة عن اوربا يعود الى حد كبير ، الى مثل هذه السياسة التي انتهجها السلطان الظاهر ؟ احسب ان السلطان الظاهر حين كان يعمل لابادة الصليبيين في هذه المنطقة ، كان يعمل ايضا ، ولوعن غير ادراك ووعي ، لعزل هذه المنطقة . ولنذكر هنا ان الحملات الاوروبية للاستكشافات الجغرافية بدأت في هذا القرن .

### المرحلة الاولى

كانت يد السلطان مغلولتين في السنتين الاوليين من حكمه بالثورات الداخلية . وكان الفرنجة يرسلون اليه والى نوابه شتى الشكاوى من غبن لحق بهم من استمرار الهدنة التي جرت بينهم وبين السلطان قطز سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ ويطلبون منه زرعين ، وبها جمون بعض القرى ويأسرون سكانها ويستولون على ماشيتها . ولما انتظمت الامور للسلطان الظاهر في دمشق وحلب واعتقل المغيث ، تفرغ الظاهر للفرنجة وجاء الطور في جمادى الاولى سنة ٦٦٢ هـ . وكانوا قد تدمروا من شروط الهدنة وطلبوا زرعين بحجة ان السلطان ايبك كان قيد وعدمهم بها (١) . ولم يأت الفرنجة لاستقباله فارسل قوات هاجمت عذليث وقيسارية واستردت ما كان الفرنجة سلبوه منها واتلفت قواته زرعا كان للفرنج (٢) . وهنا جاء نواب المراكز الصليبية في جنوب بلاد الشام للاجتماع به والتسليم عليه واتوا معهم بهدايا . ثم زعموا انهم لم يعرفوا بقدومه فرد عليهم ان جهل قدوم جيش كبير مثل جيشه يثبت عليهم لتقصير والثقله ، ثم عاد وقبل الهدايا منهم واصدر تعليماته لقواته ان لا يتركوا في زرع للفرنجة وان لا يتعرضوا لماشيتهم (٣) ثم طلب السلطان منهم ان يعرضوا عليه قضاياهم .

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٦ S. Runciman ج ٣ ، ص ٣١٧ .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ٦٨ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٤ ، ٤٨٠ - ٤٨٤ ، ٥١٣ .

(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٧ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٣ .

قال ( ١ ) السلطان ، ما تقولون ؟

قالوا ، نتمسك بالهدنة التي بيننا .

قال لهم لِمَ لا كان هذا الكلام قبل حضورنا الى هذا المكان ، واتفاق الاموال التي

لو جرت لكانت بحارا ؟ ونحن لما حضرنا الى ها هنا (٢) ما آدينا لكم زرعاً ولا غيره، ولا نهب

لكم مال ولا ماشية ، ولا اسرلكم اسيراً (٣) .

ثم راح السلطان يعدد مخالفات الفرنج للهدنة فقال : انتم منعتم الجلب والميرة  
عن العسكر (وحرمتم خروج شيء من الخلات والاعنسام وغير ذلك ، ومن انفرد من قلما العسكر  
اسرتموه ؟) وسيرتم الينا بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها وسيرنا نسخة يمين من عندنا لم تحلفوا  
عليها ، وعلمتم انتم نسخة حلفتكم عليها وشرط اليمين الاولى تتعلق بالثانية . وسيرنا الاسارى  
الى نابلس ومنها الى دمشق ، وما سيرتم انتم احدا ، وكل بيت يحيل على الاخر (وما سيرنا  
الاسارى الا وفاء بالعهد واقامة الحجة عليهم ) . وسيرنا كمال الدين بن شيت رسولا يعلمكم  
بوصول الاسرى ، فلم تبعثوا احدا ، ولم ترحموا اهل ملتكم الاسرى وقد وصلوا الى ابواب بيوتكم  
كل ذلك حتى لا تبطل اشغالكم من اسرى المسلمين عندكم . واموال التجار شرطتم القيام بما  
اخذتموه منها ، ثم قلتم ما اخذت من بلادنا وانما اخذت في انطرسوس وحمل المال الى خزانة  
بيت الديورية والاسرى في بيت الديورية ، فان كانت انطرسوس ما هي لكم فالله يحقق ذلك . ثم انا  
سيرنا رسلا الى بلاد السلاجقة الروم وكتبنا اليكم بتسفيرهم في البحر ، فاشرتم عليهم بالسفـر  
الى قبرس (فسافروا بكتابكم وامانكم ) \* فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم ، واتلف احد هم على ما ذكر .

( ١ ) النص في ابن عبد الظاهر وابن الفرات والمقريزى واحد الا في بعض عبارات ليست فسي

ابن عبد الظاهر ولا ابن الفرات وضعتها بين معكوفين .

( ٢ ) ساقطة . لما حضرنا الى ها هنا ، من ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٧ و .

( ٣ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٤٨٤ .

هذا مع احساننا الى رسلكم (وتجاركم ، والوفاء احد اركان الملك ) . وجرت عادة الرسل انها لا تؤذى ، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردد ، (وما القدرة على الرسول بشيء يسكن فيظنا ) فان كان هذا بخير رضاكم فانه نقص في حرمتم ، وازا كان صاحب جزيرة قبرس من اهل ملتكم يخرق حرمتم (ولا يفي بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم ، فاي حرمة تبقى لكم و اى ذمام يوثق به منكم و اى شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجية ؟ ) ، وهل كانت الملوك الماضية تقي النفوس والرجال والاموال الا بحفظ الحرمة ؟ (١) ( وما صاحب جزيرة قبرس ملككم ولا صاحب حصن منيع ، ولا قائد جيش كثير ولا هو خارج عنكم . بل ) اكثر تعلقاته في عكس الساحل ، وله عندكم المراكب والتجار والاموال والرسل ، وليس هو منفرد بنفسه ، وعنده الديورية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده . وعنده كنديافا وغيره . فلو كنتم لا تؤثرون ذلكم كنتم قتمتم جميعكم عليه واحتظتم على كل ما يتعلق به واصحابه واسترحتم من هذه الفضيحة ، وكتبتم الى ملوك الفرنجية والى البابا فعله . ( وازا قلتم صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فاذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من اهل ملتكم ، فمن يسمع منكم ؟ وهل لهذه التقدمة الا الامر والنهي ؟ ولا سيما وانتم تقولون ان اموركم دينية ، ومن ردها عصي المعبود ، ويغضب عليه المسيح فكيف لا يعصى المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرس ، وهو قد رد امركم واتغوى بكم وتبجح قولكم *وكانوا يشتموننا* وكنا لو اشتهينا اخذنا حقنا منه ، وانما الحق عندكم نحن نطلب منكم وانتم تطلبون منه ) . \* وانتم في ايام الملك الصالح اسماعيل (٢) اخذتم صغد والشقيف ، على انكم تجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين ايوب . وخرجتم جميعكم في خدمته ونجدته وجرى ماجرى من خذ لانه وقتلكم واسركم واسر ملوكمم واسر مقدمكم ، وكل احد يتحقق ماجرى عليكم

(١) في ابن عبد الظاهر (ص ٦٩) ، وهل كانت الملوك تقي النفوس والاموال الا لحفظ الحرمة ؟

(٢) عم الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وصاحب دمشق لفترة .

من ذهاب الارواح والاموال . وقد انتفضت تلك الدولة ولم يواخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد واحسن اليكم فقابلتم ذلك بان رحتم الى الريد افرنس ، وساعدتموه واتيتم صحبته الى مصر ، حتى جرى ما جرى من القتل والاسر . فاي حره وفيتم فيها لمملكة مصر ام اى حركة الطحتم فيها ؟ . وبالجملة فانتم اخذتم هذه البلاد من الملك اسماعيل لاعانة مملكة الشام ، وطاعة ملكها ونصرته ( والخروج في خدمته وانفاق الاموال في نجدته . وقد صارت بحمد الله مملكة الشام وفيها لي وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم ، (ولم يبق لي عدو اخافه ) فردوا ما اخذتموه من البلاد فكوا اسرى المسلمين جيمعهم ، فانسى لا اقبل غير ذلك" (١) .

واجاب مقدم الاسبشارية ، صاحب ارسوف ، متدمرا من شدة شروط الهدنة . فقال له السلطان انه نقض العهد ان بدأ ببناء ريش . فرد صاحب ارسوف ان الغاية من بناء الريش هي حماية الصعاليك ثم اضاف الى ذلك ان امورا " قد بلغتنا سوف تسمعونها : ورفض السلطان حجته وقال ان البلاد لا تحفظ بالخنادق وانما بحسن الجوار وبذل الاحسان وكف الاذى والسيوف والعزم . اما بخصوص ما عناه من قدوم التتر فعبيره : بان الفرنجة يخبثون وراء الاسوار بينما يخرج المماليك لملاقاتهم (٢) .

وامام هذا الكلام بهت الفرنجة وقالوا :

- نحن لانقض الهدنة ، وانما نطلب مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها (٣) ونحن نزيل شكوى النواب ( ونخرج من جميع الدعاوى ) ونفك الاسرى ( ونستأنف الخدمة ) فرد السلطان : كان هذا قبل خروجي من مصر في هذا الشتاء ووصول العساكر الى هنا .

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ابن الفرات ، ج ٦ ص ١٧٠ و ١٨٠ ق . المقرئى ، السلوك ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٦٨ ، (٣) استصحابها و ، في ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، وابن الفرات ، ج ٦ ص ١٨ و .

فرد السلطان : كان هذا قبل خروجي من مصر في هذا الشتاء ووصول العساكر

الى هنا .

وهكذا نجد السلطان الظاهر ينطلق في معاملة الفرنجة من اساسين هما ، عداوتهم  
لمصر اولا ونكثهم بوعودهم ثانيا . انه لا يجتمع بهم للمفاوضة هذه المرة ، ولكن ليسرد لهم  
تاريخ علاقاتهم بمصر وبلاد الشام في الامس القريب ، وليؤكد لهم ان معايشتهم مستحيلة  
وان استرجاع ما استولوا عليه من بلاد الشام امر لا بد منه .

القضية عنده سياسية قبل كل شيء . صحيح ان الموجة الاولى من التتر كانت  
قد تقلصت ، ولكن الخطر لا يزال ماثلا لذلك لم يرد القلاع الصليبية مراكز مؤامرات وتجسس .  
وهو ينفي ان تكون القضية دينية بقوله ان الدين يقضي عليهم بالوفاء بالعهدود .  
واخيرا فان الظاهر حريص على الهدوء والسلامة لان ذلك ضروري للتجارة .  
وانتهى المؤتمر او بالاحرى انتهى بيان الظاهر (١) ثم اصدر امره باخراج المندوبين  
من الوطاق ولم يسمح لهم بالمبيت فيه (٢) .

ثم اراد ان يؤكد للفرنجة انه اقوى منهم وانه يستطيع التغلب عليهم والثأر منهم  
فراح يرسل حملات صغيرة ثأرية تخريبية على مراكزهم . فارسل الامير علاء الدين طيبرس  
لتخريب كنيسة الناصرة ، ثم ارسل جيشا آخر ليقحم ابواب عكا وسار بنفسه على مراعي  
الجيوش الفرنجية واستولى على الكثير من ماشيتهم وعاد به الى دهليزه (٣) .  
وقبل مغادرة الطور ضرب على ايدي العابثين المفسدين بيد من حديد اذ الزم  
الفلاحين في بلاد الساحل ان يحملوا الى بيت المال " جنایات " عما اخذوه من قتلى لاوارث  
لهم او اسلاب جهل مالکها . وذلك لانهم كانوا يحملون اخباره الى الفرنجة (٤) .

(١) يقول S.Runciman (مجلد ٣ ، ص ٣١٧) ان المفاوضات انقطعت بسبب  
رفض اعادة الاسرى المسلمين . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٧ .  
(٣) ابن عبد الظاهر ، ص ٧٠ ، ليهو الغدا ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ١٨٠ ، المقريزي  
السلوك ، ص ٤٨٧ S.Runciman ، ج ٣ ، ص ٣١٧ (٤) ابن عبد الظاهر ص ٧٠ المقريزي السلوك ص  
٤٨٨

المرحلة الثانية :

وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ بدأت المرحلة الثانية من صراع السلطان الظاهر مع

الصليبيين . فقام بحملة عنيفة احتل فيها قيسارية ومثلث وارسوف وعغد .

في رمضان سنة ٦٦١ هـ هاجم الظاهر قيسارية ونهب بلادها واسر بعض سكانها

وقتل بعضا اخر واجبر مندوبيها ان يحملوا الفرنجة على رد ما كانوا قد استولوا عليه من الاسرى

والمواشي في قارة سابقية (١) .

وفي محرم سنة ٦٦٣ هـ حين كان الظاهر وبعض امراءه في رحلة صيد في اوسيم بلغته

الخبر بنزول التتر على البيرة ، فارسل جيشا لصددهم ثم تبعه بجيش في ربيع الاخر ومر في

قزة في ٢٠ منه ثم في يبنسى في ٢٦ منه ثم ساق للعوجاء حيث اقام بضعة ايام . ولما كان

بعض امراءه يذهبون الى الصيد في ظبة ارسوف حيث تكثر السباع ، ليخدع الفرنجة ، ساق الى

ارسوف وقيسارية في حملة استطلاعية ثم استدعى الجيش والات الحصار من دمشق وامر جنده

بصنع عدة منجنيقات وسلالم حتى اذا تمت استعداداته هاجم قيسارية في ٨ جمادى الاولى

على حين غفلة وحاصرها بجند مستعملا المجانيق والدبابات ورمي الشباب وارسل

بعض جيشه في تجاريد للغارة على بيسان ومكا للحؤول دون قدوم نجدات لقيسارية .

وكان السلطان يشترك بنفسه في الهجوم فهو حينما يربط في اعلى كنيسة تجاه

القلعة وحينما اخبر عثلي دبابه ذات عجل ويسير الى السور ليبرى النقب ، ثم ليقا تل حينما

ثالثا . وفي منتصف جمادى الاولى ، اذار ١٢٦٥ ، استسلمت القلعة ودخلها السلطان

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٣ و ١٠٤ .

وفي منتصف جمادى الاولى / اذار ١٢٦٥ ، استسلمت القلعة ودخلها السلطان وامراءه  
وجيشه (١) وفي سنة ٦٦٩هـ / عندما علم بقدوم حملة لويس التاسع الى تونس جاءها  
الظاهر وهدم اسوارها (٢) .

كان الظاهر هاجمها في رمضان ٦٦١هـ . وفي ١٦ جمادى الاولى . بعد احتلال  
قيسارسة ارسل فرقتين من جيشه لمهاجمة حيفا . وارسل فرقة اخرى لدك الملوحة .  
ثم هجم بنفسه على عثليث (٣) وخربها في يوم واحد وعاد (٤) .

وبعد العودة من عثليث رأى الظاهر ان يهاجم ارسوف (٥) وفي مستهل جمادى  
الآخرة نزل عليها وجمع حولها الاحطاب تلالا ليجعل منها ستائر وحفر سربين من خندق  
القلعة الى خندق المدينة ، لكن الفرنجة احرقوا الاحطاب ولاقت القوات المهاجمة المشقة  
حتى ان الظاهر كان بنفسه يجر المجانيق ويرمي بالاسهم ، ويضرب بالقطاعة ويداه مجرحتان  
ثم حشد الفقهاء والمتعبدين والنساء الصالحات لسقي الماء في المعركة ، واطلق الرواتب  
للجميع حتى لا يكون لاحد شغل في غير الحرب . ثم تداعى احد الابراج وتسلمت القوات  
المملوكية الاسوار ورفعت الاعلام ثم منحت الامان للفرنج فاستسلمت القلعة في رجب ٦٦٣/  
نيسان ١٢٦٥ . ولم يتعرض لما في القلعة من غلال وذخائر وانما سرح الاسرى المسلمين  
وهدم السور (٦) ، وصارت ارسوف فيما بعد موعى خصبا ينزلها الظاهر في طريقه الى بلاد  
الشام (٧) .

---

(١) ابو شامه ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٢ -  
ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٦٧ و ٦٨ . المقريزي ، السلوك  
ص ٥٢٤ - ٥٢٨ . (٢) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧٤ - ٧٥ . (٣) تقع للجنوب من  
الكرمل وقد اسسها الداوية سنة ١٢١٨ . R. Grousset ، ج ٣ ، ص ٦٢٤ .  
(٤) المقريزي ، السلوك ص ٥٢٧ - ٥٢٨ . (٥) مينا صغير للشمال من حيفا . سماها الصليبيون  
Azotus احتلها صلاح الدين منهم سنة ١١٨٧/٥٨٣ ثم استعادوها ١١٩٢/٥٨٨ .  
- ٣١٨ H.A.R. Gibb, E of I., Art<sup>n</sup> Arsof<sup>n</sup> (new ed) Vol. I ص ٦٦٢ (٦) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ -  
٣١٩ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٣١٩ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٢ ، المقريزي ، السلوك ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ .  
(٧) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٣ .

ثم عاد الى قيسارية وامر بكتابة البشائر الى القاهرة والى النواب فتزيت القاهرة  
لذلك (١) . ثم اخذ يعد الترتيبات الادارية اللازمة بعد الفتح . فتحقق من الارض الصالحة  
للزراعة في قيسارية وارسوف وطلب قاضي دمشق وعدولها ووكيل بيت المال وبعض الفقهاء  
والائمة وامر بتوزيع البلاد على الامراء المجاهدين الذين فتحوها . ثم كتبت التواقيع بذلك  
وامضيت من السلطان والوزير والخزندار وصاحب ديوان الجيوش ومستوفي الصحبة ثم وزعت  
على مستحقيها . ثم كتب كتاب تطليق شرعي جامع ووزعت نسخة على الجميع وكان فيه حمد لله  
وشكر له على النصر الذي احرزته جيوش الحماليك على التتر والفرنجة ، وفخر بهذه القوات  
المظفرة " البانية الهادمة والقاسمة الراحمة " واشادة بالسلطان ومآتيه " حتى خرج  
الامر العالي . . . . ان يملك امراءه وخواصه الذين يذكرون . . . . ما يعين من البلاد والضياع  
ليبقى ذلك فيهم " للولد وولد الولد (٢) .

وبعد استكمال الهدم ، والتطليق فادر ارسوف الثلاثة ١٣ رجب ٦٦٣ هـ الى غزوه  
ثم رحل الى مصر فخرج ابنه الملك السعيد والاتابك عز الدين الحلبي نائب المملطنة للقائه  
فاجتمعوا به عند بركة الحجاج ويوم الخميس ١١ شعبان دخل القاهرة والاسرى بين يديه ،  
وشقها حتى خرج من باب زويلة ، ثم صعد الى قلعة الجبل وبعد ان استراح ، استعرض مع  
الامير عز الدين الحلبي والصاحب بهاء الدين بن حنا ما حصله في الخزائن ثم خلع على  
لجميع رجاله فلم يترك اميرا او موظفا او مقدما او مفرديا ، او احدا من خواصه وسائر حاشيته  
ثم احسن الى رسل بركة وكتب الى اليمن والقسطنطينية بالخبر ووزع الصدقات على الفقراء (٣) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٢٣ .  
(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٣٧ - ١٤٤ . اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣١٨ . المقرئى ، السلوك ،  
ص ٥٢٧ ، ٥٣٠ - ٥٣٢ .  
(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧١ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

في ٣ رجب سنة ٦٦٤/١٢٦٦ بينما كانت جيوش اباغا في حرب مع جيوش القبشاق التي غزت فارس، اصدر الظاهر تعليماته لولاثة ليحضروا الاجناد للغزو، فتلکأوا في تلبية اوامره فارسل سلا حداريته الى سائر اعمال مصر وعلقوا الولاة المتأخرين في ايديهم ثلاثة ايام (١). ثم عين عز الدين ايدمر الحلي نائبا عنه في القاهرة والصاحب بها الدين وزيرا في خدمة ابنه السعيد، ثم خرج في اول شعبان قاصدا بلاد الشام. غادر القاهرة ونزل في بركة الجب حيث وزع تعليماته للغزوة التي كان قد هيأها على صفد (٢). وهنا عين الامير ايدغدي العزيزي والامير سيف الدين قلاوون مقدمين على الجنود ومعهم امراء آخرون. وفي ٣ شعبان سارت الجيوش الثلاثة. فساق السلطان بقسمه الى غزه فالخليل فالقدس وايد جيشه الاخرين في مهاجمة عكا ثم تركها ليتعابحان هجماتهم وبقى عند عين جالوت ينتظر عودتهم. اما الجيشان الاخران فزحفا على الساحل يعبثان فسادا ونهبها في منطقة عكا وصور وصيدا وعرة وطرابلس وحلبا والقليعات وحصن الاكراد وعثليث وارسوف وجبل عاملة والقرين. ثم عاد الجيشان في نهاية شعبان بفنائم لا تحصى (٣).

كانت الغاية من هذه الحملة الصاعقة ترويع الصليبيين ونشر الذعر والفوضى في صفوفهم لشل حركتهم فاصابت نجاحا اكيدا في ذلك حتى ان اهل عكا اخذوا يتحدثون في عقد صلح. لكن الظاهر بدا بمحاصرة صفد في ٨ رمضان / تموز ١٢٦٦. واتى بالمجانيق من دمشق على الجمال وعلى اكتاف الامراء والاجناد واسهم بذاته بجر الاخشاب لا يتعب ولا يمل حتى نصبت المجانيق ورमित القلعة بها في ٢٦ رمضان. لكن الجيوش الفرنجية صمدت للحصار حتى

(١) المقریزی، السلوك ص ٥٤٥ - ٢ - هي Saphet عند الفرنجة، كانت حصنا للدواية وفي منطقتها حوالي عشرة الاف فلاح في نحو ستين قرية R. Grousset ج ٣، ص ١٢٦. Templars  
(٢) المقریزی، السلوك، ص ٥٤٥، وابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨.  
اليونيني، ج ٢، ص ٢٣٧، والمقریزی، السلوك، ص ٥٤٥. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨، وفي هذه الرسالة منع النصارى من دخول الخليل (المقریزی، السلوك، ص ٥٤٥).  
اما القرن فلعلها القرين احدي قرى دمشق.

اقترح بعض امراء الظاهر ان يتراجعوا لاسيما وقد افار اهل عكار على الشقيف . وهنا اضطر  
السلطان ان يعد الحجارين العشرة الاول بمكافآت مالية واعتقل الذين اشاروا بالمصالحة  
ودام القتال حتى ١٤ شوال ومع ذلك فان الفرنجة لم يستسلموا بل ان امراء الظاهر اخذوا  
يشعرون بالتعب ويذهبون الى صوابينهم للاستراحة . فذهب السلطان اليهم وضرب  
بعضهم بالدبابيس وسجن البعض الاخر . ثم عمد الظاهر الى حيلة لشق المدافعين  
من صند بان منح الامان لسكانها الاصليين من المسيحيين دون الفرنجة عند ذلك ضعف  
شان المدافعين عن القلعة ففاوضوه على الامان والصلح .

وكان شرط الصلح ان لا يحمل المستسلمون سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الغضيات وان  
لا يتلفوا شيوا من ذخائر القلعة ، وان يخضعوا للتفتيش عند الخروج ، حتى اذا وجد مع  
اى منهم شي من ذلك انتقض العهد . فقبل المدافعون بذلك واجلس السلطان الامير  
سيف الدين كرمون التتري مكانه في دست السلطنة لشبهه به واتسم لرسلى صند يمين الامان (١) .  
وفي ١٨ شوال / ٣٩ تموز ركب السلطان الظاهر الى باب صغلقواخذ الفرنجة يمرون والجنود  
المماليك يفتشون فوجدوا معهم اسلحة وفضيات واسرى مسلمين فوضع رجال الحامية في خيمة  
تحت الحراسة وعددهم نحو الفى فارس ثم ضربت رقابهم جميعا الا اثنين اسلم احدهما  
واعيد الاخر للفرنج ليخبر بما شاهد .

ثم دخل الظاهر المدينة والقلعة فولى الامير مجد الدين الطورى ولاية القلعة  
والامير عز الدين العلاني نيابة المدينة والامير علاء الدين الكبكي مقدا للجيش ، ثم  
جمع امراءه وجنده في اليوم التالي وشكرهم على ما بذلوه من جهود واعتذر اليهم عما بدر منه  
من قسوة نحوهم مبررا ذلك برفبته في حثهم على الهجوم ووعده بعدم اللجوء الى ذلك مرة اخرى .

---

(١) وفي راي ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ١ ، ص ١٠٤ ، و ، ان الامان لم يكن حفيقة .

وبقي السلطان في صفد الى آخر شوال وامر بعمارته ونقل الذخائر اليها وكان يقوم بذلك بذاته فتشبه البقية به . ونقلوا الزرد خاناه الى القلعة في ساعة واحدة . ثم اقطع امراءه البلاد وامر ببناء جامع في القلعة وآخر في الرض . وقرر لحاميه القلعة نفقة شهرية قيمتها ٨٠ الف درهم نقرة ووزع الاسلاب والغنائم على امراءه . ثم اخذ يدعو الناس من دمشق للسكن في صفد (١) ولعل اهتمامه بصفد راجع الى انه سيجعلها قاعدة للهجوم على الفرنجة في الساحل .

وبينما هو منهمك في هذه الترتيبات جاء رسل عكا يطلبون منه ان يسمح لهم بنقل اجساد الشهداء . فقرر الثأر من اهل عكا . واحتفظ بالرسول عنده . وفي صبيحة اليوم التالي هاجم اهل عكا وهم خارجون من المدينة لقضاء حوائجهم . ثم عاد الى الرسل وقال لهم انه اوقع في عكا شهداء وكفى اهلها مؤونة نقل شهداء صفد . ثم قصد دمشق ونزل قلعتها فاستقبلته المدينة باحسن زينة (٢) . ثم امر بالزحف على سيس .

اما اسباب نقمة الظاهر على صفد فقد نتبين بعضها في ما ذكره ابن العجمي في رسالته لابن خللكان واصفا المعركة اذ قال : . . . صفد التي باء باثمها حاملها على النصرانية وسلطها بالنكاية على البلاد الاسلامية . . . كم استبيح بسببها للاسلام من حي وكم استرق الكفار بواسطتها مسلمة من الاحرار ومسلما ، وكم تسرب منها جيش الفرنج الى بلاد المسلمين فحازوا مغنما وقوضوا معلما (٣) .

(١) ابو شامة، ص ٢٤٠ . اليونيني، ج ٢، ص ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٦١ . وهو يجعل الفتح سنة ٦٦٣ هـ وفيه (٣٣٨ - ٣٤٢) نصر لرسالة كمال الدين احمد بن العجمي لابن خللكان يصف فيها معركة صفد وصفا مبالغ فيه ، يبرز فيه شجاعة الفاتحين المسلمين ويندد بهزيمة النصارى المدافعين . ابن ابي الفضائل، ص ١٤٨ - ١٥١ ابن الفرات، ج ٢، قسم ٢، ورقة ١١ - ١٢، المقريزي، السلوك، ص ٥٤٥ - ٥٤٨، ٥٥٩ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٣٨، ١٣٩، R. Grousset ج ٣، ص ٦٢٦، ٦٢٧ . S. Runciman ج ٣، ص ٣٢١ - ٣٢١ . وهو يتساءل ماذا كان المفاوض من قبل حامية صفد قد خان الحامية . (٢) ابن ابي الفضائل، ص ١٤٨ - ١٥١، المقريزي، السلوك، ص ٥٥٩ . (٣) ابو شامة ص ٢٤٠ . اليونيني ج ٢ ص ٣٤٠ .

وهنا نساء آل ما اذا كان يصح ان نعتبر فعلة الظاهر باهل صفد فدرا بالامان . ومرة  
اخرى اتول انه ينبغي الا ننظر للقضايا السياسية بمنظار اخلاقي شخصي . ان مهاجمة الظاهر  
لصفد تتمشي مع خطته في القضاء على مراكز الصليبيين العسكرية ، لاسيما ما كان منها يشكل  
خطرا على سلطانه . كادت صفد تقهره فلا يجوز ان يبقى على اهلها وحاميتها باى ثمن كان  
وباية وسيلة كانت . ان نية القضاء على صفد كقوة عسكرية واضحة عند الظاهر منذ ان هاجم  
القلعة ، وان نية الغدر بسكان صفد الفرنج واضحة ايضا منذ ان كلف شبيهه الامير كرمون التتري  
باعطاء اليمين خداما للمستأمنين ولكن ينبغي لنا ان لانسى ان الظاهر اعطى امانين لاهل  
صفد - اولهما لنصاراها من السكان الاصليين وثانيهما للفرنجة وقد حثث بالثاني اما الاول فلم  
يعدله (١) .

وصارت صفد مركزا لعملياته الحربية القادمة . وقل ان جاء بلاد الشام دون ان يعرج  
عليها . ففي جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ هـ جاء بلاد الشام ومر بصفد وامر بعمارته . وفي رجب  
سنة ٦٦٥ هـ واتى معه بالبنائين والتجارين واقام فيها مدة طويلة حتى جدد ما تخرب منها  
اثناء عمليات الغتق وبنى ابراجا جديدة ايضا وجعل المسؤول المباشر عن عمارتها سيف الدين  
الزيني ، واوجب على الامراء المساهمة في بنائها واسهم بذلك بنفسه وحفر حولها خندقا وعمل  
له ابوابا سرية . ثم كتب عليها العبارة التالية :

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون اولئك حزب  
الله الا ان حزب الله هم المفلحون (الاية) . امر بتجديد هذه القلعة المحروسة وتحسينها  
وتكلمة " وتكلمة " عمارتها وتحسينها من بعد ما " خلصها من ايدي " اسره " الفرنج الملاعين وردها

---

(١) ويبدو لي ان استعمال المقرئى كلمتي النصارى والفرنجة ذو مغزى في هذا السبيل . راجع  
ابن الفرات ج ٦ ، قسم اول ، ص ١٠٤ و ١٠٥ ، وص ١٨٤ اعلاه .

الى ايدى المسلمين ونقلها من مسكن اخوة الداوية الى سكن اخوة المؤمنين " حوزة الداوية الى حوزة " فاعادها للايمان كما بداها اول مرة وجعلها الكفار " للكفار " خسارة وحسرة . ولم يزل بنفسه يجتهد ويجاهد حتى عوض عن الكنائس بالجوامع والبيح بالمساجد وبدل الكفر بالايمان والناقوس بالاذان والانجيل ووقف بنفسه التي هي اعز النفوس حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه ومن خواصه على الرؤوس ، سلطان الاسلام والمسلمين . . . سيد التتار ، فاتح القلاع والحصون والامصار وارث الملك سلطان العرب والعجم والتشرك اسكندر الزمان صاحب القرآن ابو الفتح بيبرس قسيم امير المؤمنين ( ١ ) .

وفي ذى القعدة من سنة ٦٦٤ هـ استولى الظاهر على هونين وتبنين والرملة فجعل هذه الاخيرة عملا ولي عليه واليا من قبله ( ٢ ) .

وفي محرم سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م هاجم الفرنجة طبرجة لكنهم فلبوا على امرهم ( ٣ )

---

(١) اليونيني ج ٢ ، ص ٣٦١ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٨ ، ٥٦٣ . وقد نقلت النص عن سرور (ص ٨٣) وهذا بدوره نقلها عن مخطوطه النويرى (ج ٢٨ قسم اول ص ١٣٦) وهي موجودة في السلوك (ص ٥٦٣) لكنها تختلف ببعض الكلمات وقد اشرت اليها بخط تحتها للدلالة انها ليست في نص النويرى، واطرت الى كلمات السلوك حين تختلف بمعكوفين صغيرين . وبعد كلمة سلطان يجعلها المقرئى (ص ٥٦٣) : " السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس . فمن صارت اليه هذه القلعة من ملوك الاسلام ومن سكنها من المجاهدين فليجعل له نصيبا من اجره ولا يخله من الترحم في سره وجهه . فقد صار يقال عمر الله عرحها بعد ما كان يقال بحمد الله فتحها والعاقبة للمتقين الى يوم الدين " .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥ .

(٣) ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١ .

المرحلة الثالثة :

ثم كانت المرحلة الثالثة • وفيها ، كما قلنا سابقا ، حطم التحالف الذي كان بين ابافا والبابا كلمنت الرابع ( Clement IV ) وخلفه البابا فريخوري العاشر ( Gregory X ) سنة ١٢٦٢ و ١٢٢٤ ، وبوهند صاحب طرابلس وابافا • وكان على الفرنجة بموجب هذا التحالف ، ان يقوموا بناوشات محلية تلهي الظاهر ريثما يحتل التتر البيرة ويستعد الاوروبيون لحملة صليبية منظمة فبادر الظاهر لاحتلال المواقع الصليبية الهامة قبل وصول النجدات التترية وقبل وصول النجدة الاوروبية الى عكا ايضا • ولما وصل ادوارد الاول ملك انكلترا ، الى عكا سنة ١٢٢١ وجد الصليبيين هنا قد خضعوا للسلطان وعقدوا صلحا معه (١) •

وكذلك استطاع السلطان الظاهر باتصالاته بصقلية ان يحول الحملة المتوقعة الى تونس • وقد حالفه الحظ ايضا بوفاة البابا فريخوري العاشر ، فاستحال بعد ذلك تحضير حملة صليبية •

وفي هذه المرحلة احتل يافا والشقيف وبانياس وانطاكية وعسقلان وحصن الاكراد وعكار والغرين •

يافا : يبدو ان علاقات السلطان الظاهر بيافا كانت جيدة في البداية • ففي سنة ٦٥٩ هـ ، اتصل كند يافا به في طريقه الى دمشق واعلن ولائه له وسلمه العوجاء ، فكتب الظاهر له منشورا بها (٢) • ومنع جنده من تخريب زرعها • لكنه عاد فهاجمها

---

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٩٠ ، ( R Grousset ) ج ٣ ، ص ٦٦ •  
( F Sadeque ) ص ٦٢ •  
(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٤ ، المقرئ ، ص ٤٦٤ •

- سنة ٦٦١ هـ ، بحجة انها آوت عددا من الفرنجة الهاربين ولم يقبل عذرا صاحبها ولا هداياه .  
ثم احتلها في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ وعوض على اهلها خسائرهم وسمح  
لمن شاء منهم ان ينتقل الى عكا . ثم هدم القلعة ، وامر ببناء الجوامع فيها ورتب فيها حرس  
الساحل ثم اتى ببعض التركمان واسكنهم فيها لحمايتها (١) .

الشقيف (٢) : بقي في يافا حتى يوم الاربعاء ١٢ رجب سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م

- ثم قرر احتلال شقيف ارنون . فامر جيشه بالسير نحو دمشق . وسلم قواده رسالة شرط ان  
لا يفضوها قبل الوصول الى بانياس . فسار القواد حتى بلغوا بانياس حيث فضوا الرسالة  
فوجدوا فيها امرا بمحاصرة قلعة الشقيف . فباشروا ذلك يوم الثلاثاء في ١٨ رجب فنصبوا  
عليه ٢٦ منجنيقا وشدوا عليه الحصار لكن القوات الفرنجية لم تستسلم فعمد الظاهر الى  
حيلة يسررتها له رسالة من اهل عكا للقوات الفرنجية في الشقيف يدعونهم للمقاومة والاصطبار  
امام هجمات المماليك ويلفتون انظارهم الى نقاط ضعف في الحصن . فكتب الظاهر رسالتين  
احدهما للوزير في القلعة يحذره من القائد وثانيتهما للقائد يحذره من الوزير . فكان هذا  
سببا في وقع الخلاف بين الطرفين . ثم ان الظاهر استفاد من اشارات اهل عكا لنقاط الضعف  
في الحصن وشدد الهجوم فاحتل الباشورة في ٢٦ رجب وهنا رضي المدافعون عن القلعة  
بالاستسلام مقابل الامان على حياتهم . فدخل القلعة يوم الاحد ٢٩ منه . وسمح للنساء  
والاولاد بالرحيل الى صور واخذ الرجال اسرى وعين الامير صارم الدين قايماز نائبا على  
القلعة ثم عين فيهل قاضيا وخطيبا .

---

(١) ابن عبد الظاهر، ص ١٠٣ . اليونيني، ج ٢، ص ٣٧٤، ٣٧٥ . ابو الفداء، ج ٤، ص ٤ ،  
ابن ابي الفضائل، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ١٤ - ١٥ . المقرئ،  
السلوك، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ . ابن تغوي بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٤١ - ١٤٢ .  
(٢) قلعة على مرتفع حصين مشرف على نهر الليطاني بين صيد ومرجعيون تعرف بشقيف ارنون  
وهذا تصحيف Arnould . يعرفها الفرنجة باسم قلعة Beaufort

وهدم القلعة القديمة ثم عين الامير سيف الدين بلبان الزيني لبناء ما كان متهدما منها منذ ٦٥٨ هـ ، ولما تم الترميم نقل اليها الزرد خاناه والذخائر ووضع فيها حامية ووزع فيهم مبلغا ضخما من المال (١) .

وفي عاشر شعبان ٦٦٦ هـ ، ارسل الظاهر اكثر الحمولة الى دمشق ثم عزم على مهاجمة بانياس (٢) ، بنفسه فجهز الامير عز الدين اوفان والامير بدر الدين الايدمرى في جيشين مختلفين لحفظ الطرقات على الفرنجة . واتجه الى منطقة طرابلس فشن عليها الغارة فقطع اشجارها وخرّب قراها وهاجم طرابلس بالذات ثم اتجه الى حصن الاكراد وهاجم بانياس ثم قصد حماه وافاميه واعد العدة لمهاجمة انطاكية (٣) .

انطاكية (٤) : اعتبرها السلطان عدوا له لان اميرها بوهمند ذهب على راس فرقة من الخيالة لمناصرة جيش هولاء يوم دخوله دمشق (٥) . ثم انها مركز للصليبيين ، صريحة في انحيازها الى التتر ، خصوم المماليك . لذلك بدأت غزواته على انطاكية واعمالها منذ سنة ٦٥٩ هـ . ففي هذه السنة كانت جيوشه تحارب البرلي في حلب ، فذهب في غارة على انطاكية وفي السنة التالية ايضا افار شمس الدين الرومي وصاحبها حمص وحماه على انطاكية واحرقوا ميناءها . وفي سنة ٦٦٤ هـ ، حين كانت جيوش الظاهر عائدة من غزوة سييس افارت جيوشه عليها وضيق عليها الحصار لان صاحبها افار على حمص (٦) .

---

١١ اليونيني ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ . ابن ابي الفضائل ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٦ - ١٧ . المقرئى ، السلوك ، ٥١١ - ٥٦٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ٤٧ ، ٤٨ . (٢) مدينة قديمة جنوب اللاذقية تعرف باسم ( Buluniyas ) كانت للاسبانية منذ ١١٨٦م / ٥٧٢ هـ ، وقد دخلها فلاوون سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م ( Thomine JS "Banias" EI new ed. ) ج ١ و ١ ص ١٠١٦ - ١٠١٧ . (٣) ابن ابي الفضائل ص ١٦٥ - ١٦٦ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦٦ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٤٢ . (٤) احتلها العرب سنة ١٦ هـ / ٦٣٧ ، استردها البيزنطيون سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م وبقيت بايديهم حتى سنة ٤٧٧ هـ ثم دخلها الصليبيون سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨م وبقيت تحت حكم سلالة بوهمند ( Bohemond ) النورمانية حتى استعادها السلطان الظاهر . (٥) ( F Sadequ- ) ، ص ٣٩ (٦) ابن عبد الظاهر ص ٥٥ ، ابن الفوطي ، ص ٣٥٥ . اليونيني ، ج ٩ ، ص ٤٩٩ . ابو الغداء ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ، المقرئى السلوك ، ص ٤٧٢ .

واخيرا قرر السلطان احتلال انطاكية . قسم جيوشه ثلاثة اتسام ناد احدها بنفسه . وبعد ان قام القسمان الاخران بهجمات على قرى مجاورة التفت الجيوش الثلاثة على انطاكية في اول رمضان سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ وحاصرتها من جميع الجهات حتى استحالت نجد تهـا وتضايقت المدينة فرأى اهلها ان لا بد من المفاوضات لكن السلطان رفض شروطهم وشدد الحصار عليها . وفي ١٤ رمضان تسلى جنود الظاهر اسوار المدينة من جهة الجبل ونزلوا اسواقها . فاخذ اهلها يفرون امام الفاتحين لكن السلطان وضع الحراس على ابواب المدينة كي لا يفرو ولا ياخذوا معهم شيئا مما في المدينة والقلعة . كان في المدينة نحو مئة الف من السكان اسروا جميعا ووزعوا على الامراء والاجناد الاعدد سمح له بالذهاب الى طرابلس ، ثم احرق انطاكية حتى استولى الناس على كميات كبيرة من حديد ابوابها ورضاصها . وقد بلغت الغنائم اكادسا هائلة حتى لم يكن لدى السلطان وقت كاف لعدادها فاخذ يوزعها على امرائه واجناده بالطاسات ، وبلغ عدد الخلمان والجواري والنساء ما اقتضاه يومين لتوزيعه وقد قيل ان عدد القتلى بلغ نحو ١٧ الف قتيل (١) . اما الحلقة فلم يتسلمها الا في اليوم التالي بعد اعطاء اهلها الامان (٢) .

وبعد هذا كان على السلطان ان يقوم بالترتيبات الادارية ، فسلم القلعة لبدر الدين بيليك الخزندار والامير بدر الدين بيسرى الشمسي . ثم كتب الى نوابه في بلاد الشام ومصر يبلغهم خبر النصر ثم كتب الى بوهمند صاحب طرابلس وانطاكية يبلغه الخبر ايضا . قال له : قد علم القومص الجليل المبجل المعزز الهمام الاسد الضرفام بيمنند فخر الامة المسيحية رئيس الطائفة النصرانية كبير الملة العيسوية الهمة الله رشده وقر في الخير قصده وجعل النصيحة

(١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ . وابن ابي الفضائل ، ص ١٦٦ - ١٦٧ و ١٧١ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، ص ٢ ، ورقة ٢٦ - ٢٧ و ٢٩ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٦٧ - ٥٦٨ . وابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤٢ ( R Grousset ) ، ج ٣ ص ٦٤١ .

(٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

محفوظة عنده ما كان من قصدنا طرابلس وفزونا له في مقر الدار وما شاهده بعد رحيلنا من اضراب العمائر والاعمار وكيف كنت تلك الكنائس على بساط الارض ودارت الدوائر على كل دار وكيف كيف حصلت تلك الجزائر من الاجساد على كل ساحل البحر كالجزائر وكيف قتلت الرجال واستخدمت الاولاد وتملكت الحرائر . وكيف قطعت الاشجار ولم يترك الا ما يصلح لاعواد المجانيق ان شاء الله والاستاير وكيف نهبت لك ولرعيته الاموال والمواشي وكيف استغنى الفقير وتاهل العازب واستخدم الخديم وركب العاشي ، هذا وانت تنظر نظر المغشي عليه من الموت وانا سمعت صوتا قلت فزما على هذا الصوت وكيف رحلنا من عندك رحيل من يعود واخرنك وما كان تاخيرك الا الى اجل معلوم معدود وكيف فارقتنا بلادك ولا بقيت بها ماشية الا وهي لدينا ماشية ولا جارية الا وهي لدينا جارية ولا سارية الا وهي في ايدي المعاول سارية ولا زرع الا وهو محصود ولا موجود لك الا وهو مفقود . ولا منعك تلك المفاتر التي هي في رؤوس الجبال الشاهقة ولا تلك الودية التي هي في التخوم مخترقة وللعقول خارقة . وكيف سقنا عنك ولم يسبقنا الى مدينتك انطاكية خبر وكيف وصلنا اليها وانت لاتصدق انا نبعد عنك وان بعدنا فسنعود على الاثر . وها نحن نعلمك بما تم ونفهمك بالبلاء الذي عليك قد عم . رحلنا عنك من طرابلس يوم الاربعاء ٢٤ شعبان (٦٦٦هـ) ونزلنا انطاكية في مستهل رمضان وفي حالة النزول خرجت عساكرك الى المبارزة فكسروا وتناصروا فما نصروا واسر من بينهم كندا سطليل فسال في مراجعته اقرانك ودخل الى المدينة وخرج هو وجماعة من رهبانك واعيان اعمالك فتحدثوا معنا فرايناهم الى اريك؟ من اتلاف النفوس بالخرص الفاسد وان رايهم في الخير مختلف وقولهم في الشر واحد . فلما رايناهم قد فات منهم الغوت وانهم قد قدر الله عليهم بالموت ودناهم وقلنا نحن الساعة لكم نحاصرو هذا هو الاول في الانذار والاخر فرحبوا وهم متشبهين بفعلك ومعتقدين انك تدركهم بخيلك ورجلك وفي بعض ساعة مرشان المرشان وداخل الرهب للرهبان وبان البلاء للقسطلان وجاءهم الموت من كل مكان . وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت ١٤ رمضان وقتلنا من اخوته لحفظها والمحاماة عنها وما كان احد منهم الا وعنده شييء من الدينيا فما بقي احد منا الا وعنده شييء منهم ومنها وبعد هذه المكاتبه لا ينبغي لك ان تكذب

لنا خبرا كما ان بعد هذه المخاطبة يجب ان لا تسأل بعدها مخبرا (١) .

وباحتلال انطاكية اخذت الحصون المحاورة تستسلم للظاهر . فتسلمت جيوشه بفراس  
ودرساك ودركوس ويلميس وكفردوبين وحجر شغلان وارسوز بغير شروط (٢) . اما القصير  
بين حارم وانطاكية ، فصولحت مناصفة وفي جمادى الاولى سنة ٦٧٤ هـ . حاصرها حتي  
اضطر قسيسها للخضوع ولتسليمها في ٢٣ منه واستسلمت بلاطس في اوائل العام التالي (٣)  
ثم استسلمت جبلة بعد ذلك (٤) .

عسقلان : (٥) في ٧ صفر سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م . بعد علمه بخبر انهزام حملة تونس ،  
غادر الظاهر القاهرة بجيش صغير وهدم سور عسقلان (٦) .

صور : حضر مندوبها اجتماع الطور . وفي رمضان سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م عقد صلح  
لعشر سنوات على ان يكون لصور ٩٩ قرية مجاورة لها مقابل دفع ١٥ الف دينار صورية دية

---

(١) ابن ابي الفضائل ، ص ١٦٧ - ١٧١ ، ويقول هذا ان بوهمند كان في طرابلس ولم يعلم بخبر  
انطاكية الا من رسالة الظاهر . ويقول E. Blochet انه قابل هذا النص مع نص النويري  
فوجد هما متشابهين الا في اخطاء نسخية . ابن الفرات ، ج ٢ ، ورقة ٢٧ - ٢٨ ،  
وهناك خلافات توحى بان ابن ابي الفضائل اختصرها ، وان ابن الفرات يقول ان بيموند  
عرف خبر احتلال انطاكية من هذه الرسالة . (٢) ابن الفرات ، ج ٢ ، ورقة ٢١ - ٢٢  
انظر ملحوظة ٤ ادناه .

(٣) ابن الفرات ، ج ٦ ، ورقة ٢٢ ، ورقة ٤٤ و ج ٧ ، ص ٣٣ ، ٤٠ ، (٤) اليونيني ، ج ٢ ،  
ص ٣٨٤ ، ابو الفداء ، ج ٤ ، ص ٥٠ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٧٢ ( ابن الفرات ، ج ٦ ،  
قسم ٢ ، ورقة ٢٩ ) R. Grousset ج ٣ ، ص ٦٤١ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥٦٨ ،  
٥٧٠ ، ٦٢١ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٦٥ .

(٥) احتلها الصليبيون سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م وجعلوها منطلقا للهجوم على مصر . استعادها  
صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ثم استعادها الصليبيون من بعده . B. Lewis  
مادة عسقلان ، الموسوعة الاسلامية طبعة جديدة ، جزء ١ ص ١ - ١١ .

(٦) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٤٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٩ . ابن ابي  
الفضائل ، ص ١٨٤ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٤٣ - ٤٤ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥٩٠ .

قتيل ، وتسلم الاسرى المسلمين (١) . ولكن الاحتكاكات استمرت ، وفي رمضان سنة ٦٦٧ هـ / تموز ١٢٦٨ م ، هاجم الظاهر صور ونهب من اعمالها الكثير لان صاحب صور اعتقل تاجرا دخل المدينة (٢) . وهاجمها مرة اخرى في اواخر السنة حتى انعقد الصلح في شوال ٦٦٩ هـ على ان يكون لصور عشرة اعمال فقط وان يكون للسلطان خمسة . اما بقية الاعمال فمناصفة (٣) .

### حصن الاكراد .

كان هذا الحصن للاستتار . وقد صالحهم السلطان ورفعوا القطائع عن الاسماعيلية وحماه وشيزر وافاميه (٤) . ثم هاجمه الظاهر في طريقه لاحتلال انطاكية سنة ٦٦٦ هـ . لكنه لم يفتحو حين اتصل به وفد من حاميته للمصالحة طلب منهم دية عن جندي قتلوه له . وكانه لم يشا انذاك اثاره هذه الحامية وهو مقبل على محاصرة انطاكية . وفي جمادى الاولى سنة ٦٦٨ هـ اتجه السلطان الى قلعة المرقب وفي ٣ جمادى الاخرة هاجم حصن الاكراد بمئتي فارس وكسر جماعة من حاميته خرجت له . ثم تغير وضعه في سنة ٦٦٩ هـ . ففي جمادى الاخرة استناب عنه الامير شمس الدين اتسقر الفارقاني في القاهرة وفي ١٢ منه خرج الى دمشق مصطحبا معه ابنه والخزندار في قيادة قسم من الجيش وقاد القسم الاخر بنفسه وفادروا دمشق في جولة هجومية على جبلة واللاذقية والمرقب ومرقيه والقلبيعات وحلبا وصافيتا والمجدل وانطرسوس في الساحل الشمالي من بلاد الشام ، على ان يجتمع الجيشان في مكان معين .

واجتمع الجيشان حسب المقرر واتجها نحو حصن الاكراد . وفي ١٩ رجب سنة ٦٦٩ هـ نصبت المجانيق عليه واشتد الحصار حتى خرق سور الاول بعد يومين ، اما السور الثاني ففي ٧ شعبان وفتح السور الثالث في ١٥ منه ، بعد قتال عنيف سقط فيه عدد كبير من القتلى .

- 
- (١) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٥٩ .
  - (٢) اليونيني ، ج ٤ ، ص ٤٠٨ . ابن تغري بردى النجوم الزاهرة . ج ٧ ، ص ١٤٧ .
  - (٣) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٩٥ .
  - (٤) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧ .

اما اهل القلعة فاستسلموا في ٢٥ منه ولم تنفع محاولة عكا لنجدته بعد ان منحهم الظاهر الامان وسمح لمن شاء منهم ان يتوجه الى طرابلس .

وبعد احتلال الحصن اجرى الظاهر الترتيبات الادارية اللازمة فعين الامير عز الدين الافهم لعمارته والامير عز الدين الموصللي نائبا عنه في المدينة . وعين فيه قاضيا وخطيبا وجعل كنيسته جامعا تقام فيه الجمعة . وكتب ايضا لنوابه يخبرهم بالواقع ثم كتب لرئيس فرسان الاستار الفريراوك يعلمه بالفتح ويتمنى عليه ان لا يعاند القدر . وكان الظاهر يعود اليطائفه كما فعل في ذي الحجة من السنة ٦٢٠ هـ ان جاء المراقبة عمارته وتحصينه (١) .

عكار : بعد عقد معاهدة مع صاحب طرابلس ، قصد الظاهر صافيتا ، وهي على معاهدة معه منذ شعبان سنة ٦٦٦ هـ . ثم فادرهافي ٤ رمضان سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ واذن لصاحبي حمص وحماه بالعودة الى مدينتهما . اما هو فزحف باتجاه حصن عكار حتى اشرف عليه في ١٧ منه . وفي ٢٢ رمضان نصب عليه الجانيق واخذ يرميه بشدة بينما قاتلته الحامية بقوة . وفي ٢٩ منه قبلت الحامية تسليم القلعة مقابل السماح لمن شاء من افرادها ان يذهبوا الى طرابلس .

وفي ٤ شوال عاد الظاهر الى مخيمه في برج صافيتا ووصلته رسالة من صاحب طرابلس

يلتمس ابقاء القلعة له فرفض لانه تكبد الخسائر الكثيرة لاحتلالها (٢) .

- 
- (١) اليونيني ، ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ و ٤٧٣ . ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٧ ص ١٥٠ - ١٥١ ، و ١٥٣ ، ابو الفداء ، ج ٤ ص ٧ ، ابن ابي الفضائل ص ١٨٥ - ١٨٧ ، ١٩٧ ، ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٦٢ ، ورقة ٧٦ - ٧٧ ، ويجعل تاريخ الهجوم ٩ رجب . المقرئ السلوك ، ص ٦٠٣ . السلوك ٥٩١ ، ملحوظة ٣ وسرور ص ٩٠ - ٩١ .
- (٢) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٨٢ ، ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ابو الفداء ، ج ٤ ص ٧ ، ابن ابي الفضائل ص ١٩٠ ، ١٩٢ - ٢٠١ ، ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٧٥ ، و ٧٨ - ٧٩ ، المقرئ السلوك ، ٥٦٢ ، ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٥٢ = ١٥٣ . وباحتلال عكار قال ابن عبد الظاهر : ان سلطان البرايا  
ضم الاعداء رعبا  
حصن عكار منيع  
زاده الله سعاده  
وله بالنصر عاده  
هو عكا وزواده

القرين : في ١١ شوال رحل الى دمشق ووصلها في ١٥ منه . وفي ٢٨ منه

نازل قلعه القرين واحتلها بعد قتال عنيف في ٢ ذى القعدة سنة ٦٦٩هـ / حزيران ١٢٧١  
وأمن اطفالها ونساءها . وامر بهدم القلعة .

وفي ٢٦ ذى القعدة امر بالعودة الى مصر فمر على كربانه في منطقة عكا ثم على الصالحية  
ودخل القاهرة في ١٥ ذى الحجة سنة ٦٦٩هـ . وبذلك تمت حملة استغرقت نحو من سنة  
وكلفت ١٨٠ الف دينار عينا (١) .

بيروت : اتصل صاحب بيروت بالظاهر وهو في دمشق سنة ٦٥٩هـ وانعقد الصلح

بينهما . ثم حضر مندوب صاحب بيروت مؤتمر الطور . ومع ان الظاهر لم يعقد صلحا مع الصليبيين  
عامة في هذا المؤتمر فانه كان يدرك ان لبيروت وضعاً خاصاً . ففي سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣ -  
١٢٦٤ توفي صاحبها Jean II D' Ibelin من غير ان يعقب ذكراً يرثه . وخطبت ابنته  
ووريثته ايزابيلا لملك قبرص هيوج الثاني ثم مات هذا وعمره ١٤ عاماً . وفي رجب سنة ٦٦٥هـ  
ارسلت ايزابيلا وفدها للظاهر في صدد اعتذار له عن اعتقال اخيها لبعض التجار ومصادرة  
اموالهم وبضائعهم وتعد بالتعويض عليهم عما فقدوه . وفي شعبان من السنة التالية اطلق  
سراح التجار وردت اموالهم . وفي رمضان سنة ٦٦٧هـ / جاء رسول صاحب بيروت الى الظاهر  
ومعه اسرى مسلمون فاطلق سراحهم في الحال . وفي عام ٦٧١هـ / ١٢٧٢ تزوجت ايزابيلا من  
Edmond L'Etranger فوضع هذا زوجته واماره بيروت تحت حماية السلطان . ولما توفي  
الزوج انتقلت المدينة لحماية الظاهر بصورة نهائية ورسمية (٢) .

(١) اليونيني ، ج٢ ، ص ٤٥٣ ، ابن الفرات ، ج٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨١ ، ابن تفرى بردى ، النجوم  
الزاهرة ، ج٧ ، ص ١٥٣ : راجع مصادر ملحوظة ٢١ من الصفحة السابقة .

(٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٦ ، ابن الفرات ، ج٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٧ ، ورقة ١٧ - ١٨ ، و ج٧ ، ص ٣٥ ،  
المقريزي ، السلوك ، ص ٤٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٨٠ : ومحمد مصطفى زيادة ، ملحوظة ١ ، ص ٥٥٩ ، السلوك .

يبدو ان العلاقات <sup>بين</sup> بيروت والظاهر كانت ودية عموما . وقد كانت هذه المدينة هامة  
من الناحية التجارية .

بقيت مدينتان هما طرابلس وعكا وينبغي ان نتحدث عن علاقاتهما بالسلطان الظاهر  
بصورة اكثر تفصيلا ، ولو اننا اشرنا اليهما في معرض الحديث عن مدن اخرى .

طرابلس : كان الظاهر بيبرس يرى في بيموند صاحب طرابلس وانطاكية العدو  
الأكبر له بين امراء الفرنجة لانه كان يتلقى النجدات من اوروسا ويعين التتر في غزواتهم  
على بلاد الشام . وكثيرا ما كان يقوم بغزوات تخريبية على مدن بلاد الشام . كما فعل سنة  
٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ بحمص .

لذلك كان الظاهر يجهد لاحتلال طرابلس . وقد هاجمها مباشرة لكنه عجز عن  
احتلالها فعمد الى خطة احتلال الفلاح المجاورة لها . ففي سنة ٦٦٤ هـ ، ارسل جيشه  
من صفد ليقيم بحملة ترويع وتخريب ، وفي سنة ٦٦٦ هـ ، هاجم طرابلس بعد احتلال انطاكية  
وفي سنة ٦٦٩ هـ هاجمها في طريقه لمهاجمة حصن الاكراد . ولما دخل هذا الحصن اصبحت  
المنافذ الى طرابلس بيد السلطان الظاهر . وبعد فتح حصن الاكراد كتب له الظاهر رسالة  
هدده فيها وقد به ثم ارسل اليه صيدا ورسالة فيها ازدراء لخشيته من الخروج الى  
الصيد . وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ هاجم السلطان طرابلس ، فوجد صاحبها ان لا بد  
من المفاوضات .

واجتمع الوفدان الظاهري والفرنجي للتفاوض فطلب الوفد الظاهري ان يتنازل بوهمند  
له من نصف اعمال طرابلس ، وان يدفع له نفقة الحملة العسكرية ، وان يسمح له بانشاء  
دار وكالة لجمع الزكاة . فرفض بوهمند . ووجد الظاهر نفسه مضطرا للتساهل لعقد الصلح  
امام تهديدات التتر واخيرا انعقد الاتفاق على مايلي :

١ - عرقه وجبيل واعمالهما لبوهمند على ان تكون الاولى " صدقة من السلطان " له .

- (٢) نصف غلات انطرسوس والمرقب وبانياس للسلطان والنصف الآخر للداوية والاسبثار.
- (٣) قريتا بارين وحمص القديمة للسلطان وحسده .
- (٤) مدة العقد عشر سنوات وعشرة اشهر وعشرة ايام .

وفي سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٧٥ توفي بوهمند . وفي ٢٨ محرم من السنة التالية عقدت معاهدة

صلح جديدة مع صاحبها الجديد على ان يدفع للظاهر مبلغ عشرين الف دينار (١).

وبعد انعقاد الاتفاقية، رأى صاحبها المرقب (٢) وانطرسوس التعاقد مع الظاهر تفاديا

لهجمات المتكررة عليهما . وفي اول رمضان وقعت الاتفاقية على المناصفة لعشر سنوات وعشرة

اشهر وعشرة ايام، تأكيدا للاتفاقية مع بوهمند . ثم ارسل الظاهر نائبين من قبله الى القلعتين (٣)

عكا:

هاجم السلطان الظاهر بيبرس عكا اكثر من مرة اثناء سلطنته لكنه لم يستطع احتلالها

كان لا يستطيع ان ينسى انها آوت لويس التاسع سنة ١٢٥٠ . لكن هذه الهجمات ادت الى

اضعاف المدينة بحيث استطاع السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ان يحتلها بعد ١٥ سنة

من وفاة الظاهر والى اشغالها برد الضربات عنها فلا تقدر على مد يد المعونة المجدية الى

المراكز الصليبية الاخرى . غير ان هذا ينبغي ان لا يعني ان العلاقات بين المماليك وعكا

كانت علاقة حرب باستمرار، حقا ان حقد الواحد منهما على الآخر كان يسير تصرفاته ازاء الثاني

ولكنها عرفا فترات هدوء ومهادنة .

- 
- (١) اليونيني، ج٢، ص ٣٨٢، ٤٥٠ . ابو الفداء، ج٤، ص ٣، ابن ابي الفضائل، ص ١٩١ — ١٩٥ . ابن الفرات، ج٦، قسم ٢، ورقة ٢٠ — ٢١، ورقة ٧٩ . المقرئ، السلوك، ص ٥٦٦ — ٥٦٨، ٥٩١ — ٥٩٣، ٦١٩ . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢ . C. Cahen ص ٧١٥ . (٢) هي *Castrum Merghatum* عند الصليبيين .
  - (٣) اليونيني، ج٢، ص ٤٤٨ . ابن ابي الفضائل، ص ١٨٩ . المقرئ، السلوك، ص ٥٦٠، ٥٨٦، ٥٩٢، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٤٨، ١٥١ .

في اوائل سنة ٦٦٢ هـ/ اغارت العساكر المملوكية على السواحل ووصلت ابواب عكا (١) .  
وليلة السبت ٤ جمادى الآخرة استناب السلطان الامير شجاع الدين الشبلي المهمن دار في  
دهليزه في منزلة الطور ثم ساق بنفسه الى عكا فوصل اعمالها عند الصبح ثم طاف حولها من  
ناحية البر، ثم حاصر بعض جيشه برجاً قريباً من عكا حتى المغرب، ثم رجع الى دهليزه في  
الطور (٢) . وفي اليوم التالي عاد الى مهاجمة عكا مرة اخرى، بعد هذه الاستكشافات،  
فوجد ان الحامية قد حفرت خندقاً حول تل الفضول واوجدت معاصر في الطريق، لكن جيشه  
اقتحم الخندق والتل فانهمز جند عكا واقفلوا ابواب المدينة (٣) . وهكذا اثبت لاهل عكا  
انه غير عاجز عن تحديهم في عقر دارهم . لعله لم يكن يقصد احتلال المدينة، وانما كان  
يقصد تحديهم وحسب .

وصعد السلطان ببعض جيشه الى تل الفضول وهدم بعض الابراج المجاورة .  
وفي اوائل سنة ٦٦٣ هـ/ نوفمبر ١٢٦٤ استغل الفرنجة في عكا انشغال الظاهر بمحاربة  
المغول فاغاروا على بيسان . وفي ذي القعدة من السنة التالية امر الظاهر بالقيام بغارة ثارية  
على المراكز الصليبية . فاغار جيشه على شيحا وقتل نحو مئتين واستولى على الكثير من  
المواشي لان الفرنجة كانوا قد شنقوا اربعة من المسلمين المعتقلين (٤) . وفي رجب من سنة  
٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧ علم وهو في صفد ان بعض الفرنجة في عكا يخرجون غدوة الى ظاهرها لقضاء  
حوائجهم فقرر مفاجأتهم . وفي الليل امر جماعة من جنده وزحفوا الى ابواب عكا . وما ان  
خرج الفرنجة حتى فتك بهم جنده فتكا ذريعاً . ثم اعاد الكرة في الشهر التالي ايضاً،  
فاحرق الاشجار واسر بعض الفرنجة ثم عاد الى صفد (٥) .

---

(١) ابن عبد الظاهر، ص ١٠٠ (٢) ابن عبد الظاهر ص ٧١ (٣) ابن عبد الظاهر

ص ٧٢، والمقريزي، السلوك، ص ٤٨٨ . (٤) المقريزي السلوك، ص ٥٥٠ . F.Sadeque  
ص ٥٤ . (٥) ابو شامة، ص ٢٤، ابن الفرات، ج ٦، قسم ٢، ورقة ٦، المقريزي السلوك  
ص ٥٥٨ و ٥٥٩ .

وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م ، رأى اهل عكا انه لا بد من مصالحة السلطان . ففي  
١٣ شوال سنة ٦٦٦ هـ وصل رسولهم الى السلطان ومعه هديه لمفاوضته حول الصلح . وتم  
الاتفاق بين فرنجة عكا والظاهر على ان يكون للسلطان نصف مدينة عكا وبلاد الكرمل ،  
والمناطق الجبلية من صيدا ، وان تبقى حيفا وثلاث قرى من اعمالها للفرنجة . ووافق الطرفان  
بعد ذلك على اطلاق الاسرى وان يبقى الصلح لعشر سنوات ، ثم ارسل الظاهر القاضي محيي  
الدين بن عبد الظاهر والامير كمال الدين بن شيت الى صاحب عكا ليحلف لهما على  
الاتفاق فوصلا عكا في ٢٠ شوال / تموز ١٢٦٨ واجتمعا بصاحبها واصرا بناء على تعليمات  
من السلطان ، على الجلوس على كرسيين فباله صاحب المدينة ، وعلى تسليم رسالة الظاهر له  
بالذات . ولما لم يوافق صاحب عكا على الشروط التي كان يرسله قبلوا بها ، فقد عاد الوفد  
الظاهر من غير ان يتم الصلح (١) .

ثم عادت المناوشات بين الطرفين . واشاع الفرنجة في عكا وفاة السلطان (٢) . وصل  
الظاهر دمشق في ربيع الاخر سنة ٦٦٨ هـ وعلم ان جنود عكا يهاجمون جنده المرابطين  
بجوار صفد والشقيف فامر بالزحف على عكا بجيش من ١٥ الف جندي . وقسم الجيش الى  
فرق زحف بعضها الى عكا على ان يتراجع امام جيش عكا اذا هاجمته جيوشها بينما كمن  
الظاهر ببعض جيشه الاخر لابطاد جيش عكا اذا انخدع بالحيلة . وجرى كما توقع الظاهر  
فاستطاع ان يكسر الاعداء ويأسر منهم عددا كبيرا . ولعل وصول جيش من اراعون لمناصرة  
عكا في هذه الفترة انقذها (٣) .

(١) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٣٣ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥٧١

(٢) ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٤٣ ، المقرئ ، السلوك ، ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

(٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ . ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٦٦ - ٦٧ ، المقرئ ، السلوك ص

٥٥٩ ، ٥٨٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٤٧ ( R Grousset )

ج ٣ ، ص ٦٥٤ .

وفي اوائل ربيع الاول سنة ٦٦٩ هـ علم الظاهران فرنجة عكا اعدوا نحو مئة اسير مسلم فثار لذلك باغراق عدد من اعيان اسرى عكا في البحر (١) . وبينما كان عائدا السى مصر بعد فتح حصن الاكراد من سنة ٦٦٩ هـ نزل على كردانه في يوم الاثنين ٢٦ ذى القعدة وسار بحسره حتى اشرف على عكا ثم عاد فواصل طريقه الى القاهرة . فدخلها الخميس ١٣ ذى الحجة . وهنا هاجم اهل عكا الشاغور واحرقوا الخلال (٢) .

وفي سنة ٦٢٠ هـ قام فرنجة عكا وعثليث بهجوم على قاقون بناء على اتفاق مع التنسر واخذوا عددا من الاسرى واستولوا على كثير من الغنائم . ولما علم الظاهر بذلك اعتقل القواد والمسؤولين عن الدفاع وارسل جمال الدين اقوش الشمسي يطارد المهاجمين حتى استردوا الاسرى والغنائم واستولى على بعض ماشية الفرنجة واتلف موه وندتهم (٣) .

وفي شعبان سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ بعد انقطاع الامل بوصول حملة لويس التاسع الى الشرق سار الظاهر الى بلاد الشام وخيم بين قيسارية وارسوف ثم اغار على عكا لترويض اهلها وتخریب زرعها . لكن جنوده تضايقوا بسبب الامطار .

وهنا وجدت عكا انه لا بد من المصالحة . وفي ٢١ رمضان ارسل الظاهر وفده السى عكا وانعقد الصلح بين الظاهر وعكا لعشر سنوات ثم خرج اهل عكا يتفرجون على قوات الظاهر المسلحة تقوم بمناورات عسكرية (٤) . ومع ان الظاهر شغل فيما بعد بمهاجمة السلاجقة فسي آسيا الصغرى فان عكا بقيت هادئة .

- 
- (١) ابن ابي الفضائل ، ص ١٨٤ .
  - (٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٦ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٣ .
  - (٣) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ . ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٩ . المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠١ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٢ .
  - (٤) ابن الغوطي ، ص ٤٧٠ . اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٧١ . المقرئى ، السلوك ، ص ٦٠١ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٢ .

قبرص : لم تقتصر حروب الظاهر بيبرس على المواقع البرية وحسب . وقد اعد الظاهر الاسكندرية لتقوم بدورها في رد الصليبيين وخرّب ميناء دمياط لكي لا يستعملوها مرة اخرى للنزول الى البر المصري .

وكانت قبرص مركزا للصليبيين خطرا عليه لاسيما وقد كان صاحبها يطمح باستعادة ما احتله من مدن الصليبيين في بلاد الشام . لذلك اتسمت علاقات الظاهر بقبرص بالحقود والعداء .

في محرم سنة ٦٦٥ هـ ارسل صاحب قبرص نجده الى عكا لتهاجم طبرية (١) ولكن سقوط انطاكية بيد السلطان الظاهر حمل صاحب قبرص على مفاوضة السلطان . ويبدو انها لم تسفر عن نتيجة . وفي رجب سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ علم الظاهر ان الفرنجة استولوا على سفينتين بالاسكندرية . وفي ٥ شوال علم انهم يتجهون للقادم الى عكا . وهاجموا الاسكندرية مرة اخرى واستولوا على مركب تجارى فيها . فقصد الظاهر الاسكندرية واتخذ التدابير الاحتياطية لرد اى عدوان . ثم نصب دمياط وبنى جسرين بين الجزيرة والجزيرة وبقي فيها حتى عرف بانحراف الحملة الى تونس (٢) .

وبسبب وضع قبرص الجغرافى لم يكن السلطان يستطيع مناوشتها ، لكنه بعد هاتين المحاولتين قرر مهاجمتها . وفي شوال سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧١ امر رئيس الاسكندرية ورئيس دمياط بتجهيز اسطول وقدم عليهما جمال الدين بكى بن حسون وهاجموا قبرص في اسطول من ١٧ شينيا وذلك ليشغل صاحب قبرص عن نصره عكا . ودخلت الشوانسي الجزيرة ليلا وهاجست الريح وانكسر الشيني ثم تبعته الشواني الاخرى من فيران تدرى بما حدث للشيني الاول حتى تحطم ١١ شينيا واسر بحارتها وعددهم نحو ١٨٠٠ .

(١) المفريزى ، السلوك ، ص ٥٥٥ .

(٢) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٣١ - ٤٣٣ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٨ .

وهرب رئيس الاسكندرية والمقدم (١) .

وفي ١٠ ذى القعدة وصلته رسالة من نائبه في القاهرة يخبره فيها بالكارثة . فشكر السلطان الظاهر للمعلى ان الكارثة لم تكن اعظم . ثم جاءه رسول صاحب قبرص فخبره بما جرى للاسطول شامتا به فرد عليه السلطان بانه احتل في حملته ١٤ حصنا من الصليبيين . ثم كتب لصاحب قبرص رسالة ارعد فيها وابرق (٢) . ثم بشره بفتح القلاع والحصون الصليبية ، وجعل فتح هذه اهم من الاستيلاء على الخشب والحديد وهدده ببناء اسطول جديد (٣) .

وفي ذى القعدة سنة ٦٦٩ هـ عندما احتل الظاهر القرنين ، بعد فشل حملة قبرص جاءه رسول من صاحبها يطلب منه الرجيل عن القرنين وتسليم بعلبك ونابلوس مقابل الصلح بين الطرفين . فرفض الظاهر العروض وهدد باخذ كل حصون الصليبيين اولا بأول (٤) .

وفي سنة ٦٧٣ هـ استطاع الظاهر استعادة بعض كبار الاسرى من قبرص ان بعض امراءه استطاعوا رشوة حراس السجن في عكا فاطلقوا سراحهم (٥) .

وهكذا نجد ان العلاقة بين الظاهر وقبرص كانت عدائية . ولكن كون قبرص جزيرة حال دون مهاجمتها جديا . وقد اسفرت محارلة احتلال قبرص عن الفشل .

- 
- (١) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٤٥٤ . ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٧٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . ابن الغرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ٨٢ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٩٤ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٤ .
  - (٢) ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٩٤ .
  - (٣) ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٧٤ ، ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ . المقريزي ، السلوك ، ص ٥٩٤ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٥ .
  - (٤) ابن ابي الفضائل ، ص ١٩٩ ، ابن الغرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٨٢-٨٣ .
  - (٥) ابو الغداء ، ج ٤ ، ص ٦١٥ . المقريزي ، السلوك ، ص ٦١٥ .

٨ - الدول الأوروبية - صقلية ، جنوى ، اراغون ، اشبيلية :

لقد عمل الظاهر في علاقاته الخارجية على عدة جبهات . لم يكن الميدان العسكرى وحده كافيا لتوطيد النصر وقد كان يعلم ان التتر يتصلون بالصلبيين في بلاد الشام وبالأوروبيين للحصول على نجدات لذلك عمد الى مصادقة صقلية وجنوى . فكان هذا كافيا للحؤول دون وصول نجدات عسكرية الى عكا وانطاكية والتتر ، عدا انه كانت لهذه العلاقات فائدة تجارية .

وفي سنة ٦٥٩ هـ قرر الظاهر ايفاد رسول الى صقلية . وبالفعل فانه ارسل المؤرخ ابن واصل مندوبا منه الى منفريد بن فردريك امير صقلية حاملا هدية ورسالة فيها عرض للمتعاون والصدقة . وفي سنة ٦٦٢ هـ رمضان ، كتب امير صقلي للظاهر يقول ان الملك شارل شقيق لويس التاسع امره ان يستجيب لاوامر الظاهر مهما كانت . وكان شارل هذا هو الذى حول الحملة الصليبية الاخيرة الى تونس (١) .

وفي جمادى الاولى سنة ٦٧٠ هـ ارسل روجر صاحب صقلية للظاهر وفدا يهدف فيما يبدو وللشفاعة بصاحب عكا لكن الخاية الحقيقية كانت الناحية التجارية . وقد كانت بينهما معاهدة تجارية منذ ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م .

امام جنوى والبندقية فكانت العلاقات تجارية بالدرجة الاولى . وقد رضيت هذه ان تبيعه الاخشاب والحديد لبناء السفن ووضع الاسلحة ، وان تبيعه الرقيق للجندي (٢) .

- 
- (١) يبدو ان القواد الصليبيين اختلفوا حول الخطة . اراد شارل القسطنطينية والغد سواه . بينما ارتأى آخرون ان فتح تونس يمهّد السبيل لغزو مصر من البر . ( R Grousset ) ج ٣ ، ص ٦٥٩ ، ( F Sadeque ) ، ص ٦٠ .
- (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ١٠٤ ، اليوناني ، ج ٢ ، ص ١٢٥ . ابن ابي الفضائل ، ص ١٢١ - ١٢٢ المقريزى ، السلوك ، ص ٦٠١ : R Grousset ج ٣ ، ص ٦٥٩ ( F Sadeque ) ص ٦٠ ، ( S Runciman ) ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

وفي سنة ٦٢٤ هـ • تبادل الرسل (١) •

واما ارافون فكانت علاقاتها بالظاهر سيئة • وكانت تواصل ارسال الهدد لعكا

كما جرى في ربيع الاخر سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م لكن جيمس ملك ارافون رأى بعد مصالحة

عكا والظاهر ، ان يتصل بالسلطان لعقد معاهدة تجارية • وفي سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٦ تبودلت ال

الوفود والهدايا حتى تم الاتفاق على التبادل التجاري (٢) •

وكانت للمعاهدة تجارية مع اشبيلية منذ سنة ٦٦٩ هـ (٣) •

يبدو لي ان الظاهر اصاب نجاحا كبيرا في هذا الميدان • فهو من جهة ، عزل

الصلبيين في الشرق ، وحال دون التحالف مع التتر ، ثم استطاع من جهة اخرى ان يعقد

المعاهدات التجارية وامن بذلك الموارد المالية الضخمة الضرورية له من الناحية العسكرية •

### اسباب نجاح الظاهر على التتر والصلبيين :

لارب ان الظاهر ، فيما يبدو ، اصاب نجاحا باهرا في حروبه مع التتر والصلبيين اما

اسباب ذلك فهي :

- (١) جيشه المنظم تحت قيادته واخلاص القادة له والمبادرة الى تنفيذ اوامره على الفور •
- (٢) وجود قادة ماهرين اكفاء يحيطون بالظاهر •
- (٣) محالفته مع القبشاق والدويلات الاوروبية لاسيما صقليوجنوى ، مما ادى الى توزيع قوى خصومه والحيلولة دون اتحادهم •
- (٤) انقسام التتر الى ايلخانات فارس وجغطاي وقبشاق متنافسين •
- (٥) انقطاع المدد العسكري من اوروبا للصلبيين والتتر •

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢١ • (٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٨٥ •

(٣) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٢١ ، وملحوظة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، ملحوظة

٢ ، ص ٦٢١ ، في السلوك ، للمقرئى •

٩ - بيبرس واليمن :

كانت علاقات الظاهر باليمن علاقات ود وصداقة . يدل على ذلك ان التجار كانوا ياتونه مرتين في السنة . وكان التجار واصحاب الاموال يامنون المرور في اراضي سلطنته بسبب عدله والامن السائد في البلاد ( ١ ) .

وفي سنة ٦٦١ هـ جاء رسل صاحب اليمن بهدية الى الامراء والخواص في مصر فاستقبل الظاهر الرسل وسمح لهم بتوزيع الهدايا على امرائه وخواصه ( ٢ ) .

وفي اواخر سنة ٦٦٥ هـ كان الظاهر قد انتصر على التتر والصليبيين في معارك عديدة فارسل اليه صاحب اليمن هدية فيها عشرون فرسا وعليها لامة حرب ، وفيل وحمار وحشي ابيض واسود ، وخيول وصيني ، وتحف ، ورسالة يطلب فيها محالفته مقابل الخطبه له في بلاد اليمن . ولما عاد الظاهر من دمشق في صفر سنة ٦٦٦ هـ اجتمع بالرسل في جمادى الاولى ثم رد على صاحب اليمن بهديه ورسالة وافق فيها على طلبه .

ولما حج الظاهر الى مكة سنة ٦٦٧ هـ اتصل بصاحب اليمن وحرضه على الاسهام في

محاربة التتر . وفي ذى الحجة سنة ٦٦٩ هـ وفي رجب سنة ٦٧٤ هـ ارسل صاحب اليمن هدايا للظاهر ( ٣ ) .

وهكذا قامت العلاقات بين الظاهر وصاحب اليمن على التهادى وتبادل التأييد المعنوى

من ناحية ، وعلى تأمين مرور التجار من ناحية ثانية . واذا لم تكن الناحية الاولى ذات اثر فعال

فلا ريب ان الناحية الثانية كانت ذات اثر بارز في حياة الممالك الاقتصادية عامة . ولعل هذا

هو ما دفعه لتوطيد سلطانه على النوبة .

---

( ١ ) ابن عبد الظاهر ، ص ٥٤ ( ٢ ) ابن عبد الظاهر ص ٨٨ ، والمقريزي ، السلوك ص ٥٠١ .  
( ٣ ) اليونيني ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ . ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٢ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٦٤ و ٥٩٥ و ٦٢١ . ابن مغزى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤١ .

١٠ - الحبشه :

وكانت بلاد الحبشه على علاقه ودية مع الظاهر بيبرس . ويبدو ان الظاهر لم يتفرغ للبلاد الواقعة جنوب مصر الا بعد ان كان قد وجه ضربات قاصمة للصليبيين وحال دون التحالف التتري الاوربي . ففي سنة ٦٧٢ هـ . ارسل ملك الحبشه عن طريق صاحب اليمن رسالة للظاهر بيبرس تحدث فيها عن كثرة جيوشه وعن وجود المسلمين والنصارى فيها وعن استعداده لمناصرته ويعلن له الخضوع ويصف له حسن معاملته للمسلمين الوافدين عليه ثم يطلب منه مطرانا لبلاده . فرد عليه الظاهر مخاطبا اياه " بصديق الملوك والسلاطين (١) " .

---

(١) ابن ابي الفضائل، ص ٢١٩ - ٢٢٢ و ٣٨٣ - ٣٨٥ . ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣ . القلقشندى، ج ٨، ص ١١٩ - ١٢٠ . المقرئى، السلوك، ص ٦١٥، ٦١٦ . لكن هذا الاخير يجعل تاريخ الرسالة سنة ٦٧٣ هـ .

شخصية الظاهر بيبرس ومنشأته

تناولنا حتى الان حياة الظاهر العامة في حروبه وخطه في داخل سلطنته وخارجها . ويجب علينا هنا ان نتناول نواحي اخرى من حياته لنستكمل وصف شخصيته وتحديد ها ، ولنستطيع ، بعد ذلك ، ان نحدد مكانته .

اولا - حياته الخاصة :

تزوج الظاهر خمس نساء ، هن الشهرزورية التي تزوجها في الكرك ، لما كان فارا من وجه عز الدين ايبك ، ثم عاد فطلقها لما تسلطن (١) . ثم بنت الامير سيف الدين نوکای التتري ، ثم ابني الامير سيف الدين كراى التتري (٢) . ثم ام الملك السعيد بركة خان (٣) ثم ابنة حسام الدين بركة بن دولة خان التتري (٤) .

وكان له ثلاثة ابناء وسبع بنات (٥) وكان السعيد اكبر ابنائه الذكور . ويبدو ان العلاقة بين الظاهر وابنه هذا ، كانت اوثق منها بولديه الاخرين . كانت علاقة ابوة وزمالة في وقت واحد . وقد تحدثنا عن علاقاتهما الرسمية اما الناحية الابوية فلطفا تتضح بقوة لنا الحادثة التالية : في ٢٢ ربيع الاول سنة ٦٧٣ هـ كان الظاهر وابنه السعيد عائد من الشوبك وصرع السعيد في الطريق طيرا فقيل له : لمن تدعى ؟ فقال : لمن ادعوا بحياته ومن اتقرب الى الله بدعواته ، الذي حسبي افتخارا ان اتول والدي ، ومن يتمرن لصرع اعدائه ساعدى ؟ وهناتقدم الظاهر منه وقبله (٦) .

- 
- (١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ . وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩ .
  - (٢) ابن ابي الفضائل ص ٢٩٩ . المقرئى ، السلوك ، ص ٦٤٠ - ٦٤١ (٣) المقرئى ، السلوك ص ٦٤٠ - ٦٤١ وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٩ ، (٤) ابن ابي الفضائل ص ٢٩٩ والمقرئى ، السلوك ص ٦٤٠ . وهنالك ان ركن الدين بيبرس تزوج من خوارزميه حين انضم اليهم على الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤٣ هـ . (المقرئى السلوك، ص ٣٢٤) لكنه ليس السلطان الظاهر بيبرس . (٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٧٩ . (٦) المقرئى ، السلوك، ص ٦١٥ . وقد تسلطن السعيد سنة ٦٧٦ ثم خلع سنة ٦٧٨ هـ . حين تولى السلطنة اخوه بدر الدين سلاش ، ثم خلع في نفس السنة وتولاها قلاوون . ولم يتول نجم الدين خضر السلطنة .

كيف كان الظاهر يقضي اوقات فراغه ؟ او هل كانت لديه اوقات فراغ يقضيها بصورة ما ؟ ان المعلومات التي لدى لا توحى بوجود اوقات فراغ . وانما تصور لنا الظاهر دائم الحركة من ميدان تدريب الى ميدان تدريب اخر ومن لعبة الفبق الى الرمي بالنشاب . . . . لم يكن لديه فراغ يلهو فيه . هنالك قصص عن بعض امراءه يقضون جلسات يتندرون فيها يشربون ويتماجنون . ولكن الظاهر كان يتجنب مثل هذه الجلسات . والواقع انه كان يمنعها (١) .

ويبدو انه كان للظاهر انواع اخرى من التسلية هي اللعبة التي نسميها اليوم بالبولو والسباحة ولعب الكرة وركوب الخيل والصيد . وقد احب هذه الهواية الاخيرة حبا جما ومارسها بصورة متواصلة حتى اننا نستطيع ان نقول ان رحلات الصيد كانت استعراضات مصغرة . كان يقوم برحلات الصيد في كل مناسبة اذ انه جمع فيها بين التسلية الشخصية والتدريب العسكري له ولجنوده . ولا يتخلى عن رحلة الصيد حتى حين يكون في طريقه الى معركة او في رحلة تفتيشية في سلطنته (٢) .

وكانت البلاد ، فيما يبدو ، مليئة بانواع الحيوانات للصيد . اما امكنة الصيد فكانت تروجه واوسم والصالحية وبركة زيزاء في الغالب .

ففي محرم سنة ٦٦١ هـ . خرج يتصيد في اوسم ثم قصد البركة . وفي ربيع الاخر من السنة نفسها خرج الى بلاد الشام ولما وصل غزة خرج في حلقة صيد ومعه ثلاثة الاف فارس (٣) . وفي شوال من السنة نفسها توجه الى تروجه ثم دخل البرية للصيد (٤) وفي صفر

---

(١) انظر سياسته نحو الخمر . . . ص ٢٢٤ اذنا ملاحظة ٣ .  
(٢) اليونيني ، ج ٢ ص ٣٣٧ والمقرئى السلوك ص ٦٠١ . (٣) ابن عبد الظاهر ص ٦٥٥  
والمقرئى ، السلوك ، ص ٤٨١ . وفي هذه الرحلة تفنطرا الاميران شمس الدين سنقر  
الرومي وسيف الدين قلاوون فعني السلطان بهما حتى شفيا . (٤) ابن عبد الظاهر  
ص ٨٤ .

سنة ٦٦٢ هـ ذهب الى اوسيم ثم الى الغربية جامعا بين الرقبة بالصيد والرقبة يتفقد احوال

الرعية • وبعد التحقيق باحوال الناس وشكاويهم توجه الى منزلة ابن حسون وتصيد (١) •

وتبين لنا عنايته بالصيد من انه ما ان فرغ من الاستعراض العسكري سنة ٦٦٢ هـ حتى قصد

الاسكندرية للصيد (٢) •

وفي محرم من السنة التالية قصد اوسيم والعباسية للصيد • وفي هذه الرحلة ادعى

له جماعة من الصيادين " (٣) • وفي هذه السنة ، حين ذهب لبلاد الشام قاصدا البيسر

لصد التتر مر قريبا من صيدا للصيد فتفطن لربه الفرس وانهمس وجهها وانسلخ جلده • وبقي

في يبني رشما شفي • وهنا جاءه خبر تراجع التتر (٤) •

وفي ذي القعدة من سنة ٦٦٤ هـ ، خرج الظاهر للصيد في جرود معلولا ووصل الى

افاميه (٥) •

وفي محرم سنة ٦٦٥ هـ خرج الى بركة زيزاء للصيد فسقط عن فرسه وانكسرت رجله (٦) •

واحب الظاهر السباحة لمسافات طويلة • وقد بلغ من حسن سباحته انه جرف في النيل

بسطا كبيرة فوقها اميران بفرسيهما (٧) • واحب لعب الكرة حتى انه عين لها كل يوم سبت

وثلاثاء (٨) •

اما ولعه بركوب الخيل فكان شديدا • ولا فرو في ذلك فالخيل ضرورية عسكرية •

وهكذا نجد ان الظاهر كان رياضيا من الدرجة الاولى ، الى جانب كونه جنديا •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٢ • (٢) ابن عبد الظاهر ، ص ٩٢ • (٣) ابن عبد الظاهر ، ص ١١٨

والمقريزي ، السلوك ، ص ٥٢٣ • ويفهم من هذا انه كانت عادة الصيادين ان يتقسموا بين

مبتدئين وهواة • وكان المبتدئون ينتمون او يدعون الانتساب لاحد الهواة • (مصطفى

زيادة ، حاشية ١ ص ٥٢٣ من السلوك للمقريزي ) • (٤) ابن عبد الظاهر ، ص ١٢٠ •

(٥) المقريزي ، السلوك ، ص ٥٤٩ •

(٦) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ورقة ١ - ٢ • (٧) المقريزي ، السلوك ، ص ٦٠٨ •

(٨) ابن عبد الظاهر ، ص ٨١ •

## ثانيا - هيئة الظاهر:

كان الظاهر طويل القامة ، اسمر اللون ، حسن الوجه ، في عينيه زرقة ، وفي احدهما نقطة صغيرة . وكان مستدير اللحية يغلب عليها البياض . وكان جهوري الصوت (١) . وكان يتمتع بقوة جسدية كبيرة توحى بها المشقات الكثيرة التي تكبدها في حروبه . وهذه الصفات اساسية لنالو شئنا ان ننحت للظاهر تمثالا . ولكن يجب ان نحريص على ان تظهر في التمثال صفات اخرى ليست واضحة كهذه . وانما يجب ان نلمسها تلمسا .

## ثالثا - صفات الظاهر:

كان الظاهر شجاعا ، شديد الشجاعة ، وتدلل على ذلك موافقه الكثيرة في مختلف المعارك التي خاضها . فقد كان كالاسد بين الاشبال الخادرة (٢) . ثم انه كان ذا انفة واباء محبا للمخلصين له من الامراء . لكنه كان الى ذلك سريع الغضب ، عسوقا عجولا (٣) . وكان سخيا جدا . فما كادت تمر سنة الا ويتصدق فيها بالمبالغ الطائلة وبالاتعشة الكثيرة وبالخلق الوافرة . ولندكر هنا معاملته لامرائه المخلصين والتخليس لا بنائهم عن نصيب الادارة من ثروات المتوفين منهم (٤) . وكانت للسلطان الظاهر هيبة وحرمة في نفوس امرائه وفي نفوس خصومه ايضا . فقد كان يهودى دفين مصافا في قلعة جعبر عندما تصدها التتر ولما تراجعوا اخذ اليهودى اذنا من السلطان للعودة الى جعبر لنهبش امواله فسمح له ولما رآه بعض الاعراب وعرفوا انه مادون من الظاهر ساعدوه على استعادة امواله وحموه حتى وصل حماه (٥) .

---

(١) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٣٧ وابن اياس ج ١ ص ١١٠ . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٢٠  
(٣) المقرئى ، السلوك ، ص ٦٣٧ وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٨٠ . (٤)  
المقرئى ، السلوك ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٨ . (٥) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

وقيل ان كتبنا التتري اشار الى شجاعته في حديث له مع بعض امرائه وخواصه (١) .  
ومر تجار اعجام بسيس في طريقهم الى مصر فاستولى صاحبها على بضائعهم فتهدده الظاهر  
فافرح عنهم . وكان يعطي التجار توابيع منه ليمروا في بلاد فارس وكرمان والقبشاق وكانت  
هذه التوابيع تحتهم (٢) .

وفي ذي الحجة سنة ٦٦١ هـ ، ضرب احد امرائه دلالا حتى مات فغضب السلطان  
ولجأ الامير الى سيف الدين قلاوون لانقاده . فعمد هذا الى دفع مبلغ من المال لورثة  
القتيل ليقولوا ان اباهم مات قضا وقدرا . فعرف الظاهر بالحيلة وغضب لكنه كان مضطرا  
للسكوت امام المخرج الشرعي (٣) .

وينبغي الا ننسى هنا انه كان فيه استعداد الطبع . قسمت الى تربي منازل  
الملك نفسه (٤) .

والى جانب هذه الصفات ينسب اليه المؤرخون صفة الخدر . وقد اشرنا الى ما فعله  
بالمغيث وبحمية صفا . ولكنني لست ارى في هذا قدرا بالمعنى الاخلاقي . لقد قلت ان  
الظاهر كان يبني دولة ، وكان مصمما على ازالة جميع العقبات امامه . فهل يصح مع هذا ان  
نصمه بالخدر ؟ ماذا كان المغيث يفعل به لو نجح في مقاومته ؟ لقد كانت المصلحة  
التي يعمل من اجلها هي التي تحتم عليه تصرفاته . وادا نظرنا اليوم الى ما يجري في بعض انحاء  
العالم باسم العدالة ، لما جازلنا ان نعتبره قادرا .  
واخيرا ينبغي ان لاننسى ان ملامح الشركات تلوح عليه منذ الصغر . ولذلك  
اشارت ام صاحب حماه على ابنها ان لا تشتريه . ولعلها الملامح التي طبعتها على وجهه تساوة  
التشرد والنخاسة .

(١) ابن عبد الظاهر ص ١٥ - ٢ - ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٢) المقرئ ، السلوك ، ص ٥٠ - ٤ - ابن عبد الظاهر ص ١ .

رابعاً - منشآته :

عني المماليك بوجه عام بالانشاء والتعمير (١) . ويهمننا هنا ماكان منها في عهد الظاهر بيبرس . وقبل ان اذكر هذه المنشآت ينبغي ان اسجل الملاحظات التالية :

اولاً : كان القسم الاكبر من هذه المنشآت ذا صبغة عمرانية ودينية وقد كان اكثرها في مصر .

ثانياً : كان القسم الاكبر من المنشآت في بلاد الشام ذا صبغة عسكرية .

للظاهر بيبرس من الآثار الحسنة الكثيرة مالم يبين مثله في زمن الخلفاء وملوك بني ايوب مع انه كان منهممكاً في الحروب الكثيرة (٢) . وقد تعددت انواع المنشآت فكانت مدارس وجوامع واسبلة واربطه (٣) وبالقطع ينبغي ان لانسى بناء القلاع .

فما ان تسلم الظاهر السلطة حتى عهد للامير جمال الدين بن يغمور بترميم ماتهدم من قلعة جزيرة الروضة . فقام الامير بذلك ورمم ماكان تخرب من قاعاتها ثم فرق ابراجها على الامراء قلاوون وعز الدين الحلبي وعز الدين اوغان ويدر الدين بيسرى واوجب على كل منهم ان يبني فيها اصطبلاته ومنازله (٤) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ ، شيد برجاً في قلعة الجبل . وعمر فيها دار الذهب . وبنى في رحبة الجبار قبة عظيمة لها ١٢ عموداً من رخام ملون . واسكن في هذه القبة رجال حاشيته وامراءه . ثم عمر فيها طبقتين على رحبة جامعها . وانشأ برج الزاوية المجاورة لباب القلعة . واخرج منه روائش وبنى عليه قبة مزخرفة السقف، وشيد بجواره طباقاً لسكن المماليك .

---

(١) لخصها ابن شاکر الکتبي، ج١، ص ١٦٨ - ١٦٩ . (٢) ابن كثير، ج٣، ص ٢٧٦ . ابن تغري بردی النجوم، ج٧، ص ١٨١ . ٣ - ابن عبد الظاهر، ص ٢٩ . المقریزی، السلوك، ص ٤٤٦ . ابن تغري بردی، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩٢ . (٤) ابن عبد الظاهر ص ٢٩ . المقریزی، السلوك، ص ٤٤٦ .

وفي رحبتها بني دارا كبيره لولده السعيد فيها ١٦ عقدا .  
وبني بظاهر القاهرة دورا واصطبلات للامراء ليعبد المماليك عن القاهرة وعن سكانها .  
وبني لابنه حماما في سوق الخيل وميدانا في البورجى غرس فيه النخيل وبلغت نفقاتها  
١٦ الف دينار .

والى جانب ذلك بنى مناظر وقاعات وسبوتات كثيرة (١) واكمل بناء دار عند باب السر

الذى يفتح على سوق الخيل وجعلها دارا للدعوات التي يقيمها للامراء (٢) .

وفي اواخر سنة ٦٦١ هـ امر ببناء دار العدل تحت قلعة الجبل (٣) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ بنى قرية الظاهرية عند العباسية (٤) .

كانت له في بلاد الشام ومصر ٤٦ قلعة (٥) وكان طبيعيا ان يياشر بالانشاءات ذات

الصبغة العسكرية ، بحكم الظروف التي كان فيها . وقد بدا ذلك في بلاد الشام .

امر ببناء مشهد في عين جالوت عرف بمشهد النصر تخليدا لذكرى صد الزحف المغولي (٦) .

رسم بترميم ماخر به التتر من قلاع الشام كقلعة دمشق التي كان التتر هدموا شرازيغها وروؤوس

ابراجها فجددها ودهن سقوفها وبني فيها منظرة وقلعة اتصلت وقلعة عجلون وقلعة صرخد

وقلعة بصرى وقلعة بعلبك وقلعة شيزر وقلعة الصبيه وقلعة شميميش بجوار حمص، وقلعة حمص،

فتم اصلاحها جميعا " ونظفت خنادقها ووسعت ابراجها وشحنت بالعدد وجردها اليها المماليك

والاجناد وخزنت بها الغلات والازواد " ثم جدد اسوار حصن الاكراد وعمر قلعتها (٧) . وفي

جمادى الاخرة من سنة ٦٦١ هـ ، ثم بناء برج في قارا . و امر ببناء برج آخر اكبر منه لحفظ

الامن والدفاع ضد الفرنجة المجاورين (٨) .

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧ ص ١٩١ (٢) المقرئى، السلوك، ص ٥٤٤ (٣) ابن عبد  
الظاهر، ص ٩٠ (٤) المقرئى، السلوك، ص ٥٦٤ . ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٥ .  
ابن اياس ج ١، ص ١١٢ . (٥) ابن ابي الفضائل ص ٤٦٦ . (٦) ابن عبد الظاهر ص ٢٩ المقرئى،  
السلوك ٤٤٦ و ٤٦٥ . (٧) ابن عبد الظاهر ص ٣ . المقرئى، السلوك ص ٤٤٦ . ابن تغرى بردى  
النجوم، ج ٧، ص ١٩٦ . ابن اياس ج ١، ص ١١١ . (٨) ابن عبد الظاهر ص ١٠٠، المقرئى السلوك  
ص ٥١ . وقد جعل تاريخ قلعة قارا سنة ٦٦٢ هـ .

وامر ايضا ببناء اسوار الاسكندرية وخصص لذلك نفقات شهرية وبنى مرقبا

لكشف البحر في ثغر رشيد وامر بردم بحر دمياط كي يضيق ويتعذر دخوله على السفن .

وفي سنة ٦٦٢ هـ ارسل من ينظف خليج الاسكندرية . وفي رمضان من السنة التالية وجه اميرا الى

بحر اشمو ثم تبعه في ٢ شوال لتنظيفه مما تجمع فيه من الوحول وفرق فيه عددا من السفن .

وفي صفر سنة ٦٦٤ هـ ذهب الى الاسكندرية للمشاركة في حفرة ثم فرق فيه المراكب ليستحيل

على سفن العدو والدخول اليه (١) .

امر بتجديد عمارة ثغر دمياط وبنى وجدد فيه سلسلة الحديد من البر الى البسر ،

وردم الناحية التي تدخل منها مراكب الفرنجة (٢) .

وفي يرفه عمر قلعة العمودين . وفي السويس بنى قلعة ايضا (٣) .

وهدم قلعتي قيسارية وارسوف وبنى قلعة في قافون بدلا منهما (٤) . وفي الكرك

هدم برجين صغيرين ثم جدد بناءهما (٥) .

وجدد باشورة في قلعة صفد وعمر فيها ابراجا وبدنات ثم انشأ في القلعة

صهريجاً كبيراً مدرجاً وبنى عليه برجاً بلوغ مئة ذراع (٦) .

وجدد ايضا بناء قلعة الصبيبة وكان التترقد هدموها (٧) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٤٩ - ٣٠ . المقرئى السلوك ص ٤٤٦ ، ٥١٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ .

القلقشندى ج ٣ ص ٤٠٤ . اليونيني ج ٢ ص ٣٢٢ . (٢) ابن اياس ج ١ ص ٨٧ .

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩٢ . (٤) ابن الفرات ج ٦ قسم ٢ ورقة ٤ ،

المقرئى ، السلوك ص ٥٥٧ .

(٥) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩٥ . (٦) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

(٧) المصدر السابق ص ١٩٥ .

وفي منتصف سنة ٦٦٤هـ / شباط ١٢٦٦ م ، كلف السلطان جمال الدين محمد بن نهار  
ومحمد بن رحال والى نابلس والاغوار ببناء جسر سلطاني (١) على نهر الشريعة ، في الغور .  
وتم بناءه وه في رمضان سنة ٦٧١هـ . لكن اركانه تزعزت . فاعيد اصلاحه بعد جهد جهيد  
اذ ان الماء كانت تحول دون ترميمه حتى صدف ان توقفت عن الجرى في ٨ كانون الاول سنة  
١٢٦٧ زما كافيا بسبب هبوط قطعة كبيرة من الارض المجاورة فيه فتم اصلاحه ثم عادت الماء  
للجى كالعادة (٢) .

- وانشاء جسورا اخرى في الغور والساحل (٣) .
- وبنى جسرا في كل من القليوبية ودمياط (٤) .
- وبنى جسرا بين قلعة الصبية والمدينة (٥) .

لم يحصر الظاهر نشاطه العمراني في مصر في ميدان معين . وقد تناول شتى  
الميادين العلمية والدينية والزراعية .

---

(١) الجسور نوعان - سلطانية وبلدية . الاولى عامة جامعة للبلاد ينفق عليها من الديوان السلطاني  
تحت اشراف كاشف الجسور . والبلدية منها يتولاها المقطعون من اموال اقطاعاتهم (زيادة حاشية  
١٠٣ السلوك ص ٦٣٨ . القلقشندي ج ٣ ص ٤٤٨ . المقرئزي الخطط ج ٣ ص ١٦٥) . (٢) اليونيني  
ج ٢ ، ص ٣٤٦ . المقرئزي ، السلوك ، ص ٥٤٤ . ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ،  
لكن تاريخه محرم سنة ٦٦٥هـ : M. Clement Ganneau, JA., 8eme Serie, Tome X, Nov. Dec. 1887 pp509.  
صدر الامر ببناء الجسر عام ٦٦٤هـ وتم بناءه وه سنة ٦٧١هـ . ولا يزال باقيا لليوم وعليه  
اسم المهندس والسلطان في اربعة اسطر : بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد  
وصحبه اجمعين . امر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الاعظم الملك الظاهر ركن الدين  
بيبرس بن عبد الله في ايام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان اعز الله انصاره  
وغفر لهما وذلك بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علاء الدين على السواق غفر الله له ولوالديه في  
شهر رمضان سنة احدى وسبعين وسبعماية : ملحوظة ٦ ص ١٤٠ - ١٤١ من النجوم ج ٧ ، ابن تغرى  
بردى . (٣) ابن تغرى بردى النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٥ . (٤) المقرئزي ، السلوك ، ص ٦٣٨ و ٦٣٩ .  
• ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٢ .  
• ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .

ولعل اروع ما بناه في مصر هو المدرسة المعروفة باسمه بين القصرين . فقد بديء  
ببنائها في ربيع الآخر سنة ٦٦٠ هـ وانتهت عمارتها في سنة ٦٦٢ هـ . وكان لهذه المدرسة  
اربعة ايوانات وفيها خزانة كتب تحتوى على امهات الكتب في مختلف العلوم . ثم بني بجوارها  
مكتبا يتعلم فيه الايتام القرآن . وبنى فيها سقاية ماء .  
وتقع هذه المدرسة بجوار قبة الملك الصالح نجم الدين . وكان لهذه المدرسة باب  
جميل من النحاس ، حسن الصنع متقن الزخرفة منقوش عليه اسم الملك الظاهر وسنة ٦٦١ هـ .  
ثم رتب فيها مدرسين للمذاهب الشافعية والحنفية والمالكية دون الحنبلية . ورتب  
شيخا لتدريس الحديث ، ومقرئين لاقراء القرآن وخصص لهم جميعا طعاما وكسوة .  
وابتدأ التدريس فيها في ١٣ صفر سنة ٦٦٢ هـ وقد حضر حفلة الافتتاح السلطان  
والوزير ابن حنا واستاذ الدار ابن يغمور وعدد من الامراء والاعيان . والقى الشعراء قصائد هم  
احتفاء بهذه المناسبة ( ١ ) .  
في رجب ٦٦٢ هـ بلغه ان على المشهد الحسيني جامعا بقربه موضع للقصر . وكان  
مكان الجامع قد بيع وارسل المبلغ للديوان فامر الظاهر برد المبلغ وبناء المسجد ( ٢ ) .

---

( ١ ) احتلت المدرسة قاعتي الخيام واللوتس في قصر الفاطميين الذي استولى عليه الظاهر باسم بيت  
العال . والقصران احدهما قصر بناء كافور الاخشيدى وثانيهما بناء جوهر الصقلي . ابن عبد الظاهر  
ص ٢٩ ، اليونيني ج ١ ص ٥٥١ - ٥٥٢ و ج ٢ ص ٢٣٠ ، ابن ابي الفضائل ص ٤٦٦ ، ابن الفرات ج ٦  
قسم ١ ، ص ٣٧ ق ٣٨ ، و ، المقرئى ، السلوك ص ٥٠٣ و ٥٥٦ ، الخطط ، ج ٢ ص ٤٠٠ ، ابن تغرى بردى  
النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

Margoliouth, D.S., Cairo, Jerusalem, and  
Damascus, three chief cities of the Egyptian Sultans,

F. Sadeque ، ص ٢٢ - ٢٣ ، Dodd, Mead & Coy, N.Y. 1907

ص ١١٤ ملحوظة ٢ ،

وينبغي ان نلاحظ ان التواريخ بشأن بناء المدرسة وافتتاحها ليست كلها واحدة .

( ٢ ) المقرئى ، السلوك ، ص ٥١١ - ٥١٢ .

وفي جمادى الآخرة من سنة ٦٦٤ هـ بدي بناه جامع الظاهر في ميدان قراقوش بالحسنية بجوار مدرسته وانفق عليه ما يزيد على مليون درهم . وسبب بنائه كثرة الزوار لزاوية الشيخ خضر هناك .

شرع في بنائه في ربيع الاول سنة ٦٦٥ هـ ودشنه بحضور الوزير في ٨ ربيع الاخر . وجلبت له الاخشاب وحجارة الرخام وغيرها من ادوات البناء من سائر انحاء السلطنة . وزينه بنقوش حتى صار احسن مثل للمساجد الفخمة التي بنيت في عهد المماليك البحرية .

ثم رتب له اماما حنفيا (١) .

وفي هذه السنة اجري ترميمات هامة في الجامع الازهر (٢) .

وانشأ في مصر عدة جوامع اخرى (٣) وفي سنة ربيع الآخر سنة ٦٦٩ هـ تم بناء جامع المنشية

واول ما اقيمت فيه خطبه الجمعة كان يوم ٢٨ ربيع الآخر (٤) .

شيد قناطر السباع على الخليج (٥) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م بوشربنا قنطرة على بحر ابي المنجا . وفي محرم سنة

٦٧٧ هـ اعيد فتح البحر (٦) وفي السنة التالية تمت القناطر فكانت عجيبة في بنائها متقنة (٧)

وبنى قناطر كثيرة منها قنطرة منية السرج والقصير على بحر ايراش ذات سبعة ابواب وفي الجسر

الموصل الى دمياط ذات ١٦ قنطرة وعلى خليج الاسكندرية (٨) . وامر بتكملة عمارة بئر اللبون

---

١ ابن الفرات، ج٦، قسم ٢، ورقة ١ و ٢ . المقرئ، السلوك ص ٥٥٦ و ٥٨٨ . ابن تغري بريدى  
النجوم الزاهرة ج٧، ص ١٩٢ . اليونيني ج٢ ص ٣٦١ . ابن ابي الفضائل ص ١٦١ . حسن ص ٤٢ .  
ويسمى ايضا جامع العافية وهو الان خرب ويسمى مكانه ميدان الظاهر . (٢) ابن الفرات ج٦، قسم ٢  
ورقة ٤ . (٣) ابن تغري بريدى النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٩٢ . (٤) اليونيني، ج٢، ص ٤٤٣ . ابن  
تغري بريدى النجوم الزاهرة ج٧، ص ١٥٠ . (٥) المقرئ السلوك، ج٢ ص ١٤٦ (٦) ابن الفرات، ج٦،  
قسم ٢، ورقة ٨، المقرئ السلوك ص ٥٦ و ٥٧٣ و ٦٣٩ . وكان قد انشئ في عهد الامر بالله الفاطمي  
تحت اشرف ابي المنجا شعيا اليهودى فعرف باسمه (المقرئ الخط ج٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢، وابن تغري  
بريدى النجوم ج٧ ص ١٩٣) (٧) اليونيني ج٢ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ . المقرئ السلوك ص ٦٣٩ . ابن تغري  
بريدى النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٤٨ و ١٤٩ . والنهية من العمل في القناطر كانت ٦٦٩ هـ عند اليونيني  
وابن تغري بريدى (٨) المقرئ، السلوك ص ٦٣٨ وابن تغري بريدى النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٣ .

بجوار الاسكندرية في شعبان سنة ٦٦٢ هـ (١) .

وحفر خلجانا كثيرة منها خليج الاسكندرية . وبحر اشموم ، وترعة الصلاح وخورسخا ،

والمحامدى ، والكافورى ، وبحر الصمصام وسردوس وبعض ترعة ابي الفضل (٢) .

وبالقياس عمر " قبة ربيعة مزخرفة (٣) .

وفي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م امر بعمارة القناطر بجسر شبرامنت من الجيزة احيا للاراضي

التي لم تكن تصلها الماء (٤) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، امر ببناء قرية الظاهرية عند العباسية (٥) .

وتناول نشاطه العمراني ببلاد الشام نواحي مختلفة منها الناحية العسكرية والدينية

والتعليمية والاجتماعية فقد نالت دمشق حظا كبيرا من عنايته . فقد بنى فيها مدرسة عرفت

باسمها ايضا (٦) . وهي من ابداع ابنية الشرق بحجارتها الملونة ونقوشها بالفسيفساء المذهبة

والملونة البديعة الممثلة نباتات مشتبكة واشجارا وابنية واشكالا هندسية (٧) . وفي رمضان

سنة ٦٦٣ هـ شرع بتبليط قسم من الجامع الاموى وجدد بعضه ، وامر بترخيم حائطه الشمالي

وجدد مشهد زين العابدين ، وبنى فيه بركة ماء . وفي اوائل سنة ٦٦٤ هـ جدد بناء حوض

في شرقي القناة بباب البريد (٨) .

وفي سنة ٦٦٥ هـ انشأ القصر الابلق في الميدان الاخضر على نهري بردى ، وكان بناؤه

بالرخام الابيض والاسود . وكانت البساتين تحيط به من كل جانب (٩) .

وبنى فيها حماما خارج باب النصر وجدد بناء ثلاثة اصطبلات . ورم " شعنت مغارة الدم (١٠) .

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٩٣ . (٢) ابن عبد الظاهر ص ٢٨ ، المقريزى ، السلوك ، ص ٦٣٩ . ابن تغرى  
بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٣ . وبحر الصمصام هو بحر الصمام في السلوك ، ص ٦٣٩ . (٣)  
ابن تغرى بردى النجوم ج ٧ ص ١٩٢ (٤) ابن عبد الظاهر ص ٢٩ المقريزى السلوك ص ٤٤٦ (٥)  
ابن الفرات ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة ١٣ (٦) ابن كثير ج ١٣ ص ٢٧٦ وابن تغرى بردى النجوم ج ٧ ص  
١٩٥ - ١٩٦ . ابن اياس ج ١ ص ١١١ (٧) مقال "صدى اعمال المجمع العلمي العربي" مجلة المجمع  
ج ٢ ص ٢٢٠ . (٨) ابو شاهه ج ٢٣٧ ومصادر الملاحظة السابقة (٩) ابن الفرات ، ج ٦ ، قسم ٢ ، ورقة  
٨ المقريزى السلوك ص ٥٦١ (١٠) انظر ملحوظة ٦ .

- وفي سنة ٦٦١ هـ اعز الظاهر ببناء خان فيها وجيء له بباب من القاهرة كان على دهليز قصر من قصور الفاطميين . ووقف عليه غلات بساتين في امكنه مختلفة من بلاد الشام لتصرف على اطعام ابنا السبيل واصلاح نعال المسافرين . وبنى له طاحونا وفرنا (١) وفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ، امر باصلاح قناة المياه (٢) .
- في صفر سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م ، امر ببناء مسجد الخليل (٣) .
- وفي سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ، تم بناء صخرة بيت المقدس (٤) . ثم جدد جامع الرملة وقبر جعفر الطيار وقبر نوح في الكرك (٥) .
- وفي قاقون بني جامعا وحوضا لابناء السبيل (٦) وغير كنيسة صفا الى جامع وانشأ فيها رباطا (٧) وانشأ في الصبية دارا لنائبه فيها ومنارة لجامعها (٨) .
- اما قارا فجعل كنيستها جامعا .
- وفي ربيع الآخر سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧٠ كان الظاهر في حلب فبنى دارا شمالي قلعتها ثم اضاف دارا اخرى اليها (٩) .
- وفي المدينة المنورة اتم عمارة مسجد الرسول . ثم جعل للضريح درا بزينا ولون سقوفه بالذهب وببيض جدرانه وبنى فيها مستشفى جهزه بالادوية والاطباء (١٠) .

---

(١) اليونيني ج١ ص ٥٥٤ وج٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ . المقريزي السلوك ص ٤٩١ ، ٥٢١ . ابن تغري بردى النجوم ج٧ ص ١٢١ و ١٩٤ . جعل اليونيني التاريخ سنة ٦٦٢ هـ (٢) ابن الفرات ، ج٦ ، قسم ٢ ، ورقة ٨ . (٣) المقريزي السلوك ص ٥٦٣ ، ٥٦٥ . ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ، ج٧ ص ١٩٤ . (٤) ابن عبد الظاهر ص ٢٨ . المقريزي السلوك ص ٦٠٨ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٤ . (٥) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ . ابن كثير ج١٣ ص ٢٧٦ . (٦) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٥ . (٧) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٥ . (٨) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٥ . (٩) اليونيني ج٢ ، ص ٤٦٨ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٥٦ . (١٠) ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ج٧ ، ص ١٩٤ .

وهكذا يبدو لنا ان السلطان الظاهر لم يكن يكتفي بسماع نعتة السلاح وحسب ،  
وانما كان يعنى الى درجة كبيرة بالناحية العمرانية ، كانه كان يحب ان يسمع رنة  
الادوات البانية ايضا . " بنى . . . . . ما لم يكن في ايام الخلفاء المصريين ولا ملوك  
بني ايوب من الابنية والرياح والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات . . . . . " حتى  
انتشرت عمائره " من قريب بمسجد التين الى اسوار القاهرة الى الخليج وارض الطبالة  
واتصلت العمائر الى باب المقسم الى اللوق الى البورجي ، ومن الشارع الى الكيش وحدره  
بني قميحة الى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة الى السور القرافوشي " (١) وكذلك  
عني بالبناء في بلاد الشام . ولكننا نلاحظ انه لم يعن بالناحية الزراعية في بلاد الشام .

---

(١) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ . مناظر الكيش  
قصور انشأها الملك الصالح نجم الدين ايوب على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني  
مشرفة على برك وبساتين وعلى النيل . بقيت منازل ملكية حتى هدمت سنة ٧٦٨ هـ .  
( النجوم ج ٧ ص ١١٩ ملحوظة ٢ ) .

حول المجتمع المملوكي في عهد الظاهر \*

ليس المقصود هنا ان اتناول المجتمع المملوكي في عهد السلطان الظاهر \* ومثل هذا البحث لا يصح في فترة لم تتجاوز سبعة عشر عاما لم تكن كافية ليتبلور فيها المجتمع المملوكي \* ولكنني رأيت ان اضع هنا بعض ما عثرت عليه وبعض ما استنتجته ، حول هذه الناحية ، اثناء مطالعاتي (١) \*

كان المجتمع المملوكي يتكون من عناصر مختلفة اكثرها عددا هم السكان الاصليون \* وهناك الاكراد والتركمان \* لكن المماليك كانوا فوق هؤلاء \* جميعا ولو ان عددهم كان يقل عن عدد السكان الاصليين بكثير \* واحسب ان عددهم (٢) لم يكن يزيد عن بضعة وعشرين الفا \* وعن هؤلاء ساقصر حديثي الآن \*

وقد تميز المجتمع المملوكي هذا بصفات هامة هي :

اولا - كان المماليك طائفة منفصلة عن حواليتهم من السكان وظلوا كذلك ولم يختلطوا بالسكان الاصليين ، ولا سمحوا لهؤلاء \* بالاختلاط بهم ولم يتزوجوا من بنات السكان الاصليين الا نادرا ، بل كانوا يتزوجون الرقيقات \*

---

(١) وقد تناول D. Ayalon المجتمع المملوكي من ناحية العلاقات بين الاستاذ ومماليكه في دراسة صغيرة بعنوان L'Esclavage du Mamelouk وهو يرى ان معلوماتنا عن حياة المملوك ونشاطه اثناء استرقاقه ليست كافية \* لكنها اوفر حين تتناول اثر الاسترقاق في علاقات المماليك بالاستاذ \* وقد كانت الفرقة تبقى بعد وفاة السلطان ، الى ان يموت جميع اعضاءها وقل ان تذوب في فرقة اخرى لسلطان آخر \* (٢) لانشير المصادر بصورة واضحة الى عدد المماليك \* وانما هنالك تلميحات حملتني الى مثل هذا التقدير \* فقد ذكر المقرئ ( السلوك ، ص ٥١٤ ) ان عدد مماليك الظاهر كان كبيرا جدا حتى انه كان يعتق ثلاثين نسمة كل ليلة من ليالي رمضان \* وجاء في النجوم الزاهرة ، ( ج ٧ ، ص ١٧٩ ) انه " كان للملك الظاهر اربعة آلاف مملوك مشتريات امراء \* وخاصكيه واصحاب وظائف " \* ولنذكر هنا ان عدد امراء المئة في مقدمي الالف ، كان ٢٤ اميرا الى ان عدد الجنود كان ٢٤ الفا على ابعد تقدير \* راجع المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٢ وما بعدها \*

ثانيا - تميز المماليك الجدد عن ابناء المماليك القدماء - اولاد الناس -  
ثالثا - لم يسمحوا للسكان الاصليين بالانخراط بالجندية ، بل سمحوا للقليين منهم  
بالاشتغال بالاعمال الادارية ، ووجهوهم للعمل في الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية .  
كان التجنيد محصورا بالارقاء الجدد .

رابعا - انقسم المماليك فيما بينهم ، على رزم اتحادهم ازاء السكان الاصليين . وقد كانوا  
كتلا متناوثة تحارب الواحدة منهم الاخرى . كان انتسابهم الى استاذهم بالدرجة الاولى  
ولم اجد انهم انقسموا على اساس اصولهم . لكن مثل هذا الانقسام ، على هذا الاساس الاخير  
كان لا بد له من الظهور في دور المماليك الجراكسة .

خامسا - كانت رابطة المملوك باستاذه وثيقة في حالتها الضراء والسراء . والواحد منهما  
خشداشي الاخر ويستولي على موجوداته عند وفاته (١) . وقد يصل المملوك الى اعلى مرتبة لكن  
اسمه يظل مربوطا باسم استاذه . ولا تنقطع هذه الصلة بوفاة الاستاذ .

سادسا - الترفي من مرتبة الى اخرى مفتوح للجميع ، لكنه بني على المقدرة الجسدية  
والعسكرية ، وعلى الحنكة في التأمروالغدر . وكان مماليك السلطان اصحاب الاسبقية فسي  
الترفي منهم نواة الجيش متى اعتدوا ادخلوا في حرمه . ولا اعتبار للاصل ولا للموطن ولا  
للعتاة .

سابعا - كثر الفقراء وذوو العاهات في هذا المجتمع فكان لا بد للمظاهر من العناية  
بهم وجميعهم في أمكنه خاصة ، لاسيما في اوقات المجاعات . ولعل هذا هو ما جعل المظاهر  
يكثر من انشاء الخانات والاقواف (٢) .

(١) ابطل المظاهر هذه العادة سنة ٦٦٢ هـ . انظر ص ١٤٣ اعلاه .

(٢) المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٢ .

ثامنا - لم يكن للمرأة احترام في هذا المجتمع . وقد شدد المماليك وضيقوا عليهم .  
تاسعا - كان المماليك ازدواجيين في حياتهم . فهم في حياتهم الخاصة " لا يتورعون عن  
اتيان اشنع المنكرات والتعسف في اذى الخلق واهراق الدماء بلا اكتراب باسسط المبادئ الانسانية  
" لكنهم على عكس ذلك في الحياة العامة يتمسكون " بقواعد الدين الحنيف من حيث الصلاة والزكاة  
وتشييد العمائر الدينية ( ١ ) .

كان عصرهم عصر انحلال خلقي . ومع ان بذور هذا الانحلال كانت موجودة من قبلهم فانها  
ثمّت في عهدهم . " واخبار الاسراف في صنع الخمر وشربها وانتشار الزنا وتعاطي المخدرات  
والشذوذ الجنسي " كثيرة تدلنا على ذلك حلقاتهم الغنائية المتعددة . وقصة الوليمة التي  
اقامها لاجين بن عبد الله الامير حسام الدين الجوكندار العزيزي مشهورة ( ٢ ) .  
وقد عمد الظاهر الى كبح هذه العيوب ومحاربتها . ولذلك اصدر عدة مراسيم ( ٣ ) .

---

١) على ابراهيم حسن، ص ٢٥ . ( ٢ ) اليونيني، ج ٢، ص ٣٠٠ - ٣٠٣ . توفي الامير سنة ٦٦٢ هـ .  
٣) حرم السلطان الظاهر الحشيشة والخمر لاسباب دينية وعسكرية وراقب تنفيذ هذا التحريم . ففي  
سنتي ٦٦٢ هـ و ٦٦٣ هـ حرم المذر واغلق بيوته ومنع النساء من التزيين بازياء الرجال . وفي ذى  
القعدة من السنة التالية الغى ضمان الحشيشة وادب اكلهما ( المقريزي السلوك ٥٥٠ ، ٥٥٣ ) واعاد  
اعلان هذا المرسوم سنة ٦٦٥ هـ . ومنعت النساء من العمل في الحانات حتى انه امر بصلب ابن  
الكازروني في حالة سكره وعلق الكاس والجره في عنقه ( ابن شاکر الكتبي، ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١ ،  
المقريزي، السلوك ص ٥٥٣ ، ابن اياس، ج ١، ص ١٠٤ ) وخاف الناس وامتنعوا عن الشراب حتى قال  
الشاعر

مات يا قوم شيخنا ابليس وخلا منه ربعه المنوس .

وفي سنة ٦٦٧ هـ امر بازالة الخمر والغا بيوت النساء والخواطي ( المقريزي، السلوك ٥٧٨ ) وفي سنة  
٦٦٨ هـ قام بحملة تفتيشية على حانات الشراب والمواخير . وفي سنة ٦٦٩ هـ اعاد اعلان تعليماته مرة  
اخرى وفي سنة ٦٧٠ هـ امر " باراقة الخمر وازالة المنكرات " وفي سنة ٦٧١ هـ رفض ان يمنح المغنيين  
خلعا وهدايا . وفي سنة ٦٧٤ هـ شق مملوكا شرب الخمر ( ابن عبد الظاهر ص ٩٠ ، اليونيني، ج ٢  
ص ٤٥٤ ، الذهبي، ج ٢، ص ١٢٩ - ١٣٠ ، ابن شاکر الكتبي ج ١، ص ١٧٠ - ١٧١ ابن الفرات،  
ج ٦ قسم ٢، ورقة ٤٣، ٨٣، ٨٦، المقريزي السلوك ص ٥٠٣، ٥٢٥، ٥٥٠، ٥٥٣، ٥٩٥، ٥٩٧، ٦١٢،  
الخطط ج ١ ص ١٨٨ ج ٢، ص ١٠٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٥٤، ابن اياس،  
ج ١، ص ١٠٤ - ١٠٧ ) .

للحد منها ، لكن كثرة اصدار المراسيم تدل على انه لم يوفق الى حد بعيد للقضاء عليها .  
وقد انتشرت من بعده .

عاشرا - كان هذا المجتمع هرميا في شكله قاعدته السكان الاصليون فالمماليك الارقاء  
وراسه السلطان . ولكن طبقات هذا المجتمع كانت متميزة الى حد بعيد ، لاصلة بين  
الاعلى والادنى الاصلة السيد بالمسود . فهو جدار قائم مداما فوق مداما ولكن الحجارة  
في هذا المداما ليست مشدودة بعضها الى بعض .

#### الحالة الاقتصادية العامة .

---

وهنا ايضا لنسفن صوابا ان نتحدث عن الحالة الاقتصادية العامة في فترة  
وجيزة كفترتنا هذه . ولكنه لا بد من تسجيل بعض ملاحظات سريعة من خلال ما عثرت عليه  
في المصادر . وقد يكون هذا نواة لدراسة مقبلة اكثر شمولا ، تتناول عهد المماليك كله .

كانت مصادر الثروة في عهد الظاهر اربعة انواع هي .

اولا - غلات الارض المنطعة للامراء والخواص والاجناد . وقد كان قسم منها  
يعود الى الاهراء السلطانية بالاضافة الى الغلة التي تعود اليها من اراضي السلطانية .

ثانيا - الضرائب التي تؤخذ من التجار كالعشيرة على التجار القادمين الى مصر

وعلى المرور في شيوخها ورسو السفن فيها . وقد كانت مصر طريقا للقوافل التجارية بين

الهند واوروبا .

ثالثا - الضرائب العادية كالخراج والزكاة والجزية والجوالي والضريبة على المعادن

وعلى تركات الموارث • ومحصول دار الضرب (١) •

رابعا - المصادرات والاستخراجات • وقد كثرت هذه في عهد الظاهر • وهنالك امثلة

منها ضرب ابن الفقاعي في ١٠ شعبان سنة ٦٦٦ هـ حتى الموت بعد اخذ موافقته الخطيئة

على تسليم امواله للسلطان (٢) • ومنها مصادرة اموال شيخ خنبلي في ٢ شعبان سنة ٦٧٤ هـ

ومصادرة اموال الراشي على هذا الشيخ • والدافع للمصادرة هي التهمة بالفتح في الدولة (٣)

خامسا - الضرائب التي كانت تفرض على الناس عامة في الظروف الاستثنائية • وقد

كان يصادر الدواوين ويجبي الاموال مضاعفة من الرعية ، لاسيما جوالي النصارى • وكان

يصادر ارباب الاموال (٤) •

وبلغت مداخيل السلطان الظاهر ارقاما كبيرة ولا ريب ، يدل على ذلك ما انفق على

الحملات العسكرية الكبيرة • وكذلك كثرت الثروات الخاصة وبلغت ارقاما خيالية (٥) •

وكان دخل المملوك ، ايا كانت رتبته ، من فلة اقطاعه بالدرجة الاولى • اصف الى هذا

ما كان يعطى له قبل الحملة او بعدها ، وعند انتقال السلطنة ، وهو ما يسمى بنفقة البيعة ،

او ما يوزع عليه في مناسبات خاصة من لحوم وكسوة وعليق وخيل وجمال •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٤ ، القشندى ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،

ج ٧ ، ص ١٩٨ • (٢) اليونيني ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، (٣) اليونيني ج ٢ ، ص ٤٧٠ •

(٤) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٤ ، القشندى ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ ، المثريزى السلوك ، ص ٦٤ ، ابن

تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٨ •

(٥) ابن شلاكر الكتبي ، ج ١ ، ص ٣٧٤ •

وكانت النفقات ، تبعاً لذلك ، كبيرة ايضاً . فهناك النفقات في البيوت السلطانية وقد بلغت نحو نصف مليون دينار في احدى السنوات . والنفقات على الجيش ، وما يحظى للماليك من جامكيات ، وقد كانت تبلغ نحو ٣٨٠ الف دينار في السنة ، ونفقات دور الملوك واولادهم ، ثم الدرايات للفقراء والمستخدمين في القصور ، والطعام والحلف والكسوات والصدقات حتى بلغ ما ينفقه السلطان في سنة نحو مليون وستماية الف دينار وحموله ٣٠٠ مركب مسن الخلال (١) . هذا غير ما كان الامراء ينفقونه .

وعلى كثرة هذه النفقات فقد كان الظاهر حريصاً ان لا يخل بالتوازن بين الدخل والانفاق . ولذلك عين امينا خاصاً لبيت المال وكان يتشدد في جمع الضرائب ويلجأ الى المصادرة والتهديد بالاحراق والضرب بالمقارع (٢) . وكان يشرف بنفسه على ذلك كسي لا يخل بالتوازن . وقد رايناه يقوم بحملات على الاعراب لاجبارهم على الدفع .

وكانت في عهده انواع من الدراهم هي الكاملة والناصرية واليافية . وقد ضرب نقوداً باسمه فيها ٧٠ بالمئة فضة و ٣٠ بالمئة نحاساً ووضع عليها رنكه الاسد واستعملت مع الدراهم الاخرى في مصر وبلاد الشام (٣) .

وكان طبيعياً ان يعنى الظاهر بمصادر الثروة الداخلية كالزراعة والصناعة والتجارة . وقد كان السكان الاصليون يحملون بالزراعة والصناعة بالدرجة الاولى .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٢٤ ، ٩٠ ، ابن شاکر الکتبي ، ج ١ ، ص ١٧٠ القلقشندي ، ج ٣ ، ص ٤٥٢ - ٤٦٣ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٥٠٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .  
(٢) ابن الفرات ، ج ٦ قسم ٢ ، ورقة ٥ ، المقريزي السلوك ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٦٤٠ .  
(٣) المقريزي ، كتاب النقود الاسلامية ، ص ١٥ .

## الزراعة

كانت اراضي مصر في عهد الظاهر موزعة بين السلطان والامراء والاجناد . كانت  
للسلطان اربعة فراريط وكان الباقي موزعا بالتساوي بين الامراء والاجناد .  
اما في بلاد الشام فقد اختلف التقسيم . وقد راينا الظاهر يقطع الارض على امراءه  
بعد فتح قيسارية .

وعني الظاهر بالزراعة عناية خاصة فاوصى بالمحافظة على المزروعات وانشاء التسرع  
والخلجان والقنوات والغناطر والجسور كما يتبين مما ذكرناه في فصل سابق عن انشاءات هذا  
الرجل (١) .

## الصناعة

وعني ايضا بالصناعات المعدنية ، تدل على ذلك هديته لبركة خان (٢) . وهنالك  
ايضا صناعة الادوية وصناعة السفن ، والنسيج والزجاج والالات الحربية (٣) . ولعلنا لانعدو  
الصواب اذا قلنا ان الصناعة كانت حربية بصورة عامة كما نستدل من الاسواق الخاصة بالادوات  
الحربية ، وزخرفية كما نستدل من الاثار .

## التجارة

وفي عهد الظاهر نشطت الحركة التجارية . وقد عمل على ذلك بنفسه فعقد المعاهدات  
التجارية مع صقلية وقشتاله وارفونيهوالبندقية وجنوى وسيلان واليمن ونجست اسواق مصر بمختلف  
انواع البضائع (٤) .  
ولتشجيع التجارة كان يعنى بالمحافظة على سلامة الطرق التجارية من البحر الاحمر  
فالبحر المتوسط عبر مصر (٥) ولذلك وجه عناية للاستيلاء على بيروت .

---

(١) الفصل السابع  
(٢) ابن تخرى القضايا ص ١١٢  
(٣) المقريزي السلوك ، ص ٥١٦ و ٥٥٦  
(٤) القلقشندي ج ١٣ ص ٣٤٤ ، المقريزي ، السلوك ، ص ٧١٣ ، وعاشور ص ٢٠٩  
(٥) القلقشندي ج ٣ ص ٤٦٨ .

المجاعات :

ولئن كانت الزراعة والصناعة والتجارة مزدهرة في عهد الظاهر ، ولئن كانت المداخيل كبيرة والنفقات كثيرة ، فإن هذا لا يعني ان الناس عامة كانوا في خير . فقد كثرت المجاعات في عهد المماليك عامة . وكان منها في عهد الظاهر عدد كبير وتعود اسباب هذه المجاعات الى سوء معاملة المماليك البحرية كافراد ، للناس ، والى كثرة الضرائب المفروضة عليهم ، والى استغلال التجار والتمتولين اخبار الحروب والارجافات بالزخوف الخارجية ، والى الغش في ضرب النقود (١) والى الحركات الداخلية (٢) واخيرا الى شح النيل (٣) .

وفي سنة ٦٦٠ هـ اشتد الغلاء ببلاد الشام عامة ، ومات الكثيرون من الجوع (٤) وفي ربيع الاخر سنة ٦٦٢ هـ فلت الاسعار في مصر فلجأ السلطان الى خطة التسعير لكن الحالة ازدادت تازماً فجمع الفقراء ووزع بعضهم على الامراء ، وامر الامراء السلطانية ببيع ٥٠٠ اردب كل يوم بكميات قليلة ، واستبقى لنفسه بعضاً منهم لاطعامهم (٥) . ثم الغى بعض النقود المزيفة ، كالناصرية وعمد الى تخفيض مبلغ ضمان ضرب النقود (٦) . ثم امر بالخاء الضرائب (٧) .

- 
- (١) حدث فلاء عام ٦٥٨ هـ لان الفرنجة ضربوا نقودا يافيه مغشوشة فيها ١٥ / ٠ فضة فكان الناس يخرجونها بكثرة فالتخلص منها فيقع الغلاء ( ابو شامة ، تراجم ص ٢١١ ) والنقود التي ضربت في عهد الكامل تغيرت فصار الدرهم منها ٢٤ فلسا بعد ان كان ٤٨ . ( المقرئى ، افاشة الامة ، ص ٦٩ - ٧٠ )
  - (٢) تحركات سنجر الحلبي والبرلي ( ابن عبد الظاهر ص ٣٤ ) . (٣) كما في سنة ٦٦١ و ٦٧١ و ٦٧٢ هـ ابن اياس ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٨ (٤) اليونيني ج ١ ص ٤٩٩ ، ج ٢ ص ١٦٢ ، (٥) ابن عبد الظاهر ص ٩٤ - ٩٥ . اليونيني ج ١ ، ص ٥٥٥ و ج ٢ ص ٢٣٢ . المقرئى السلوك ، ص ٥٠٦ - ٥٠٨ . ابن تغرى بردى ، النجوم ج ٧ ص ٢١٣ - ٢١٤ وابن اياس ج ١ ص ١٠٣ . (٦) ابن عبد الظاهر ص ٩٥ . المقرئى ، السلوك ، ص ٥٠٨ (٧) المقرئى السلوك ص ٥١٤ .

وكانت الحالة العامة في السنوات الاولى من عهد الظاهر سيئة حتى انه اضطر لاعلان

الاعفاء من الرسوم في رمضان سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م وفي ذي الحجة سنة ٦٦٣ هـ (١) /

١٢٦٥ م

وهكذا نستطيع القول ان الممالك وعدد هم لم يتجاوز العشرين الفا كانوا طبقة  
تحكم البلاد على هواها وتستغل خيراتها، كأنها شركة يقتسم افرادها المنتوجات  
فيما بينهم باشراف السلطات وتظل كثرة السكان تحت رحمتهم \*

معاملة النصارى:

كانت معاملة السلطان الظاهر بيبرس للنصارى الاصليين من سكان البلاد عنيفة بوجه  
عام \* اما تعليل هذا فليس بالشئ اليسير \* قد يسهل فهم عدائه للنصارى الصليبيين  
الغزاة، ولكن المعاملة التي لقيها النصارى من سكان البلاد الاصليين، على يديه، بعد  
حسن علاقته مع الحبشة باستمرار ومع الاشكرى، احيانا، لا يمكن ان يفسر الا بانه تأثر  
بموقفه من الفرنجة من جهة وتغطية لمصادرة اموالهم من جهة ثانية \*

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٦٣ هـ وقع حريق في الباطليه في القاهرة، فاحترقت ٦٣ دارا

جامعة بينها ربيع فرج الاشراف المدينة وبيع العادل الموقوف على الشافعية \*

واتهم الظاهر النصارى واليهود بذلك وفي ١٨ شعبان امر بالقبض عليهم جميعا ووضعهم

---

(١) ابن عبد الظاهر، ص ١٠٤ \* اليونيني، ج ٢، ص ٣٢٤ \*

في جورة وحولهم الاحطاب المشتعلة، لكن راهبا يعرف بالحبيس وعد الظاهر بالتعويض عن

الحرائق بنصف مليون دينار فعفا عنهم (١) .

وفي ذى الحجة سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦ خرج الظاهر من دمشق لملاقاة جيشه عائدا

من غارة ناجحة على سيس فمر في قارا فنهبها وقبض على الرهبان ووسطهم واخرج اهل

البلد الى ظاهرها وضربت رقابهم جميعا واسر منهم نحو الف رجل وامرأة وولد . ثم احرقها

وخرّب كنيستها ثم حولها جامعا . واستبدل سكانها بتركمان . وسبب ذلك ان اهل قارا

كانوا يخطفون التجار واهل الضياع ويستولون على اموالهم وبضائعهم ويبيعونهم اسرى للفرنجة (٢) .

وفي سنة ٦٦٦ هـ احضر الظاهر الراهب (٣) وطلب منه المال كله فرفض هذا

تأديته دفعة واحدة لانه يسعف به المصادر والمعوذين فامر السلطان بتعذيبه حتى

مات ورمى بظاهر القلعة . ثم افق فقها الاسكندرية بشرعية مقتله لان في اعماله ما قد

يؤثر على ضعف النفوس من المسلمين .

---

(١) ابن شاکر الکتبی ج ١ ص ١٥٩ . ابن تغری بردی النجوم ج ٧ ص ١٤٠ . اليونيني ج ٢

ص ٣٢٠ - ٣٢٢ . ابن ابي الفضائل ص ١٣٥ - ١٣٧ . المقریزی السلوك ص ٥٣٥ .

ابن اياس ج ١ ص ١٠٤ . على انه ينبغي ان انوه هنا بثلاثة اشياء اولها ان المقریزی

يقول انه " اشيع ان ذلك من النصارى " مما يوحي بانه لم يكن متأكدا من الرواية .

وثانيهما ان المبلغ ٥٠٠ الف عند ابن ابي الفضائل واليونيني وهو خمسون الفا عند

المقریزی . وثالثها ان الذي ضمن دفع التعويض هو البطرک عند المقریزی، لا الراهب المعروف

بالحبيس . ثم ان اليونيني وابن ابي الفضائل يتفقان على ان الراهب كان يستخدم

هذه الاموال لمساعدة الذين يصادر اموالهم من سائر الطوائف " اما النويری (نقلا

عن E. Blochet، النهج السديد ص ٣٥٦ و ٤٧٦) فيقول ان الحرائق سببها النصارى

في مصر انتقاما لما فعله الظاهر بالفرنجة ببلاد الشام . (٢) اليونيني، ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

ابو الفداء، ج ٤، ص ٤٠٤ . ابن ابي الفضائل ص ٤٩٥ - ٤٩٧ . ابن الفرات ج ٦،

قسم ٢، فرقة ٧٨ . المقریزی السلوك ص ٥٥٢ - ٥٥٣ . (٣) كان كاتباً ثم ترهب .

مصادر ملحوظة ٢ ص ٢٢٠ . واليونيني ج ٢ - ص ٣٩٠ .

بيبرس والعلم والادب :

لم يكن الظاهر ليغفل اهمية اثر المدارس في تثبيت سلطانه وفي القضاء على المذاهب الدينية المعارضة . لذلك لم تكذب تستهبل سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ حتى دشّن المدرسة الظاهرية بباب القصرين يوم الاحد ٥ صفر . وفي هذه المناسبة القيت قصائد كثيرة، لم يحفظ لنا منها الا القليل .

ثم بنى الى جانبها خزانة كتب جلييلة، وبنى ايضا مكتبا قرر لمن فيه من اليتام خبز ا يوميا وكسوة لفصلي الصيف والشتاء (١).

وكذلك بنى في دمشق مدرسة ثانية عرفت بالظاهرية ايضا . وهي المعروفة بالمدرسة الظاهرية الجوانية بجوار الجامع الاموي . وقد كانت دار والى صلاح الدين الايوبي . ثم صارت دارا للعقيقي فمدرسة وترية للسلطان الظاهر (٢) . وبيدوان المماليك عامة زادوا عدد المدارس عن الايوبيين (٣).

اما الناحية الادبية، فارى ان اسجل عنها بعض ملاحظات .

اولا : كان في عهد الظاهر عدد من الشعراء لكنه لم يؤثر عن احدهم مجموعة كبيرة عن الشعر ليضعه في صف البهاء زهير مثلا . وقد توفي هذا سنة ٦٥٦ هـ . ولهؤلاء الشعراء نثف محفوظة في المجموعات التاريخية .

ثانيا : قيل هذا الشعر بمناسبة الانتصارات العسكرية على الفرنجة او التتر او الارمن وهي مقطوعات قصيرة قل ان تجاوزت الابيات القليلة . فلو اخذنا ما اثر لنا من شعر عن انتصارات

---

(١) ابن عبد الظاهر ص ٩١ - ٩٢ . المقرئى السلوك ص ٥٠٤ .  
(٢) النعماني، الدارس في تاريخ المدارس مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق . سنة ١٩٤٨، ج ١ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .  
(٣) القلقشندي، ج ٣، ص ٣٦٧ .

صلاح الدين في " كتاب الروضتين " لكان ضخما بالنسبة لما اثر لنا من شعر عن انتصارات الظاهر . ويقول ابن تغرى بردى ان عددا من الشعراء نظموا الشعر بمناسبة حملة الظاهر الاخيرة الى آسيا الصغرى لكنه لم يحفظ لنا الا قصيدة واحدة (١) ، واكبر مجموعة من الشعر قيلت في مناسبة ظفر الظاهر ذكرها ابن شاعر الكتبي (٢) وهي ايضا قليلة .

الثالث : ان القسم الاكبر من الشعر الماثور عن عهد الظاهر ببيبرس قاله ابن عبد الظاهر كاتب انشاء . فهل ان بقية الشعراء لم يقولوا فيه شعرا ام انه ضائع كله ؟ وحين مات الظاهر لم يرثه الا كاتب انشاء ابن عبد الظاهر ، بقصيدة طويلة حفظ ابن الفرات القسم الاوفر منها (٣) .

اما النثر فكان قسما اولهما الرسائل المتبادلة بين السلطان وولاته والدول الاجنبية وهي ركيكة ضعيفة عموما الا ما كتبها له ابن عبد الظاهر . ومراجعة " ذيل مرآة الزمان " لليونيني تعطينا صورة عن المستوى اللغوي الذي كان سائدا في هذه الفترة اما ما كتبه ابن عبد الظاهر فمجموع تتوفر فيه المحسنات اللفظية . واما الادب في هذه الفترة فكان تقليدا يعوزه الابداع ، ولذلك استعاض المؤلفون عن ذلك بالحجم فصارت المؤلفات مجموعات (٤) .

وهنا يبدو لي ان عهد الظاهر كان عهد توطيد سلطان وتثبيت اركان فلم يكن فيه مجال للنشاط الادبي . انه لم يستطع ان يترك في هذا الميدان اثرا كالذي تركه صلاح الدين الايوبي .

---

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٠ .  
(٢) ابن شاعر الكتبي ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .  
(٣) ابن الفرات ج ٧ ، ص ٩٠ - ٩٢ .  
(٤) E. Blochet النهج السديد ص ٣٦٧ .

وفاة الظاهر بيبرس ومكانته - خاتمة

كان الظاهر بيبرس في غزوته في آسيا الصغرى سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م وانتصر في هذه الغزوة، ثم عاد الى حلب فدمشق حيث توفي عصر يوم الخميس ٢٨ محرم سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ، بعد مرض استمر ثلاثة عشر يوماً وقد تجاوزت سنه الخمسين سنة وبعد ملك دام ١٧ سنة وشهرين واثنين عشر يوماً (١) .

نهار الخميس الواقع في ١٤ محرم سنة ٦٧٦ / حزيران ١٢٧٧ جلس السلطان يشرب القمز . وفي اليوم التالي احس بحرارة في باطنه وتقيأ ثم ركب الى الميدان بعد الصلاة وعاد الى القصر الا بلى أخو النهار . وتزايدت الحرارة في احشائه واستعمل دواء لم يشربه عليه طبيب فترأيد الالم . واستدعى الاطباء فاعطوه دواء ولمالم يفده هذا الدواء وصفوا له دواء آخر فزاد في اسهال معدته فتضاعفت الحمى ورعى دما ثم مات .

هذه هي العناصر الاساسية لقصة وفاته ويتفق عليها المؤرخون جميعا (٢) .

ليس في مثل هذه القصة شيء غريب . رجل جندي يرهق نفسه ويشرب القمز ثم يشعر بالحمى ويموت . ولكنه لم يكن بد من نسج اسطورة حول وفاته .

غزا الظاهر آسيا الصغرى ومعه الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن المعظم عيسى بن العادل ابي بكر ايوب قابلي هذا بلاء حسنا في المعارك بحيث اخذ الناس يلهجون باسمه بينما شعر الظاهر بالندم والخوف من توريط جنده في هذه الحملة . ثم ان

---

(١) الفوطي ص ٣٩٣ . المقرئ ، السلوك ص ٦٣٦ ، ابن تغرى بردى النجوم ، وهي ٢٧ محرم في المصدرين الاولين ويذكر ابن الفرات التاريخ ويرجع ٢٧ محرم . (ج ٧ ص ٨٩) . وهي ٢٧ محرم عند ابن عبد الظاهر . (ابن الفرات ج ٧ ص ٨٨) .  
(٢) الفوطي ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . ابو الفداء ج ٤ ص ١٠ . ابن الفرات ج ٧ ص ٨٨ . ابن ابي الفضائل ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . المقرئ ، السلوك ص ٦٣٥ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ١٧٥ - ١٧٧ .

المنجمين ، وقد اولع الظاهر بهم ، قالوا ان ملكا سيموت بالسم بدمشق سنة ٦٧٦ هـ . ومات الظاهر بيبرس في هذه السنة فكان لا بد من ايجاد علاقة بين قول المنجمين والوفاة وكانت صلة الوصل بينهما حكاية الملك القاهر وتسميه . ثم كانت بعد ذلك محاولة لتعليل التسميم .

شعر الظاهر بالحسد من القاهر بها . الدين ، اولعه اراد صرف النظر عنه بان اراد تسميم القاهر ، فدعاه للشراب معه واعد له سما ليدسه في كاسه . وكانت للظاهر ثلاث كاسات يشرب بها وحده ولا يسقي فيها معه الا من يختصه بمكرمة . وحدث ان قام الملك القاهر لبعض حاجته فدرس السلطان السم في كاس امسكها بيده الى ان يعود القاهر . فلما عاد هذا ناوله اياها ليشرب وقام بدوره لبعض حاجته . فشرب القاهر ما في الكأس واعطاها للساقى . ولما عاد الظاهر كان الساقى قد اعاد ملء الكاسات وشرب الظاهر من احداها من غير ان يفطن الى ان الساقى قد يكون خلط بين الكاسات من غير ان يدري . وللحال احس الظاهر بالتغير فعلم انه شرب بقايا السم الذى كان في الكاس .

هذه هي القصة التي تروى عن كيفية وفاة الظاهر نقلا عن اليوناني . وينفرد ركن الدين بيبرس الدوادارى في " زبدة الفكرة " بالقول بان التسميم يعود الى رغبة الظاهر في ان يصرف عنه ما قالته النجوم . ويشير ابو الفداء الى القصتين قائلا ان الظاهر نسي انه امر الساقى بالتسميم للملك القاهر وشرب بنفس الكأس . وينفرد ابن ابي الفضائل بعدم الاشارة الى قصة التسميم ويرد الوفاة الى الاكثار من شرب القمز واضطراب المعدة . ويرى ابن الفوطى ان الظاهر " سم في الماء الذى يستعمله في الطهور " ثم يروى حكاية رغبته بتسميم امير اراد التخلص منه فسقاه القمز المسموم ثم شرب في ذات الكأس . اما المقرئى فلا يؤيد تعليلا على تعليل . لكن ابن تغرى بردى يؤيد حكاية التسميم خوفا مما قالته النجوم ( ١ ) .

---

( ١ ) ابن الفوطى ، ص ٣٩٢ . ابو الفداء ، ج ١٠ ، ص ١٠ . ابن ابي الفضائل ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، المقرئى ، السلوك ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٧ - ١٧٩ ، والحاشية رقم ١ ، ص ١٧٨ منه .

وروى ابن الفرات التعليقات المتعددة بشأن وفاة الظاهر فقال ان خاطر الشيخ الامام محي الدين النووي تغير عليه لنكته بوعدة له باعفاء اهل دمشق من جباية الاموال ومطالبته بجبايتها كاملة غير منقوصة . وقال ان شدة الفرح من نصره في آسيا الصغرى حملته على الاكثار من شرب القمز فاحسى بتوعك . وقال ان حسده من القاهر ولوم هذا الاخير له لتورطه في حملة آسيا الصغرى جعلوا الظاهر يعمل على تسميمه . وكان التسميم بيد الظاهر نفسه . على رواية ، وبيد الساقى بامر منه ، في رواية اخرى ، ثم شرب الظاهر من ذات الكأس على جهل منه بحقيقتها فكان تسممه ومرضه ووفاته .

نقل ابن الفرات حكاية التسميم عن اليونيني . اما عن ابن عبد الظاهر فنقل الكثير مما قاله هذا بشأن وفاة السلطان ولكن يبدو ان ابن عبد الظاهر لم يذكر شيئا عن حكاية التسميم . بل قال ان السلطان ركب عصر يوم الجمعة ١٤ محرم " في ميدانه كلفه مودع لآخذانه ومترودا من روية موكبه وركوب حصانه ونزل والتا جسمه تلك الليلة بعض التيات واصبح واصبح وليس عنده ذلك الا نبعث (١) .

وابن شداد ايضا لا يأتي على حكاية التسميم . وانما يبدو انه يجعل الاكثار من شراب

القمز سبب المرض والوفاة . ويقول ان الاطباء ظنوه مسموما حين دفع دما محتقنا (٢) .

ويقول S.Runciman ان بعض الاخباريين الفرنجة قالوا انه مات متأثرا بجراحه

في المعركة (٣) . وهكذا يبدو ان حكاية التسميم والتسميم تكون موضوع جدل ولعل نفيها

هو الاصوب . وقد سكت ابن الفرات والمقريزي عن نفيها او تأييدها . ولمثل هذا السكوت

معنى . ثم ان ابن عبد الظاهر وابن شداد لم يأتيا على ذكر مثل هذه القصة . وكذلك

(١) ابن الفرات، ج ٧، ص ٨٤ - ٩٠ .

(٢) ابن شاعر الكتبي، ج ٢١، ص ١٧٥ .

(٣) S.Runciman ج ٣، ص ٣٤٨ .

فعل ابن ابي الفضائل \* واخيرا فان الطريقة التي قيل ان التسميم جرى بها ليست مما يتفق ووسائل الظاهر \* انه لم يتخذ الحذر الكافي وقد عودنا السلطان ان يكون حذرا ، مبالغا في حذره \* ثم ان بوسع الظاهر ان يعقل الملك القاهر اذا كان لا بد من اقصائه ويتركه في معتقله يموت شيئا فشيئا \* ثم ان مشيئة الظاهر بان يحول عنه ما يتوله المنجمون ليس منطقيا \* لماذا يكون هذا العظيم الذي سيموت في دمشق هو الظاهر بعينه ؟ ولعل منشأ حكاية التسميم يعود الى ان الاطباء ظنوا الظاهر مسموما \*

ولما مات السلطان كتم نائب السلطنة الامير بدر الدين بيبيك الخزندار موته وكتب للسعيد ابنه يعلمه بوفاة ابيه \* ثم حملت الجثة على محفة في الليل كان السلطان مريض ونقلت من القصر الابلق الى قلعة دمشق \* وقد حمل الجثة كبار الامراء امثال سيف الدين قلاوون وشمس الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسرى وبدر الدين بيبيك الخزندار وعز الدين اقوش الافرم وعز الدين ابيك الحموى وشمس الدين سنقر الالفي وعلم الدين سنجر الحموى \* ثم غسلوه وحنطوه وتركوا الجثة بالقلعة \* واشيع انه مريض \* ثم سار الخزندار بالجيسر بمحفة فارغة الى مصر \*

ثم ان السعيد لما وصلته الرسالة فانه اظهر الفرح تضليلا للناس ثم ركب على عادته ثم وصل الخزندار القاهرة في ٢٦ صفر تحت السناجق الظاهرية \* ولما تسلم السعيد الخزائن والجيش اعلن خبر الوفاة وصاح الحاجب : يا امراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر \* ثم جددت الايمان للسعيد \* وفي اليوم التالي يوم الجمعة ٢٧ صفر، دعا الخطباء للملك السعيد وصلوا على الملك الظاهر صلاة الغائب

كان الظاهر قد اوصى ان يدفن على الطريق السالكة قريبا من داريا • لذلك  
كانت جثة الظاهر لا تزال في دمشق • فامر السعيد بشراء دار العقيقي وجعلها  
مدرسة للشافعية والحنفية، وانشأ فيها قبة لدفن الظاهر • وتم البناء في آخر  
جمادى الآخرة • عندها ارسل السعيد الامراء الى دمشق، وفي ليلة الجمعة ٥ رجب  
حفلوا جثة السلطان من القلعة على الاعناق الى جامع اميه حيث صلي عليها ثم حملت  
ودفنت بقبة المدرسة (١) •

وهكذا انتهت حياة هذا الرجل •

وكان طبيعيا ان تترك وفاته اثرا في الادب • وقد رثاه ابن عبد الظاهر بعدة مرات  
نقل ابن الفرات احداها • ولعل اجمل ما قاله ابن عبد الظاهر فيه هو ما ختم به سيرة  
السلطان : نزل في قصره بالميدان الاخضر معتقدا ان الدنيا قد حصلت في يده •••  
واذا المنية قد نشبت اظافرها ••• ووجه السرور قد قطب وابولهب الحزن قد حطب ••  
ورماح الخط وقد قالت لاقلام الخط اصبحت في لبس الحداد من المداد والسيوف والقلوب  
وقد قالت عند شق الجيوب نحن احق منك بهذا المراد، والحصون وقد قالت لقصره الابلق  
ما كان بناؤك على هذه الصورة الا قالا بما يسود الجدران به عند الفجائع من السواد •••  
فاى عين لم تبكه بدموع محاجرها حتى عيون الارض واى قلب لم يأس عليه واى خد لم يلطم  
عليه ••• (٢) •

---

١ ابو الفداء، ج ٤، ص ١١، ابن ابى الفضائل، ص ٢٧٦ - ٢٧٩، ابن الفرات، ج ٧،  
ص ٨٩ • المقرئى، السلوك، ص ٦٤١ - ٦٤٣، ٦٤٦ • ابن تغرى بردى النجوم  
الزاهرة، ج ٧، ص ١٧٥ - ١٧٧ • ابن اياس، ج ١، ص ١١١  
(٢) ابن الفرات، ج ٧، ص ٨٧ - ٨٨ •

والآن بعد ان تناولنا سيرة هذا السلطان بتفصيل ارى ان نعمد الى تقدير مكانته

واثره وان نقول الى اى حد كان مبدعا والى اى حد كان مقلدا في ما قام به ( ١ ) .

وقبل الادلاء برأى في شخصية السلطان الظاهر بيبرس ارى ان استعرض ما قاله المؤرخون

المحدثون والقدامى \*

( ١ ) للظاهر مكانة عظيمة في القصص الشعبي \* ولكنني لست انوى معالجة هذا الموضوع هنا .  
وقد تناوله عبد الحميد يونس في مؤلف صغير عنوانه " الظاهر بيبرس في القصص الشعبي " ( سلسلة المكتبة الثقافية ، رقم ٣ ، الادارة العامة للثقافة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دار القلم - مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ ) ويرى عبد الحميد يونس ان السيرة " ترسم الظاهر بيبرس كما يحب الشعب " ان تكون ، ويعتبرها " صورة الشعب الذي تحكي ملامحه وقسماته " ( ص ٥ ) \* وهو يدرسها من ناحية ادبية وفنية \* ويراها وثيقة " تصلح لدراسة المجتمع العربي الاسلامي " في عصر كتابتها ( ص ١٧ ) \* والظاهر بيبرس ، في هذه القصة ، " منقذ " ينتظره الشعب بفارغ صبر ( ص ١٩ ) \* وميزة هذه السيرة انها تعنى ببيبرس قبل وصوله الى السلطنة ( ص ٢١ ) \*

والطابع العام الذي يطبع السيرة ، خيالي \* والسلطان الظاهر فيها حاكم عادل يعني بالدفاع عن رعاياه ، وحمائتهم \* واهمية هذه السيرة التاريخية هي انها تمثل الغذاء العقلي الذي كانت الجماعات الكبيرة من المسلمين تتقبله في القاهرة في العصور الوسيطة المتأخرة R.Paret مادة Baybars Romance ، الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، مجلد ١ ص ١١٢٦ - ١١٢٧ \*

ويستدل من المصادر ان حياة الظاهر بيبرس كانت قد اصبحت اسطورية في عهده يدل على ذلك قلق الناس عليه يوم تقنطر عن فرسه في محرم سنة ٦٦٥ هـ وهو يتصيد عند بركة زيزا ، وفرحهم يوم ضربت البشائر بشفائه \* ويدل على ذلك ايضا حكاية وجود صندوق عليه " كتابة اسم الملك الظاهر هذا وصفته " في حفرة تحت باب قصر من قصور الخلفاء الفاطميين ( المقرئى ، السلوك ، ص ٥٥٥ \* ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٦٣ ) \*

هنالك فئة قليلة لم تر له فضلا في كل ما قام به اذ انه ورث اركان السياسة الخارجية والنظم الداخلية عن الدولة الايوبية التي نشأت تلبية للشعور بالخطر الصليبي (١) وهو ظالم يفرض الضرائب بحجة الحاجة للمال لانفاقه في سبيل الجهاد (٢) لكن اكثرية المؤرخين يتناولون هذا السلطان بتفصيل اوسع وينظر اليه من زوايا مختلفة . وقد رأيت استعراض هذه الآراء كما يلي :-

(١) سعة الدولة والادارة : كان السلطان الظاهر اول السلاطين المماليك الاقوياء الذين " ابتنوا امبراطورية شاسعة الارحاء ممتدة الاطراف " ونقل مقر الخلافة العباسية من بغداد الى القاهرة واخذ بتنظيم الدواوين وتحديد اختصاصات كبار الموظفين وتأسيس اول جيش ثابت في مصر في العصور الوسطى (٣) . و اشار آخر الى اهمية نقل مركز الخلافة والتنظيمات الادارية (٤) . ونوه Muir بسعة الدولة المملوكية في عهد الظاهر من الفرات حتى النيل ومن آسيا الصغرى حتى سواكن باستثناء بعض القلاع الصليبية وقال انه و طد سلطانه بادارته الحكيمة واكتسب ثقة الناس بوسائله الشرعية التي كان يلجأ اليها ويحسن معاملة مماليكه (٥) وهو في طبيعة حكام عصره من حيث تصريف الشؤون الادارية بحكمة ولباقة ومن حيث وضوح الاهداف (٦) .

- 
- (١) عاشور، ص ٥١ .  
(٢) رزق، محمود سليم، ج ١، قسم ١، ص ٣٤ .  
(٣) عطيه، عزيز سوربال، مقدمة الطبعة الثانية، دراسات في تاريخ المماليك لعلي ابراهيم حسن صفحة ج .  
(٤) حسن، زكي محمد، مصر والحضارة الاسلامية، نقلتها عن المصدر السابق ص ٤٢ .  
(٥) Sir W. Muir ص XII و ٥، ١٤، ١٧، ١٨، ٣٠، ٣١، ٢٢٠ .  
(٦) S. Runciman ، ج ٣، ص ٣٤٨ .

(٢) نشاطه ومقدرته : والدولة المملوكية فريده من نوعها ان استطاع جماعة عسكرية تتزايد باستمرار عن طريق الشراء ، ان تسود بلادا غنية لمدة تزيد عن القرنين . لاسباب عديدة منها ظهور الظاهر بيبرس في اول عهد هذه الدولة (١) وهو مثل رائع على النشاط الذى ادى الى الانتعاش السياسى ، غير المتوقع . ففي هذا السلطان الذى لامثيل له فرضت مصر سيادتها على الشرق ، على رغم الاضطراب الذى اعقب سقوط الخلافة العباسية والمحاولات التى قام بها الصليبيون والتتر للتحالف والمؤامرات التى حاكها الامراء الايوبيون والامراء المماليك ذوو المصالح الشخصية . لقد كان الظاهر عبقرىا حين رحب باللاجئ العباسى واعترف به خليفة فجنى من هذا العمل السيادة على الحجاز واستطاع بذلك ان يزعم ان مصر دولة اسلامية .

وكانت حياته سلسلة من الحملات العسكرية . ففي ١٧ سنة قام بثماني وثلاثين حملة عسكرية قاد منها ١٥ بنفسه . وكانت تسع منها ضد المغول ، وخمس ضد ارمينيا وثلاث ضد الاسماعيلية واحدى وعشرون ضد الصليبيين . وقد قطع في هذه الحملات اكثر من اربعين الف ميل . ولقد كان نشيطا قبل السلطنة وظل كذلك بعدها (٢) .

(٣) القسوة والغدر : والظاهر بيبرس هو المملوك النموذجي في حسناته وسيئاته معا . ان اعمال الغدر والابتنزاز والخيانة التى قام بها لوثت اسمه الذى كان ، لولاها ، نظيفا بصفته حاكما قام بخدمات كثيرة ، وبانشاءات دينية وعمرانية عامة . كان عادلا في ادارته لكنه كان يصغي الى الوشائيات المريية ويستهن بالحياة البشرية . وكان الغدر ابرز

(١) E. Blochet ص ٣٤٥ - ٣٤٥ و Sir W. Muir ص ٢١٥ .

(٢) G. Wiet ، مادة بيبرس بالموسوعة الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، ج ١ ، ص ١١٢٥ -

صفاته ، وكان لا يتورع عن اللجوء الى اية وسيلة لبلوغ اهدافه . والمثال على ذلك ما فعله بالمغيث بعد ان اقسام له الايمان المغلظة على امانه . لكنه اكرم عائلته (١) .

(٤) اثره : لقد كان ذا عقلية متفتحة بحيث انه ترك في المصريين اثرا ابعد مما تركه صلاح الدين . وكان له دور هام في تنظيم الجيوش المملوكية ، وكان لهذا التنظيم على اساس الولاة المذهبي ، اثر في تنظيم الجيوش الاو رومية في القرون الوسطى على نفس الاساس ايضا (٢) . وكان سببا رئيسيا مكن لجماعة عسكرية تتزايد باستمرار عن طريق الشراء ان تسود بلادا غنية لمدة تزيد عن قرنين (٣) .

ومجده آخرون حتى صار الظاهر بطلا وطنيا " حفظ وطننا المحبوب من غارات اعدائه " وبذلك اظهر " الحضارة المصرية بمظهر يعتبر نواة لنهضة دولة المماليك التي قامت عليها نهضتنا الحديثة من قريب او من بعيد " (٤) ، وصار عصر المماليك ، بفضل انشاءات الظاهر من ازهى عصور " تاريخ مصر القومي " (٥) .

وارى ان اختم هذه المحاولة لجمع آراء المؤرخين بالظاهر برأين احدهما لستيفنسن والآخر لكاهن . وفيهما موجز لجميع هذه الآراء . قال الاول :

كانت سلطنه الظاهر ببيرس بداية مرحلة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية .

ان سياسته التي كانت عودة لسياسة صلاح الدين الايوبي ، كانت كذلك مبنية على نشاط متواصل

وبعد نظر سياسي ، لكن الرجلين كانا متباعدين من حيث الخلق الشخصي . " لقد كان

السلطان الجديد هو الرجل المناسب لاستغلال الوضع على افضل وجه " وهو شخصية فذة

(١) Sir W. Muir ، ص XII ، ٥ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٢٠ و F. Sadeque

ص ٦٩ - ٧٣ ، و S. Runciman ج ٣ ص ٣٤٨ ، و R. Grousset ج ٣ ،

ص ١٧ و ٣٠ من المقدمة (٢) F. Sadeque ، ٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من المقدمة و ص ٦٩ - ٧٣ .

(٣) E. Blochet ، النهج السديد ص ٣٤٥ - ٣٤٦ و Sir W. Muir ، ص ٢١٥ .

(٤) سرور ، ص ٧ . (٥) ملحوظة ٣ ص ٤٤٩ عطية .

اخذ على عاتقه ان يستعيد بلاد الشام من الصليبيين . وكان المتوقع ان لا يلاقي صعوبات في ذلك بسبب ضعف الصليبيين ، لكن حروبه مع شعوب اخرى والمصاعب التي صادفها في سبيل الاحتفاظ بممتلكاته جعلت هذه المهمة صعبة . وقد نجح في هذه المهمة بسبب صفاته الخاصة قبل كل شيء . اما الخيانة والقسوة اللتان صبغنا سيرته فافادتا ان انهما لم تسنحا لخصومه ان يكونوا خطرين عليه . وتمتع فوق ذلك بصفات حسنة ابرزها نشاطه المتواصل وسرعة حركاته السرية التي كانت تأخذ الخصوم على غرة . وكان جنديا شجاعا وقائدا قديرا وسياسيا ثاقب النظر . وكان يعنى بالفنون والآداب والبناء . ولم يكن يتمتع بحب اى طبقة من طبقات الرعية لكن الجميع كانوا يحترمونه ويخافونه لشجاعته ونجاحه . كان يفتيه فخرا انه احتل انطاكية ( ١ ) .

وقال الثاني : السلطان الظاهر شخصية غريبة عجيبة . تدرج من رقيق الى مرتبة السلطنة . فهو اذا شخصية نادرة في عصور الاسلام المتأخرة يجمع بين الغدر والقسوة والشجاعة والاقدام والاحتيال من جهة . لكنه ، يتمتع الى جانب ذلك ، بذكاء سياسي مقرون بالحزم والجرأة والحذر ، وباحساس دبلوماسي حاد ، وبمعرفة تامة بالشؤون العسكرية . وبالاختصار . فقد كان بيبيرس رجل دولة عظيما ، استطاع ان يستغل الظروف الناشئة من الغزو المغولي لاقامة دولة لعلها اقوى دولة عرفها الاسلام ( ٢ ) .

ومن هذا الاستعراض ، يتبين لنا ان المؤرخين الاقله منهم ، اجمعوا على الاعتراف بشخصية الظاهر الفذة القوية وبمآثمه الرائعة في الميدانين الداخلي والخارجي .

---

( ١ ) Stevenson ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ ، ٣٤٦ .

( ٢ ) C. Cahen . ، ص ٧١٣ .

ولكن المؤرخين المصريين يجعلون منه مثالا للوطنية، غايته الدفاع عن مصر، ومثالا للحاكم الصالح في تشجيعه الفنون والآداب، كانه قام بذلك عن وعي وادراك • وايدتهم في ذلك فاطمة صادق الى حد بعيد • وكأنني بها تعتبر الولاة للسلطان والولاة للدولة شيئا واحدا • وكانني بها تراه موضوع ملحمة انسانية اشبه بقصة عنترة • ولم يشر هو الولاة الى الناحية الخلقية فيه •

اما المؤرخون الغربيون، فاشاروا الى مقدرته العسكرية والادارية، والى سعة نشاطه في مختلف الميادين، لاسيما في ميدان الحروب مع التتر والصليبيين • لكنهم ابرزوا الناحية الخلقية السيئة عنده •

وقبل متابعة مناقشة هذه الآراء ينبغي ان اذكر آراء المؤرخين القداما بالسلطان الظاهر •

السلطان الظاهر فارس، شجاع خبير بمداخل الحروب ومخارجها — عادل لا يسمع بوقوع

مظلمه ، حلیم يهفو ولو انه قادر على غير الحلم والعفو، يرفض ان يستولى على شيء ليس

له ، كريم يبذل بسخاء على امرائه واجناده • وهو شخصية مشرقة لامعة، منقذة، تجمع

افضل الصفات الانسانية وانبلها • كان عبدا فصار سلطانا • كان دائم النشاط والحركة ،

محدد الاهداف، واضح الخطوات، يسهم بنفسه في تنفيذ التعليمات التي يوصي بتنفيذها (١) •

ويتبين لنا من النصف التي لدينا من سيرة ابن شداد ان هذا ايضا يجارى ابن عبد

الظاهر في النظر الى السلطان، ولو انه لا يمتنع عن اظهار مافعله الظاهر بخصوص الضرائب •

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ١ ، ٢٠ — ٢٧ •

وقال عنه شافعي بن علي بن عباس صاحب " المناقب السرية المنترعة من السيرة  
الظاهرية " انه احسن القيام باعباء المملكة واقام منار الاسلام وحارب الفرنج والتتر واحتل  
الحصون وكان مظفرا في جميع حملاته . ثم انه كان ماضي العزائم ، احرز الانتصارات المتواصلة  
على اعداء الله " (١) .

وكذلك امتدحه ابن الفوطي (٢) .

وقال ابو الفداء انه " كان ملكا جليلا شجاعا عاقلا مهيبا (٣) " وقال الذهبي عنه  
" انه البطل الهمام فارس الاسلام ليث الحروب السلطان الكبير . . . . . اشتهر بالفروسية  
والاقدام ثم كان طليعة الاسلام يوم عين جالوت (٤) " ونقل ابن تغري بردى عنه انه  
قال ان الظاهر " كان خليقا بالملك لولما كان فيه من الظلم والله يرحمه ويغفر له  
فان له اياما بيضا في الاسلام ومواقف مشهورة وفتوحات معدودة (٥) .

وقال ابن ابي الفضائل ان الظاهر " كان شجاعا بطلا مقداما هماما عسوقا عجولا جبارا  
محبا للاموال كثير المصادرات للرعية والدواوين خصوصا لاهل دمشق . فانه كان يكرههم  
ويكرهونه وعزم مرتين على خلوها وتحريقها (٦) .

وقال ابن كثير فيه انه " كان شهما شجاعا عالي الهمة مقداما جسورا معتنيا بامر  
السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحليا بالملك له قصد صالح في نصره الاسلام واهله ،  
واقامة شعائر الملك . . . . . (٧) .

---

(١) نقلها عن سرور ص ١٧١ . ورقة ١٣ أ - ب . (٢) ص ٣٩٢ - ٣٩٣ . (٣) ج ٤ ص ١١ .  
(٤) دول الاسلام ج ٢ ، ص ١٣٤ . (٥) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٧٨ .  
(٦) ابن ابي الفضائل ، ص ٢٨٣ . (٧) ج ١٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ .

وقال المقرئى انه " كان من خير ملوك الاسلام " بوجه عام . وقد كان امراؤه يخافونه  
مخافة شديدة حتى لم يجسر احد ان يدخل عليه في مرضه بغير اذن . " وكان خفيف الركاب  
طول ايامه ، يسير على الهجن وخيول البريد لكشف القلاع والنظر في الممالك . فركب  
للعب الكرة في الاسبوع يومين يوما بمصر ويوما بدمشق ( ١ ) .

وقال فيه ابن تغرى بردى انه اطال ترجمته لانه " مستحق لذلك لانه فرع فاق اصله ،  
كونه كان من جملة ممالك الصالح نجم الدين ايوب فزادت محاسنه عليه . . . . . وكان . . . . .  
ملكا شجاعا مقداما غازيا مجاهدا مرابطا خليقا بالملك خفيف الوطأة سريع الحركة يياشر  
الحروب بنفسه ( ٢ ) ."

واما رأى ابن الفرات فيه فواضح من انه كتب سيرته في جزئين وبعض جزء . ومع انه  
يشير عادة الى الاراء المختلفة في الظاهر . عند اختلاف الرأى في عمل من اعماله ، فان  
الطابع العام الذى يطبع سيرته هو اظهار هذا السلطان بمظهر الرجل القوى الذكى الذى  
يعرف كل شىء ولا تفوته شاردة ولا واردة .

وقال ابن اياس عنه انه " كان شجاعا بطلا " اظهر من الشجاعة ما لم يسمع بمثله .  
وقال انه " كان ملكا عظيما جليلا مهيبا كثير الغزوات خفيف الركاب . . . . . وكان يلقب بابي  
الفتوحات في ايامه . . . . . وكان كريما سخيا على الرعية باسط اليدين . . . . . وكان محبا لجمع  
الاموال كثير المصادرات للرعية لاجل الغزوات والتجاريد . . . . . وكان كفوا للسلطنة منقادا  
للمشريعة يحب العلماء والصالحين ويحب فعل الخير وله بر ومعروف وآثار لا سيما ردة الخلافة  
لبنى العباس . . . . . وكان من خيار ملوك الترك ( ٣ )

---

( ١ ) المقرئى السلوك ، ص ٦٣٨ و ٦٤١ . ( ٢ ) ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٧٧  
و ١٩٩ . ( ٣ ) ابن اياس ج ١ ص ٩٨ و ١٠٩ - ١١٠ .

وقال عنه التتعيي ان " له فتوحات مشهورة ومواقف مشهودة، ولولا ظلمه وجبروته

في بعض الاحايين، لعد من الملوك العادلين " (١) .

ونستنتج من هذا ان المؤرخين القديما رأوا في الظاهر شخصية ذات ثلاثة جوانب —

صفاته الشخصية العسكرية — ونجاحه في محاربة " اعداء الله " — و صفاته الشخصية

الخلقية . فاثنوا على مقدرته الشخصية العسكرية وشجاعته واجمعوا على انتصاراته

على الخصوم من تتر وفرنجة . اما الصفات الشخصية الخلقية فكان بين المؤرخين اختلاف

بشأنها، كما رأينا .

وهنا لابد من مناقشة هذه الآراء، جديدها وقد يمها، قبل محاولة تكوين رأى بصدد

هذا السلطان .

لناخذ الناحية العسكرية من جميع وجوهها — من حيث مقدرته الشخصية وكفاءته

العسكرية وانتصاراته، واهمية هذه الانتصارات .

ويبدو انه لامجال للجدال في كفاءته العسكرية وشجاعته وانتصاراته . بيد انه

يبقى لنا سوء الان : ماهي اسباب الانتصارات اولا وما هي اهمية هذه الانتصارات ثانيا ؟

لاريب ان انتصاراته تعود بالدرجة الاولى الى مقدرته العسكرية وحسن تنظيم جيوشه

والى دبلوماسيته من جهة، والى ضعف خصومه الصليبيين والى تعذر اتفاقهم مع التتر

من جهة ثانية . لقد ابدى الظاهر حنكة ودراية في الميدانين العسكري والدبلوماسي، ولكن

ينبغي الا نستهمين بالناحية الاخرى وهي ان خصوم الظاهر كانوا ضعافا من الناحية العسكرية

وضرب الصليبيين قبل ان تصلهم نجدات التتر والاوربيين .

---

(١) التتعيي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص ٣٥٠ .

اما اهمية هذه الانتصارات فكبيرة ولكن ينبغي الا نبالغ فيها . يرى C H Becker ان طرد الصليبيين كان اقل اهمية من صد الزحف المغولي . وعنده ان انتصارعين جالوت لم يكن صدفه ، اذ ان المماليك استطاعوا النصر في المعارك التالية مرة بعد مرة (١) . هذا صحيح ويرى مؤرخ ان الحضارة العربية كان مصيرها الزوال لو قدر للتر ان ينتصروا في عين جالوت (٢) . ويبلغ كذلك جمال الدين سرور في اهمية هذه المعركة التي انقذت "وطننا المحبوب" وحفظت الثقافة التي كانت اساس النهضة المصرية الحديثة (٣) . في هذا مبالغة كبيرة . ان معركة عين جالوت كانت هامة ولكنها لم تكن حاسمة . اليسر في الانقسامات التترية عبر الفرات سبب هام لهذا النصر المملوكي ؟ ألم يكن بعض التتريسيون على كتيبا ، قائدهم ، ان لا ينازل قطز وعدة جيشه نحو المئة الف ؟ ثم هل كان دور الظاهر في هذه الحملة التي ادت الى نصر عين جالوت ، اعظم من الدور الذي قام به قطز . كلا ، لقد كان قطز منظم الحملة وقائدها ، ولم يكن للظاهر اكثر من دور الجندي المنفذ بمقدرة ومهارة ، خطة القائد الحكيم .

وبعد فهل كان بإمكان التتر ان يبقوا في بلاد الشام فيما لو انتصروا في عين جالوت ؟ او ان يمتدوا الى مصر ؟ ان جوابي على هذا السؤال هو بالنفي . فبعد ان عاد هولاء من حلب على اثر وفاة الخاقان الاعظم ، لم يكن بإمكانهم البقاء في بلاد الشام . لان عددهم كان قليلا ، نحو العشرين الفا ، ولان انقسامهم وراء الفرات ، حال دون وصول نجدات جديدة واذا تذكرنا ان التتر لم يستطيعوا قبل قرن ونصف من الزمن ان يتوغلوا في بلاد الشام ، كان لنا ان نحكم ان التتر كانوا قد وصلوا الى الحد الاقصى من امتدادهم في بلاد الشام . كان لابد للتر من التراجع لكن المماليك عجلوا فيه .

---

(١) E. Blochet (٢) ص ١٠ - ١١ .

النهج السديد ص ٣٦٦ . (٣) سرور ص ٧ .

وهنا اود ان اتساءل : الم يكن قدوم التتر هو الذى سهل للمماليك قيام دولتهم ؟  
هذا معقول جدا . فلولا انتصار التتر على الخليفة لما كانت مصر الملجأ البعيد المضمون  
جغرافيا للهاربين من التتر . ثم ان الناصر صلاح الدين يوسف كان في سبيل توحيد  
بلاد الشام لمقاومة التتر ، لولا اصطدامه بالمماليك وانشغاله بهم عن الخطر الاساسي .  
ثم ان قطز وعد الناصر بالنجده ولكنه لم يعجل بها .

واما انتصاراته على الصليبيين فكبيرة حقا . ولكنه ينبغي لنا ان لانسى ان الصليبيين  
كانوا منقسمين ايضا وانه لم يكن بإمكانهم البقاء طويلا في هذه الحال . التتر لا يستطيعون  
مساعدتهم والاوروبيين لا يقدرّون ان ينجدوهم . ان احتلاله انطاكية وحسن الاكراذ عمل  
عسكري مجيد عجل في القضاء على الصليبيين بحيث لم يبقوا بعده اكثر من خمسة عشر عاما  
حين سقطت عركاليس آخر معقل لهم بيد الاشرف خليل . واذا كان الظاهر فعل اكثر من  
اضعاف الصليبيين فلماذا لم يستطع ان يحتل عكا وهي اقرب اليه ؟ ولماذا قبل بالصلح  
مع طرابلس ؟ لقد كان يعلم ان القضاء على الصليبيين لا يمكن ان يتم دفعة واحدة فينبغي  
ان يصيب فيهم نقطة الضعف .

ثم اليس يحق لنا ان نساءل قليلا عن حسن تقدير الظاهر لنتائج بعض حملاته العسكرية ؟  
اليس يحق لنا ان نتساءل عن الفائدة التي جناها ، او توخاها ، من حملته الاخيرة على آسيا  
الصغرى ؟ ان فائدة هذه الحملة اقل بكثير من النفقات المالية والضحايا البشرية التي  
هدرت فيها . اتراه كان يتوخى احتلال آسيا الصغرى ؟ مثل هذا الحلم دليل على  
سوء تقدير لامكانياته العسكرية . ام تراه كان يدافع عن بلاد الشام ؟ وهنا ايضا ارى ان  
السلاجة كانوا اضعف من ان يهددوا بلاد الشام . ام ان الحملة كانت ترتدى طابعاتظاهريا  
وحسب ؟ هذا ما يخيل الي . لقد كان يريد ان يرى خصومه انه يستطيع دخول

عواصمهم غير مبال بالثمن • وقد قال G. Wiet انه قام بتسع حملات عسكرية ضد المغول كانت هجوما معاكسا ، الا حملته الاخيرة فقد كانت بدافع منه (١) • حقا لقد كان مستهترا بالارواح البشرية •

وبعد فلماذا يكون النصر على التتر عملا ضخما ؟ ان انتصاره على التتر حمى الثقافة العربية • ولكن هل كان الظاهر ينوى حماية هذه الثقافة ؟ وهل كانت لديه مثل هذه المفاهيم ؟ وليس بوسعي هنا ان اناقش في نوع الثقافة العربية التي ازدهرت بعد انتصاره على التتر • ينبغي لنا مثلا ان نقابل ما فعله ايلخانك فارس للثقافة لنرى ما اذا كان الظاهر بصورة خاصة ، والمماليك بصورة عامة ، كانوا اشد حذبا على الثقافة • ان المماليك حين حاربوا التتر والصليبيين ، كانوا يعملون للمحافظة على سلطانهم • ومع هذه الرغبة والعمل لتحقيقها ، تحققت بعض المنافع المادية لمصر وحسب •

ولناخذ الان ناحية ثانية هي الصفات الشخصية الخلقية • قد لا نستطيع ان ننكر ان الظاهر كان قاسيا عسوقا عجولا ، وانه كان غدارا • ثم اننا لن نستطيع ان ننكر انه كان سخيا كريما ايضا ، وانه كان حليما بارا احيانا اخرى • بيد وانه كان يجمع حقا بين المتناقضات ، وانه كان مثالا نموذجيا على حسنات السلاطين المماليك وسيئاتهم • وقد ضخم ابن عبد الظاهر صفاته الحسنة ولم يذكر له عيبا • لكن مؤرخين آخرين ذكروا له الكثير من الصفات الحسنة والصفات السيئة • وهذا طبيعي الا اذا شئنا ان ننسى ان الظاهر انسان اولا • فهو عرضة للتاثر بكل ما يتاثر به انسان في ظروفه • فهو كريم حقا ولكن للذين يناصرونه وهو حليم ايضا ولكن على الذين يويدونه • اما ما ينسب اليه من

---

(١) الموسوعة الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة بيبيرس، جاول ص ١١٢٥

لا لغدر والقسوة فليس غدرا ولا قسوة اذا تذكرنا ان الظاهر كان اولاً واخيراً يحاول توطيد دولة فهو لن يسمح ببقاء ما قد يضعف مثل هذه الامنية . لقد لاحظ اليوناني ان التهم التي نسبت للمغيث ليست صحيحة ، ولكن المغيث كان ايوبيا قد يدعي الحق بالسلطة ثم انه لذلك خطر عليه اذا حاول الاستقلال ، كما فعل سنجر الحلبي بدمشق او البرلي بحلب . اذا لا بد من القضاء عليه . الم يوصي ابنه بضرورة التخلص ممن يقف في سبيل مصلحته ؟

اما من حيث علاقته بعائلته وبالامراء كافراد ، فيبدو لي انه كان لطيفاً رقيقاً ، حسن الخلق حادياً على ابنائه وعلى امرائه واجناده وابناء الامراء . لقد كان يعنى بهم جميعاً لانهم المادة الخام التي تتركز عليها الدولة .

ولنتناول ، بعد هذا ، الناحية الادارية . تبين لنا من دراسة النظم الادارية في عهد الظاهر انه اتبع الخطة الطبيعية التي لا بد من ان يتبعها كل رجل دولة حكيم . فقد اعتمد الهيكل الاداري الايوبي السابق وازاد عليه بعض التفاصيل الجديدة او حدد اختصاصات بعض رجال الادارة او غير بعض هذه الاختصاصات . ولا بد لنا من ان نسجل له مقدرته على مراقبة هذا الجهاز مراقبة دقيقة ، كان حازماً نشيطاً في ادارته ، سريعاً في تنفيذ احكامه .

واحب الظاهر العمران والبناء حبا عظيماً . وقد تناولنا هذه الناحية في فصل سابق .

لعل الظاهر كان يتشبه بصلاح الدين الايوبي . والواقع هو ان بعض المؤرخين القدامى والحدِيثين فعلوا ذلك . وقد اشار ابن عبد الظاهر الى الاثنيين ثم فضل السلطان على سلفه (١) وقد اشرت عند تقييم الظاهر في فصل سابق الى كثيرين آخرين لمسئق قابلوا بين الاثنيين .

---

(١) ابن عبد الظاهر ، ص ٤٧ .

ويرى G.Wiet ان الظاهر اختلف عن صلاح الدين في شيئين : الاول هو الغاء  
الاقطاعيه . ولم يكن للظاهر سلالة كما كان لصلاح الدين ، فاضعف الاقطاعية . والثاني هو  
انه كان يقوم بزحوف منظمة على الخصوم ويقيم دفاعا في المكان الذي يحتله بينما كان احتلال  
صلاح الدين للقدس رعدا بلا مطر (١) وفضلته فاطمة صادق على صلاح الدين في نواحي  
كثيرة . اما S.Runciman فكان مغايرا لهما في رأيه .

صحيح انه لم يكن للظاهر سلالة كما كان لصلاح الدين ، ولكنه حاول انشاءها ، ثم ان  
المماليك الذين احاطوا بالظاهر كانوا اشبه بسلالة صلاح الدين مع فارق هو ان الظاهر كان  
اشد مراقبة عليهم . اما القول بان فتح القدس كان رعدا بلا مطر فغريب . ولئن صح ان  
الصليبيين انتعشوا بعد موت صلاح الدين واستعادوا القدس بتحالف مع الكامل ، لكن  
شوكتهم العسكرية كانت قد خضت .

انا لارى في الظاهر مقلدا لصلاح الدين ولكني ارى فيه ساءرا على مخطط سلفه

ولو اختلفت وسائلهما باختلاف الظروف والاحوال .

فما هو الرأى الذى ينبغي ان نخلص اليه بعد هذا بخصوص السلطان الظاهر ؟  
حقا لقد جمع الظاهر الصفات الشخصية النبيلة والصفات العسكرية العالية الى جانب الصفات  
السيئة ، ولكن الناحية السياسية كانت طاغية عليه . لقد كان يود توطيد دولة المماليك دفاعا  
عن الاسلام ، لذلك حارب الصليبيين والتتر بقسوة وعنفا لانهم الخصوم السياسيون من غير ان  
ينظر اليهم على انهم خصوم دينيون او مضررون من الناحية الثقافية . وكان يود توطيد هذه  
الدولة في سلالته باى ثمن كان ولذلك لجأ الى جميع الوسائل بقطع النظر عن ناحيتها الاخلاقية .

---

(١) G.Wiet ، مادة بيبيرس ، الموسوعة الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، ج ١ ،  
ص ١١٢٥ .

- ونجح الظاهر لانه كان يتمتع باحساس دبلوماسي عميق وقوة عسكرية لم تعط لغيره آنذاك .
- انه موطن دولة المماليك وكفى . اما محاربة الصليبيين والتتر ، فقد فرضتها الظروف عليه ، فساعدته عبقريته العسكرية ودرأته الدبلوما سية على القيام بذلك ، من غير ان تكون له يد فيما نتج عن ذلك من منافع او مضار في السياسة او في الثقافة .



تاريخ ابن الفرات

وهو

تاريخ الدول والملوك

المجلد السادس - الجزء الاول

لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات

Submitted in partial fulfillment of the  
requirements of the Degree of Master of  
Arts in the History Department of the

American University of

Beirut

BEIRUT - LEBANON.

1961.

تاريخ ابن الفرات

المجلد السادس - الجزء الاول

تحقيق ميخائيل خوري

بإشراف الدكتور قسطنطين زريق

## توطئة

ينبغي ان اشير هنا بايجاز الى الطريقة التي اتبعتها في تحقيق هذه المخطوطة .  
ولما كانت هذه المخطوطة جزءا من مؤلف متعدد الاجزاء كان الدكتور زريق قد بدأ بتحقيقه  
ونشره فقد اعتمدت ذات الطريقة التي كان الدكتور قد اعتمدها ، مع تغييرات طفيفة اقتضتها  
ضرورات الآلة الطابعة . وفيما يلي خطوطها الاساسية ( ١ ) :

( ١ ) التقييد بالاصل ما امكن ذلك الا في بعض الكلمات حين وفقت بين المحافظة على الاصل  
وبين طرق الاملاء الحديثة ، كاثبات الهمزة بعد الف المد ، او حيث اسقطت في وسط الكلمات  
او حيث خففت الى ياء في وسط الافعال .

( ٢ ) وضعت النقاط حيث يهملها المؤلف - وهو كثيرا ما يفعل ذلك - دفعا للالتباس .

( ٣ ) قسمت الكتاب الى فقرات لتسهيل المطالعة . وعند بداية كل سنة سجلت في اعلى

الصفحة تاريخ الحوادث التي يرويها المؤلف بالسنة الهجرية وبالسنة الميلادية معا .

( ٤ ) اما الكلمات والعناوين التي ارادها المؤلف مميزة وكتبها بحبر احمر ، فقد وضعت خطأ

تحتها . ووضعت الكلمات التي زدها على الاصل ضمن قوسين ( ) . ووضعت علامتي اقتباس

” حول الكلمات التي لم اتمكن من تحقيقها او لم استطع التثبت من صحة قراءتها .

ووضعت نقاطا . . . . . مكان الكلمات التي لم استطع قراءتها . وكنت اشير الى ذلك في

الهامش .

---

( ١ ) الدكتور زريق ، توطئة الناشر . تاريخ ابن الفرات . مجلد ٩ ج ١ ، سلسلة العلوم الشرقية

الحلقة التاسعة ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ١ - ن .

٥) اعتمدت ارقام صفحات نسخة فيينا وارققتها ب "و" او "ق" للدلالة على

صفحة الوجه (recto) او القفا (Verso).

(او) الرومي وجماعة من البحرية والحلقة فسافروا من القاهرة المحروسة في رابع جمادى  
الاول من هذه السنة . وكتب الى دمشق بخروج عسكرها صحبة الامير (١) علاء الدين  
والحاج طيبرس . ورحل عسكر مصر وعسكر الشام من دمشق في عاشر جمادى الاخرة . من  
هذه السنة والله اعلم . وفي هذه السنة ولي عز الدين ابي وداعه الوزاره بدمشق .  
وفيها تسلم السلطان الملك الظاهر قلعة البيرة . وفيها وصل الخبر الى دمشق بأن  
الخليف وقع بين التتار ببلاد العجم وتفرقت كلمتهم وانتصر بركة قان على هولاكوه .  
وكان ما سنذكره . . . . . الله تعالى . وفيها في ثالث عشر المحرم . . . . .  
الامير عز الدين بيليك الخزندار على بنت بدر الدين (٢) .

### ذكر صلح الملك الظاهر مع صاحب الكرك

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي لما ملكه الله تعالى قد تردت  
بينه وبين الملك المغيث صاحب الكرك عدة رسايل . وكان الملك المغيث قد سير في  
الباطن الى جماعة من الشهرزورية فاستمالهم اليه وهربوا الى الكرك . وكان الملك الظاهر  
قد سير عسكرا مقدمه الامير شجاع الدين طغريل الشبلي الى جهة الشوك فأغاروا على  
البلاد مرة بعد مرة (٣) .

---

(١) في الاصل " للامير " .  
(٢) الكلام هنا غير مقروء كله وهو على الهامش في الاصل وهذا ما جاء في اليونيني جزأ ١ ص ٤٥٢  
وجأ ص ١٠٧ : وفيها ( سنة ٦٥٩ هـ ) في ثالث عشر شوال استدعى ( الظاهر بيبرس ) اولاد  
بدر الدين صاحب الموصل وعرفهم مكانة الامير بدر الدين بيليك الخزندار عنده ومحلته منه وطلب  
منهم ان يزوجه بأختهم فبدلوا جهد الاستطاعة في السمع والطاعة فعقد عقده وملكه بانياس  
والصبيبة بعد البيع الشرعي وجعل ذلك مكافأة لخدمته له ومصابرته معه في حالتي الشدة  
والرخاء .

(٣) ابن عبد الظاهر ( ص ٤٨ ) .

وكتب السلطان يردهم ويصد هم (١) • ثم جرد السلطان الامير جمال الدين  
المحمدي وتوجه الى الكرك فحاصرها فنزل عليها وضايقها • ثم رحل عنها الى جهة  
حلب وقال السلطان : والله ما قصدته بسوء حتى ابتدأ به (٢) وسير الى  
بلادى افسد الشهرزوريه واستعان بهم على فساد البلاد • وشرع السلطان  
في تجهيز عسكر آخر • فوردت رسل صاحبها الملك المغيث الى الخليفة المستنصر  
بالله قبل خروجه من الديار المصرية يسأله الشفاعة • فكتب الى السلطان وشفع  
وعاود فقبل السلطان شفاعته ولم يسيرا احدا • وسير الخليفة رسولا صحبة رسول السلطان •  
ولما خرج السلطان الملك الظاهر صحبة الخليفة الى جهة الشام كما قدمنا شرحه وردت  
الرسول من جهته ولم يتقرر حاله • والواغدون من جهته تتواصل واهل البلاد يطلبون  
رضى السلطان • وكان الملك المغيث قد سير ولده الى هلاكوا (١ق) ملك التتار •  
وعاد الى دمشق قبل كسر التتار على عين جالوت • فلما كسرهم الملك المظفر قطز  
كما سبق ذكره ودخل الى دمشق قبض على الملك العزيز بن الملك المغيث واحضره  
الى مصر فأعتقل بها • فلما تملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس واتفق ما قدمنا شرحه  
ضاق الحال على الملك المغيث وقلت حيلته ورأى الامر عليه قد صعب سرع في استعطاف  
السلطان الملك الظاهر فأبقى عليه الكرك وولادها واطلق الملك العزيز بن الملك المغيث  
واقطعه "ديبان" (٣) بمنشور شريف • وحلف السلطان لوالده الملك المغيث •  
ثم بعد ذلك سير السلطان له سنجقا وشعار السلطنة فقبل عقب السنجق  
وركب بشعار السلطنة • وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى • واستأ من الشهرزوريه  
الى السلطان فعفى عنهم وامر بعضهم والله اعلم •

(١) في ابن عبد الظاهر ( ص ٤٨ ) "وعسكر السلطان يردهم ويصد هم"

(٢) في الاصل "ابتدى"

(٣) كذا في ابن عبد الظاهر ص ٤٩ لكنها بغير تنقيط في الاصل •

### ذكر تحليف الناس لولد الملك الظاهر بولاية العهد

باشر السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي عرض العساكر بنفسه •  
وحلف الناس لولي العهد الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركه خان • فحلف  
الناس بآمال منبسطه وطاعة غير مشترطة وعهود بالوفا مغتبطه واتم الله نعمته عليه  
كما اتمها على ابويه من قبل • وسيرت نسخ الايمان الى القلاع فحلف الناس جميعهم  
والله اعلم •

### ذكر وصول الحاكم بأمر الله العباسي الى مصر

لما كسر التتار الخليفة المستنصر بالله واصحابه ورجع الحاكم بأمر الله ومن معه  
كما قدمنا شرحه وصل الحاكم بأمر الله الى دمشق المحروسة ودخلها يوم الاحد  
ثاني عشرى صفر من هذه السنة • ثم ( ٢ و ) سافر من دمشق الى مصر في يوم  
الخميس سادس عشرى صفر الشهر المذكور فوصل الى القاهرة المحروسة في السابع  
والعشرين من شهر ربيع الاول من هذه السنة • واحتفل السلطان الملك الظاهر  
ركن الدين بيبرس الصالحي للقاءه وانزله في البرج داخل القلعة بقلعة الجبل المحروسة  
ورتب له ما يحتاج اليه • وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وقال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" : في نصف شهر  
رجب الفرد من هذه السنة وردت جماعة من البغادده مماليك الخليفة الذين كانوا  
تأخروا في بلاد العراق بعد قتل الخليفة ومقدمهم الامير سيف الدين سار • فالتقاهم  
السلطان بالاحسان واعطى الامير سيف الدين سار خمسين فارسا في الشام نصف ( ١ )  
مدينة نابلس • ثم غيره له واعطاه طبلخاناه بمصر • فلما شاهد احسان السلطان  
كتب الى من تأخر من خدائشيه والى اصحابه من خفاجه يعلمهم بالحال كما قال

الله تعالى " يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين " (١)  
وكان قد جرى من الامير سيف الدين قليج البغدادي المستنصرى امر اوجب اعتقاله  
بعد ان كان السلطان اعطاه الاقطاعات العظيمة ( له ) (٢) ولولده \* فلما  
كان في بعض الايام افتكره السلطان وعلم انه لعظم ذنبه لم يجسر احد من  
الامراء يشفع عنده فيه وان الاسباب انقطعت عنه فأطلقه بغير شفيح وجعله يلعب  
معه الكرة وشاهده البغادده الواصلون على هذه الحالة فدعوا للسلطان وشكروا  
حلمه والله اعلم \*

وفي شعبان من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفه (٢ ق) الامير سيف  
الدين الكرزي والقاضي اصيل الدين خواجا امام رسل السلطان الذين كانا توجهها  
الى الانبرور ملك الفرنج وصحبتهم كتابة \* وذكرنا انه اهتم بهما اهتماما عظيما  
واحضرهما ساعة الوصول قبل ان يستريحا \* وان الانبرور تجمل لهما تجملا  
عظيما \* وعرضت عليه الهدية فأعجبته الزرافة اعجابا عظيما وشاهد التتار المسيرين  
اليه وقرى عليه كتاب السلطان وهو يردده ويتفهمه وجهاز رسولا وهدية تحضر  
صحبة رسله فيما بعد \* ولما وصل السلطان المذكورون كان في جملتهم  
نفران من البحريه امر السلطان بتأديبهما لانه بلغه سؤا اعتمادهما \* وسيرهما  
الى قلعة الجزيرة بروضة مصر المحروسة يعملان فيها \*

ووصل ايضا الى الابواب الشريفه الامير شرف الدين الجاكي والشريف عماد  
الدين الهاشمي من عند صاحب الروم السلطان عز الدين كيكاو سربن كيخسرو وصحبتهم  
الامير ناصر الدين نصر الله بن كرج رسلان امير صاحب الصدر صدر الدين الاخلاطي  
رسولان منه ومعهما كتابان الى السلطان الملك الظاهر يتنزل فيه تنزلا عظيما \*

(١) سورة يس (٣٦) رقم ٢٥ و ٢٦ \*

(٢) ابن عبد الظاهر (ص ٥٠)

وانه نزل للسلطان عن نصف بلاده • وسير دروجا فيها غلايم بما يقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره ويكتب له من جهته منشورا قرين منشور صاحب الروم • ولما وصل الرسل المذكورون اكرمهم السلطان الملك الظاهر وسكن جاشهم وشرع في تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم • وامر بكتب المناشير وعين الامير ناصر الدين اغلمش السلاح دار الصالحي لتقدمة العسكر وعين له ثلاثماية فارس واقطعه (٣) وفي الروم • ووصلت تذكره على يد الامير ناصر الدين المذكور ونسختها بالعربية - بمقتضى الوقت والحال حصل من جهة حضرة جلال السلطنة اجلها الله الجناب المحروس الاسفهلار الاجل الكبير العالم العادل المؤيد المنصور المظفر المجاهد المثنى المعاون المساعد المفاخر ناصر الدين نصره الاسلام عدة الملك عمدة الممالك ذخيره الحضرة كهف الجيوش قايد العساكر نصره الغزاة سيد الامراء والحجاب صاحب السيف والقلم عضد الملوك والسلطين "ساسلع ملكا رما دار حاص سوباشي " سيد الامراء والخواص ملك الحجاب ناصر الدين حاكما مطلقا وسلم اليه المناشير وشرقه (١) بما يليق به • ورسم له بالسندق والمنديل واليد كجارى العادة • وسير الى خدمه الجناب العالى المولوى الملكى الظاهرى خلد الله سلطانه واقسمنا بالله سبحانه وتعالى وابتدأنا (٢) بوالله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله الطالب الغالب الضار النافع المدرك المهلك الحي القيوم الذى ارسل مائة الف نبي اربعة وعشرين الف نبي الى الخلايق كافة وبالاحلال والحرام يعنى الطلاق انه مهما امر مولانا السلطان الملك الظاهر خلد الله سلطانه بحضور الامير ناصر الدين هو مقرر على ما يتقرر من غير تبديل ولا تغيير على جماعة الامراء وغيرهم لا يتطرق الى ذلك كلام احد ولا يسمع في ذلك قول قايل ولا ينقضه (٣)

(١) في الاصل "وشرف"

(٢) في الاصل "وابتدينا"

(٣) في الاصل "ينقصه"

وهذه اليمين يمينى وقد حلفت بها مهما . . . . . (١) من المدن والاقطاعات والملكية وغير ذلك مهما قرر ورسم يكون مقررا على الوجه الذى يؤمر به . ولا يعزل احدا من الجماعة المذكورين وكل من احضر من الديوان العالى المولوى السلطاني الملكي الظاهرى مثلا (٣ ق) او توقيعاً بمثل ذلك بعد اليوم وصار البيتان واحدا والمحبة الكلية تؤكد . والله على ما نقول وكيل . كتب في اواخر جمادى الاخرة سنة ستين وستماية .

وكتب السلطان الملك الظاهر للامير ناصر الدين الرسول المذكور منشورا بثلاثماية طواشي واقطعه آمد واعمالها . وتقرر سفره صحبة العسكر وان يتوجه صدر الدين الرسول الاخر صحبة رسل السلطان في البحر الى السلطان عز الدين واعلامه بأن السلطان قد اجاب داعيه ولبي مناديه ووقع الاهتمام في كتب المناشير وتجريد الامراء من حلب والشام .

وفي شهر رجب من هذه السنة ايضا وصل الى الابواب الشريفه الامير عماد الدين بن الامير مظفر الدين صاحب صهيون رسولا من جهة اخيه الامير سيف الدين وصحبته الهدايا الحسنة . فأحسن اليه السلطان . وكتب له منشورا في بلاد حلب بثلاثين فارسا وكتب له منشورا آخر في البلاد الرومية بمائة طواشي .

وفي هذا التاريخ وصل كتاب صاحب الروم يذكر فيه ان العدو لما بلغهم اتفاهه مع السلطان خافوا من هيبتته فولوا هاربين وانه سير الى قونيه يحاصرها ليأخذ من بها من اصحاب اخيه .

وفي هذا التاريخ وصل كتاب السلطان الى الملك المنصور صاحب حماه وصحبته قصاد وصلوا اليه من التتار وعلى ايديهم فرمان للملك المنصور . فشكر السلطان على ذلك واعتقل القصاد .

---

(١) في الاصل بياض بقدر كلمه .

وفي هذا التاريخ وصلت كتب الامير عز الدين الافرم امير جاندار مقدم العسكر المتوجه الى جهة الصعيد للعربان بتبديد شملهم وسبب ذلك طمعهم بتغيير الممالك ونفاقهم وسوء اعتمادهم وتعديهم على الامير عز الدين الحواش (١) والى قوص وقتله وانه اراح المسلمين من فسادهم والله لا يحب الفساد \*

وفي شعبان (٤ و) من هذه السنة توالى وصول جماعة ممن كان صحبة الامير البرلي من العزيزيه والناصرية فأحسن اليهم السلطان الملك الظاهر ولم يؤاخذ احدا منهم بشيء مما جرى \*

وكان الاشكري سير الى السلطان الملك الظاهر يلتمس منه بطركا للنصارى الملكيين فعين الرشيد الكحال لذلك وسيره اليه صحبة الامير فارس الدين اقوش المسعودى فأكرمه الاشكري واكرم البطارك واكرم من صحبه من جماعة الاساقفة واعطاه ووصل الامير فارس الدين اقوش المسعودى الذى كان توجه رسولا الى الاشكري في هذه الايام وصحبته البطارك المذكور \* ولما وصل البطارك احضر الى السلطان الملك الظاهر هديه كبيره من جملتها مصوغ من فضة وقماش وذهب وما تحصل له من مال \* فرد السلطان ذلك عليه \* وصادف وصول الامير فارس الدين الى الاشكري عند فتحه للقسطنطينيه فركب الاشكري يوما ليفرج الامير فارس الدين المذكور فيها وفي عميرهها ثم عبر على مكان فقال : جامع \* وقد ابقيته ليكون ثوابه للسلطان \* واذ قد جرى ذكر القسطنطينيه وهذا الجامع فلنذكر يزيد بن معاويه ومسلمة بن عبد الملك وغزوها القسطنطينيه وبنائة الجامع \*

كان يزيد بن امير المؤمنين معاويه بن ابي سفيان الاموى رضى الله عنهما في سنة احدى وخمسين للهجرة في خلافة والده غزا القسطنطينيه ومعه ابو ايوب الانصارى

(١) "الهواش" في السلوك للمقريزى ج ١ ص ٤٧١ سطره \* وفي الاصل بدون تنقيط \*

رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم \* فلما حضرته الوفاة وص  
انه يترك تحت ارجل الخيل حتى تدوسه خيل المجاهدين ففعل ذلك \* وقيل  
انه دفن تحت سورها \* والروم الى الان يستسقون المطر اذا انحبس عليهم الغيث  
بقبره ويدعون الله تعالى به \* ونقل ابن حمدون في (٤ ق) كتابه التذكرة  
ان سبب بنايه الجامع بقسطنطينيه ان في سنة ست وتسعين للهجرة وقع الصلح مع  
الروم على ان يبني بها مسجد جامع فبني \* ولما طالت مدته جعلوه حيسا \* وقال  
غيره ان الصلح كان تقرر على ان يبني مسجد قدر جلد بعير \* وتقررت العهود  
على ذلك \* فلما استقر الحال عمد المسلمون الى جلد بعير فقدوه سيورا ومدوها \*  
فأنكر الروم ذلك \* فقال المسلمون ان هذا جلدا لبعير ما زدنا عليه شيئا وكان  
عليه الاتفاق فسكتوا \* وقيل ان بانيه الامير مسلمة بن امير المؤمنين عبد الملك بن  
امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي في ايام اخيه امير المؤمنين الوليد لما غزا القسطنطينيه  
كما سبق ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب \*

وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادي  
بن مروان الايوبي لما صالح ملك قسطنطينيه اراد ان يعمر هذا الجامع ويخطب له  
فيه \* وسير ابن البزار (١) في هذا السبب فما اجابه الروم ولا مكنوه منه \* واخر  
الله تعالى ذلك ليكون اجره للسلطان الملك الظاهر وفخره لدولته \* فلما رجع  
الامير فارس الدين اقوش من عند الاشكري وبلغه ما قال له الاشكري في امر جامع  
القسطنطينيه فرح واعجبه كون الله سبحانه وتعالى هيا هذه الحسنة في ايامه  
وجعل شعار الاسلام في بلاد الكفر بهيبته \* وامر لوقته بتجهيز الحصر العبداني  
والقناديل المذهبة والستورة المرقومه والمباخر والسجادات والمسك وما العود والعنبر  
(١) كذا في الاصل \* وفي ابن عبد الظاهر (ص ٥٤) "البرار" \* اشار ابو شامة (كتاب  
الروضتين ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠) لذلك ولم يذكر الاسم \* وكذلك فعل ابن شداد  
في "سيرة صلاح الدين" (ص ١١٥ - ١١٦) ولكنه لم يذكر الاسم \*

والعود • وذكر الله فيه بطريقه وهذا عمل صالح للملك الظاهر مكتوب في صحيفته  
لان الله تعالى يقول : ولا يظنون موثقا يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلا  
الا كذب (٥) و) لهم به عمل صالح " (١) والله اعلم •

ذكر نزول عسكر الملك الظاهر على انطاكيه ورجوعهم عنها •

كنا قد منا ان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل عسكرا  
الى جهة حلب • ولما استقرت بالبلاد الحلبية صلحت الامور وحفظت الغلات • وكان  
البرنس صاحب انطاكيه مستمرا على ما هو عليه من التخوف من المهابه السلطانية •  
فحصل التقدم للعساكر بالاغارة على بلاده فتوجهت العساكر اليها صحبة الامير شمس  
الدين سنقر الرومي • وكان من جملة من صحبه صاحب حمص وصاحب حماه والامراء  
كلهم فنازلتها العساكر واخذت المينا واحرقت المراكب • واخذت حواصلها • وحاصرت  
السويداء واخذتها • وقتلت واسرت وجاهدت احسن جهاد • وعادت ودخلت  
القاهرة المحروسة في يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ستين هذه السنة  
صحبة الامير المذكور • وصحبته الاسرا وهم مايتان نيف وخمسون اسيرا • فأحسن  
السلطان الملك الظاهر الى الامير المذكور مقدم العساكر والامراء • وسير الخلع الى  
الملكين المذكورين الى بلادهما والله اعلم •

ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن  
الامير عز الدين ايد مردقماق في ترجمة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس من كتابه  
الذي الفه وسماه " الدر المنضد في وفيات اعيان امة محمد صلى الله عليه وسلم "  
ما صيغته : وفي سنة ستين وستماية رتب السلطان الملك الظاهر في مصر اربع قضاة وجعل  
لكل قاضي نايب (٥ ق) انتهى كلامه والا ظهر ان ذلك كان في سنة ثلاث وستين كما

سنذكره فيما ان شاء الله تعالى • لكن الذي اتفق وقوعه في هذه السنة ان السلطان الملك الظاهر في ثالث شهر رمضان من هذه السنة عزل قاضي القضاة برهان الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز الى قضاء مصر والوجه القبلي مضافا لقضاء القاهرة والوجه البحري • وكان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية فأوجب الامر السلطاني اليه ان يستنصب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحة النجمية التي بين القصرين داخل القاهرة المحروسة على المذاهب الاربعة ففعل ذلك • وجلس القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي • وذلك في العشر الاواخر من ذي القعدة من سنة ستين هذه السنة • وتم هذا الامر ثم جرى ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

قال بعض اهل التاريخ في يوم الاربعاء رابع ذي القعدة من هذه السنة قبض الملك الظاهر ركن الدين بيبرس على نايبه بدمشق وهو الامير علاء الدين طيبرس الوزيري • وكان قد تولى دمشق بعد سير الامير علاء الدين ايدكين البندقدار عنها • وسبب القبض على علاء الدين طيبرس ان الملك الظاهر بلغه عنه امور كرهها • فأرسل اليه عسكريا مع الامير عز الدين الدمياطي والامير علاء الدين ايدغدي الحاج الركني وغيرهما من الامراء • فلما وصلوا الى دمشق خرج الامير طيبرس لتلقيهم • فقبضوا عليه وارسلوه الى مصر فحبسه الملك الظاهر واستمر في الحبس سنة (٦ و) شهرا • وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهرا ايضا • ولما قبض على الامير علاء الدين طيبرس حكم في دمشق الامير علاء الدين ايدغدي الحاج الركني •

وفي ذي الحجة من هذه السنة ظهر بين القصرين بالركن المخلوق (١) بالقرب

(١) في الاصل المخلوق، وقد جاء في الخطط للمقرئ يزي ج ٢ ص ٢٤٧ انه قد سمي "الركن المخلوق" بواو بعد الخاء... الخوقا الصحرا التي لا ما بها ويقال الواسعة واخوق واسع فلعله سمي المخلوق بمعنى الاتساع... او يكون المخلوق... اي مستو امس... وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلوق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها •

من رحبه باب العيد بالقاهرة المحروسة معبد وفيه حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى بن عمران عليه السلام فجددت عمارته وهو الان يعرف بمعبد موسى وهو منزل مبارك وفيه انس كثير وفيه مساكن والله اعلم .

ذكر وصول جماعة من التتار الى الباب الشريف ودخولهم في طاعة

الملك الظاهر

لم يزل السلطان مهتما بأمر الاعداء ومحترزا من مكائدهم وآخذا بالحزم في امرهم . وقصاده لا تنقطع من بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم . وهو يغرم عليهم الاموال الكثيرة لان من يسافر في هذا المهم ويسخوا بنفسه لا بد ان يأخذ مثل ديتيه ولولا ذلك ماغرر احد بنفسه . فلما ارشد الله السلطان لهذه المصلحة ترددت القصاد وتعرفت بمن يطلعها في البواطن وكاتبهم السلطان وسير اليهم التحف . وسيروا يعرفون ان هلاون خزاه الله جمع جمعا كثيرا ولم يعلم قصده . فاحتز السلطان وسير الكشافة من خواصه وجرده معهم جماعة من الترك الخفاف بالخيول المسومة والجنائب وسير الكشافة جمال الدين الرومي السلحدار من الخواص ومعه خيول منها حجرة من خيل خفاجة سابقه وغيرها من الخيل كل فرس بألف دينار واكثر ثم الامير علاء الدين اقسنقر الناصري كذلك حتى اخذ السلطان الاخبار . وقبض من وسط التتار ناسا اخذ الاخبار منهم وكانوا مسلمين ، فأطلقهم وكتب الى الشام بارادافهم بجماعة . وارسل (٦ق) امراء العربان معهم فساقوا الى حدود العراق . وفي نصف شهر رمضان من هذه السنة وقع بدمشق ارجاف من جهة التتار وتجهز اكثر الناس للهرب للديار المصرية وباع الامراء خواصلهم وجفل الناس من حمص وحماه واخلوا الى دمشق وذكروا ان مثل هذا الارجاف حصل ببيلاد الفرنج .

ولما تواترت الاخبار بحركة هلاون عمل السلطان بالحزم • وتقدم الى اهل دمشق بالحضور الى القاهرة بأهاليهم لتخف ظهورهم وترخص الاسعار ويؤمن نفاق من له ميل الى جهة العدو • فحضرت جماعة كبيرة • وكتب السلطان بتخفيرهم من ولاية الى ولاية الى باب القاهرة وان لا يؤخذ منهم حق طريق ولا زكاه ولا غيرها ولا يتعرضوا الى ما معهم من تجر وقماش ولا تفتش لهم محابير ولا شدات • فوصلوا الى القاهرة سالمين • وكتب الى النواب بحلب بحريق الاعشاب • وسير جماعة الى بلاد آمد ومواقع الاعشاب التي جرت عادة هلاون بنزولها • لما وصل الى حلب وكانت محمية بحريق الاعشاب فتوجهوا واحرقوا تلك المروج مسيرة عشرة ايام الى ان صارت جميعها رمادا • وفعل في احراق اعشاب بلاد خلاط كذلك • وقطع السبيل ( ١ ) احترازا • ثم سير كشافة آخر مثل الاولى وصحبتهم العربان • وفي اثناء هذه الحال بلغ الملك الظاهر امور عن الامير علاء الدين طبرسر الوزيرى النائب بدمشق انكرها • فسير الامير عز الدين الدمياطي والامير علاء الدين ايدغدى الحاج الركني فقبضوا عليه وارسلوه الى القاهرة • وتسلم الامير علاء الدين المذكور دمشق ينظر فيها الى حين حضور نايب مستقل كما قدمنا شرحه • وسير الامير علاء الدين ايدغدى الحاج الكشافة جماعة بعد جماعة • ثم وصل كتاب الحاج علاء الدين بأن الكشافة وجدوا جماعة كبيرة من التار مستأمنين وافدين الى الباب الشريف لانهم من اصحاب الملك برکه • وكانوا نجده عند هلاون • فلما وقع بينهما كتب الملك برکه اليهم بالحضور اليه وان لم يقدروا على ذلك يتجاوزن الى عسكر الديار المصرية ويذكرون ( ٧ ) ان العداوة قد استحكمت بينهما • وان ولد هلاون قتل في المصاف وان عسكر هولاء كسره ابن عمه برکه قان وهرب جماعة هولاء في البلاد وقصدت كل طايفه منهم جهة • وان هولاء هرب الى قلعة تيملا وهي في وسط بحيرة اذربيجان فدخلها وقطع عنها الطريق فصار كالمحبوس

---

( ١ ) في الاصل " السبل "

فيها ٠٠٠ (١) وانهم فوق المايقي فارس •

فكتب السلطان الى نواب الشام باكرا مهم والاقامة لهم • وحمل الخلع اليهم والى نساءهم  
واحسن الى مقدميهم الاربعة وسير اليهم الاقامات من مصر من الاغنام والسكر والشعير  
والحوايج خاناه • ووصلوا في يوم الخميس رابع عشرى ذى الحجة من هذه السنة •  
وخرج السلطان الملك الظاهر للقايمهم يوم السبت السادس والعشرين منه • ولم  
ييق احد من اهل القاهرة ومصر حتى خرج وكان يوما عظيما وراوا من كثرة العساكر  
وكثرة العالم شيئا بهر عقولهم وكان السلطان قد رسم بعماره ادر ومساكن لهم  
قريب اللوق • وفي يوم السبت سادس عشرى الشهر المذكور عملت لهم دعوة عظيمة  
في اللوق وحملت اليهم الخلع وسييت الخيول وفرقت فيهم الاموال ولعبوا الكرة مع السلطان  
ثم امر كبراءهم بماية فارس فما دونها وياقيمهم نزلهم في جملة بحريته ومماليكه وصار كل  
منهم كامير مستقل له الاجناد والغلمان واسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنه وافردت لهم  
جهات يستخرج منها مرتبهم وحسن اسلام جميعهم • وبلغ التتار ذلك فتوافدوا جماعة  
بعد جماعة والسلطان يعتمد معهم الاحسان ويفرقهم كل جماعة بين اضعافها من  
المماليك السلطانية •

ثم ان السلطان نظر في مصلحة عامة الاسلام وهي انفاذ رسل الى الملك بركه فسير  
الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشيرك (٢) ومعهما نفران من التتار  
الواصلين اصحاب صراغان (٣) وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعه الخليفة  
ماستذكره ان شاء الله تعالى •

---

(١) كلمات غير مقروءة •  
(٢) في الاصل بدون نقط • ولكنها كشيرك في ابن عبد الظاهر (ص ٦) وهي كشرتك في السلوك  
للمقريزي (ص ٤٧٩)  
(٣) كذا في الاصل ولكنها صراغان في السلوك للمقريزي (ص ٥٠١) •

وفي هذه السنة اخذ قاع بحر النيل المبارك فكان ستة اذرع وسبعه اصابع وانتهت الزيادة الى ثمانية عشر ذراع فقط .

قال بعض اهل التاريخ . وفيها وصل التتار ومقدمهم صدعون ( ١ ) وصحبهم الملك المظفر صاحب مارين الموصل ونزلوا عليه ( ٧ ق ) وكان في الموصل مع الملك الصالح ركن الدين اسماعيل سبعمائة فارس و نصبوا عليها خمسة وعشرين منجنيق ولم يكن بها سلاح يقاتلون به ولا قوت فغلا بها السمر حتى بلغ الموك اربعة وعشرون دينارا . فاستصرخ الملك الصالح اسماعيل صاحب الموصل المير شمس الدين البرلي فخرج اليه من حلب وسار الى ان وصل سنجار . فلما اتصل بالتتار و صوله عزموا على الهروب فاتفق وصول الزين الحافظي اليهم من عند هولاء كما يعرفهم ان الجماعة الذين مع البرلي قليلون والمصلحة ان يلاقوهم فقوى عزم التتار على ملاقاته البرلي فسار صدعون ( ١ ) بطايفه ممن كانوا على الموصل عدتهم عشرة الاف . وقصد سنجار وبها المير شمس الدين البرلي ومعه تسعمائة فارس واربعماية من التركمان ومائة من العرب فخرج اليهم والتقاهم يوم الاحد رابع عشر جمادى الآخرة فكانت الكسرة عليه فانهزم جريحا وقتل من كان معه من الامراء وغيرهم . ووصل الى البيرة فأرسل اليه هولاء فيطلبه اليه ليقطعه بلاد فأرسل طلب الاذن من الملك الظاهر في دخوله الى الشام فأذن فخرج من البيرة في تاسع عشر شهر رمضان . ودخل الى الديار المصرية في العشر الاول من ذي القعدة فأنعم عليه الملك الظاهر بالمال والخلع واعطاء امرة سبعين فارس .

واما صدعون ( ٢ ) فانه رجع الى الموصل وداوم عليها الحصار . ثم ارسل يقول

للملك الصالح ان لم تستلها والاتلوم الانفسك اذا دخلناها بالسيف فجمع امراء .

وشاورهم . فأشاروا عليه بالخروج فخرج اليهم يوم الجمعة خامس عشر شعبان بعد الصلوة . فلما وصل اليهم احتاطوا عليه وعلى من معه ونادوا في اهل البلد بالامان . فظهر الناس

( ١ ) كذا في الاصل . وهو صدغون في رأى الدكتور زيادة في السلوك للمقريزى (ص ٤٦٧)

وشرع التتار في خرب الاسوار • فلما اطمأن الناس وباعوا واشتروا دخل التتار البلد ووضعوا  
السيف فيهم سبعة ايام • ووسطوا علا الدين ابن الملك الصالح وعلقوه على باب السجن  
ثم دخلوا وقتلوا الملك الصالح اسماعيل وهم متوجهين الى هولاء •  
وتولى نيابة حلب بعد البرلي الامير عز الدين ايدمر الشهابي • وعاد عسكر سيس  
من انطاكيه على الفوعه من بلاد حلب فنهبوا وافسدوا فخرج اليهم الامير عز الدين الشهابي  
نايب حلب فكسرهم واخذ منهم جماعة وارسلهم الى مصر فوسطوا بها وقيل غير ذلك •  
(٨٠) ذكر وفاة من توفي من الهيبان في هذه السنة وبعض اخبارهم •

احمد بن الحسين بن الحسن بن ابراهيم بن سنان بن موسى بن حسن بن بشر بن  
ابراهيم الجذامي الداري الخليلي الاصل المصري يكنى ابا العباس ولد في سنة ثمان  
وثمانين وخمسماية وتوفي بمصر في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة ستين  
وستمايه ودفن بسفح المقطم •

عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي يكنى ابا  
محمد ويلقب عز الدين خضر ابا الحسين احمد الموازيني الخشوعي وسمع عبد اللطيف بن  
اسماعيل الصوفي والقاسم بن عساكروا بن طبرزد وحنبل المكبروا بن الحرستاني وغيرهم وخرج  
له الدمياطي اربعين حديثا عوالي وروى عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والدمياطي  
وابو الحسين اليونيني وغيرهم وثقفه على الامام فخر الدين ابن عساكروا قرأ الاصول والعريه  
ودرسوافتي وصنف وبرز في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد وقصدته الطلبة من البلاد وتخرج  
به ايمه وله الفتاوى السديده ومن مصنفاته "القواعد الكبرى والقواعد الصغرى" • واختصر  
"نهاية المطلب" • وله "مقاصد الرعايه" وكان يكتب خطا حسنا • وكان مع امامته وعلمه  
ناسكا ورعا امارا بالمعروف وينها عن المنكر ولا يخاف في الله لومة ليم • ولي خطابة جامع  
دمشق بعد الدولعي فلما تملك الملك الصالح عماد الدين اسماعيل دمشق واعطى الفرنج

صفد والشقيف نال الشيخ ابن عبد السلام منه على المنبر وترك الدعاء له فعزله عن  
الخطابة وحبسه ثم اطلقه فترج الى مصر فلما ( ٨ق ) قدمها تلقاه الملك الصالح نجم  
الدين ايوب صاحب الديار المصرية وبالغ في احترامه واتفق موت قاضي القضاة شرف الدين  
ابن عين الدولة فولى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري قضاء القاهرة والوجه البحري  
وولي عز الدين ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر . ثم ان بعض  
غلمان وزير الملك الصالح وهو معين الدين الشيخ بنا بنيانا على سطح مسجد بمصر وجعل فيه  
طبلخاناه معين الدين فأنكر قاضي القضاة عز الدين ذلك ومضى لجماعته وهدم البنيان وعلم  
ان السلطان والوزير يغضبان فاشهد عليه باسقاط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء فعظم  
ذلك على السلطان الملك الصالح وقيل له اعزله عن الخطابة والاشنع عليك علي المنبر  
كما فعل في دمشق فعزله فأقام بيته يشغل الناس وفيه يقول الشيخ جمال الدين ابو الحسين  
الجزار .....

سار عبد العزيز في الحكم سيرا لم يسره سوى ابن عبد العزيز

عمنا حكمه بعدل بسيط شامل للورى ولغظ وجيز

وكان قاضي القضاة عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى مع شدته حسن المحاضرة  
بالنادرة والشعر . ويقال انه لما حضر بيعة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح قال  
له . يا ركن الدين انا اعرفك مملوك البندقدار فما بايعه حتى جاء من شهد له بالخرج  
عن رقه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب وعتقه . ولد في سنة سبع او ثمان وسبعين  
وخمسماية . ولما مرض مرض موته قيل له ان السلطان الملك الظاهر يقول لك عين مناصبك  
لمن تريد من اولادك فقال ما فيهم من يصلح . وهذه المدرسة الصالحة تصلح للقاضي تاج  
الدين ففوضت اليه بعده . وتوفي في يوم الاحد عاشر ( ٩ و ) جمادى الاولى من هذه السنة  
سنة ستين وشهد الملك الظاهر جنازته والخلايق .

عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسين بن عساكر الدمشقي توفي بمكة

المشرفة في يوم الاثنين حادي عشر جمادى الا اول من هذه السنة .

عمر بن قاضي القضاة نجم الدين ابي الحسن احمد بن هبة الله بن محمد هبة

الله بن احمد بن يحيى بن زهر بن هرون بن موسى بن عيسى بن عيد الله بن ابي جرادة  
الحلي الاصل المصري الوفاة يلقب كمال الدين ويعرف بأبن العديم الفقيه الحنفي المذهب  
كان واحد عصره اصلا وفضلا وبلاغة ونبلا جليل القدر كثير العلوم والوقار اوجد في الكتابة  
\* صنف تاريخ حلب سماه " بغيه الطلب في تاريخ حلب " وله نظم رايق ( ١ ) وشعر رايق .  
وولي الوزارة وكان سفيرا للخلافة المعظمة في الامور المفخمة . وكان من فضيلته وعلو  
رتبته ومنزلته كثير التواضع يلتقط الناس من فرايده ويقبسون من فوايده . ارسله الملك  
الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب الى الديوان العزيز ببغداد رسولا مرارا .  
وكلما قدم الى بغداد طلع موكب الخليفة لتلقيه وحضر الى باب الخلافة لتقبيل العتبة  
على جاري عادة الرسل فخرجت اليه سجادة وامر ان يصلي ركعتين شكرا لما حصل له  
من الرفعة وامر الخليفة برفع ذكره ثم خرج له امر الخليفة : نحن نعظم الرسل لاجل  
مرسلها ونحن الان نعظم مرسلك لاجلك " . ومن شعر صاحب كمال الدين المذكور  
قوله حين وصل الى الديار المصرية وحمل اليه الشيخ ايدمر مولى محي الدين وزير الجزيرة  
المسمى ( ٢ ) فيما بعد بابراهيم الصوفي ديوان شعره ليظالعه ( ٩ ق ) فتصفحه وظالعه  
وكتب عليه من نظمه .....

وكنت اظن الترك تختص اعيننا ( ٣ )  
الى ان اتانى من بديع قريضهم  
فأيقنت ان السحر اجمع له  
لهم ان رنت بالسحر منها واجفان  
قوافي هي السحر الجلال وديوان  
يقر لهم هاروت فيه وسحبان

( ١ ) بغير تنقيط اصلا .

( ٢ ) في الاصل " المسمي "

( ٣ ) الاضرب " اعين "

وله .....

قلبي وطرفي منزلاه لانه قمر وتلك منازل الاقمار  
ياساكن الجفن القريح وليته يرمى لجارى الدمع حق الجار

ولد في العشر الاول من ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بحلب وتوفى

في العشرين من جمادى الاول من هذه السنة بظاهر مصر ودفن في يومه بسفح المقطم .

• محمد بن احمد بن ابراهيم بن سراقه الشاطبي الاندلسي المحدث روى لاحد

بن صابر اولغيره .....

هجرتم وقتتم براه الضنى فغيرتموني وعيرتموني  
وجرتم وقتتم اقم اونسـر فحيرتموني وخيرتموني

• توفى هذه السنة .

محمد بن سليمان بن ابي الفضل بن ابي الفتوح بن يوسف بن يونس الانصارى

الصقلي الاصل دمشقي وفاة . يكنى ابا عبد الله الدلال كان شخصا صالحا

راويا للحديث عنده رواية عالية . روى عن ابي الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن

الحراني وغيره . ولد ليلة الفطر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وتوفى

في صفر سنة ستين هذه السنة بدمشق .

-----

٦٦١ هـ ( ١٥ ت ٢ - ١٢٦٢ - ٤ ت ٢ ١٢٦٣ )

( ١٠ و ) ذكر الحوادث في سنة احدى وستين وستماية

ذكر البيعة للامام الحاكم بامر الله احمد العباسي ثاني خلفاء بني العباس

واول من اقام بها ( ١ ) منهم .

كنا قد منا في السنة الماضية ان عسكر التتار التقوا مع الخليفة المستنصر بالله العباسي وهزموا من معه . وممن نجا من الوقعة الامير احمد بن ابي علي بن علي بن بكر بن امير المؤمنين المسترشد بالله العباسي . فلما وصل الى القاهرة التقاه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي واكرمه وقدمه . وانزله في البج الكبير داخل القلعة بقلعة الجبل المحروسة . وادر عليه النفقات . وكذلك جميع من معه . ثم ان السلطان امر بعمل نسبة الامام احمد المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم وثبت نسبه على قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز .

فلما كان يوم الخميس ثاني شهر الله المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية جلس السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مجلسا عاما فيه جميع الناس وجماعة التتار الوافدين من العراق ورسل السلطان المتوجهون الى الملك بركة الذين جهزهم ليسافروا اليه كما سنذكره ان شاء الله تعالى . واحضر الامير احمد العباسي راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبل المحروس وبسط له الى جانب السلطان وقرى شجرة نسب الخليفة بيين يديه على الناس . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيفته : حضر الامام الحاكم سلام الله عليه راكبا الى الايوان الكبير بقلعة الجبل

المحروس وبسط له الى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه الشريف وامر السلطان بعمل شجرة نسب له فعملتها وقراتها بين يديه على الناس " . ورأيت بخط صاحبنا الامير صارم الدين محمد ابراهيم الشهير بأبن دقماق ماصيغته : في ثامن محرم عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للامام الحاكم بأمر الله فأحضر ابو العباس احمد بن الامير محمد بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بي علي القبي ( ١ ) بن الحسن بن امير المؤمنين الراشد بالله . وقيل كان ذلك في يوم الخميس تاسع المحرم الشهر المذكور وحضر صاحب بها" الدين وولده فخر الدين وقاضي القضاة تاج الدين واعيان الامراء وارباب الدولة وقرى نسب الخليفة على قاضي القضاة وشهد به عنده فلما اثبتته مديده فبايعه " . وبعد ذلك اقبل السلطان الملك الظاهر عليه وبايعه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اعداء الله واخذ اموال الله بحقها وصرفها في مستحقها والوفاء بالعهود واقامة الحدود وما يجب على الايمه فعله في امور الدين وحراسه ( ١٠ ق ) المسلمين ، وعند ذلك تلقب بالحكم بأمر الله . واقبل على السلطان وقلده امور البلاد والعياد ووكل اليه تدبير الخلق وجعله قسيمه في القيام بالحق وفوض اليه ساير الامور وعقد به صلاح الجمهور . ثم اخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته فلم يبق ملك ولا امير ولا وزير ولا قاضي ولا مشير ولا جندي ولا فقيه الا وبايعه . وتمت هذه البيعة المباركة وحصل الحديث معه في انفاذ الرسل الى الملك بركه فوافق على ذلك وانفصل المجلس .

---

( ١ ) في الاصل غير واضحة . راجع السيوطي " الخلفاء " تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ( ص ٤٧٨ ) .

ولما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم اجتمع الناس وحضر الرسل الذين جهزهم الملك  
الظاهر الى الملك بركه وخطب الخليفة بالجامع وعلى بالناس وهذه الخطبة المباركة :  
الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركنا وظهيرا . وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا  
احمده على السراء والضراء واستنصره على دفع الاعداء واشهد ان لا اله الا الله  
وحده لا شريك له واشهد ان محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله  
وصحبه نجوم الاهتداء وايممة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه وكاشف  
غمه . ابي السادة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين (١) وعلى بقية الصحابة  
والتابعين لهم بأحسن الى يوم الدين . ايها الناس اعلموا ان الامامة فرض من فروض  
الاسلام والجهاد محتوم على جميع الانام . ولا يقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد  
منها . ولا سببت الحرم الا بانتهاك المحارم . ولا سفكت الدماء الا بارتكاب المآثم .  
فلو شاهدتم اعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا  
الرجال والابطال والاطفال . وهتكوا حرم الخليفة والحريم واذاقوا (١ او) من استبقوا  
العذاب الاليم . فارتفعت الاصوات بالبكاء والعيويل وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم  
الطويل . فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه . وكم طفل بكى فلم يرحم لبكائه فشمروا عن  
ساق الاجتهاد في احياء فرض الجهاد واتقوا الله ما استطعتم . واسمعوا واطيعوا وابتغوا  
خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . فلم تبق معذرة عن القعود عن  
اعداء الدين والمحاماة عن المسلمين . وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الاجل  
العالم العادل المجاهد المرابط ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار .

(١) " المهديين " في ابن عبد الظاهر (ص ٦٢) .

وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار . فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود  
والدولة العباسية به متكاثرة الجنود . فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة واخلصوا  
نياتكم تنصروا وقاتلوا اولياء الشيطان تظفروا ولا يروعنكم ماجرى فالحرب سجال والعاقبة  
للمتقين والدهر يومان والاخرى للمؤمنين جمع الله على التقوى امرم . واعز بالايمان نصرم .  
واستغفر الله العظيم لي ولكم ولساير المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية : الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعماية واشهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له عدة عند لقايه . واشهد ان محمدا سيد رسله وانبيايه صلى الله عليه  
وعلى آله وصحبه عدد ما خلق في ارضه وسماية اوصيكم عباد الله بتقوى الله ان احسن  
ما وعظه الانسان كلام الملك الديان " يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول  
واولي الامر منكم . فان تنازعتم في شئ فرددوه الى الله ( ١١١ ق ) والرسول ان كنتم  
تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا ( ١ ) نفعنا الله وايام بكتابه واجزل  
لنا ولكم من ثوابه وغفر لي ولكم وللمسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين .

وخطب للخليفة في هذا اليوم على المنابر بجميع الجوامع ودمشق في سادس عشر

المحرم الشهر المذكور .

وكتب بدعوته الى الافاق وتعلل بذكرها الرفاق وكتب الله للسلطان هذه الحسنة

التي يجدها يوم ينفذ كل شئ وما عند الله باق والله اعلم .

## ذكر ارسال الرسل الى الملك برکه

لما وصلت جماعة التتار الذين وصلوا اولاً الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي كما قدمنا شرحه واستطلع منهم الحال وعرف احوال الملك برکه ومقامه والطريق اليه جهز الفقيه مجد الدين والامير سيف الدين كشرتک (١) . وكتب على ايديهم الكتب بأحوال الاسلام ومبايعة الخليفة الحاكم بامر الله عليه السلام . وامر بعمل نسبه الظاهره الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتبت وازهبت وسيرها الى الملك برکه وسير ثبوت نسبه مسجولاً على قاضي القضاة تاج الدين . ولما تجهزت هذه الكتب احضر الملك الظاهر الامراء والمفارده وغيرهم وقرأ الكتب على الجميع واستشارهم في ذلك فاستصوبوا رأيه . وسير صحبة الرسل نفرين من التتار المذكورين من غلمان الملك واصحابه ومن يعرف البلاد . وكتب على ايديهم كتاباً فيه شيء عظيم من الاستمالة والحث على الجهاد ووصف العساكر الاسلامية وكثرتهم وعدة اجناسهم ومن فيها من خيل وتركمان وعشائر اكراد وقبايل عربان ومن اطاعهما من الملوك الاسلامية والفرنجية ومن حالفهما ووافقها ومن هادها وهادنها . وان جميعها في طاعته وسامعه لاشارته الى غير ذلك من الاغراء بهلاوون خزاه الله وتهوين امره والاستيلاء (٢) عليه وتقبيح (١٢ و) الغفلة عنه وافهامها ان كلما يفعله عناد له ويعلم بوصول جماعه التتار الذين وصلوا وادعوا انهم من اصحابه وان الاحسان اليهم انما هو من اجله . ولما جهزهم السلطان وركبهم في " الجرايد " اعطاهم زواجة شهر كثيرة . ولما بويع الخليفة الحاكم بأمر الله بحضورهم وحضروا خطبته المباركة واجتمعوا به حملهم السلطان من المشافهة مافيه

(١) ملحوظة ٢ (ص ١٣) اعلاه .

(٢) بدون نقاط اصلاً .

صلاح الاسلام وعرف الرسل من التتر اصحابهم التتار احوال عساكر السلطان وكثرتها وما هو بصدده من جهاد واستخدام وما يبذله من نصره الدين وقاتل الاعداء المشركين وانه سحب في الملك بركة وداع له بالنصر على الاعداء وموافق له على ما فيه صلاح العالم .  
وتوجه الرسل من الديار المصرية في المحرم من هذه السنة سنة احدى وستين ووصلوا بلاد الاشكرى فأحسن اليهم . وصادف وصولهم رسل الملك بركة الى الملك الاشكرى فسيرهم صحبتهم . ورجع الفقيه مجد الدين لمرض حصل له صحبة رسل الملك بركة الامير جلال الدين والشيخ نور الدين علي وسافر الامير سيف الدين كشرتك (١) ورفقته . ووصلت كتب الملك الاشكرى بان رسل السلطان الملك الظاهر وصلوا اليه وانه جهزهم وتوجهوا سالمين وربما وصلوا الى جهة الملك بركة صحبة رسله خدمه للسلطان والله اعلم .

### ذكر تفويض نيابة دمشق الى الامير جمال الدين النجيبى

لما تسلم الامير علاء الدين ادغدى الحاج الركفي تدبير دمشق بعد القبض على الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى كما قدمنا شرحه اختار السلطان الملك الظاهر الامير جمال الدين اقوش النجيبى الصالحي وعينه لنيابة السلطنة بها . وتقدم صاحب عز الدين بن عبد العزيز بن وناعة (١٢ ق) وزير الشام . وكان قد جرت بينه وبين الامير علاء الدين طيبرس الوزيرى مفاوضات اوجبت حضوره الى مصر صحبه الركاب الشريف بالعود الى وزارته ومباشرة ما هو معدوق به . وكتب على ايديهما تذكرة تشتمل على كل شىء من الكليات والجوئيات واحوال الحصون وذخيرها يستعين من يتولى من الامور بالنظر فيها والاستمئاد منها وفيها من الامور الملوكية والاسباب الدينية واحوال الاموال وعرض الرجال

مالو كتب بمفرده لكان كتابا ينتفع به في تدبير الملك . وخلق السلطان الملك الظاهر  
عليهما واعطاهما اقطاعا في الشام وتوجهها في هذه السنة والله اعلم .

### ذكر مسير الملك الظاهر الى جهة الطور ونزوله عليها

في شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية عزم السلطان  
الملك الظاهر على التوجه الى الشام . فتجهز الناس وخرج من قلعته في سابع شهر  
ربيع الاول . واقام على باب القاهره مخيما الى حين تجهز الناس . وسافر في حادى  
عشر الشهر المذكور فوصل الى محروسة غزه وهو يديم الصيد في الطريق . وضرب حلقه  
بالعريش بثلاثة الاف فارس كلهم خواصه . وكان في هذه الحلقه من الصيد شىء كثير .  
وتقنطر الامير شمس الدين سنقرا الروي فساق السلطان اليه وتزل عنده وجعل رأسه  
على ركبته واخرج من خريطته موميا فسقاه وسار به الى خيمته . وكذلك الامير سيف  
الدين قلاون الالفى تقنطر ايضا . فاعتمد السلطان معه هذا الاعتماد .

ووصل الى غزه فوجد فيها والدة الملك المغيث صاحب الكرك . فأقبل عليها واکرمها  
واحسن اليها وانعم عليها واعطاها شيئا كثيرا وحصل الحديث في حضور ولدها . وتقررت  
الامور على ما لم يعلمه احد . واعاد عليها العطاء والانعام وعلى كل من حضر معها  
حتى انه حمل في جملة ذلك من الصيد ( ١٣ و ) خمسة عشر حملا وردها الى الكرك ،  
وتوجه صحبتها الامير شرف الدين الجاكي المهندار برسم الاقامات وتجهيزها للملك  
المغيث اذا حضر . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ونظر السلطان الملك الظاهر في امر امراء التركمان وخلق عليهم واحضر امراء  
العايد وجرم وشعلبه وضمنهم البلاد والزمهم بالعدد وشرط عليهم البريد واحضار الخيل  
برسمه . ورأى اعمال الحيله البعيدة المرابي في امر العدو المخذول وكتب الى ملك

شيراز وملك اللور والي حفاجه يستجيشهم على هولوكوا ملك التتار ويعرفهم بما وصلت  
به الاخبار من جهة الروم في البر والبحر من كسر الملك بركه له مرة بعد مرة .

وسار من غزة فنزل الطور في ثاني عشر جمادى الاول (١) وسير الملك الاشرف صاحب  
حمص يلتزم الاذن له في الحضور الى الخدمة فأذن له فحضر في نصف الشهر فتلقيه  
السلطان واحسن اليه وسير اليه سبعين غزالا جملة واحدة وقال صيد هذا اليوم  
جعلته لك والله اعلم .

ذكر احوال الكرك من ابتداء امره الى هذه السنة والقبض على الملك  
المغيث صاحب الكرك .

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي  
في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " : ومما هو مستحدث  
ذكره في كورة الجبال من البلاد الكرك والشويك، فاما الكرك فهو في عصرنا حصن منيع  
ومعقل حصين وله ريبض عليه سور وهو ريبضه على جبل وبين الريبض والقلعة خندق عميق  
نحوستين ذراعا ويدخل الى فضاء الحصن من حنية منحوتة في الجبل طويله عليها  
بابه وحراسه . قال ولما لم اجد له ذكرا فيما طالعت من كتب التواريخ الموضوعة في  
صدر الاسلام ولا في الكتب المصنفة في المسالك والممالك لم ازل (١٣ق) ابحث عنه الى  
ان اخبرني ثقة اعتمد عليه انه كان ديوا للنصارى . وكانت العرب تخطف من فيه من  
الرهبان مقيم فشيده الرهبان بناءه وحصنوه ولم يزل ذلك دأبهم في توسعته وتحصينه  
الى ان صار حصنا واستدعوا اليه طائفة من الفرنج المجاورين لهم ..... (٢) فيه  
عندهم يشقون بهم على من يقصد اذا هم فزاده الفرنج تحصينا واقاموا فيه حاكما ورتبوا  
له جندا وجعلوا يشنون منه الغارات على ما داناها من القرى والضياح الى ان اجلوا

(١) ابن الفرات يستعمل جمادى مونثا هنا على غير عاداته .

(٢) كلمة غير مقروءة .

عنها كثيرا من اهلها واستولوا عليها وصيروها له عملا لتحميه سيوفهم ٠٠٠٠ (١)  
ايدهم الى ان ملكه البرنسر ارناط صاحب انطاكية وسبب ملكه له انه  
لما تخلص من اسر السلطان (٢) وراه بن محمود بعد موته تزوج  
ووجد صاحب الكرك بحكم ان زوجها مات فملكه ٠ وكان نور الدين  
قد قصده في سنة خمس وستين وخمسماية فقصدته الفرنج في جموع  
كثيرة فرحل عنه ثم قصده مرة اخرى في سنة ثمانى وستين وخمسماية  
وحاصره ثم رحل عنه لسبب ومات ولم يظفر منه بفرض ٠

ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف قصده في سنة سبع وسبعين وخمسماية  
قصده عز الدين فرخشاه نايب الملك الناصر صلاح الدين على دمشق والملك العادل  
من مصر ٠ وسبب ذلك ان البرنسر ارناط صاحب الكرك كان من شياطين  
الانس واشدهم عداوة للمسلمين فجمع عسكريا وعزم على المسير الى (٣)٠٠٠  
ومنها الى المدينة المعظمة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ليستولي  
على تلك البلاد ٠ فسمع الامير عز الدين بذلك فجمع العساكر (٥) الدمشقية  
وسار الى بلده فنهبها ٠ فلما بلغ ارناط ذلك علم (٦) ان المسلمين لا يعودون

- 
- (١) كلمة غير مقروءة ٠
  - (٢) كلمة مطموسة ٠
  - (٣) كلمة غير مفهومة ٠
  - (٤) في الاصل " وس ٠٠٠٠ " ٠
  - (٥) غير ظاهر الا " الع ٠٠٠٠ " ٠
  - (٦) في الاصل " ع ٠٠٠٠٠٠ " ٠

الى بلادهم حتى يفرق جموعه ففرقها وانقطع طمعه عما قصده فعاد عز الدين الى دمشق \* وغزاه (١٤ و) السلطان صلاح الدين بنفسه في سنة تسع وسبعين وخمسمائة فملك ريبضه وتسلط على حصاره ونصب عليه المجانيق فلم ينل منه طليلا \* ورحل عنه في منتصف شعبان \* ثم غزاه في شهر ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسمائة فنصب المجانيق على ريبضه واشتد عليه القتال حتى ملك وقي الخندق (١) وامر صلاح الدين بالقاء الاحجار في المجانيق ليطمه ولم يجسرا احد على الدنومنه لكثرة الرمي بالنشاب واحجار المجانيق فأرسل من فيه الى الفرنج يستجدونهم (٢) فساروا اليهم ٠٠٠٠ (٣) فلما بلغ الملك الناصر رحل عنه وسار الى نابلس فنهبها واخربها وحرقها ثم ان اللعين البرنس طلب المهادنة والمهادنة من السلطان صلاح الدين فأجابته ولم يف وذلك انه ٠٠٠٠ (٤) بالشوك قفل من الديار المصرية في حالة المهادنة لينزلوا عنده بالامان فغدر بهم وقتلهم فنذر صلاح الدين نفسه (٥) انه متى ظفربه قتله \*

فلما كانت سنة ثلاث وثمانين وستماية (٦) جمع الجموع من الموصل (٧) وديار بكر والجزيرة واربل وبلاد الشرق وبلاد الشام \* وسير ٠٠ (٨) على الكرك فحصره وضيق عليه ثم بلغه ان الفرنج جمعت لدفعه عن الكرك فرحل وترك عليه اخاه الملك العادل في عسكر والتقى السلطان صلاح الدين بالفرنج على حطين وكانت الوقعة التي اسرت فيها اسرهم وثلت عروشهم وزعزت اسرتهم \* ولم يزل حصن الكرك محاصرا الى ان فتحه الله تعالى في شهر رمضان سنة اربع وثمانين من تايب البرنس ارناط بالامان بعد

- 
- (١) الكلمة في الاصل غير واضحة \*  
(٢) في الاصل بدون نقط \*  
(٣) كلمات غير مفهومة \*  
(٤) كلمة غير واضحة \*  
(٥) كلمة مطموسة \*  
(٦) يجب ان تكون خمسمائة \*  
(٧) غير واضحة في الاصل \*  
(٨) غير واضحة في الاصل \*

ان حوضر سنة ونصفا • واعطاه لآخيه الملك العادل واخذ منه عسقلان • وكان  
البرنسر قد اخذه الملك الناصر في وقعه حطين اسيرا فوفى بقتله نذره • وكان  
ذلك على الله يسيرا •

ولم يزل في يد نواب الملك العادل الى سنة خمس عشرة وستماية (١٤ ق) وقبل  
وفاته بمدة يسيره سلمه لولده الملك المعظم عيسى بجميع ما فيه من الخزائن والذخير  
فزاد في عمارته وتحصينه ونقل اليه ارباب الصناعات حتى جعله مدينة لا تحتاج الى  
غيره ونصب في قراه الاشجار واجرى خلالها العيون • ولم يزل في يده الى ان توفي  
سلخ ذى القعدة سنة اربع وعشرين وستماية • وانتقل الى ولده الملك الناصر داود  
ولم يزل في يده الى ان خرج عنه ووفد الى حلب مستغيثا بالملك الناصر صلاح الدين  
يوسف بن الملك العزيز محمد علي الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر فانه  
كان قد سير الى الحصن الامير فخر الدين بن الشيخ فحاصره وضايقه حتى قلت  
به الاقوات فخرج عنه لهذا السبب في شهر ربيع الاول سنة سبع واربعين وستماية  
وترك به اولاده وجعل ولاية عهده فيه لولده الملك الامجد فراسله الملك الصالح  
وقرر معه انه متى سلم اليه الحصن عوضه عنه خمسين الف دينار واقطاعا بمصر • فاجابه  
الى ذلك وسير اليه الملك الصالح جمال الدين اقوش النجيبى مملوكه وبعث معه بدر  
الدين الصوابي وفوض اليه الحكم فيه • وولى كمال الدين ابن شكر النظر فيه وفي  
اعماله • وحمل اليه خزانة مقدارها الف دينار ومايتى الف دينار • وولى الرضا  
لرجل يسمى الهمام • ولم يزل في يده الى ان توفي في سنة سبع واربعين وملك  
بعده ولده الملك المعظم • ولما قتل في المحرم سنة ثمان واربعين وستماية وملك  
دمشق الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب بعث بدر الدين الصوابي الى  
قلعه الشوبك من احضر الملك المغيث عمر بن الملك العادل زين الدين ابي بكر  
بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن نجم الدين ايوب

في خفية • وكان الملك الصالح نجم الدين ايوب قد حبسه ( ١٥ و ) بها فدخل به الكرك ثالث عشر شهر ربيع الاول سنة ثمان واربعين وستماية واخفاء • ثم ان رسولا من الملك الناصر صاحب دمشق وصل من دمشق يطلب من بدر الدين تسليم الكرك فأنزله واكرمه وبعث الى من معه في الحسن من سيحفظه • وعرفهم انه لا ينبغي ان يخرج الحصن عن احد من اولاد الملك الكامل فانهم مواليه واريد منكم الموافقة على ما اردت • فأجابوه الى ما اراد • فأمر باحضار الملك المغيـث فحضر وحلفهم له وملكه الكرك • ثم استدعى الرسول وقال له هذا صاحب الحصن فتحدث معه • فالتفت اليه وبلغه الرسالة فأجابه بكلام كان قد قرر معه بعد ان قام وقبل الارض مضمونه • اني كنت في الحبس وقد من الله باطلاقي وليس لي ولا لمن بقي من اهلي موضع ينضوون اليه ويعتمدون في النفع عليه والسلطان اعز الله نصره اذا اخذنا هذا الحصن لا بد له نايب والمملوك نايبه فيه لا اصدر ولا ارد الا عن رأيه ومراسمه • فلم يعارضه الملك الناصر وقيل هذا القول منه وذلك في العشر الاواخر من جمادى الاول • ولما صار في يده من غير منازع له فيه ملك بلد الشويك • وبقي الحصن في يده الى ان استولت التتار على دمشق في سنة ثمان وخمسين وستماية فانضوى اليهم وصيروا معه نايبا في الحصن • ثم كانت هزيمة التتار على عين جالوت في شهر رمضان من سنة ثمان • وتولى الملك المظفر قطز على بلاد الشام فكاتبه الملك المغيـث في ابقائه على ما في يده فأجابه الى ان يبقى معه الكرك لا غير • وحل عنه ما كان الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب دمشق اضاف اليه من النواحي وهي الصلت والخليل والبلقاء • ثم قتل الملك المظفر قطز في بقيه السنة وملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح ( ١٥ ق ) البلاد فحمل الملك المغيـث الحسد على ان كتب الى التتار رعدة كتب ووصلته الاجوبة على يد رسول منهم فخاف ان ينم عليه ذلك فسيره تحت الحوطة الى ابواب السلطان

بالقاهرة • فما زال السلطان يتحيل على الرسول ويسطامه الى ان اعترف له لما كاتب به الملك المغيث الى هولاء ملك التتر من حته على النهوض الى بلاد الشام ثم ردف ذلك بأن كتبه وصلت الى الشهرزورية الذين كانوا تحت حرم السلطان الملك الظاهر بالقاهرة بأفسادهم • فتوجه اليه يعقوب بن بدل واعمامه واهله • ووصلت العرب القصاد الذين قفلوا من عند هولاء الى السلطان فأوقف السلطان الفقهاء على الكتب واخذ فتاويهم بأن قتاله يتعين •

• ومرز من القاهرة، ووصل الى غزه فوصلت اليه عليها ام الملك المغيث وقيل وجد فيها ام الملك المغيث وفعل ما قدمنا شرحه • وسار الى الطور فنزل عليها يوم الاثنين حادى عشر وقيل ثاني عشر جمادى الاول من سنة احدى وستين وستماية هذه السنة كما قدمنا شرحه وكاتب الملك الظاهر الملك المغيث بالحضور اليه فسوف ووعده بالحضور وصارت رسله تتوالى الى السلطان وهو يعطيهم وينعم عليهم • وخرج الملك المغيث من الكرك بعد مدافعه كثيرة واقام مدة في الطريق • واظهر السلطان من الاحتفال شيئاً كبيراً وخدمه اعظم خديعه واتى بيوت الخداع من ابوابها وكرم امره عن كل احد • • ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الا قائم السيف صاحباً •

وقيل نزل الملك المغيث من الكرك وجماعة من اصحابه في خدمته منهم ابن مزهر وكان ناظر خزانة المغيث • قال ابن مزهر • وشرعت البريدية تقبل الى الملك المغيث كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر ويرسل صحبتهم الغزلان ونحوها والملك المغيث يخلع عليهم حتى نقد ما كان بخزانته من الخلع • ومن جملة ما كتب اليه في بعض المكاتبات الملوكية ينشد في قدوم مولانا •

خليلي هل ابصرتما او سمعتما بأكرم من مولى تمشى الى عبد

فلما وقف الملك المغيث على هذه المكاتبة سار لوقتته •

ولما وصل الملك المغيـث الى بيسان وكان ابن مزهر قد حذره من الملك الظاهر

فلم يسمع منه ركب الملك الظاهر لتلقيه يوم السبت سابع وقيل سادس عشرى جمادى

الاول (١٦) ومن هذه السنة وسار في احسن زى \* فالتقى الملك المغيـث فلما شاهد

الملك المغيـث الملك الظاهر ترجل فمنعه الملك الظاهر من ذلك واركبه وساق الى جانب

السلطان \* ولما وصل الى باب الدهليز ترجل الى الخيمة المتصورة \* ودخل به الى

خركاه وقبض عليه وعلى اصحابه \* وشفى السلطان غيظه \*

• وكان السلطان الملك الظاهر قد استدعى قبل ذلك قاضي القضاة بدمشق \* \* \* (١)

واظهر ان ذلك الملك ولمبايعه \* ولم يطلع احد على غير ذلك \* فلما وقعت الحوطة على

الملك المغيـث احضر السلطان الملوك والامراء والقاضي والشهود والاجناد ورسـل الفرنجية

والملك المغيـث واخرج كتبه الى التتار وكتبا من جهة العدو والمخذول اليه والفتاوى واحضر

القصاد الذين كانوا يسفرون بينه وبين هولاء ملك التتار وقال الامير اتاك الملك الظاهر:

السلطان يسلم عليكم ويقول ما اخذت الملك المغيـث الا بهذا السبب \* وقرئت هذه الكتب

على الناس فعذره من لم يكن يعرف الباطن في قبضه عليه \* وانصرف الملك الاشرف

صاحب حمص والجماعة كلهم \* وقال السلطان للقاضي ولجماعة العلماء : ما طلبتكم

الا بهذا السبب \* وكتب مكتوب بصورة الحال وكتب فيه القاضي والجماعة \* ثم جهز

الملك الاشرف وركب السلطان لوداعه \*

وفي اليوم الذي قبض فيه على الملك المغيـث جلس الملك الظاهر بعد انقضاء المجلس

وامر بالكتب الى الكرك بعد من فيها بالا حسان ويحذرهم عواقب الطغيان وسير الامير

بدر الدين بيسرى الشمسي والامير عز الدين الظاهري استاد الدار العاليه الى جهة

الكرك وجهاز الخلع والاموال ليلحقها بها \* وجهاز الملك المغيـث عشيه الى الديار

المصرية صحبة الامير شمس الدين آقسنقر السلحدار الفارقاني استادا ادار فوصل به الى

قلعة الجبل بالديار المصرية فحبسه فيها . واطلق السلطان اهله وحاشيته (١٦ ق)  
وسير حريمه الى مصر واطلق لهم الرواتب . وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر الامور التي اوجبت انحراف الملك الظاهر عن الفرنج  
خذلهم الله تعالى وما جرى بينه وبين رسلهم من الخطاب  
وانفصالهم عن غير رضى الى عكسا .

كنا قد منا حديث الصلح مع الفرنج خذلهم الله تعالى . ولما راوا احسان السلطان  
الملك الظاهر ركن الدين بيبيرس الصالحي شرعوا يحيدون عن الحق ويطلبون زرعين والسلطان  
يجاوسهم بأنكم اخذتم عوضها في الايام الناصرية ضياع من مرج عيون وقايضتم صاحب تبنيين .  
وصارت كتبهم ترد الى السلطان بان سلوحا سرقونا من جهة الاطرون وتارة من جهة بانياس  
والسلطان يأمر برد كلامهم . ووصلت كتب نواب الشام يشكون منهم وانهم اعتمدوا امورا تفسخ  
الهدنة . ولما سار السلطان من الديار المصرية الى الشام كما قدمنا شرحه وصار في وسط  
بلادهم ورد رسول منهم يهنونه بالسلامة ويقولون ما عرفنا بوصول السلطان فكان الجواب :  
ان من يريد يتولى امرا ينبغي ان يكون فيه يقظه ومن خفي عنه خروج هذه العساكر  
وجهل ما علمته الوحوش في الفلاة والحيتان في المياه من كثرة هذه العساكر التي بيوتكم  
ما فيها موضع الا ويكنس منه التراب الذي اثارته خيل هذه العساكر . ولعل وقع سنابكها  
قد اصم اسماع من وراء البحر من الفرنج وفي موغان من التتار . اذا كانت هذه العساكر  
تصل جميعها الى ابواب بيوتكم ولا تدرن فأي شيء تعلمون ؟ " .

وانفصل الرسول على هذا الحال (١٧ و) ووصلت نواب يافا ونواب ارسوف بهدية اخذت  
منهم تطمينا وتسكينا لقلوبهم . هذا والسلطان يأمر ان لا ينزل احد لهم في زرع ولا يسب  
فرس ولا تؤذى لهم ورقة خضراء ولا يتعرض الى شيء من مواشيهم ولا فلاحهم . ورفق بهم

اتم رفع انتظارا لرجوعهم عن الغي وكانت كتبهم قبل توجه السلطان الى الشام مضمونها طلب فسخ الهدنة والندم عليها . وصارت عند قرب السلطان ترد بأنهم باقون على العهد مستمسكون بأذيال الموائيق . وكان مقدم الاستبار قد كتب عدة كتب منها جواب عن مشافهة على لسان افرير صامح كمندور الديوية بقبرس مضمونها : انكم نقضتم العهد بأمر منها ان شرط الهدنة لا يحدث (١) بناء . وقد شرع بيت الاستبار في بناء ريف على ارسوف " . فكان جوابهم : اننا لم نبين هذا الريف الا لحماية الصعاليك من متحومة (٢) المسلمين ولا مور قد بلغتنا سوف تسمونها يعني اخبار التتار " . فكان الجواب اليه : اما تجديد الربط لحفظ الصعاليك فالبلاد ماتحفظ بالاسوار ولا تحفظ الرعية بالخنادق ولا تحفظ الا بأحد امرين اما بالسيوف والعزائم واما بحسن الجيره وبذل الاحسان وكف الاذى . ومن يخاف من اللصوص لم لا يخاف من غيرهم . واما امر التتار فقد علم كل احد انا عندما تحصنتم بالاسوار والخنادق خرجنا الى التتار وما جعلنا حصوننا الا خيولنا ولا خنادقنا الا سيوفنا ولا اسوارنا الا رجالنا " .

ولم تنزل رسلهم تتردد في هذا ومثله الى ان فرغ السلطان من شغله الذي كان في نفسه وهو حديث الملك المغيث . فلما كان اليوم الذي قبض عليه فيه احضر الملك الظاهر بيوت الفرنجية وقال : ماتقولون ؟ قالوا نتمسك بالهدنة التي بيننا . فكان الجواب : لم لا كان هذا قبل حضورنا الى هذا المكان وانفاق الاموال التي لوجرت (١٧ق) لكانت بحارا ونحن (٣) ما آذينا لكم زرا ولا غيره . وانتم منعتم الجلب والميره عن العسكر (٤) وسيرتم

---

(١) " يجدد " في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ . (٢) متحومة ، في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ .  
(٣) في المقرئى السلوك . ص ٤٨٤ ونحن لما حضرنا الى هاهنا ما آذينا لكم زرا ولا غيره  
ولأنهيب لكم مال ولا ماشية ولا اسر لكم اسيرا (٤) في المقرئى ، السلوك ص ٤٨٥ " وحرمت  
خروج شئ من الغلات والاعنام وغير ذلك " .

الينا الى دمشق (١) نسخة يمين حلفنا عليها وسيرنا نسخة يمين (٢) لم تحلفوا عليها  
وعلمتم انتم نسخة حلفتم عليها وشرط اليمين الاولى تتعلق (٣) بالثانية • وسيرنا الاسارى  
الى نابلس ومنها الى دمشق وما سيرتم انتم احدا الا كل بيت (٤) يحيل على الآخر (٥)  
وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الاسرى فلم تبعثوا احدا ولم ترحموا  
اهل ملتكم الاسرى وقد وصلوا الى ابواب بيوتكم • كل ذلك حتى لا تبطل اشغالكم من  
اسرى المسلمين عندكم واماوالتجار شرطتم القيام بما اخذتموه (٦) لهم • ثم قلمت  
ما اخذت من بلادنا وانما قلمت اخذها (٧) في انظرطوس وحمل المال الى خزانة (٨)  
الديوية والاسرى في بيت الديوية (٩) فان كانت انظرطوس ماهي لكم فالله يحقق ذلك •  
ثم اننا سيرنا رسلا الى جهة (١٠) الروم وكتبنا اليكم بتسفيرهم في البحر فاشرتم عليهم  
بالسفر الى قبرس (١١) فاخذوا وقيدوا وضيق عليهم واتلف احداهم على ما ذكر (١٢)  
مع احساننا الى رسلكم (١٣) • وجرت عادة الرسل انها لاتؤذى وما زالت الحرب

- 
- ١) هي " بدمشق " في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥، بدل الى دمشق •
  - ٢) في المقرئى، السلوك، ص ٤٨٥ من عندنا بعد كلمة يمين •
  - ٣) متعلق، في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ •
  - ٤) في المقرئى، السلوك، ص ٤٨٥، هي " وكل بيت " •
  - ٥) بعدها " وما سيرنا الاسرى الاوفاء بالعهد واقامة الحجة عليكم " المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - ٦) منها عند المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - ٧) عند المقرئى السلوك ص ٤٨٥ " اخذت في " •
  - ٨) بعدها كلمة بيت عند المقرئى السلوك، ص ٤٨٥ •
  - ٩) او الاسرى في بيت الديوية في ابن عبد الظاهر ص ٦٨ •
  - ١٠) بلاد السلاجقة في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥ •
  - ١١) فسافروا بكتابكم وامانكم، في المقرئى، السلوك ص ٤٨٥ •
  - ١٢) فان كان هذا يرضاكم فبئس ان يعتمدوا هذا الاعتماد • هذا في المقرئى السلوك ص ٤٨٥ •
  - ١٣) وتجا ركم والوفاء احد اركان الملك " المقرئى السلوك، ص ٤٨٥ •

قائمة والرسول تتردد (١) • وان كان هذا بغير رضاكم فهذا (٢) نقص في حرمتكم (٣) • وهل كانت الملوك (٤) تقى (٥) النفوس (٦) والاموال الا بحفظ (٧) الحرمه وصاحب (٨) قبرس اكثر تعلقاته في عكا والساحل وله عندكم المراكب والتجار (٩) وها (١٠) هو منفرد بنفسه عنده (١١) الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون (١٢) وعنده كند يافا (١٣) فلو كنتم لاتوثرون ذلك كنتم جميعكم عليه واحتظتم (١٤) على كلما يتعلق به (١٥) وكتبتم الى ملوك الفرنجيه والى الباب (١٦) بما فعله • وكان الواجب على (١٧) احرامه •

(١) وما القدرة على الرسول بشي يسكن غيظا ، المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٥ •  
(٢) فانه " في المقريزي ، السلوك ص ٤٨٥ •

(٣) واذا كان صاحب جزيرة قبرس من اهل ملتكم ، يخرق حرمتكم ولا يفى بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم ، فاي حرمة تبقى لكم واي ذمام يوثق به منكم ، واي شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجيه المقريزي السلوك ص ٤٨٥ ، اما ابن عبد الظاهر ص ٦٩ ، فلم يذكر " قبرس " بعد " جزيرة " ثم لم يذكر ما بعد " حرمتكم " •

(٤) بعدها الماضية في المقريزي السلوك ص ٤٨٥ •

(٥) " تقني " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح •

(٦) بعدها " والرجال " في المقريزي السلوك ص ٤٨٥ •

(٧) " لحفظ " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ وهي هنا اصح •

(٨) " وما صاحب جزيرة قبرس ملك عظيم ولا صاحب حصن منيع ، ولا قائد جيش كثير ، ولا هو خارج عنكم بل " المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٥ - ٤٨٦ •

(٩) " والاموال والرسول " المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ •

(١٠) " وما " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ " وليس " في المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ •

(١١) " وعنده " المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ •

(١٢) " مقيمون عنده " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ والمقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ •

(١٣) بعدها " وغيره " في المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٦ •

(١٤) " واحتظتم " في المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ •

(١٥) بعدها " واصحابه واسترحتم من هذه الفضيحة " المقريزي ، السلوك ، ص ٤٨٦ •

(١٦) " البابا " في المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦ • راجع ابن عبد الظاهر ص ٦٩ ، ملحوظة ١ •

(١٧) كلمة غير واضحة ولكنها " اللكاظ " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ • اما المقريزي ، السلوك ص ٤٨٦

فيقول : واذا قلت صاحب قبرس لا يسمع منكم ولا يطيعكم ، فاذا لم يسمع منكم صاحب قبرس وهو من اهل ملتكم ، فمن يسمع منكم ؟ وهل لهذه التقدمة الا الامر والنهي ؟ ولا سيما وانتم تقولون ان امورك دينية ، ومن ردها عص المعبود ، ويغضب عليه المسيح • فكيف لا يعصى المعبود ويغضب المسيح على صاحب قبرس ، وقد رد امرك واغرى بكم وقبح قولكم ؟ وكنا لو اشتبهينا اخذنا حقنا منه ، وانما الحق عندكم نحن نطلب منكم وانتم تطلبون منه • •

وقال السلطان : انتم (١) في ايام (٢) الصالح اسماعيل اخذتم صغد والشقيف  
على انكم تنجدونه على السلطان الشهيد (١٨ و) الملك الصالح (٣) وخرجتم جميعكم  
في خدمته ونجدته وجرى ماجرى من خذلانه وقتلكم واسركم واسر ملوككم ومقدمكم (٤) .  
وكل احد يتحقق (٥) ماجرى عليكم من زهاب الارواح والاموال . وانتقضت (٦) تلك الدولة  
وانقضت (٧) ولم يواخذكم السلطان الشهيد عند فتوحه البلاد . واحسن اليكم فقابلتم  
ذلك بأنكم (٨) رحتم الى الريد افرانس وساعدتموه واتيمم صحبته الى مصر حتى جرى  
عليكم (٩) ماجرى من القتل والاسر . فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر ام اى حركة افلنحتم  
(١٠) ؟ وبالجملة فأنتم اخذتم هذه البلاد من الصالح (١١) اسماعيل لاعانة مملكة  
الشام واطاعة (١٢) ملكها ونصرته (١٣) وقد صارت مملكة الشام (١٤) وغيرها الى  
(١٥) وما انا محتاج الى نصرتكم ولا الى نجدتكم (١٦) . فتردوا (١٧) ما

- 
- (١) " وانتم " في المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٢) " الملك " بعدها، المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٣) بعدها " نجم الدين ايوب " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٤) " واسر مقدمكم " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٥) " تتحقق " في ابن عبد الظاهر ص ٦٩ .
  - (٦) قبلها " وقد " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٧) ليست في نص المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٨) " بأن " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ .
  - (٩) ليست في نص المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٠) بعدها " فيها " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠، والمقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١١) " الملك الصالح " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٢) " وطاعة " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٣) بعدها " والخروج في خدمته، وانفاق الاموال في نجدته " المقرئى السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٤) بعدها " بحمد الله " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٥) " لي " ابن عبد الظاهر، ص ٧٠ المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٦) بعدها " ولم يبق لي عدواخافه " المقرئى، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (١٧) " فردوا " المقرئى، السلوك، ص ٤٨٦ و " فتردون " ابن عبد الظاهر ص ٧٠ .

اخذتموه للاسلام (١) بهذا الطريق وتفكون (٢) اسرى المسلمين جميعهم . وغير ذلك لاقبله (٣) .

فلما سمعوا هذه المقالة بهت الذين كفروا وقالوا : نحن لاننقض الهدنة ونطلب (٤) مراحم السلطان في استصحابها واستدامتها (٥) ونحن نزيل شكوى النواب جميعها (٦) ونفك الاسرى " . فقال السلطان : كان هذا قبل خروجي (٧) في (٨) هذا الشتاء وهذه الامطار ووصول العساكر (٩) وانفصلوا على هذه الصورة وامر السلطان انهم لا يبيتون في الوطاق .

ذكر هدم كنيسة الناصرة ومسير تجريده الى عكا ورجوعهم

وما فعله الملك الظاهر في مقامه بالطور

لما جرى لرسل الفرنج مع السلطان الملك الظاهر ما قد منا شرحه رسم بهدم كنيسة الناصرة وهي اكبر مواطن العبادات التي لهم . ويقولون ان منها خرج دين النصرانية . فوجه الامير علاء الدين طبرس اليها وهدمها الى الارض . فلم يجسر احد من ساير الفرنجية ان يخرج من باب عكا ولا يتكلم بكلمة (١٨ ق) واحدة .

- 
- (١) " اخذتم للاسلام " في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ و " اخذتموه من البلاد " في المقرئى ، السلوك ص ٤٨٦ وليس فيه ، بهذا الطريق .
  - (٢) وفكوله المقرئى ، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٣) فاني لاقبل غير ذلك ، المقرئى ، السلوك ص ٤٨٦ .
  - (٤) وانما نطلب ، المقرئى ، السلوك ص ٤٨٧ .
  - (٥) في استدامتها ، المقرئى ، السلوك ص ٤٨٧ .
  - (٦) ليس في المقرئى ، وبدلها : النواب ونخرج من جميع الدعاوى " السلوك ص ٤٨٧ .
  - (٧) بعدها ، من مصر ، المقرئى ، السلوك ص ٤٨٧ .
  - (٨) من ، في ابن عبد الظاهر ص ٧٠ .
  - (٩) بعدها الى هنا ، ابن عبد الظاهر ص ٧٠ ، المقرئى ، السلوك ص ٤٨٧ .

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمرى وصحبته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها . ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها . وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد . ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه . وهولا يشتغل بغير امر ونهبي وعطاء وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها .

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجهها .

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل . ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاء اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه . وكذلك الامير سيف الدين الكامل والامير شمس الدين سنقر الخزندار العمادى . امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه . وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه . وكتب للامير جمال الدين ايدغدى العزيزى زيادة جماعة جنده . وخاضر في الشام وهي ثلاثون فارسا . ووجد اهل البلاد والاهواء قد عانوا وتسلطوا على الرعية ولزمتهم دريات بذلك مجهولة المصرف وفيهم عيون الفرنج . ووجدهم فلاحى البلاد ولا يمكن اتلافهم فقرر عليهم جنايات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل وليسرله وارث وعما نهبوا من مال جهل مالكة فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجبال النابلسية وانكسرت شوكتهم .

ثم جرد الامير بدر الدين الايدمرى وصحبته جماعة فتوجهوا الى جهة عكا وهجموا على ابوابها . ثم توجه الامير المذكور مرة اخرى فأغار على المواشي واستباح منها شيئا كثيرا وحضر بجميع ذلك الى المخيم المنصور .

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز وعلى الصفة التي عمرها هناك وكتب اسمه عليها . وهي مبنية بالحجر المنحوت لا يحتجب عن احد . ومن وقف له احضره واخذ قصته وانصفه . وهولا يشتغل بغير امر ونهي وعطاء وتدبير في امر الكرك وارسال خلع ومال واستجلاب اهلها .

ووصلت رسل دار الدعوة ومعهم الهدايا ووصل ولدا الصاحبين مقدمي الدعوة فأحسن السلطان اليهما وتوجهها .

ولم يخل السلطان وقتا من تأمير جماعة في الشام والساحل . ومن جملة من امر الامير علاء الدين ايدكين البندقدار اعطاء اقطاعا جيدا في مصر وطبلخاناه . وكذلك الامير سيف الدين الكاملي والامير شمس الدين سنقر الخزندار العمادى . امرهما بالشام واعطاهما الطبلخاناه . وكذلك الامير حسام الدين العنتابي امره في بلاد حلب واعطاه طبلخاناه . وكتب للامير جمال الدين ايدغدى العزيزى زيادة جماعة جنده . وخاض في الشام وهي ثلاثون فارسا . ووجد اهل البلاد والاهوا . قد عانوا وتسلطوا على الرعية ولزمتهم ديات بذلك مجهولة المصروف وفيهم عيون الفرنج . ووجد هم فلاحى البلاد ولا يمكن اتلافهم فقرر عليهم جنایات يقومون بها لبيت المال عن ديات من قتل وليسرله وارث وعما نهبوا من مال جهل مالكة فحملت جمل كثيرة من البلاد الساحلية والجبال النابلسية وانكسرت شوكتهم .

وركب السلطان مرارا الى قبر دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩ و) وزاره وزار في طريقه قبر ابي هريرة رضي الله عنهما في بينا والله اعلم .

ذكر مسير السلطان الملك الظاهر الى عكا وقتله للفرنج

واسرهم ورجوعه سالما .

لما كان ليلة السبت رابع جمادى الآخرة من هذه السنة ركب السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وجرّد من كل عشرة فارسا واحدا صحبته واستناب الامير شجاع الدين الشبلي امير مهندار في الدهليز . وساق من منزله الطور نصف الليل . فلما اصبح وقف قريب عكا في الوادي الذي يقاربها ومنه يشرف عليها . وامر الناس تلبس السلاح ورتب العسكر . ولم يزل سايقا الى ان اطاف بعكا من جهة البر . وسير جماعة الى برج كان قريبا منها فيه جماعة فحاصره وللوقت احدث فيه الثقب . وكان توجه السلطان اليها في هذه الجماعة انما هو لكشفها . وكان الفرنج يقولون ان احدا لا يجسر ان يقرب منها ولم يزل كذلك الى قريب المغرب والفرنج ينظرون من ابواب المدينة وتل الفضول . ثم رجع الى الدهليز قريب البرج المذكور عند المساء . ولما اصبح ركب وركب الناس في خدمته وساق اليها . وكان الفرنج خذلهم الله قد حفروا خنادق حول تل الفضول وجعلوها معانثر في الطريق . ووقف الفرنج صفوفًا على التل المذكور . ولما اخذت العساكر اهبة القتال والسلطان نفسه يسوق ميمنة وميسرة ويرتب الناس حتى انه مما يذكر الله سبحانه وتعالى ويأمر الناس به عن التهليل والتكبير ويندب اليه من المطالح شوش من صوته . وللوقت ردمت الخنادق بحوافر الخيل وبأيدي الرجال من غلمان العساكر والفقراء المجاهدين وطلع الناس الى تل الفضول وا نهزمت الفرنج الى المدينة (١٩ ق) وحرق الناس ما حول

عكا من الابراج والاسوار وقطعوا الاشجار وحرقوا الثمار . فلا يرى الناس الا دخانا  
او عجاجا وسيوفا لامعة واسنة قاطعة ساطعة . وساق العسكر الى ابواب عكا يقتلون  
ويأسرون . ففي ساعة واحدة قتل جماعة من كنودهم وفرسانهم وخيالتهم واسرت جماعة  
خيولهم . وخرج اكا برهم وحف بهم البلاء وطمع فيهم الناس ورموهم الخنادق بخيولهم  
وفيهم جماعة من الديوية والاسبتار . وهرب من بقى من الفرنج الى الابواب من جهة  
الاسوار وتدلووا لحفظ الابواب ويزعقون بصوت واحد . الباب الباب خوفا من الهجوم  
عليهم والسلطان واقف على رأس التل مما يلي عكا ينعم ويعود . وحضر اليه رجل اسمه  
جليس من اصحاب ابن اطلس خان بفارس طعنه ورماه . وقامت الضجة لاجل رميه من  
الفرنج . فأسره فأعطاه السلطان منديله بأربعين فارسا . وضرب السلطان مشورة  
من اى جهة يأخذها . وعرف احوالها وحمل الامراء واحد ثم واحد الى الابواب فخرج  
في ذلك النهار من اعيان الامراء جمال الدين ايدغدى العزيزى في ركبته جرحا خفيفا .  
ثم حمل الناس حملة واحدة الى ان رموا الفرنج في الخنادق . وهلكت جماعة منهم في  
الابواب . فكان اول ما وقف السلطان ساق الامير على الشهرزورى عند اللقاء اصلى  
رمحا من يد احد الخيالة اخذه وساق . وكان مما احضرت سعة حصن بركصطوانات  
وثنى بعد ذلك عنان فرسه امهالا وسار عايذا الى عسكره المنصور . فجلس واحسن  
الى من جاهد . وفرق كتب البشائر على من عمل صالحا في ذلك اليوم (٢٠ و) ولم يزل  
منتصبا كذلك الى قريب العصر لابس عدته . وساق الى البرج الذى كان النقبون  
علقوه . فوقف حتى رمى واخرج منه بأمانه اربعة خياله اخوه ونيف وثلاثون رجلا .  
ولما خرج الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى ساق اليه السلطان وسلم  
عليه وسير اليه تشريفا من ملابسه الخاص . ويات واصبح راجعا وعبر على بلادهم

وكشفها مكانا مكانا . وعبر على كنيسة الناصرة . وكان فيما قيل قد سير اليها الامير  
عز الدين الافرم امير جاندار غلقها وخربها وهدمها الى الارض .

ولما رجع السلطان ونزل جلس على المصطبة التي امر ببنيانها قبالة الطهور  
واحضر الشموع بالمنجنيقا ونصب عليها خيمة واحضر صاحب فخر الدين وزير الصحبة  
وجماعة كتاب الدرج الشريف وهم سبعة : صاحب فخر الدين ابن لقمان ، والصدر  
بدر الدين حسن الموصل ، والصدر كمال الدين احمد بن العجمي ، والصدر فتح الدين  
ابن القيسراني ، والصدر شهاب الدين احمد بن علي بن عبيد الله ، والصدر برهان  
الدين ، وكتاب الجيش وهم صاحب فتح الدين ابن سناء الملك ، والشريف الطاهر  
شرف الاسلام المطري ، والقاضي جمال الدين الحنفي وبقية كتاب الجيش والسديد مستوفي  
الصحبة ، وجعل الامير سيف الدين الزيني امير علم جالساً عند ديوان الجيش لكتابة  
المناشير وتجهيز الطبلخاناه والاتابك بين يدي السلطان . واستدعى من دساراته  
خمسمائة فارس برسم الطبلخاناه وخيول الامراء واحضرت الخلع الكثيرة بين يديه وامر  
سلاح داريه بان يستريحوا بالنوبة ويحضروا . ولم تنزل المثالات والمناشير تكتب وهو  
يعلم ( ٢٠ ق ) واعطى تلك الليلة الحراس الهنود جملة . وكتب بين يديه تلك الليلة  
سنة وخمسون منشورا كبارا يخطب وطغر لامراء كبار . والصاحب فخر الدين يعلم وصاحب  
ديوان الحراس فتح الدين بن سناء الملك حاضر وهو صاحب ديوان الجيوش المنصورة  
يعلم . والامير بدر الدين الخزندار واقف يعلم والمستوفي ينزل حتى كملت بين يديه  
واصبح السلطان فخلا بنفسه وجهمز الطبلخاناه والسناجق والخيل والخلع الى الامراء  
وجعل الامير ناصر الدين القيمري نايب السلطنة بالفتوحات الساحلية .

ذكر رحيل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وذكر بعض اخبار

بيت المقدس الى ان دخلها الملك الظاهر في هذه السنة

وكذلك مدينة الخليل عليه السلام وهما من بلاد

جند فلسطين البرية الذي وعدنا بذكرها .

لما رجع السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من عكا وفعل ما قدمنا

شرحه رحل من الطور يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة . ثم جرد جماعة صحبته  
وجماعة الى الصالحية فوجه صحبتهم الامير علاء الدين امير جاندار .

قد قدمنا سبب بناية بيت المقدس ومن بناه وكيف خرب ثم اعيد وبعض فضايله  
وسبب فتحه في زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونذكر هنا لمعه  
من خبر من ملكه الى ان دخله الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في هذه السنة .

قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه

"كتاب الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة" ما صيغته : الصفة التي  
عليها مدينة بيت ( ٢١ و ) المقدس في عصرنا انها على جبل يصعد اليها من كل جانب  
وهي طويلة في طرفها الغربي باب المحراب . وهذا الباب عليه قبه داود عليه السلام .  
وفي طرفها الشرقي باب الرحمة وهو مغلق لا يفتح الا في عيد الزيتون . ولها من جهة  
المحراب باب يسمى باب صهيون ومن الشمال باب يسمى باب الغراب . ومتى دخل  
الداخل من باب المحراب يسير نحو المشرق في زقاق شارع الى الكنيسة العظمى المعروفة  
بكنيسة القيامة والمسلمون يسمونها قمامه . وهي من عجائب الدنيا بناء .

وقال البلاذري : قدم ابو عبيده على عمرو بن العاصي وهو ظاهر ايليا

في سنة ست عشرة للهجرة فطلب اهلها من ابي عبيده الامان والصلح على مثل ما صولح

عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج على ان يكون متولي العقد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه . فكتب ابو عبيده الى عمر رضي الله عنهما بذلك فسار عمر رضي الله عنه حتى نزل الجابية من دمشق ثم صار الى ايليا فانفذ صلح اهلها وكتب لهم بذلك وذلك في سنة سبع عشرة للهجرة . وقد قدمنا ذلك مفصلا .

ولم تنزل بعد الفتح في الولاية على ما قررناه في غيرها من البلاد المضافة الى الاجناد . فلما صارت الى المستنصر العبيدي صاحب الديار المصرية خرج الامير اتسزين لوق التركي فقصد ارض فلسطين فملك الرملة وبين المقدس من نوابه سنة ثلاث وستين واربعمائة . فخرج الامير بدر المستنصر في سنة خمس وستين واربعمائة فاستعاد الرملة والقدس وولى فيهما نايب من جهته ثم عاد الى مصر في سنة ست وستين واربعمائة فعاد اتسز الى القدس فملكه في بقية السنة . . ولم يزل في يده الى ان قصد مصر بعسكره فكسر . في شهر (٣١ ق) رجب سنة تسع وستين واربعمائة وعاد منهزما الى دمشق فجمع وخرج الى القدس . وكان من فيه وثبوا على من عندهم من الاتراك من اصحابه فقتلوا اكثرهم والتجاء (١) من بقي منهم الى محراب داود تحصنوا به واقاموا حتى وصل اتسز الى القدس فراسل اهله في الدخول في الطاعة . فابوا فنازلهم في شعبان . واقام يحاصرهم الى ان فتح له القيم محراب داود فدخل المدينة بالسيف وقتل عامة اهلها . واستمر القتل فيها ثلاثة ايام . ولم يبق منهم الا من استجار بالصخرة والمسجد الاقصى . وبقي بيت المقدس في يده الى ان خرج الامير نصير الدولة الجيوشي فاسترجع القدس وما كان قد استولى عليه اتسز من بلاد فلسطين والاردن . ونزل على دمشق فحاصرها . فكتب الامير اتسز صاحب دمشق الى الامير

---

(١) في الاصل " والتجى " .

تاج الدولة صاحب حلب يستنجده • فلما سار اليه رحل الامير نصير الدولة ورجع الى مصر • فلما قتل تاج الدولة اتسز سار الى القدس فملكه فيما ملك وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية • ولم يزل القدس في ايدي نوابه الى ان اقطعه الامير ارتق بن اكست وبقي في يده ويد ولديه من بعده ايلغازى وسكمان الى ان قصدهما الافضل امير الجيوش شاهنشاه بن امير الجيوش بدر المستنصرى من مصر في عسكر • فنزل عليها في شعبان سنة تسعين واربعماية وحاصرها وضايقها ونصب عليها المجانيق فهدم بها ثلثة من السور واشرف من فيها على الغلب • فبعث سكمان الى الافضل يطلب منه الامان له ولاخيه ايلغازى ولاصحابهما • فأجابهما وتسلم البلد وولى فيه من قبله وذلك في سنة احدى وتسعين واربعماية • وخرج سكمان واخوه الى دمشق •

وبقي القدس في أيدي (٢٢ و) المصريين الى ان قصدها الفرنج في سنة اثنتين وتسعين واربعماية وحاصروها اشد حصار حتى ملكوه في اليوم الثاني من شعبان من السنة عنوة بعد السنة عنوة بعد اعطائهم الامان لمن فيه • فأحرقوا المصاحف واخربوا المساجد وكان ملكهم يومئذ كندفرى • واقام فيه الى ان مات وصار الى جهنم وبئس المصير • وولى اخوه اللعين بغدوين بعده ودام ملكه الى ان اصابه جرح على العرش فمات منه في التاسع من ذى الحجة سنة احدى عشرة وخمسماية • وتولاه بعده القمص بغدوين صاحب الرها بعهد من بغدوين الاول لعنهما الله • فسار اليه وملكه وسكنه وبقي في يده الى ان مات بالفالج بين نابلس والقدس ليلة الاثنين حادى عشرى شهر رمضان سنة خمس وعشرين وخمسماية وملكه بعده بعهد منه زوج ابنته اللعين فلك ابن فلك وبقي في يده الى ان وقع عن فرسه وهو طارد ارنبا في ارض عكا • ففاصت رقبتة في صدره وعجل الله بروحه الى النار وذلك في سنة ثمان وثلاثين وخمسماية •

وولي بعده البلاد اكبر اولاده اللعين بغدوين وبقي حاكما على ما كان بيد ابيه من البلاد الى ان مات في سنة ثمان وخمسين وخمسماية وتولى بعده اخوه " لعدى " (١) وهلك في سنة ثمانين وخمسماية . وتولى بعده ولد صغير وفوض تدبير دولته للقومص بن مارزان صاحب طرابلس وكان ابن عمه .

وبقي في يده الى ان قصده السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي . فنصب عليه المجانيق وسلط على سوره النقوب مما يلي وادى جهنم الى ان تسلمه يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسماية كما قدمنا (٢٢ ق) شرحه . ولم يزل القدس في يد السلطان صلاح الدين يوسف الى ان اقطع البلاد من اولاده فكان للافضل من دمشق الى العريش خلا الكرك والشويك . فانهما كانا للملك العادل ابن بكر بن نجم الدين ايوب شادى بن مروان الايوبي . فاقطع الافضل القدس للامير عز الدين جرديك النورى . ثم اخذها العزيز عثمان قطعها علم الدين قيصر سنة تسعين وخمسماية . ثم وقع الاتفاق على ان تبقى فلسطين للملك العزيز والاردن للملك الافضل . فاقطع العزيز القدس لابي الهيجا السمين فعصى عليه في سنة اثنتين وتسعين وخمسماية .

وفيها ملك الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين يوسف صاحب الديار المصرية دمشق وسلمها لعمه العادل ونزل له عن القدس فاسترجعه من ابي الهيجا واقطعه سنقر الكبير . ثم استعاد منه واقطعه ميمون القصرى في سنة اربع وتسعين وخمسماية ومات العزيز في سنة خمس وتسعين وخمسماية .

ولما مات الملك العادل ابي بكر بن ايوب البلاد اقطع دمشق والاردن وفلسطين لولده الملك المعظم عيسى فاستمرت في يده الى ان قصدت الفرنج دمياط واستولوا

(١) كذا في الاصل والمعروف ان لفلك ولدين احدهما بغدوين الثالث والاخر اما لريك الاول .

عليه فاستنجده اخوه الملك الكامل صاحب الديار المصرية • فلما وصل اليه شكى له ما الفرنج عليه من القوة وسأله ان يعطيه القدس وكوكب والطور ليعطيها للفرنج عوضاً عن دمياط فأسرهما في نفسه ووعدته فيها بما طاب به قلبه • ولما تضايق بالملك الكامل الامر في حصار دمياط بعث اخاه الملك المعظم الى اخيه الملك الاشرف يستنجده وهو بحران • فأخرب القدس في طريقه وكوكب حتى لا يشفع بهما الفرنج ولا يرغبون فيهما •

• وقى القدس في يده خراباً الى ان توفي في ( ٢٣ و ) سنة اربع وعشرين وستماية •  
فخر الملك الكامل الى الشام في شوال سنة خمس وعشرين وستماية فولى في بلاد فلسطين • وكان الانبرطور ملك الفرنج قد وصل الى عكا والملك الكامل بنابلس فكتب اليه الانبرطور اما ان تسلم الي القدس وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين او تلقاني • وترددت الرسل بينهما في ذلك • وكان للملك الكامل غرض في تملك دمشق فجمع الامراء واستشارهم فكل منهم اشار بالعود الى تل العجول خلا الامير سيف الدين ابن ابي زكري فأنه قال : ابق دمشق على ابن اخيك الملك الناصر داود واطلبه واطلب اخاك الملك الاشرف وعسكر حلب وقاتل هذا العدو فأما لنا واما علينا • ولا يقال عن السلطان انه اعطى الفرنج القدس • فامتعض لذلك وقبض عليه وسيره الى مصر فحبسه فيها • وعاد الى تل العجول واستدعى الملك الاشرف من دمشق • وكان قد وصل اليها • ولما غلب على الملك الكامل رغبته في تملك دمشق اذ عن لتسليم القدس للانبرطور فتسلمه في حادى عشر شهر ربيع الاول سنة ست وعشرين وستماية • واستمر القدس في ايدي الفرنج الى ان توفي الملك الكامل في سنة خمس وثلاثين وستماية •  
• وملك الملك الجواد بعده دمشق فقايض الملك الصالح نجم الدين ايوب بين الملك الكامل عن دمشق بسنجان • فوصل الى دمشق ثم خرج منها الى نابلس في سنة

سبع وثلاثين وستماية قاصدا مصر وفيها اخوه الملك العادل فاستولى الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب على دمشق وقبض الملك الناصر داود صاحب الكرك على الملك الصالح نجم الدين ايوب بنابلس وجسسه في الكرك . وجمع عسكرا ( ٢٣ ق ) عظيما ونزل به على القدس يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الاول من السنة وكان الفرنج قد عمروا به برجا يعرف ببرج داود وحصنوه . فنصب عليه المجانيق وضايقه الى ان تسلمه يوم الاثنين ثامن جمادى الاخره وملك بيت المقدس وولى فيه من قبله وكتب كتابا بيده ومن انشاه الى الخليفة المستنصر بالله امير المؤمنين نسخته قدمنا ذكرها .

ولم يزل القدس في يد الناصر داود الى ان اتفق مع الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق والمنصور ابراهيم صاحب حمص على مصالحة الفرنج ليعينوهم على قتال الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية واعطوهم صفد والشقيف والقدس . فدخل الفرنج القدس ورفعوا الصليب على الصخرة واخرجوا من فيه من المجاورين الى مدينة الخليل عليه السلام .

واستمر القدس في ايدي الفرنج الى ان جاءت الخوارزميه الى الشام في سنة احدى واربعين وستماية باتفاق مع الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية وهجموا القدس وقتلوا من فيه من الفرنج وطهروا الصخرة من اوساخهم وذلك في سنة اثنتين واربعين وستماية . ثم خرج اليهم من مصر عسكر مقدمه الامير ركن الدين الكنجي فقاتلوا الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق والملك المنصور ابراهيم صاحب حمص والفرنج على غزه فكسروهم وتبعوهم فانحازت الفرنج الى برج داود فحاصروهم فيه حتى اخذوهم وقتلوهم . وولى في القدس من قبل الملك الصالح نجم الدين ايوب واقطع بلاده الخوارزميه . وما برحوا في تلك البلاد يدنون

بالعبث والفساد الى ان كسرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب على حصن القصب من اعمال حمص في (٢٤) سنة اربع واربعين وستماية ، وبقيت منهم شرذمة رجعت الى القدس وتغلبوا عليه فخرج اليهم عسكر من مصر مقدمه الامير فخر الدين بن الشيخ فأتى على بقيتهم . واستعاد القدس . ثم نزل اليه الملك الناصر داود صاحب الكرك من الكرك واستولى عليه في بقيه سنة اربع واربعين وستماية . ثم استعاده الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصر في سنة خمس واربعين وستماية وبقي في يده ويده ولده الملك المعظم تورانشاه من بعده . ثم ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب دمشق والاردن وفلسطين . فلم يزل القدس في يده الى ان صالح الملك المعز ايوب صاحب الديار المصرية ونزل له عنه في سنة احدى وخمسين وستماية . ولما قتل الفارس اقطاي في شعبان سنة اثنتين وخمسين وستماية وخرج من مصر مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب البحرية الى الملك الناصر صاحب دمشق يستنصرونه سير عسكر الى القدس فاستعاده ولما استولى التتار على البلاد دخلوا القدس وقتلوا به ..... (١) وبقي في ايديهم الى ان كسروا على عين جالوت وصارت البلاد للملك المظفر قطز فلما قتل قطز وصارت البلاد للملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وسار الى الطور ورحل منه كما قدمنا شرحه .

وفي يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة وصل الملك الظاهر الى البيت المقدس وزار مواضع الزيارة وطلع على القبة التي على الصخرة من خارجها هو شيخ الحرم . وشاهد ما ذكر انه محتاج الى العمارة ورأى ذلك (٢) بنفسه . وطاف ورأى تلك البقاع

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) مكررة في الاصل .

الشريفه ثم صلى الجمعة وتصدق ونظر في الاوقاف وتحرير ريعها ومصروفها (٢٤) وكتب بحماية اوقافه وانه مهما طلب من الشام برسم العمائر يسير سريعا . ورتب له في كل سنة خمسة الاف درهم برسم مصالح الحرم . ورسم ان يبني بخارج البلد خان للسبيل . ونقل اليه الباب الذي كان على دهليز القصر الذي يدخل منه الى البيمارستان بالقاهرة . وبنى فرنا وطاحونا ووقف عليه وقفا . وشم ذلك في سنة اثنتين وستين السنة الاتية . ونادي الملك الظاهر في القدس بأن احدا لا ينزل في زرع بحيث ضرب الاتابك احد مماليكه على شىء يسير من حشيش اطعمه لفرسه وسار السلطان الى جهة الكرك . ولما نزل راجعا في العوجا طارت جرح (١) اخذها الناس باليد وتغافل السلطان الملك بامساكها وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

قد ذكرنا حال القدس الشريف فلنذكر حال مدينة الخليل عليه السلام . قال ابن حوقل النصيبي مدينة الخليل عليه السلام صغيره كالقرية تعرف بمسجد ابراهيم . وفي مسجدها الذي يقام فيه الجمعة قبر ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب بن اسحق بن ابراهيم على سيدنا ونبينا محمد رسول الله وعليهم افضل الصلاة والسلام صفا كل قبر منها باتجاه قبر امراته والمدينة في وهداة بين جبال كثيفة الاشجار من الزيتون والتين والجميز .

قال القاضي عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة " في ذكر امراء الشام والجزيرة " قرأت في كتاب ابي يعلي حمزه بن اسد التميمي الذي وضعه ذيلًا لتاريخ دمشق . قال : وفي هذه

---

(١) في الاصل غير منقطعة .

السنة يعني سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ورد الخبر من بيت المقدس بظهور قبور الخليل وولديه اسحق يعقوب عليهم السلام وهم مجتمعون في ( ٢٥ و ) مغارة بارض بيت المقدس وكانهم احياء لم تبل اجسادهم ولا رم لهم عظم . وحكى على بن ابي بكر الهروي السائح : حدثني جماعة من مشايخ الخليل عليه السلام لما كان زمان بغداديين ملك الفرنج انخسف موضع في هذه المغارة فدخل جماعة من الفرنج اليها باذن الملك فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب وقد بليت اكفانهم . وهم مستندون الى حائط وروءوسهم مكشوفة فجدد الملك اكفانهم ثم سد الموضع وذلك في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . ولم يزل حكم هذه المدينة في الولايات حكم ما تقدم من بلاد هذا الجند الى ان اخذ الفرنج القدس في سنة اثنتين وتسعين واربعماية . فاستولوا عليها لانها ضمنا وتبعها للقدس . ولم تنزل في ايديهم الى ان فتحها السلطان صالح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب عند فتحه القدس الشريف .

ولما ملك السلطان صالح الدين مدينة الخليل عليه السلام بني القبة والجامع ووقف عليه وقوفا برسم الواردين عليه وهي التي تسمى ضيافة الخليل . ولم تنزل في يد من يلي دمشق الى ان مات الملك المعظم صاحب دمشق وخرج الملك الكامل من مصر فولى فيه . ولما سلم دمشق للملك الاشرف اعطى الخليل للملك الناصر داود بن الملك المعظم الى ان استدعى الملك الصالح نجم الدين ايوب الخوارزميه الى الشام واستولوا على القدس بعث الى الخليل واليا من قبله . وجرى الامر فيه على ماجرى في نابلس في تنقلها بين الملك الناصر داود . وبين الملك الصالح نجم الدين ايوب . ثم استبد به الملك الصالح في سنة ثلاث واربعين وستماية . وبقي في يده ويد ولده من بعده الى ان قتل . ولما استولى الملك الناصر يوسف بن ( ٢٥ ق ) الملك العزيز صاحب حلب على دمشق

اعطاه للملك المغيث صاحب الكرم، ثم استرجعه منه في سنة خمس وخمسين وستماية .  
ثم تغلب عليه الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن  
الملك الكامل صاحب الكرك في سنة سبع وخمسين وستماية واسترجعه الملك الناصر في  
بقية السنة . ولما صار في ايدى التتار في سنة ثمان وخمسين سلموه للملك المغيث  
فلم يزل في يده الى ان اجلاه (١) منه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس والله اعلم .

### ذكر استيلاء الملك الظاهر على الكرك

قيد قدمنا احوال الكرك وما كانت عليه ومن وليها الى ان قبض الملك الظاهر  
ركن الدين بيبرس الصالحي على الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل سيف  
الدين ابن بكر بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل الكبير سيف  
الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي صاحب الكرك على  
منزلة الطور في هذه السنة . ثم رحل الملك الظاهر من الطور الى بيت المقدس وزار  
كما قدمنا شرحه . ثم رحل من القدس الى جهة الكرك فنزل في يوم الخميس ثالث عشرى  
جمادى الاخره من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية وصحبه العساكر، واحضرت  
السلالم الخشب من جهة الصلت وغيرها . وكان السلطان الملك الظاهر قد استصحب  
من الديار المصرية جماعة من الحجارين والبنائين والنجارين والصناع على انه يبنى  
الطور . واحضر جماعه من دمشق وغيرها وسيروا الى عين جالوت . واشاع السلطان ان  
ذلك لبنا جامع . وكان ذلك كله لاجل الكرك . وعزم على الطلوع اليه بنفسه فكتب  
الى من فيه بتسليمه فخاف اهل (٢٦ و) الكرك فشرطوا عليه واقترحوا . وترددت

---

(١) في الاصل " اجلا " .

الرسول بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على ان يؤمر الملك العزيز عثمان ولد الملك المغيـث  
الاكبر على مائة فارس ونزل اولاد الملك المغيـث وقاضي المدينة وخطيبها وجماعة من اهلها  
ومعهم مفاتيح الحصن والمدينة وطلبوا العرض فحلف لهم السلطان على ما طلبوه واعطاهم  
حتى ارضاهم . وسير الامير عز الدين ايد مرستاد الدار والصاحب فخر الدين بن  
الصاحب بها . الدين لتسلم الحصن فطلعوا في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الاخره  
الشهر المذكور وقت المغرب وتسلماه قطعة جديده ، وفي بكرة الجمعة وعي للسلطان  
الملك الظاهر على اسوارها ونصبت صنـاجق على ابراجها واصبح السلطان مد الخوان وكتب  
باحضار الرماة . وركب في الساعة الثالثة من نهار الجمعة المذكورة . وطلع الى الحصن  
المحروس . ودخل اليها ورسم بأن لا يؤذى احد من اهلها . وعفى عما مضى من ذنوب  
اهل الكرك واساءتهم اليه والى المماليك البحرية في الايام المغيـثية . وجلس في القاعة  
الناصرية وشكر الله على ما وهبه من هذه الموهبة السنية . وطلب ديوانها وكتاب  
الانشاء ورتب امر جيشها . وسال عن رجالها فقبل لهم عدة شهور لم يعطوا شيئا . فأعطاهم  
جامكيه ثلاثة شهور من خزانته . واهتم ببلادها . وعين لها خاصا واطلق جامكيات  
اهلها وما غير حاله . وزاد الاسفيسلارية والقرا غلامية واعطى اولاد الملك المغيـث جميع  
ما حواه الحصن من مال وقماش واثاث . وكذلك ساير غلمانهم وكذلك جميع الامراء والمفاردة  
والاجناد لم يتعرض لاحد منهم الى شيء ونزلوا جميع في ذلك النهار . وصلى السلطان  
بها الجمعة وخطب الخطيب ودعي للسلطان . ورتب امر الكرك وبلادها ونزل وقت المغرب .  
ولما اصبح يوم الاحد سير (٢٦ق) الى الملك العزيز بن الملك المغيـث الخلع  
والقمـاش . وكذلك الطواشي بها . الدين صندل والامير شهاب الدين صلوك اتابكه  
احسن اليهما وكتب كتب البشائر . وكتب بحمل الغلال والد خاير والاصناف اليها .

واصبح يوم الاثنين ركب وطلع اليها واحضر ديوان الانشاء ود يوان الجيوش ود يوان الاستيفا ود يوان الكرك وكتب المناشير لعربانها ومن بها وكانت تزيد على ثلاثماية منشور وفي وقت واحد كتبت الامثلة ونزلت وعلم السلطان عليها . وكتب المناشير وعلم عليها وسلمت لاصحابها بعد تحليفهم بين يدي السلطان . كل هذا في بعض يوم وكتبت تواريخ لاجل مناصب دينية ود يوانية . واجرى ارزاق الناس على ماكانت عليه وجرى بها جماعة من البحرية والظاهرية . وحلف مقدمي المدينة وكذلك نصاراها حلفهم بالانجيل وقال لاهل الكرك : اعلموا انكم اسأتم الى في الايام الماضية وقد اغفرت لكم ذلك لكونكم ماكاتهموني ولا خايرتم علي صاحبكم وقد ازددمت بذلك محية الي فتناسوا الحقود والضغايين ولا تقيموا فتنة فيما بينكم " .

واحضر الامير عبيه وغيره من بني مهدي وبني عتبه وقال : يا عبيه انا كنت بالامس احسن اليك واسامحك بما جرى منك ومن غيرك لاجل الكرك حتى حصلت الان والله ما يروح لاحد خيط الا آخذه منك وامسك رقبتة عليه . واهل هذه البلاد ما يشربوا الامن صهاريج من ماء المطر ومتى يشرب العربان منها وسقوا خيولهم فرغت سريعا فيعطش اهل القرية وتخرب . فرسم بأن احدا من العربان لا يشرب ولا يسقي خيله من صهريج . وضمنه خفر البلاد الى الحجاز . وطاف على القلعة والمدينة من خارجها (٢٧ و) وباطنها ورسم بعمارة ما يحتاج الى العمارة وشيد الحصن وحصنه وزاد فيه وحفر خندقه واحاطه به ولم يكن قبل ذلك كذلك . وكتب تذكرة بالمهمات وحمل اليه الزرد خاناه التي كانت معه وخزائنه والاغنام والشعير وغيره من ساير الاصناف والقماش والدخير وسبعين الف دينار عينا ومائة وخمسين الف درهم نقرة .

وان ذكرنا الكرك فلنذكر شي من احوال الشويك الى هذه السنة  
ورجوع السلطان الملك الظاهر الى القاهرة المحروسة سالما . قال القاضي  
عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم بن شداد الحلبي في تأليفه " كتاب الاعلاق الخطيرة في  
ذكر امراء الشام والجزيرة " ما صيغته . اني لم اعثر للشويك على ذكر  
في كتاب من كتب التواريخ المصنفة في صدر الاسلام والظاهر ان الحال فيه  
كالحال في الكرك في بنايه وتملك الفرنج له الى ان فتح في الوقت الذي  
فتح فيه الكرك بعد حصار سنتين . واقطع مع الكرك للملك العادل سيف الدين  
ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان الايوبي . ولم يزل في يده الى  
ان اعطاه ولده الملك المعظم صاحب دمشق فحصنه وحسنه ونقل اليه  
الاشجار من ساير الاقطار حتى صار يضاهاى دمشق . ولم يزل في يده الى  
ان توفي . وانتقلت الى ولده الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب دمشق .  
ولم يزل في يده الى ان سأل اياه الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل  
ابي بكر في مجلس شراب . فخرج له عنه وبقي في يده الى ان توفي . فقصد الملك  
الناصر داود صاحب الكرك واستعاداه وبقي في يده الى ان قصده الملك الصالح  
نجم الدين ايوب فاستولى عليه . وبقي في يده ويد ولده الى ان قتل ( ١ ) في المحرم  
سنة ثمان واربعين وستماية . فاستولى الملك المغيـث عليه عند استيلائه على الكرك  
ولم يزل في يده الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ( ٢٧ ق ) الديار المصرية  
فسير اليه عسكرا وتسلمه من نايب الملك المغيـث

---

( ١ ) مكتوبة في الهامش ايضا مكررة .

صاحب الكرك في شهر ربيع الاخر سنة تسع وخمسين وستماية كما قدمنا شرحه . فلما كان في هذه السنة واستولى الملك الظاهر على الكرك وفعل ما قدمنا شرحه استناب بالكرك الامير عز الدين ايدر مملوكة واستاد داره وكتب له تقليد بذلك . وازاف اليه النظر على الشوك واعمالها واعطاه ثلاثين الف درهم وجمله من القماش . ونزل من الكرك الى المخيم . ثم اصبح وطلع اليها ثم رجع منها الى مصر ومعه اولاد الملك المغيث وحريره فلما وصل الى مصر امر ولد الملك المغيث العزيز عثمان وانزله في دار القطبيه بين القصرين .

\* قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيره الملك الظاهر ، قال : وفي يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاخره توجه الملك الظاهر من الكرك مسافرا الى القاهرة المحروسة فدخلها في سابع عشر شهر رجب الفرد من سنة احدى وستين هذه السنة . وزينت المدينة احسن زينته وشق السلطان المدينة وفرش له القماش الاطلس والعتابي والنسيج وخلص على الامراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلمايه والمملوك كاتب السيرة . وكانت هذه السفرة من اعظم السفرات المسفرات عن السعادة المضاعفة والنعمة المترادفة ولم يسمع ان ملكا ساق في هذه الجيوش العظيمة الى ابواب عكا وطعن في اسوارها وهدم وحرق واخذ مثل الكرك ودير امورها وملك البلاد الساحلية واستخدم عليها الوفا من العساكر واستجد لهم جيشا عظيما للاسلام في مدة قريبة . وهي من يوم خروجه من مصر الى يوم دخوله اليها خمسة وتسعون يوما وكيف لا والسعد قرينه ولطف الله يعينه والله اعلم .

ذكر السبب في قبض الملك الظاهر على بعض امرايه

( ٢٨ و ) ولما قوض الله عز وجل الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين

بيبرس الصالحي السلطنة كما قدمنا شرحه فوض امر المملكة للامير سيف الدين الرشيدى

في كل شيء\* وانفذ كلمته . واطلق له في جمعة خواتين من عنده يمدان له حتى ماء الورد الى غير ذلك ورتب في كل شهر كلوتتين زركشا كل كلوته بخمسين دينار عينا وكلبندها بأربعين دينارا . وكل هذه زيادة على الاقطاعات العظيمة والمرتببات الكثيرة وعلى الانعام حتى جامكيات البرد دارية والفهادين وعليق خيلهم . واشتغل الرشيدى بالشرب وحمى حاشيته اشياء كثيرة من البلاد وصارت تصدر منه امورات تسر السلطان الملك الظاهر يكا سرعنها .

واما الامير عز الدين الدمياطي فان الملك الظاهر اعطاه وزاده ومن جملة ما كان بيده نصف مدينة غزه زيادة . ورأى انه رجل كبير لا يتقدم احد عليه . وكتب له توقيعا انه اذا سافر في جميع المملكة لا يمنع شيئا يطلبه في الشام من غزه الى الفرات .

واما الامير البرلي فقد قدمنا ما كان من امره بحلب وغيره وكيف احسن الملك الظاهر اليه وعفاه عنه وامنه ووصل الى خدمته وما فعله معه . ولما سافر السلطان الملك الظاهر الى جهة الطور في هذه السنة كما قدمنا شرحه احسن الى هو لاء الامراء احسانا كثيرا . وبلغ السلطان ان نية الرشيدى قد فسدت وتغيرت فجعل عليه عيونا تحفظ كلما يجرى منه . ولما جرى ما جرى من طلب السلطان الملك المغيث صاحب الكرك كما قدمنا شرحه وصل رسوله الامير اسد الدين سادلوه استاد داره الى السلطان يقول ان كتابا من الرشيدى (٢٨ ق) مع قاصد حضر الى عندي يقول لا تحضر الى السلطان فانه يريد ان يقبض عليك . وقد قبضت القاصد . فكان جواب السلطان ان كان الملك المغيث حلف للرشيدى فلا يحضر وان كان حلف لي فيحضر . ولم يظهر السلطان للرشيدى شيئا من ذلك . وسر السلطان الامير

بدر الدين بيسرى الى جهة الكرك فسير الامير بدر الدين المذكور الى السلطان يقول انني امسكت كتابا من الرشيدى الى الكرك يقول لاتسلموا الكرك ويحسن لهم التوقف عن التسليم ويعرض عليهم الاتفاق معهم على انه يحضر اليهم هو يتسلمها ويحفظها لهم ويكون هو عوننا لهم ويتفق معهم على افساد الحال كله . فكتب السلطان هذا كله وامر الامير بدر الدين بيسرى بالاحتراز التام والتحفظ .

ولما توجه السلطان الى الكرك كما قدمنا شرحه جعل على الرشيدى عيوننا فبلغ السلطان انه لما نزل الكافرين ونعمين طلب انه يركب في معاليكه واصحابه ويسبق الى الكرك يدخلها هجما . فركب السلطان اليه ونزل عنده ولاطفه ومازحه وما اظهر له شيئا من ذلك وركب السلطان وركب الرشيدى ففات الرشيدى ما قصده وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى ومعه جماعة كبير قوامهم بالتقدم لحفظ الطرقات على الرشيدى لثلا يسبق الى الكرك وجهاز صحبة بدر الدين الايدمرى المذكور دهليزا مخلعا على البغال حتى يظهر للناس ما يخفي افعالهم ويقضي بسكون النفوس . وسار الامير بدر الدين وحفظ على الرشيدى الطرقات ونزل ( ٢٩ و ) السلطان بركه زيزا فبلغه ان الرشيدى عازم على شىء من ذلك وانه ربما يركب ويسوق الى الكرك فعمل السلطان معه خديعة حسنة . وذلك انه سير اليه احد خواصه يبشره بأن الكرك قد تسلمت . فلما سمع الرشيدى ذلك اظهر فرحا وخلع على المبشر ووقف عن فعله . وبطلت حركاته . وساق السلطان الى الكرك واتفق ما قدره الله تعالى من فتوحها كما قدمنا وترتيب قواعدها والسلطان لا يزيد الرشيدى الا الاحسان والتقريب . ولما وصلت الخيل من جهة العربان تقادم طلب منه فسيره خيلا من اجودها .

ونزل السلطان غزه راجعا فقام ليسخ الوضوء على عادته . وتفرقت الخاصكيه

للوضوء والتبهيء لصلاة الجماعة على العادة . وقام السلطان يركع قبل الاذان واذا بالرشيدى قد اقبل في مقدار ثلاثماية فارس مستعدة من مماليكه والامير الدمياطي والامير البرلي . فما احتفل السلطان بهم ولا قطع صلاته . وسلم ولبس سيفه . ولم يجد احدا حاضرا الا الامير شمس الدين سنقر الرومي . فقال له السلطان : ما الذى رأيت ؟ قال : جماعة ما جاءوا في خير . وبعد هذا حضر الامير سيف الدين قلاوون الالفى بغير سيف الا في وسطه تركاشه لاجل الصيد فأنكر السلطان ذلك منه . ففهم وراح وشد سيفه وركب فرسا جيدا ووقف . وتراجعت الخاصكيه والجماعة . وركب السلطان فأتى الرشيدى فوقف قريبا من السلطان في مكان ماجرت عادته بالوقوف فيه . فحضر الامير عز الدين اوغان الركني ، فقال للرشيدى : اراك في هذا المكان ، ما هذا مكانك ياسيف الدين . واظهر انه في مزح . وما زال به حتى ساق من ذلك المكان وساق (١) (٢٩ق) الدمياطي والبرلي وتفرقوا . وكانت جرت من الدمياطي قضية اخرى وهي ان السلطان لما ملك الكرك ونزل اولاد الملك المغيخ اعطاهم السلطان خلعا واقمشة وانعاما كثيرة وانزلهم في المنطرة التي في الوادى تحت الكرك قريبا من منزله السلطان . فسير لهم الدمياطي ضوا وجماعة يبيتون من حولهم بغير مرسوم الا ابتداء بنفسه . ثم حضر في الليل اليهم جماعة من مماليكه بالسيوف ملثمين فكسروا الصناديق واخذوا القماش الذي كان السلطان اعطاهم اعتقادا منهم ان تقوم فتنة في الليل وشوشه في العسكر ولا يعلم احد انهم مماليك الدمياطي . واذا عوقب الدمياطي في ذلك قال انا سيرت حتى يحفظوهم وسيرت

---

(١) مكررة في الاصل في اول ص ٢٩ ق ايضا .

الضوء فكشف الله ذلك وظهر القماش عند مماليكه الخواص . فأطلع السلطان على القضية فتحدث معه الامير شجاع الدين المهمن دار فما سلمهم الدمياطي ولا انصف منهم . وقال : انا اغرم عنهم ماعدم . واحضر بعض القماش وقرر ان يقوم بدراهم عن بقية ذلك . والسلطان ساكت لا يتكلم بكلمة الا يحتمل هذا ويحترز على نفسه الى ان وصل الى الديار المصرية ودخل قلعته سالما واستقر بها . واصبح وطلب الامير الرشيدى . فاعتقله وطلع الامراء الى الخدمة في اليوم التالي فقبض على الامير الدمياطي والامير البرلي وحسم هذه المادة . واحسن الى مماليكهم وخواصهم واقروهم على اخبارهم . ولم يغير على احد منهم شيئا . ولا تعرض الى بيوت الامراء . وزاد الامراء الناصحين له على اقطاعاتهم وامر من يستحق الامره والله اعلم .

### ذكر وصول رسول الملك بركه

لما وصل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي قريبا من غزه وهوراجع من الكرك ووصل اليه البريد من الامير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بالديار المصرية يذكر وصول الكتب من الاسكندرية بوصول رسول الملك بركه . وهم الامير جلا الدين ابن القاضي ، والشيخ نور الدين ومعهما جماعة . ويخبر بوصول رسل الملك الاشكرى ووصول مقدم الجنوية ورسل السلطان عز الدين صاحب الروم . فكتب السلطان بالاحسان اليهم جميعهم ولما استقر السلطان في قلعته اجتمع بهم بحضور الامراء والناس وقرا كتبه التي ( ١ ) على يد الشيخ نور الدين ومضمونها السلام والشكر وطلب الاتحاد على هلاوون والاعلام بما هو عليه من مخالفة سنكر خان

---

( ١ ) " في الاصل " الذى " .

وشريعة اهله . وان كلما فعله من تلاف ( ١ ) النفوس بطريق العدوان منه . وانني قد قمت انا واخوتي الاربعة بحرية من سائر الجهات لاقامة منار الاسلام واعادة مواطن الهدى الى ماكانت عليه من العمارة وذكر الله والاذان والقرآن والصلاة واخذ ثمار الائمة والامة . ويلتزم انفاذ جماعة من العسكر الى جهة الفرات لامساك الطريق على هلاوون . ويوصي على السلطان عز الدين صاحب الروم ويستمد مساعدته . وانفصل هذا . وحمل الى الرسل من الانعام ما لا يحصى ورسم بتجهيز الهدية الى الملك بركه من كل شيء على اختلافه وعمل لهم في اللوق دعوة واستمر تفقد هما في كل يومي سبت وثلاثاء يوما لعب الكره بأصناف الانعام ( ٣٠ ق ) والاقمشة وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

ووصل ولد الملك المغيث وهو الولد الاكبر واخوته وحرمه الى مصر . فأمر السلطان الملك الظاهر بماية فارس بمصر وخلع عليه واعطاه طبلخاناه واطلق لاخته وحرم والده جميعهم كلما يحتاجون اليه ولغلمانهم ولمعارفهم . وعمتهم الصدقات الشريفة الكبير والصغير . وكذلك جميع المفارده الكركية عوضهم عن معلمهم الذي كان في الكرك واعطاهم الاقطاعات . وكان حضر اليه الامير صيف الدين الرزاري وسأله بسبب تسلم الكرك فرآه السلطان في بعض الايام فطلبه واعطاه الف دينار عينا طلب بها املاكا فكتب عليها مكاتبه شرعية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان من هذه السنة خطب الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي بحضور رسل الملك بركه ودعى للسلطان الملك الظاهر وللملك بركه وصلى بالناس واجتمع بالسلطان وبالرسل في . . . . . ( ٢ ) .

---

( ١ ) " اتلاف " في ابن عبد الظاهر ( ص ٨١ ) .  
( ٢ ) كلمات غير مقروءة .

وفي ليلة الاربعاء<sup>١</sup> ثالث شهر رمضان من هذه السنة سأل الملك الظاهر ركن

الدين بيبرس الصالح الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي هل لبس الفتوة من احد  
من اهل بيته الطاهرين او من اوليائهم المتقين فقال : لا ، والتمس من السلطان  
ان يصل سببه بهذا المقصود ومنحه هذا الامر الذي من بيته بدا واليه يعود .  
فلم يمكن السلطان الاطاعته المفترضة وان يمنحه ما كان ابن عمه رضي الله عنه افترضه  
وان يحلي بالجواهر منضده ويقلد بالسيف مجردة ويعطي القوس لباريها ويسلم الصهوة  
لراقيها ويكون في ذلك كمحجب الجلد للابسها ومفتوح الحذوة لقابسها . ولمس في  
الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك . وإشهر ذلك الاتابك  
فارس الدين اقطاعي بطريق الوكالة المعتره عن السلطان ٠٠٠ (١) الامام المستنصر  
بالله امير المؤمنين ولد الامام الظاهر وابوه (٣١ و) لجدّه الناصر رضوان الله عليهم  
لعبد الجبار يعلي بن نعيم ٠٠٠ الله بن ٠٠٠٠ لعمر بن الرصاص لابي بكر بن  
والحصر ٠٠٠ ابن السامار بن لقابن الطاح ، لنفيس العلوي لابي هاشم ابن ابي حيه  
لعمر بن الس ، لابي علي الصوفي " لها " العلوي للقائد عيسى لامير وهران لروته  
الفارسي للملك ابي كيجار لابي الحسن النجار لفضل الفرقاشي للقائد شبل بن الملكدم  
لابي الفضل القرشي للامير حسان لحوش البزاري للامير هلال التهاني لابي مسلم  
الخراساني لابي العز النقيب لعرف " العادي " الحافظ الكندي لابي علي " النوسي " .  
لسلمان الفارسي صاحب سيدنا ونبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي  
قال له صلى الله عليه وسلم سليمان من اهل البيت للامام الطاهر النقي امير المؤمنين  
علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

- وحمل اليه السلطان من الملابس الشريفة لاجل ذلك ما يليق بجلاله
- وفي الليلة الثانية حضر رسل الملك بركه الى القلعة والبسم الخليفة بتفويض الوكالة للاتابك وحمل اليهم من الملابس ما يليق بمثلهم •

ذكر تجهيز رسل الملك بركه وسفرهم بهدية الملك الظاهر

قال صاحب كتاب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن

جده القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر مامعناه :

لما رسم السلطان الملك الظاهر بتجهيز الهدية الى الملك بركة من كل شيء •

على اختلافه كتب الملوك جواب الملك بركة في قطع النصف في سبعين ورقة بغدادية

فيه الايات من كتاب الله تعالى واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في

الترويج في الجهاد وما ورد في مصر من الاحاديث والايات وفي قتال المشركين والافتداء •

بالنبي صلى الله عليه وسلم (٣١ق) في الجهاد • وفيه ذكر مواطن العبادات

ومواضع الزيارة في ساير البلاد التي دعي له فيها شيء • كثير • وجمع هذا الكتاب

من الترويج والترهيب والاستمالة والاعراض والتعاضم عليه واطهار الميل اليه • ووصف

كثرة جنود الديار المصرية وما هي عليه وزيادة عساكرها عن المعتاد وانها كلها موافقة

له في نصره الاسلام • وقرأت الكتاب على السلطان بحضور جماعة الامراء وهو يزيد

فيه وكذلك الاتابك محلية ولما تكامل هذا الكتاب وتجهزت الهدية المباركة وهي ختمه

شريفة ذكر انها خط عثمان بن عفان رضي الله عنه بخلاف اطلس احمر مزركش من درج

أدم مبطن بعتابي وكوسي لها عاج وابنوس مخرم بسقط فضه وقفل فضه خروق بندقي

كوامل عدة كثيرة • نمز لوقات للصلاة وسجادات الوانا متنوعة اكسيه لواتية (١) الوانا

عدة من الادييم الدسوت والاقطاع المسروقه وسفر للشمعدانات جملة كثيرة سيوف

قلجورية بأسقاط فضيه • طوارق مدهونة • فوانيس باغشية بنديقي • منجنقات للشمع  
مدهونة باغشية • فوانيس فضه باغشية بنديقي • صاروقات برسم الرماح للفوانيس  
القضة كفايتها مشاعل جفتاه • وقواعدها كفت جملة لجم كفت بروس محزوزه بشريط  
محلاة بفضه وكوابح فضه مطلاة وانفار محلاة والياب بسروج خوارزميه ونمازينات برسمها •  
جراوات يرغالي محزوزة بشريط • واسقاط فضه في قسي حلق دمشقية اوتار حرير قسي  
بنديق باوتارها • اجراخ حرود (١) القروذ البلق • شمعدانات مطعمه بفضه •  
رماح قنا • اسنة حديد عربية • نشاب بديع الصنعة في صناديق مجلدة • قد وبرام •  
قناديل كبار • مدهونة رنك (٣٢ و) سلاسل فضه مطلاة • خدام ، جوارى طبابخات  
٠٠٠٠ (٢) عدة خيل جياذ سبق عبي عربيه كفايتها هجن ٠٠٠ (٣) دواب  
• فره لاتلحق وحمير وحشية • نسانيس معلمه اكوار للهجن كفايتها ، مقاود بسلاسل  
اجلال قصر للدواب وملاليط خطائي للنسانيس • زراف جل كله قص معمور (٤) مصور •  
وسير من ذلك كله عدد كثير • وغير ذلك اشياء مستظرفه وتحف مستغربه ولطائف  
لا يوجد مثلها في خزانه ملك • وصحبتها غلمان ومن يقوم بهذه الحيوانات • وسلم  
جميع ذلك لرسل السلطان واهتم به اهتماما كثيرا وهذا لمصلحة الاسلام • وجهز  
الامير فارس الدين اقوش المعونى والشريف عماد الدين الهاشمي • رسولين الى  
الملك بركه واصحبهما هذه الهدية • والبسرسله الفتوه من مولانا الخليفة سلام  
الله عليه • واحضرهما خطبته والصلاة خلفه والاجتماع به والحث على اقامة

---

(١) " الجلود " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٢)  
(٢) غير مقروءة في الاصل ولكنها بيغوات في ابن عبد الظاهر (ص ٨٣)  
(٣) = = = = نوبيه = = = (ص ٨٣)  
(٤) كذا في الاصل لكنها مخور في ابن عبد الظاهر (ص ٨٣)

فريضة الجهاد . وحملهما الوصايا للملك بركة والمشافهة والشكر لمساعي السلطان وما هو بصدده من اقامة الشريعة وسد الذريعة ورفع منار الدين وجهاد المشركين وملازمة العفاف ومعاملة الرعية بالعدل والانصاف وما جمعه من العساكر والجنود التي ليس لها اول ولا آخر ما يعيد انه على الملك بركة . وجهنز لهما طريدة عظيمة جمعت من اصناف الحيوانات المسيرة هدية وما فيها من الاشياء الفاخرة . وجهنز فيها عدة كثيرة من الرماة والزرافين والجرحيه وحمل معهم مؤونة سنة . وتقدم بأن يزار بهم مواطن العبادات . وكتب السلطان بأن يدعى له بمكته شرفها الله تعالى والمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام والبيت المقدس وان يدعى له بعده في الخطبه وسير الى (٣٢ق) مكة شرفها الله عمرة شريفه كتبتها يعتمر له بها . وسافروا في سابع عشر شهر رمضان سنة احدى وستين وقد شاهدوا من عظمة السلطان ما يهز عقولهم والله اعلم .

### ذكر توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية

في السادس شوال من هذه السنة سنة احدى وستين وستماية توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين ببيرس الصالحى الى جهة بحر النيل المبارك وعدى الي الجيزيه وصحبته خواص دولته الزاهرة واوليايه المتناصرة . ولما وصل الى تروجه اقام بها اياما . ثم دخل البرية يتصيد ويضرب حلقة صيد . فحصل له من ذلك شئ كثير . واهتم بأمر المياه والتساوى في ورودها فولى امرها احد حجاجه الامير شجاع الدين الزاهدى واحضر من الاسكندرية الرجال لحفر الابار ونزحها من الاكدار .

ولما قضي وطره من الصيد ورجع وقد سفك من دماء الوحوش ما عاداته يسفكه من دماء اعداء الدين عاد الى تروجه . وتوجه منها الى الاسكندرية .

وكان صاحب الوزير بهاء الدين قد سبق الى الاسكندرية فأحسن الى اهلها وحصل جملا كثيرة للخزانة العالية . ومن جملة ما حمل خمسة وتسعين لفة قماشا . وحصل من الاموال ما لا يحصى كثرة ولم يضرب احد .

• ولما وصل السلطان الى الاسكندرية ضرب خيمته خارج المدينة ونادى بأن لا يقيم في الشجر جندى ولا ينزل احد في دار فحصل للناس بذلك رفق . واستقر الناس في اوطانهم . وفي يوم الخميس مستهل ذى القعدة من هذه السنة دخل السلطان الاسكندرية من باب رشيد وتلقاه اهل المدينة واستدعى الخزين (٣٢و) والامتعة . وشرع في تعبئه ما يعبئه للامراء على قدر مراتبهم . ورسم بمكتوب برد مال السهمين وصله ارزاق الفقراء . وكان اهل الاسكندرية قد كثر همهم بسبب استخراج ربع دينار على كل قنطار يباع . فحطه عنهم وابطله عن الرعية ولعب الكره فخلع على الامراء واعطى الاتابك ثلاثة الاف دينار واعطى الامراء مثل ذلك واقل من هذه الحملة على طبقاتهم الى مائة دينار .

وركب السلطان لزيارة الشيخ الصالح القناوى وحضر شخص وقال ان الشيخ استوزن على حضور السلطان اليه والطلوع الى قصره فأذن لهم ثم حضر آخر وقال : لاسبيل الى الطلوع ولا الى كلامه الا من اسفل البستان .

واتى لزيارة الشيخ الصالح الشاطبي وعاد في البحر الى سرير سلطانه .

وكان قد حضر شخص يقال له ابن البورى وادعى ان بالشجر اموالا ضائعة واعطاه بها اوراقا . وكذلك رجل آخر يعرف بالمكرم ابن الزيات كتب اوراقا . فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة الشهر المذكور الاتابك والصاحب والقاضي والفقهاء

وقرأت الاوراق . وصار السلطان كلما فتح له باب عظمه سده . ويعود على المذكورين بالانكار . ولقد قال السلطان : اعلموا اني تركت لله تعالى الف دينار من التصفيح والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النحل وعضني الله من الجهات الحلال اكثر منه . وطلبت جرايد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة . ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً وامر باشهار ابن اليسرى .

وفي يوم الاربعاء سابع ذى القعدة الشهر المذكور وردت الكتب من جهة البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة واردة الى الباب العزيز فوق الالف وثلاثماية فارس (٣٣ ق) من المغل والبهادرية . فكتب السلطان بالاحسان اليهم وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى .

وفي يوم الخميس ثامن ذى القعدة الشهر المذكور جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل بالاسكندرية وبسط المعدله وامر بعد ذلك بتطهير الشجر من الخواطي الفرنجيات .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذى القعدة الشهر المذكور توجه السلطان الملك الظاهر عايداً الى مستقر ملكه بالقاهرة المحروسة . ونزل تروجه وامر عربانها بالسباق بالخيل . فاجتمع من عربها لا غير الفا فارس واجتمع اليها جملة من خيل العسكر ، وكان مداها من المرقب الى التل قريب تروجه . ووقف السلطان بالتل واوقف الرماح وعليها الثياب الاطلسي والعتابي ، وفيها المال . فلم يكن غير ساعة واذا بالخيل قد اقبلت كأنها العقبان فأخذ كل راكب حصل للسباق ولم تطمع عينه الى شئ من الخيل . ولما حل السلطان الملك الظاهر بر مصر زاد النيل واستمرت زيادته . . . . .

لاعجب للنيل ان زاد من ( ١ ) بعد انتقاص كان فيه الحذار

فمقدم السلطان وافي به وانما السحب تمد البحار

ولما وصل السلطان من الاسكندرية الى مصر مقر ملكه اعاد الفكرة في قضاء

الشعر المحروس وراى توليته لرجل غريب . فوقع الاختيار على الفقيه العالم برهان الدين

المالكي وهو رجل زاهد عابد يابى في مسجد بمصر . فقلده القضاء بالاسكندرية وتوجه

اليها . وفوض الخطابة للقاضي زين الدين ابن ابي الفرج الذى كان حاكما . وصلح

الحال بهذا التدبير .

وفي آخر ذى القعدة الشهر المذكور نزل السلطان الملك الظاهر الى القاهرة

المحروسة فعاد الامير سيف الدين ( ٣٤ و ) قلاون الالفى والامير علاء الدين الحاج

ايدغدى الركنى والامير حسام الدين بن بركة خان . وعاد الى قلعته سالما .

وفي ليلة الاربعاء الخامس من ذى الحجة من هذه السنة توفي الامير حسام

الدين ابن بركة خان ونزل السلطان وحضر جنازته ومشى فيها والله اعلم .

ذكر وصول التتار المستأمنين الى القاهرة المحروسة

قد قدمنا ان الكتب وردت من جهة البيرة وحلب بأن جماعة من التتار مستأمنة

واردة الى الباب العزيز واهتم السلطان بوصولهم وتجهيز الاقامات لهم . وفي يوم الخميس

السادس من ذى الحجة الشهر المذكور وصلوا فركب السلطان الملك الظاهر لتلقيهم

والملايكة والملوك به محيطه والمله الاسلامية به محوطه . ولما قرب التتار شاهدوا

السلطان وهو كالبدر ليله كماله والاسد بين اشباله نزلوا وقبلوا الارض . قال صاحب

"نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" : الواجب الدعاء لملك نصر الاسلام

واعزه بعد الاهتضام . فانه فرق بين ملك تقبل ملوك التتار الارضيين يديه وهو راكب  
وبين ملك كانت التتار تطلب منه حضور الحرم في المشارب وبين ملك تهادنه ملوك الاسلام  
والكفر وتطلب منه الرضى والغفران وملوك تهادى ملوك الكفر تطلب منهم الامن والامان .  
وبين ملك تسلم من الكفر البلاد والحصون وبين ملوك سلموا الكفر من البلاد والقلاع والحرم  
والاولاد والاموال كل مصون . وكان قد عمرت لهم مساكن باللوق فانزلوها . وفي يوم السبت  
الثامن من ذى الحجة الشهر المذكور لبسوا الخلع . واتفق ان السلطان نزل في السحر  
ألى تربة حسام الدين ابن برکه خان ووافوه عند باب الجامع الصالحى وشاهدوا (٣٤ق)  
على باب زويلة رأس كتبغا نوين مقدم عسكر التتار المقتول بعين جالوت وغيره من اکابر  
التتار المتعلقة على علو الباب . فنظم صاحب "كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" (١)

يامليکا له الحسام المبيد	وکریمًا له العطاء المفيد
لك سيف به الغوي شقي	ونوال به الولي سعيد
شاهد الناس منك ياملك الارض	امورا لها يليسن الحديد
شاهدوا منك اذ ركبت من	جامع الصالح نصرًا يموت الحسود (٢)
فروءوس على الشراريف قتلى	فروءوس على التراب سجود
حيزوا في التتار في خلع منك	وكل صنايع وعبىد
وراوا منهم رؤوسا على السور	بحكم الرماح امست تميد
هذه قد عصت وهذى اطاعت	هكذا هكذا يكون السعود
دمت ترفى لك الحياة صعيدا	كل يوم لها اليه صعود

واقاموا في الاحسان يتقلبون وكل منهم يقول لما يشاهد من الخير ياليت قومي

يعلمون .

---

(١) في ابن الظاهر (ص ٨٧) ما يدل ان الشعر لابن عبد الظاهر نفسه .  
(٢) كذا في الاصل وقد اسقطت كلمة "جامع" في ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) لاستقامة الوزن  
راجع ملحوظة ٢ ص ابن عبد الظاهر (ص ٨٧) .

قال صاحب " كتاب نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك " حاكيا عن جده  
القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر ماصيغته : ووصلت  
الكتب بقوم جماعة اخرى كثيرة منهم . فاحتفل السلطان بهم وركب لتلقيهم ثم ورد جماعة  
اخرى فاعتمد معهم الاعتماد . وكان الواصل الى الخدمة في هذه الثلاث مرار من  
امرائهم الاكابر كرمون آغا الذي فتح بلاد الترك جميعها . وامتعاغا (١) ونوكا آغا وحبراك (٢)  
آغا وقنان (٣) آغا . وطبشورونا سغيه ونيتو (٤) وصحتي وخوجلان واجقرقا (٥) وارقرقا (٦)  
وصلاعية (٧) وميقدم (٨) . واجتمعوا بمن كان وصل قبلهم من امراء التتار . وهم صراغان  
آغا ومن كان وصل معه . وصار كل منهم لوقته اميرا ثم ان السلطان عرض عليهم الاسلام  
فأسلموا على يده الشريفة وطهروا جميعهم فنظم المملوك في ذلك (٣٥) و :

يا مالك الدنيا الذي	يا من صلاحا للامم
يا من محا بالعدل ما	للظلم فينا من ظلم
يا من يساق له التتار	غنيمه مثل الغنم
خافوا سيوفك انها	ستسوقهم نحو النقم
فأثروا لبابك كلهم	ياؤون منه الى حرم
امنوا به مما يخاف	من البلايا والسقم
جعلوا جنابك جنه وترى	خيولك مستلتم

- 
- (١) في الاصل " وامغاغا " . وكذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
  - (٢) = = " وجرال " . لكنها جبرال في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
  - (٣) في الاصل وقبان لكنها " قنان " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
  - (٤) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل " وسو " .
  - (٥) " واحقرقا " في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
  - (٦) وارقرقا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) (٧) كذا في الاصل وصلاغيه في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) .
  - (٨) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ٨٨) وفي الاصل وميقددم .

بسطوا يميننا للهداية  
اعطيتهم مالمؤلفة القلوب  
لازلت ياملك الزمان  
طالما خضبت بدم  
من القسم (١)  
لك الملوك من الخدم

وفي هذه السنة تقدم الامير بها الدين امير اخور احد قراني السلطان وخواصه بضرب مناديه سوق الخيل لامر جرى منه فيما يتعلق بالاسطبلات وما يشتري لها من الخيل . فضرب احدهم وحمل الى بيته فمات . فعز هذا الامر على الملك الظاهر . فهرب الامير بها<sup>١</sup> الدين واستخفى واستتر عن الامير سيف الدين قلاون الالفى لتقع فيه شفاعه . فدخل على الاتابك فأخرج لاولاد المتوفي من ماله خمسة الاف درهم ومائة اردب غلة وكسوة . فأبراه مستحقوا الارث واقروا ان اباهم مات بقضاء الله وقدره . ودخل الاتابك الى السلطان وتحدث في امره . فغضب السلطان . فقال له الاتابك تغضب والشرع الشريف معنا . فان كان هذا قتل عمدا او خطأ هذا الابرا<sup>٢</sup> " وعند ذلك شفع الامراء الاكابر . فسكت السلطان سكوت من اسكته الحق . وهذا فعله في حق اقرب اوليائه اليه فكيف الابعاد .

وفي (٣٥ق) هذه السنة امر الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بعمل جامع خام يضرب على يمينه الخيمة السلطانية . فعمل وعمل له محاريب وعدة ابواب . وعملت فيه مقصورة برسم صلاة السلطان . وامر السلطان بعمارة دار العدل تحت قلعة الجبل وتجديد بنايها .

وفي هذه السنة وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه . وذكر الرسل ان معهم هدايا لخواص الامراء تقربا لخاطر السلطان . فأمر بارسالها الى من عينت له . واذن للامراء في قبولها .

---

(١) كذا في ابن عبد الظاهر (٨٨) وفي الاصل " السقم " .

وفي هذه السنة عرض السلطان الملك الظاهر العساكر وجلس لذلك في كل خميس  
واثنين ولم يجز عرض احد حتى حقق النظر . وای جندی اشتكى من مخدومه امر بانصافه  
منه .

قال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" ماصيغته : وفي هذه  
السنة نظر السلطان في كثرة الناس وان القاهرة هي دار الملك وقد جمعت اهل  
المذاهب من العلماء فأمر بنصب اربعة قضاة نوابا للقاضي تاج الدين فاستناب قاضيا  
حنفيا وقاضيا مالكيا . ولقله الحنابلة لم ينصب قاضي حنبلي بل جعل لهم علاقد .  
فوجد الناس بذلك راحة " انتهى كلامه " . وقد قدمنا انه استناب ثلاث نوابه  
حنفي ومالكي وحنبلي والله اعلم اي ذلك كان .

وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر عرب خفاجه . وسير الخلع الى كبراء العراق .  
وكتب الى صاحب شيراز وغيره بالاغراء بهلاون . وكانت وصلت جماعة من امراء خفاجه  
فالبسهم السلطان الفتوه وجهنز معهم الامير عز الدين الاتابك رسولا الى شيراز  
وغيرها صحبة امراء عرب العراق .

قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن الامير ناصر الدين محمد بن الامير  
عز الدين ايدمر دقماق في تأليفه " نزهة الانام في تاريخ (٣٦ و) الاسلام " ماصيغته :  
وفيها في العشر الاول من صفر جمع تكفور صاحب سيس جموع كثيرة خيلا ورجلا وخرج  
من سيس واغار الى بلد العمق وجبل ومعررة النعمان وسرمين والفوعة . وذلك بدلالة رجل  
من اهل الفوعة يعرف بأبن ماجد القوعي . فأخذ من القوعة ثلاثماية وثمانين  
نفرا . وكبس سرمين وكان بها من الامراء المجردين بهاء الدين الخضر الحميدى  
والذكي عيسى العروى وعلم الدين قيصر الظاهري فانجازوا الى دار الدعوة بسرمين .

واجتمع عليهم خلق كثير وحاصروهم . ثم ان الاميرزكي الدين عيسى ركب وركب الامراء  
رفقته . وفتح باب للدعوة وخرج وحمل فيهم فصادف في حملته صاحب سيمس ولم يعرفه  
فرماه عن جواده فتغللت لاجله عزائم اصحابه فولوا هارين لايلى احد منهم على  
احد وخلص الماسورين .

وفيها حدثت زلزلة عظيمة في شهر رمضان بالموصل اخرت اماكن عظيمة وهدمت  
ادر كثيرة . ووصلت اخبارها الى البلاد الشاميه وما حصل للناس منها من الضرر .  
وفيها جهز السلطان الملك الظاهر من القاهرة المحروسة الى المدينة  
النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام جماعة من ارباب العمائر من بنائين ونجارين  
ونشارين وعتالين واخشاب واليات . وحمل ذلك في البحر لاجل عمارة الحرم الشريف  
النبوي . وعمل السلطان كسوة للكعبة المشرفة وحمل الكسوة على البغال وطيف بها  
البلدين . وركب معها الخواص وارباب الدولة والقضاة والمدرسين والقراء والصوفية  
والخطباء والائمة . وسافر من تسلمها بها الى مكة المشرفة في العشر الاوسط  
من شوال وفوض امر العمارة لزين الدين ابن البورى .

(٣٦ق) وفيها جاءت الاخبار الى الديار المصرية بأن الفرنسيين كان قد  
جمع جمعا من الفرنج وقصد الديار المصرية لما في قلبه من الكسرة الاولى بدمياط  
كما قدمنا شرحه . فأشار عليه بعض اصحابه بقصد تونس بالغرب اولا . فاذا ظفرت  
بها تمكنت من قصد الديار المصرية برا وبحرا . فلما نازلها بتلك العساكر الكثيرة  
التي جمعها وكان يستولي عليها اوقع الله تعالى في عسكره الواء . فهلك الفرنسيين  
وجماعة من الملوك وكثير من اهل العسكر وصاروا الى جهنم وبئس المصير . ورجع من  
بقي منهم الى بلادهم بالخيسة .

وفيها اخذ قاع البحر خمسة اذرع وسبع اصابع وانتهت الزيادة الى سبع عشرة ذراعا وثلاث اصابع .

٦٦٢ هـ (١٢٦٣٢ - ٢٣ ت ١ ١٢٦٤ )

(٣٧) ذكر الحوادث في سنة اثنتين وستين وستماية .

قال صاحب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " استفتح السلطان هذه السنة بالعدل والانصاف وحضر الى دار العدل . فوقف له ناصر الدين بن ابي نصر وشكى انه اخذ له بستان في الايام المعزية وهو بأيدى المقطعين . واخرج كتابا مشبوتا واخرج حال من ديوان الجيوش المنصوره بأن بستانه ما هو من حقوق الديوان . فأمر السلطان برده عليه . فرد اليه ما كان غضب من حقه . واطلع نجم الحق من افقه " .

قال " واحضرت ورقة مختومة فكشف عن من احضرها فوجد محضرها خادم اسود فقرئت فوجد فيها مرافعة في القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة يذكر فيها انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته . وسبب ذلك ان السلطان ما جعل للحنابلة مكانا في المدرسة التي انشأها بين القصرين داخل القاهره المحروسة بجوار قبة الملك الصالح نجم الدين ايوب . ولا جعل حنبليا قاضيا . وتحدث في اشياء قاذحة في الشيخ المذكور . فقرئت على الشيخ فحلف ان ذلك ما جرى منه شيئا . وقال : هذا الخادم كان بخدمتي وطردته . فقال السلطان ولو شتمتني انت في حل وامر بضرب الخادم فضرب مائة عصا " .

وامر بان ينادى في القاهره ومصر بأن امرأة لاتتعم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال . ومن فعل ذلك بعد ثلاثة ايام يسلب ما عليها من الكسوة .

وفي اول هذه السنة طلب السلطان الطواشي شجاع الدين مرشد الحموي فحضر

- الى الابواب الشريفه • فتحدث السلطان معه في اشتغال صاحبهما بالملاذ •
- وقال له قد كتبت اليه انبهه من هذه الفعلة • وطلبت شرف الدين عبد العزيز
- شيخ الشيوخ وسيرته اليه في هذا (٣٧ق) الامر فما افاد • وقال له : انا اعتمدت
- عليك في مصلحة هذا البلد لما فيكم من دين وخير وشجاعة • وقرر معه انه يلتزم
- بتكميل الاستخدام وان يلزم الاجناد باقامة التبرك والعدة الكاملة • فالتزم بهذه
- الامور وكتب له تقليد شريف وتوجه •

وفي المحرم من هذه السنة وصل الامير جمال الدين بشكر ولد الداوار •

- وكان ابوه المجاهد داوار الخليفة ببغداد • وكانت له نعمة عظيمة ومماليك
- وغيرها فأحسن اليه السلطان الملك الظاهر واعطاه طبلخاناه •

### ذكر حضور اهل العلم بالمدرسة الظاهرية

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي امر بإنشاء مدرسة بخط

- بين القصرين داخل القاهرة المحروسة بجوار من المدرسة الصالحية مدفن استاذ الملك
- الصالح نجم الدين ايوب • فلما تكملت عمارتها فوض تدريس السادة الخنفية للصدر مجد
- الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين ابن العديم ، وتدريس السادة الشافعية
- للشيخ تقي الدين ابن عبد الله محمد بن الحسن ابن رزين والتصدر للاقراء الفقيه
- كمال الدين المحلي • والتصدر لافادة الحديث النبوي الفقيه شرف الدين عبد المؤمن
- بن الشيخ خلف بن ابي الحسن بن شرف الدين خضر بن موسى الدمياطي • فلما
- كان يوم الاحد الخامس من صفر من هذه السنة وقال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم

بن دقماق : كان جلوسهم في يوم الاحد سابع عشر صفر او سادس عشره . اجتمع اهل العلم بالمدرسة الظاهرية وحضر القراء\* وجلس اهل الدروس كل طايفه في ايوان الشافعيه بالاىوان القبلي والحنفية بالاىوان البحرى الذى تجاهه واهل العديث بالاىوان الشرقى ومن يقرأ بالروايات السبع بالاىوان الغربى . وفي هذا الاىوان جماعة يقرؤن السبع بعد لطلاة الصبح . وذكروا الدروس ومدت الاسمطه لهم . وانشد الشيخ جمال الدين ابو الحسين الجزار .

الا هكذا بيني المدارس من بنا  
لقد ظهرت للظاهر الملك همة  
تجمع فيها كل حسن مفرق  
ومذا جاوزت قبر الشهيد فنفسه  
وما هي الاجنة الخلد ازلفت

ومن يتغالى (١) في الثواب وفي الثناء  
بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا  
فراقت قلوبا للانام واعيننا  
النفيسة منها في سرور وفي هنا (٣٨ و)  
له في غد فاخترت تعجيلها هنا

(٣٨ و)

وانشد الشيخ سراج الدين الوراق قصيدة منها .

مليك له في العلم حب واهله  
فشيدها للعلم مدرسة غدا  
ولا تذكرن يوما نظاميه لها  
ولا تذكرن ملكا ويبيرس مالكا  
ولما بناها زعزعت كل بيعة  
ومذ برزت كالروض في الحسن انبأت  
الم تر محرابا كان ازاهرا

فله حب ليس فيه ملام  
عراق اليها شيق وشام  
فليس يضاها ذا النظام نظام  
فكل ملك في يديه غلام  
متى لاح صبح فاستقر ظلام  
بأن يديه في النوال غمام  
تفتح عنهن الغداة كمام

(١) " يتغالى " في ابن عبد الظاهر (ص ٩٢ )

وانشد الشيخ جمال الدين يوسف بن الخشاب

قصد الملوك حماك والخلفاء  
انت الذي امراءه وبين الوري  
ملك تزينت الممالك باسمه  
وترفعت لعلاه خير مدارس  
تبقى كما يبقى الزمان وملكه  
كم للفرنج وللتتار ببابه  
وطريقه لبلادهم موطوءه  
دامت له الدنيا ودام مخلدا  
فاحرقان محلك الجوزاء  
مثل الملوك وجنده امراء  
وتجملت بمدح الفصحاء  
حلت بها العلماء والفضلاء  
باق له ولحاسديه فنا  
رسل مناها العفو والاعفاء  
وطريقهم لبلاده عذراء  
ما اقبل الاصبح والامساء

فرسم لهؤلاء الشعراء بالتشريف . وكان يوما مشهودا . واوقف السلطان  
بهذه المدرسة خزانه كتب حمل اليها امهات الكتب في سائر العلوم وبنى فيها  
مكتبا لتعليم الايتام واجرى عليهم الخبز في كل يوم والكسوة في الفصلين .

وفي صفر الشهر المذكور وصل الحجاج مخبرين بأنه خطب للسلطان الملك  
الظاهر بمكة المشرفه . وتسلم الصدر جمال الدين حسين ابن الموصل كاتب  
الانشاء الشريف المتوجه الى مكة المشرفة نائبا بها مفتاح للبيت المقدس المشرف  
وقفله بالقفل المير صحبته وابع البيت الشريف ثلاثة ايام بغير شيء . ولا يؤخذ  
(٣٨ق) من احد درهم واحد . وكتب الله له في هذه الحسنة التي عامل الرعية  
فيها بالاحسان والحسنى . وجعل البيت مثابة للناس وامنا .

وفي صفر الشهر المذكور قرئ كتاب وقف الخان يالقدس الشريف بحضور السلطان  
الملك الظاهر وقاضي القضاة تاج الدين . وحررت شروطه بين يديه . وكتبت بذلك  
عدة نسخ . وكذلك اوقف اصطبلين تحت القلعة يعرف احدهما بجوهر النوبي  
وحبسهما على وجوه الجيهر .

وفي صفر الشهر المذكور وردت كتب الامير عز الدين استاد الدار  
نايب السلطنة بالكرك بانه رتب رواتب الخليل عليه وعلى سيدنا  
ونبينا محمد رسول الله الصلوة والسلام . ورتب الاسمطة والضيافة  
للوافدين . وكان ذلك قد قطع من مدة طويلة . وعد ذلك من  
حسنات دولة الظاهر .

وفي صفر الشهر المذكور خرج الملك الظاهر متصيذا الى جهة  
اوسيم وتوجه منها الى الغربية . وشكى اهلها من واليها الامير  
ابن الهمام وصار السلطان يركب للصيد ثم ينفرد وحده متخفيا  
وسائل عن حال الامير ابن الهمام المذكور وحال نوابه وعلمائه وعن  
المباشرين ولما تحقق سوء اعتماده قبض عليه وادبه وعزله وولى  
غيره .

واطلع على ان رجلا من نصارى القبط يعرف بابن حلوف يظلم  
الناس ويؤدبهم فأمر بالقبض عليه وشنقه . قال القاضي محي  
الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : كان  
المذكور نقل عنه تعرض الى ذكر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بما لا يليق بشرف النبوة فأسلم ثم ارتد .

وتوجه السلطان الى دمياط وزار البرزخ ثم عاد الى اشموم الى منزلة ابن

حسون (٣٩ و) وتصيد بها ثم عاد من جهة الشقيه .

وفي صفر الشهر المذكور سأل الفرنج نواب السلطان الملك الظاهر بالشام

انهم يأذنون لهم في زراعة البلاد وتقويتها من اموالهم . وهي جملة كبيرة من

الغلات . فتقررت الهدنة معهم الى ايام الحصاد . وهي مصلحة ظاهرة لانهم

يخرجون من داخلهم جملة من الغلات ويكون كما قال الله تعالى ؛ " فسينفقونها

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون " (١) وعند استوائها تحصد سيوف الاسلام

روءوسهم قبل حصادها وينفذ امر الله فيهم نفاذهم في انفاذها .

• ذكر وفاة الملك الاشرف صاحب حمص واستيلاء الملك الظاهر على بلاده

في يوم الجمعة حادى عشر صفر من هذه السنة توفي الملك الاشرف

مظفر الدين موسى بن الملك المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد شيركوه بن الامير

ناصر الدين محمد بن اسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان صاحب حمص . ولم

يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد . فسير السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس

الصالحى صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية الى نوابه بالشام بتسلم بلاده .

فوصل البريد في سابع عشرين صفر الشهر المذكور بأن الامير بدر الدين بيليك

العلائي احد الامراء قد تسلمها وحلف الناس بها للسلطان الملك الظاهر وكنلك

الرحبة والدير . وكان المسير الى الرحبة خاصة عشرين الف دينار عينا .

وفي هذا التاريخ ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبى يذكر انه ولي

حران للامير جمال الدين الجاكي . وولي الرقه لامير آخر .

وفي هذه السنة بلغ السلطان الملك الظاهر ان صاحب دهلك وصاحب سواكن يتعرضان (٣٩ق) الى اموال من يتوفى من التجار في تلك البحار . فسير اليهما بدر الدين ابن الدايه احد رجال الحلقة المنصوره رسولا بهذا السبب وبالانكار عليهما لتعرضهما لاموال من يتوفى من التجار .

قال صاحب "كتاب نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك" وفي هذه السنة ثمن القرط الذي قضمته الخيول السلطانية وجمال المناخات فكان ثمنه خمسين الف دينار " قلت : وكثرة الخيول قد ندب الله اليه و اشار في كتابه العزيز الى الاستكثار منها . قال الله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة . والخييل لثلاثة هي لرجل اجر وللاخر ستر ولاخر وزر . فأما التي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله فما غيبت في بطونها فهي له اجر ولورعاها في مرج كان له لكل شيء غيبت في بطونها اجر . ولو استسقت شرفها او شرفين كان له بكل خطوة خطتها اجر . ولو عرض لها نهر فسقاها منه كان له يكل قطره غيبتها في بطونها اجر حتى انه ليذكر الاجر في اروائها وابوالها . واما التي هي له ستر فرجل يتخذها تعففا وتكرما وتجملا . ولا ينسى حق ظهورها ويطونها في عسره ويسره . واما الذي هي عليه وزر فرجل يتخذها اسرا ويطرا لا يربطها في سبيل الله ليركب عليها المجاهدين .

ذكر جلوس الملك الظاهر بدار العدل عند غلو الاسعار وما فعله

من الرفق بالناس

في هذه السنة غلت الاسعار ووصل الاردب القمح الى قريب المايمة

درهم نقرة • فرسم الملك الظاهر بالتسعير طلبا للرفق فاشتد الحال وعدم الخبز  
(٤٠ و) فأمر السلطان بالنداء باجتماع الفقراء تحت القلعة • وقيل اشتد  
الغلاء بمصر واعمالها فبلغ الاردب القمح بمصر مائة درهم وخمسة دراهم والشعير  
سبعين درهم والخبز كل ثلاثة ارطال بدرهم • واللحم كل رطل بدرهم وثلاث  
وبيع القمح بالاسكندرية كل اردب بثلاثماية درهم وعشرين درهما • ثم اشتد  
الحال بالناس الى ان اكلوا ورق اللفت والكرنب وورق الكراث وخرجوا الى السير  
فأكلوا عروق الفول الاخضر •

فأحسن الملك الظاهر السياسة • ونزل في يوم الخميس سابع شهر  
ربيع الاخر من هذه السنة الى دار العدل • فأول ما تحدث فيه امر الغلة  
ومطل التسعير • وكتب الى الامراء ببيع خمسمائة اردب كل يوم بما يقدره الله  
تعالى من زويتين فما دونها لثلاثين يشتري منه الخزان بل يباع على الضعفاء والارامل •  
ونزل حجابهم الى تحت القلعة وكتبوا اسما الفقراء • ثم سير الى كل جهة حاجبا  
لكتب الاسماء في القاهرة ومصر وحواضرها • وقال : والله لو كانت عندي غلة  
تكفي هذا العالم لفرقتها • فلما عد العالم وحصروا اخذ السلطان الوفا واعطى  
لنواب ولده الملك السعيد كذلك واحضر ديوان الجيوش وكتب الاسماء واعطى لكل  
امير جماعة على قدر عدته وفرق الفقراء على الامراء والاجناد ومفاردة الحلقة  
والمقدمين والبحرية • وعزل التركمان ناحية • وكذلك الاكراد البلديين • فرسم  
بأن يعطى لكل فقير كفاية مؤونته مدة ثلاثة شهور • وتسلم نواب الامراء الفقراء  
وكذلك الاكابر والتجار والشهود والناس على اختلاف احوالهم وفرق السلطان من  
شونته القمح على ارباب الزوايا • فرسم ان يفرق في كل يوم للفقراء مائة اردب  
مخبوزة لجامع احمد بن طولون • وكان في هذا الفعل (٤٠ ق) ستر الوجوه

عن الكدية • وقال السلطان : هوء لاء المساكين جمعناهم اليوم وقد انقضى نصف النهار فليعط كل منهم نصف درهم يتقوت به خبزا • ومن غد يتقرر الحال • فأنفقت فيهم جملة كبيرة لهذا القدر خاصة • قال تعالي فيما ورد من الاخبار : والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء •

قال صاحب " نظم السلوك في تراجم (١) الخلفاء والملوك " مامعناه :

اخذ صاحب جماعة العميان واخذ الاتابك التركمان ولم يبق احد من الخواص ولا من الحواشي ولا من الحجاب والولاية واصحاب المناصب وذوى المراتب والثروة حتى اخذ جماعة وذلك بحسن تلتف من السلطان • وقال للامير صام الدين المسعودى والى القاهرة ؛ خذ مائة فقير اطعمهم لله • فقال : فعلت ذلك واخذتهم دائما • فقال السلطان : ذلك فعلته ابتداء من نفسك وهذه المائة افعلها لاجلي • فأخذ مائة فقير ثانية • وشرع الناس في فتح الاهراء والمخازن وتفترقة الصدقة •

ولقد وصل الاردب القمح في الغلاء الكائن في سنسبع وتسعين وخمسماية

في الايام العادلية بولاية عهد الملك الكامل الى ثمانين درهما سنقرة كل اردب • واكل الناس بعضهم بعضا وما دبر احد هذا التدبير الحسن • وكذلك الغلاء الكائن في زمان المستنصر العلوى عم الجوع والبلاء الناس حتى ان الوزير ركب الى دار الوزارة فاخذت بغلته واكلت للوقت • فأخذ آكلوها وشنقوا فأكلوا على الخشب • وزاد السعر في هذه السنة كما قدمنا شرحه • وما جرى الا الخير بنية السلطان • ونزل السعر عشرين درهما وقلت (٤١ و) الفقراء وكثير الخير •

---

(١) وردت " تاريخ " في جميع الامكنة الاخرى من هذا الجزء •

وقال بعض اهل التاريخ : فرق السلطان الصعاليك على الاغنيا والامراء وان اخذ لنفسه خمسمائة وتولى الملك السعيد خمسمائة ولنايبه بيليك الخازندار ثلاثمائة دام الفلاء ودام ما رتبه السلطان الى ان دخل شهر رمضان ودخلت الفلال الجديدة \* ومن اعجب ما يحكى ان السعر انحط في يوم واحد اربعين درهم الارذب ورقا \* فسبحان المتصرف في خلقه كيف يشاء \*

وفي اليوم الذي جلس فيه السلطان بدار العدل وفعل ما قدمنا شرحه قرأت قصة على السلطان من ضمان دار الضرب انها فيها توقف الدراهم وسألوا ابطال الناصرية وذكروا ان ضمانهم مايتان الف وخمسون الف درهم \* فقال : يحط عنهم خمسون الف درهم ولا توزى الناس في اموالهم \*

وفي العشرين من شهر ربيع الاخر الشهر المذكور جاء زلزلة عظيمة هدمت دورا كثيرة \*

( وفي ) ثالث وعشرين شهر ربيع الاخر الشهر المذكور رسم السلطان بمساحة بنات الامير حسام الدين الجوكندار العزيزى بما وجب للديوان في تركة ابيه من وجملته اربعمائة الف درهم نقرة خارجا عما له من الاملاك والغلال والخيل \* وكتب بذلك الى الشام \* وهذه جملة ما سمع بمثلها لورثة امير \* وقد كان هذا الامير وصل من حلب الى دمشق وحاله ضعيف \* وقد نهب التتار موجوده فأحسن السلطان اليه وزاد في اقطاعاته وافتقاده حتى جمع هذه الجمل \* ولما رمى البندق وادعى للسلطان سير اليه جملة عظيمة \* فهذه الجمل المذكورة السلطان هو الذى وهبها له في الاول وفي الاخر لبناته \* وكان افهم بذلك ان كل من يموت في خدمته ويحفظ يمينه ينظر في امر ورثته \* ويبقى عليهم ما يخلفونه \* وكان كما قال الشاعر \*

ياذا الذي سعدت به الاباء في الدنيا وبعد مماتها الاولاد .

وكذلك الامير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية لما توفي الى رحمة الله تعالى امر بنقل اقطاعه وهو مائة طواشر لولده . وكذلك احد الامراء بالساحل وهو شجاع الدين والى (١٤٤ق) سرمين الامير ناصر الدين رسولا الى فرقة من الفرنج . فصادفه فرقة اخرى اسرته . فأبقى السلطان خبزه عليه يستغله اخوته وغلماؤه ولم يغير عليهم شيئا . وكل هذه مكارم تستجلب القلوب والله اعلم .

ذكر قصد مملك الارمن خذله الله حلب المحروسة ورجوعه خاسرا

كان اللعين هيثوم بن قسطنطين مملك الارمن خذله الله تعالى رجع من عند هولاء كملك التتار واستصحب صحبته قاضي بلاد هولاء كوا ليصلح بينه وبين السلطان ركن الدين صاحب الروم فلما وصل الى قريب بلاده لم يدخل الى بلاده . وتوجه الى بلاد الروم واعطى قاضي هولاء كوعطاء كثيرا واستماله . وقال له : لا اقدر على الدخول الى بلاد الروم حتى تحضر جماعة من التتار تخفروني . فكتب القاضي الى التتار الذين في الروم فحضر منهم جماعة تقدير اربعة مائة فارس . وكان السلطان ركن الدين لما بلغه وصول مملك الارمن اليه عزم على الايقاع به على غره وانه ينسب ذلك الى التركمان . ففطن الطاغية لذلك واحترز وتوجه لما حضر اليه التتار الذين طلبهم قاضي هولاء كوا فالتقى صاحب الروم مملك الارمن مترجلا لاجل قاضي هولاء كوا واللعين الارمني لم يترجل . وقدم كل واحد منهما لصاحبه تقادم سنه . وكانت مقدمة صاحب الروم اربعة عشر فرسا واربعين الف درهم وجميع آتية المجلس من ذهب وفضه وبغال وغيرها . وقدم له الارمني اربعة حصن وجاءوا جميعهم الى هرقله وتخالعا واتفقا .

واهتم اليرمني بجمع العساكر المخذولة في بلاده لقصد البلاد الاسلامية  
بالشام وسار فلما وصل ٠٠٠ الى قلعة صرفند كار ( ١ ) ( ٤٢ ) و نادى في عسكره  
بان يأخذوا اقامة لك ثلاثة ايام . وكان في عسكره من بني كلاب الف فارس عربا  
وقصدوا عينتاب .

وكان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس صاحب الديار المصرية  
والبلاد الشامية قد فهم منهم هذا الاتفاق لاهتمامه باستطلاع الاخبار . فسير  
الى عسكرى حماه وحمص بالتوجه الى حلب فتوجهوا وتوجه جماعة من العسكر المنصور .  
فأغارت على عسكر الارمن واسرت اميرا من امرائه واخذ له مائة جمل من البخاتبي  
فولوا منهزمين وقتل منهم ثلاثون نفرا وجرح صاحب حمص قرابة ملك الارمن وهو  
بارون بهرام جراحة شديدة . وكتب الطاغية متملك الارمن الى التتار الذين  
كانوا في الروم وهم سبعماية راكب فأحضرهم وكان قصده الشام . فلما وصلوا الى  
حارم وقعت ثلوج شديدة . وكان الطاغية المذكور قد كتب الى انطاكية يطلب  
نجده فانجده منها بمائة وخمسين فارسا ولبس الجميع السراقوجات تشبها بالتتار  
واجتمعوا كلهم قريب حارم . وارسل الله الثلوج والامطار حتى كادوا يهلكون .  
واما العسكر المنصور فانه خرج لقصدهم واتصلت بهم الاخبار وانقطعت عنهم  
الميرة فخافوا وتأخروا راجعين فعدم من اصحابه مائة وعشرين فارسا وثلاثون تتريا  
وستة نفر من خيالة انطاكية وجماعة من رجالتهم . ونصر اهل الاسلام بنية سلطانهم  
الملك الظاهر الذي نصرته الملوك والملايكة وامرته السماء تارة بشهبيها وتارة  
بأمطارها وثلوجها المتدركة الى ان انهزم جموع الاعداء بحسن عزائمهم المباركة  
رحمه الله تعالى .

( ١ ) كذا في ابن عبد الظاهر ( ص ٩٧ ) وفي الاصل مطموسة ظاهر منها " فندكار "

## ذكر حفر خليج الاسكندرية

كان خليج الاسكندرية ( ١ ) وهو البحر الذى يقال ( ٤٢ ق ) احضرا ( ٢ ) سريعا الى السلطان الملك الظاهر فسألها واعطاها الامير . فأعترفا ووجدت معهما قرامين للامير فارس الدين اقطاي الاتابك من هولاكوا وهو يرغب ويستميله اعتقادا منه ان هذه الامور يفسدها نظام . او ان السلطان اذا وقع له ذلك لا يتثبت . او انه يتوهم في اكثر خواصه . او ان الاتابك يميل الى هذا الهذيان . فظن السلطان الى هذه المكيدة . وطلب الاتابك في الساعة الراهنة وافهمه انها حيلة . وراه الكتاب وقال له : اننى ما صدقت شيئا من هذا فيك . ورسوم بحريق ذلك وتمزيقه . واستدل السلطان بذلك على ضعف هولاكوا وانه يتثبت بكل شيء . وهذه هممة عالية ماسمع ملكا اهتم بهذه المهمة ولا يذل في اغراضه الجميلة هذه النعمة .

وفي هذه السنة تنجز البرج الذى كان الملك الظاهر رسم بعمله في قارا . وشرع في بناء برج اكبر منه لمصلحة الاسلام وحفظ الطرقات وصونا للرعية من عوادي الفرنج المجاورين خذلهم الله تعالى .

## ذكر قصد مملك الارمن المسير الى بلاد الشام مرة اخرى وتخيب سعيه

في هذه السنة اهتم مملك الارمن للعين هيثوم بن قسطنطين وجمع العساكر المخدولة من كل جهة . وفصل الف قيا تترى والف سراقوج البسها

---

( ١ ) الكلمات الثلاث مطموسة بالحبر وقد قدرتها من سياق العبارة .  
( ٢ ) كان ورقه من الاصل ساقطه هنا راجع ابن عبد الظاهر ( ص ٩٨ ) .

اصحابه ليهرب انهم نجده من التتار • فسير السلطان الملك الظاهر الى دمشق  
جرد منها عسكريا الى حمص • وجرد جماعة من حماه • ورسم بأن عربان الشام لا يخرجون  
البرية في تلك السنة • فتوجه الامير حسام الدين العينتابي فأغار على مرومان وقتل  
واسر وعاد سالما • وتوالت الغارات من جميع الجهات (٤٣ و) فلما احسن العدو  
المخذول بهذه العزائم جر ذبول الهزائم وتفرقت نجداته وخمدت جمراته ومقبي  
خاءفا مترقبا • وعدلت العساكر المنصورة الى انطاكية فغنمت وقتلت واسرت •

وفي جمادى الاخره من هذه السنة اغارت العساكر التي بالفتوحات  
الساحلية صحبة الامير ناصر الدين القيصرى ووصلت الى ابواب عكا • واغار الامير  
الشجاع على بلاد الفرنج من جهة الخسيط •

وفي جمادى المذكور شرع النواب بالشام في بناء شقيف تيرون • اعلم  
ان حكم شقيف تيرون حكم شقيف ارنون • لم يزل في يد من ملك دمشق الى ان سلمه  
الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق للفرنج سنة ثمان وثلاثين وستماية • ولم يزل  
في ايد يهم الى ان ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب  
حلب دمشق في سنة ثمان واربعين وستماية كما سبق ذكره فسير عسكريا مقدمه الامير  
سعد الدين بن نزار متولي صيدا • فنزل عليه وانتزعه من الفرنج ولم يزل في  
يد نواب الملك الناصر صاحب دمشق وحلب الى ان استولوا التتار على البلاد في  
سنة ثمان وخمسين وستماية كما سبق ذكره • فقصد شهاب الدين بن بحتر من  
قبل التتار ونزل عليه وضايقه بالرجال • فسلمه الوالي اليه فأخرجه ولم يزل خرابا  
الى ان ملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس • فاستمر خرابا الى ان امر الملك  
الظاهر بعمارة فعمره نواب الشام في هذه السنة وحمل اليه زرد خاناه ودخاير  
والله اعلم •

وفي جمادى الشهر المذكور انعم السلطان الملك الظاهر على العسكر الساحلي الذي صحبه الامير ناصر الدين القيمرى بمايتي الف درهم وفرقت عليهم .

وفي جمادى الشهر المذكور بلغ الملك الظاهر ان جماعة من عسكر شيراز ومقدمهم الامير سيف الدين بكلك ومعهم اقتيار الخوارزمي جمدار السلطان جلال الدين خوارزم شاه وصحبتهم حسام الدين حسن بن ملاح امير العراق وجماعة من امراء خفاجه وصلوا لطلب ( ٤٤ق ) ( ١ ) صدقات السلطان . فتقدم بالا حسان اليهم .

وفي مستهل شهر رجب الفرد من هذه السنة جلس الملك الظاهر بدار العدل وانهي اليه بأن على باب مشهد السيد الحسين رضي الله عنه مسجدا والى جانبه مكان من حقوق القصور ونبع . وحمل ثمنه للديوان وهو ستة الاف درهم .

فسأل السلطان عن صورة المسجد وهذا الموضع وهل كل منهما بمفرده او عليهما حائط داير فقبل بينهما زرب قصب فأمر برد المبلغ الى صاحب ( ٢ ) . وابقى الجميع مسجدا وامرا بعمارة المسجد . قال رسول الله صلى عليه وسلم من بني مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة .

وفي هذا اليوم وقف رجل من الاجناد ومعه صغير يقيم . فقال : انا وصي هذا الصغير وشكى من قضيه تتعلق به . فقال السلطان لقاضي القضاة : اعلم ان الاجناد يموت واحد منهم فيستولي خشدا شيته على موجوده ويجعل اليتيم وشاقيه ويموت اليتيم فيستولى الوصي على الموجود . او يكبر اليتيم ولا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجود . والوصي قد يموت فينغمس مال اليتيم في ماله . وانا ارى ان احدا من الاوصياء لا ينفرد بوصية وليكن نظر الشرع شاملا واموال اليتامى مضبوطة وامنا الحكم يحاqqون على المصروف . وطلب نواب الامراء . العساكر وامرهم بذلك وامر باستمرار الحال عليه .

وفي ثالث شهر رجب الشهر المذكور وصل الى الابواب الشريفة الجماعة اهل

شيراز ومقدمهم بكلك ورفقته وهم سيف الدين اقبال (١) جمدار جلال الدين خوارزم شاه والامراء الاتابكيه غلمان اتابك سعدوهم جماعة كبيرهم سنقرجاه وغيره من الاتابكيه ووصل (٤٥ و) في صحبتهم حسام الدين بن ملاح امير العراق وجماعة من امراء خفاجه . فأحسن السلطان الملك الظاهر الى الجميع وتلقاهم بنفسه وامر الامير سيف الدين بكلك واعطاه طبلخاناه وكذلك امراء مظهر الدين وساح بن سهري . واطلق للامير حسام الدين حسين بن ملاح قرية في الشام وجهزهم الى بلادهم .

وفي شعبان من هذه السنة امر السلطان الملك الظاهر بتكملة عمارة بيبر

الليون غربي الاسكندرية وحفر مبانيها وانشاء فيها بستانا ، لانها منزلة من منازل عند توجهه الى الحمامات للصيد . فشرع فيها . ووقع الاهتمام بذلك قال صاحبنا الامير صارم الدين ابراهيم بن دقماق . هي بئر قديمه من عهد الروم رأيتها غير مرة لما سافرت مع السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون . وهي من عجائب المباني في وسط بستان تقديره ستة افدنه اوسبعة . ولها منافذ من خارج البستان والبستان بين جبال محيطه به . وتلك الارض كثيرة . . . . . (٢) .

وفي شعبان الشهر المذكور عدا السلطان الملك الظاهر الى الجيزيه متنزها

في الاهرام وركب ورمى نشابه فعدا الاهرام . وطولها اربعماية ذراع بذراع العمل وطلع اليها جماعة من خارجها حتى ان فراشا لـ الامير سيف الدين قشتمر العجمي طلع بخركاه ونصبها على علوها واقامت اياما والله اعلم .

(١) راجع ص ٨٨ اعلاه .

(٢) سطران غير مقروئين .

وفي شعبان الشهر المذكور وصلت الاخبار الى الملك الظاهر بأن الامير علم الدين  
قيصر الظاهري والى سرمين سير اليه الامير نور الدين نايب السلطنة بحلب يأمر بمصلحة  
من المصالح . فقال كلاما فيه استنقاص وعدم مهلا به . فعز ذلك على الامير  
نور الدين ثم رضي عنه . فسير السلطان بريد يا الى نايب حلب يأمر فيه باحضار  
قاضي القضاة بحلب واحضار والي سرمين بحضور الامراء بحلب وتأديبه الادب الزاجر .  
وكتب محضربا جرى واخذ خط الجميع فيه ورسم بأن يقال اذا فرغ عن تأديبه نواب  
السلطنة لا يفترى عليهم ولا يتجرى . وفي هذا ادب ذاك القول . وقد عزلناك من  
ولايتك زيادة في الادب . ويقال للامير نور الدين : انتم اصلحتم ونحن ما نصطلح .  
فأعتمد ذلك كله . وهذه نكته فيها حسن سياسة .

وفي هذه المدة امر الملك الظاهر الامراء والاجناد بعمل العدد الكائنة  
(٤٥ق) لهم ولعماليتهم . فلم يبق لاحد اهتمام الا في تفصيل البركصطوانات وعمل  
الجواشن وصقل الزرد وكفت الخود وعمل وجوه الخيل . واذا عبر الانسان في سوق  
السلاح لا يقدر على العبور من كثرة الخيل التي للاجناد الواقفين به . وارتفع سعر  
الحديد واجر الحدادين والجواشنية والصياقلة . ولم يبق لاحد همة في شيء الا  
تكملة عدته النافعه . وفي كل دار معلم للعب الرمح . وتعلم جمع كثير من الممالك  
الظاهرية لعب النار على الخيل وما بقي لاحد رغبة الا في الاشتغال بعدة الحرب .  
والناس على دين الملك . ولو حلف حالف ان احدا من العسكر ما انفق شيء من فعل  
الا في ذلك لصدق . وقد كان من تقدم من الجند ينفقون مالهم فيما لا يرضي الله  
تعالى من الامور المحيطة للاعمال . وهذا الملك شغله هذا لا ينهي عنه بلذة  
ولا طرب ولا ينقضي وقته الا في حسنة قد سطر الله له اجرها .

وفي شعبان الشهر المذكور وصل كتاب امير المدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام يذكر انه ركب بنفسه وسار الى مكة شرفها الله تعالى صحبة الكسوة وعلقت والله اعلم .

وفي شهر رمضان من هذه السنة تجزت كسوة الضريح الشريف النبوي شرفه الله تعالى وبعد سفرها صحبة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي وشرع في تجهيز الشموع والبخور والزيت والطيب .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل كتاب الامير ناصر الدين القيمري يذكر له انه بلغه ان الفرنج المخدولين توجهوا الى جهة يافا . وكان الملك الظاهر قد اطلع على حركتهم فأمره بالغارة على قيسارية وعتليت فساق الى باب (٤٦) وعتليت ونهب وقتل واسر . ثم ساق الى قيسارية واعتمد فيها هذا الاعتماد وبلغ الذين اجتمعوا في يافا من الفرنج ذلك فسقط في ايديهم وانعكست القضية وخافوا ورجعوا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور جرى الملك الظاهر على عادته في اجراء الصدقات بمطابخ في القاهره ومصر برسم الفقراء . انصرف فيها كل ليلة جملة من الطعام والخبز . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قطر صايما فله اجر صايم . وكذلك جرى على عادته الحسنه في عتق ثلاثين نسمة على عادة الملوك الماضين . هذا غير من اعتق من مماليكه الامراء وخواصه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اعتق نسمة مؤمنة كان له بكل عضو منها عتق عضو من النار .

وبلغ السلطان ان الفرنج اخذوا اخيذة من بلاد الاسلام . فانكر ذلك وارسل الى النواب بالشام بالاجتهاد في ردها . فوصل كتاب الامير ناصر الدين القيمري يذكر ان الفرنج ردوا الاخيذة وهي عالم كبير من اهل البلاد وجملة من المواشي . فسمع في تلك الساعة من اختلاف الاصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الاطفال ما تكاد ترقله الحجارة . وكان السبب في رد هذه الاخيذة ان الامير ناصر الدين المذكور سير الى الفرنج يتهددهم ويقول لهم : نحن هادناكم كما سألتكم المدة التي طلبتموها . وهذه الاخيذة كانت في مئة الهدنة . فبعث الفرنج وزير قيسارية ليتحدث في ذلك فقبض عليه الامير ناصر الدين وما زال حتى احضر جميع ذلك وبعد ذلك سيب ( ١ ) الوزير .

وفي هذا التاريخ وصلت كتب نواب البيرة يذكرون ان صارم الدين بكتاش الزاهدي ركب في جماعة واغار ( ٤٦ ق ) على باب قلعة الروم واغار مرارا .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور وصل رسول من الملك شارل ( ٢ ) اخي الملك فرنسيس وهو صاحب مرشيلية ووصلت صحبته عدة من السناقر الشهب والامتعة . ومضمون كتابه المحبة والمشايعة . ووصل كتاب استاد داره بان مخدومه امره ان يكون امر السلطان نافذا في بلاده وان اكون نايب السلطنة كما انا نايبه .

وفي يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان قرئ مكتوب بجامع مصر بابطال ماقرر على ولاية مصر من الرسوم وهي مائة الف درهم واربعة الاف درهم نقرة وشملت المسامحة بذلك .

---

( ١ ) في الاصل " سير راجع ابن عبد الظاهر ( ص ١٠٤ )

( ٢ ) في الاصل " شارك " .

وفي شهر رمضان الشهر المذكور احضرت فلوس من جهة قوص وجدت مدفونة

فأخذ منها فلس فاذا على الوجه الواحد صورة ملك واقف في يده اليمين ميزان وفي يده الشمال سيف . ومن الوجه الاخر رأس مصور بأذن كبيرة . . . وعين مفتوحة ويداير الفلوس سطور فقرأها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراءته الفين وثلاثماية سنة . وفيه مكتوب انا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع والسيف في يساري لمن عصى وفي الوجه الاخر انا غليات الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني مفتوحة .  
وفي هذا الشهر بلغ السلطان ان رسله الذين كانوا توجهوا الى الملك بركه

عوقبهم الملك الاشكري . فطلب السلطان نسخ الايمان واخرج منها يمين الملك كرميخائيل الاشكري وهي بالرومية . واحضرت البطاركة والاساقفة وتحدث معهم فيمن يخالف بكذا وكذا من دينه وانه يكون محروما من دينه . فأخذ خطوطهم بذلك وهم لا يعلمون ما يراد منهم ثم اخرج لهم نسخ ايمان الاشكري وقال : قد نكت بامسك (٤٧ و) رسلي ومال الى جهة هولوكو وكان ماسنذكره .

حكى صاحب عز الدين ابن شداد مؤلف سيرة الملك الظاهر في سبب تأخر

رسل الملك الظاهر عن الاشكري مامعناه : لما وصل رسل الملك الظاهر الى القسطنطينيه وجدوا الباسلوس كرميخايل صاحبها غائبا عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج . فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متصلة فاجتمعوا به في قلعة اكسابا فأقبل عليهم واظهر لهم المسرة واكرمهم ووعدهم ان يساعدهم على التوجه . ووجدوا عنده رسل من جهة هولوكو فاعتذر عن تأخير توجههم لخوفه من هولوكو ان يطلع على ما وصلوا بسببه . ثم امرهم بالرجوع الى قسطنطينيه وان يقيموا بها حتى يعود ويجهزهم . وكان ذلك خديعه منه .

ولم يزل يمطلبهم مدة سنة وثلاث شهور . فلما طالت المدة عليهم ارسلوا اليه يقولوا :  
ان لم يمكن الملك المساعدة على ان يوجهنا فليأذن لنا في الرجوع الى بلادنا . فأذن  
للشريف في الرجوع بمفرده . واعتذر بمنعهم عن التوجه لكون ان بلاده بعيدة عن  
البلاد المجاورة للمملكة السلطان ركن الدين وقريبه من البلاد المجاورة للمملكة هولاءكو .  
وانه متى سمع اني مكنت رسل صاحب مصر من التوجه الى بركة توهم انتقاض الصلح  
بيني وبينه . فربما تسارع الى نهب ما جاوره من بلادى وما انا قريب منها حتى اذبح  
عنها . فعاد السيد الشريف وتأخر فارس الدين اقوش مدة سنتين فهلك اكثر ما كان  
معه من حيوان ورقيق . وتسارع القصاد الى غيره .

"وفي اثناء هذه المدة قصد عساكر بركة القسطنطينية واغاروا على اطرافها  
فهرب الباسلوس الى القسطنطينية (٤٧ ق) وبعث بالامير فارس الدين اقوش الى مقدم  
عسكر بركة يعلمه ان البلاد في عهد الملك الظاهر وصلحه . وان بركة في صلح من  
صالحه وعهد من عاهده فطلب منه ان يكتب له خطه بذلك فكتب . وكتب ايضا  
انه مقيم باختياره وانه لم يمنع من التوجه . فتوجه العسكر .

"ثم ان الباسلوس جهز الامير فارس الدين الى بركة وبعث معه رسولا من جهته  
برسالة ضمنها ان يقرر على نفسه ما يحمله كل سنة وهو ثلاثماية ثوب اطلس على ان يكون  
معاهدا ومصالحا له ومدافعا عن بلاده . فتوجه الامير فارس الدين الى بركة . فلما  
اجتمع به ساله عن تأخره حتى هلك اكثر ما كان معه من الحيوانات . فاعتذر ان  
صاحب القسطنطينية منعه من الحركة . فأخرج له خطه بما كتب به لمقدم عسكره .  
قال له : انا ما واخذك لاجل الملك الظاهر وهو اولى من واخذك على كذبك وافساد  
ما ارسله معك " ولما انكر الملك بركة الامير فارس الدين كتب عز الدين الى الملك  
الظاهر يعرفه بما صدر من فارس الدين من التقصير وكونه رحل عسكر بركة عن القسطنطينية

بما اوهمه من كون البلاد في عهد الملك الظاهر . وكان قادرا ان يأخذ منه في مقابل ترحيله عنه قيمة ما افسد من الهدية لاضطراره الى ذلك . فلما رجع فارس الدين الى مصر واجتمع بالسلطان نقم عليه لفعله وقبض عليه واخذ منه ما كان وصل معه من البضائع . وكانت قيمتها اربعون الف دينار . وكان وصوله في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستماية .

والاظهر ما حكاه القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر وغيره ان اجتماع الرسل بالملك الاشكري كان في مدينة أنيه . وان السلطان الملك الظاهر لما بلغه في (٤٨ و) هذه السنة ان الاشكري عوق رسله وطلب نسخ الايمان واخرج منها يعين الاشكري واحضر البطارقة وسألهم واجابوه كما قدمنا شرحه طلب الراهب الفيلسوف اليوناني الذي قرأ الفلوس الذي قدمنا ذكره وطلب اسقفا وقسيسا . و جهزهم الى الاشكري وصحبهم هذه المكاتب المقدم ذكرها . وكتب الى الاشكري وهو يغلظه في القول . ثم قال : ان كان سبب امساك رسلي فساد حالك مع الملك بركه وكون عساكره وافسدت في بلادك فانا اصلح الحال بينك وبينه . وكتب السلطان كتابا الى الملك بركه . بذلك وسيره الى الامير فارس الدين اقوش المسعودي المتوجه بالهدية الى الملك بركه وامره بالتوسط في الصلح وتوجهت الجماعة المذكورون بذلك فلوقته اطلق الجميع وساروا الى الملك بركه في هذه السنة وعادوا كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

### ذكر سلطنة الملك السعيد بن الملك الظاهر

في شوال المبارك من هذه السنة سنة اثنتين وستين وردت اخبار بأن جماعة من التتار مستأمنه . وجلال الدين الدويدار واصل وصحبته جماعة كبيرة من الاتراك والبغادده قاصدوا باب السلطان بالحرم . فأعلم الملك الظاهر الامراء الاكابر بذلك وقال : ما جمعت هذه الاموال الا لهمم يحصل للمسلمين وهو لاء التتار

مانحمل امرهم على الحزم • ووصول هوؤلاء على كثرتهم من جهات فيه استرابة • ونحن نخرج فان كان هوؤلاء طائعين كان لهم ما لولي الطاعة • والا فتكون سيوفنا لعاقيه عن تجريددها • ومن احتاج منكم ومن العساكر المنصوره اعطيته • ومن عدم واسيته • وانا في نصره الاسلام كأحدكم ولا اوفر نفسي في امر وانا ينوبني فرس • وجميع ما عندي من خيل وجمال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله • فتقرر خروجه فأشار عليه حينئذ بعض الامراء (٤٨ ق) بسلطته ولده الملك السعيد ليكون بالديار المصرية مقيما في غيبه السلطان •

وفي يوم الخميس ثالث عشر شوال الشهر المذكور اركب السلطان ولده الملك السعيد بشعار السلطنة وخرج بنفسه في ركابه وحمل الغاشية راجلا بين يديه واخذها الامراء وعليهم الخلع الفاخرة • ولم يبق احد من اولياء الخدمة الا وعمته الخلع • ورجع السلطان الى مقر ملكه • ولم يزل الملوك والامراء والعالم في خدمته الى باب النصر • ودخلوا من القاهرة رجالة يحملون الغاشية وقد زينت احسن زينة واهتم الامراء بنصب القباب • وشق المدينة الملك السعيد ••• (١) واتابكه الامير عز الدين ايدمر الحلي راكب الى جانبه • ولم يزل الثياب الاطلس والعقابي وغيرهما تفرش له الى حيث عاد الى قلعته ولم يبق امير الا بسط من جهته ثياب • فحمل من ذلك احمال تفرقها المماليك السلطانية وارباب المنافع وانبسطت الايدي والالسنه له بالدعاء يسألون الله اعزازه واتمام هلاله وبقاء بدره • وان يجمعه للاسلام (٢) الشمل وتتم نعمته عليه كما اتمها على ابويه من قبل •

---

(١) كلمة " المدينة " مكسره هنا في الاصل

(٢) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٦) لكنها " للانسان " في الاصل •

وكتب القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر تقليد

الملك السعيد بتفويض عهد السلطنة له .

وفي يوم الاثنين سابع عشر الشهر المذكور اجتمع الامراء وقاضي القضاة

والعلماء وقرئ التقليد وهو (١) : الحمد لله منى الغرور ومبهج النفوس  
ومزين سماء المملكة بأحسن الالهة . واضوى البدر واشرق الشموس . الذى شد

ازر الاسلام بملوك يتعاقبون مصالح الانام ويتناوبون تدبيرهم كتناوب العينين واليدين  
في مهمات الاجساد ومهمات الاجسام . حمده على نعمه التي ايقظت جفن الشكر

المتغافي واوردت منهبل الفضل الصافي . وحولت الالاء حتى تمسكت الامال منها

بالوعد الوافي (٢) . واخذت بالوزن الوافي ونشهد (٤٩) وان لا اله الا الله

وحده لا شريك له شهادة عبد كثر الله عدده وعدده واحمد اسمه ويوممه .

ويحمد ان شاء الله غده ونصلي على سيدنا محمد الذى اطع الله به نجم

الهدى والبس المشركين به ارديه الردى واوضح به مناهج الدين وكانت طرائق

قددا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تنقضي ابدا ويعد فاننا لما

الهمنا الله من مصالح الامم وخولناه من الحرص على مهمات العباد التي قطع

به شأفه الكفر وحسم (٣)، واتى بنار الشرك قد علم كل احد اشتعال ناره

فكان علما بنار مضره لا نارا على علم . وقدره من دفع الكفر من جميع الجوانب وقمعهم من

كل جهة حتى رميناهم بالحيف الواصل والعذاب الواصب . فأصبح الشرك من

الاباده في شرك الاسلام لا يخاف من فتك ولا يخشى من درك وثغور الاسلام عاليه

المبتني ناميه المتقنى جانيه ثمار الادخار من هنا ومن هنا . تراحم بروجها

(١) ابن عبد الظاهر (ص ١٠٦ - ١٠٩) والقلقشندى، ج ١٠ ص ١٦٣ - ١٦٦

(٢) ابن عبد الظاهر "الوفاي" (ص ١٠٦)

(٣) "وختم" في ملاحق نشرها على ابراهيم حسن في "تاريخ المعاليك البحرية" ص ٣٧٢

في السماء البروج • وتشاهد الاعداء منها سماً قد بنيت وزينت ومالها من فروج •  
وعساكر الملة المحمدية في كل طرف من اطراف الممالك تجول • وفي كل واد تهبهم  
حين يشعر بالنصر ولكنها تفعل ما تتول • قد دوخت البلاد فقتلت الاعداء • تارة  
بالالمام وتارة بالاوهام • وسلمت سيوفها فراعهم يقظة بالقراع ونوما بالاحلام نرى اننا  
قد لذ لنا هذا الامر التذاز المستطيب وحسن لدينا موقعه فعكفنا عليه عكوف  
المستجيد ولبيناه تلبيه المستجيب • وشغلنا فيه جميع الاوقات والحواس وتقسمت  
بمباشرة ومؤامرتة سائر الزمن حتى غدا اكثر ترددا الى النفر من الانفاس • واستنفذنا  
الساعات في امتطاء الضمر الشوس والذرع بمحكم الدلاص (١) التي كانها رمضان  
برق او شعاع شمس (٤٩ ق) وتجريد المرهفات التي قد جفت لحاظها الاجفان  
وجرت فكالمايه واضطربت فكالنيران (٢) وتفويق السهام التي عدت قسيما من العابنا  
لها تأن واعتقال السميرية التي تشرع الاعداء سنها ندما كما قرعت هي السن التي  
غير ذلك من كل غارة شعوا تسيء للكفار الصباح وتصدم كالجبال وتسير كالرياح •  
ومنازلات كم استلبت من موجود وكم استنجزت من نصر موعود • وكم مدينة انحسرت  
لها مدينة ولكن اخرها الله الى اجل معدود • وكانت شجرتنا المباركة قد امتد  
منها فرع تفرسنا فيه الزيادة والنمو • وتوسمنا منه حسن الجنا المرجو •  
ورأينا انه الهائل الذي اخذ في ترقى منازل السعود الى الابدان • وانه سرنا  
الذي صادف مكان الاختيار له حسن الاختيار • اردنا ان ننصبه في منصب احلنا  
الله فسيح غرفه ونشرفه بما خولنا الله من عرفه (٣) وان تكون يدنا وبده يفتنقان

(١) في ابن الظاهر (ص ١٠٧) " وادراع محكم "

(٢) " فكالغدران " في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٧)

(٣) " شرفه " في ابن عبد الظاهر (١٠٨) وكذا في ملاحق علي ابراهيم حسن (ص ٣٧٢) •

من ثمره وجيدنا وجيده يتحلين بجوهـره • وانا نكون للسلطنة السمع والبصر  
وللمملكة المعظمة في التناوب بالاضاء الشموس والقمر • وان تصول الامة منا ومنه بحدين •  
ويبطشون من امرنا وامره بيدين وان نريه على حسن سياسة تحمد الامة ان شاء الله  
عاقبتها عند الكبر وتكون الاخلاق الملوكية منتشية معه ومنتشيه به من الصفر • ونجعل  
سعي الامة يتمنى مثله حميدا ونهب لهم منه سلطانا نصيرا وملكا سعيدا • ويقوى به  
عضد الدين ويريس به (١) جناح المملكة وتنجح مطالب الامة باياله • وكيف لا ينجح  
مطلب يكون فيه بركه • وخرج امرنا لايح مستعدا ومسعفا ولا عدت الامة منه خلفا  
منيلا ونوعا (٢) مخلفا بأن يكتب هذا التقليد لولدنا الملك السعيد ناصر الدين بركه  
خاقان محمد جعل الله مطلع سعده بالاشراف محفوفًا • وارى الامة من ميامنه  
ما يدفع للدهر صرفا ويحسن بالتدبير تصريفا بولاية العهد الشريف على قرب البلاد  
وبعداها (٥٠ و) وغورها وثجدها وعساكرها وجندها وقلاعها وثغورها وبرورها وبحورها  
وولاياتها واقطارها (٣) ومدنها وامصارها وسبلها وجبلها ومعطلها ومعتملها وما تحوى  
اقطاره الاقلام (٤) وما ينسب للدولة القاهرة من يمن وحجاز ومصر وغرب وسواحل  
وشام بعد شام • وما يتداخل ذلك من قفار ومن بيد في ساير هذه الجهات •  
وما يتخللها من نيل وملح وعذب وفرات ومن يسكنها من حقير وجليل • ومن يحتلها  
من صاحب رغاء وثغاء وصليل وصهيل • وجعلنا يده في ذلك كله المبسوطه (٥)  
وطاعته المشروطة ونواميه المضبوطة • ولا تدبير ملك كلي الا بنا وبولدنا يعمل،

(١) ليست في ابن عبد الظاهر (١٠٨)

(٢) كذا في ابن عبد الظاهر (١٠٨) وليست واضحة في الاصل •

(٣) " في اقطارها " في الملاحق ص ٣٧٢

(٤) كذا " اقطاره " من الاقلام " في ابن عبد الظاهر (ص ١٠٨)، وفي القلقشندى، ج ١٠ ص ١٦٥  
" من الاحلام "

(٥) مبسوطه ابن عبد الظاهر (ص ١٠٩)

ولا سيف ولا رزق الا بأمرنا . هذا يسلم ، وهذا يسأل . ولا دست سلطنه الا بأحدنا  
يتوضح ( ١ ) الاشراف ولا غصن قلم في روض امر ونهي الا ولدنا اولديه تمتد له الاوراق  
ولا منبر خطيب الا باسمينا يمين ، ولا وجه درهم ولا دينار الا بنا يشرق . ويكاد تبرجا  
لابهرجا يتطلع من خلال الكيس . فليقلد الولد ما قلدها من امور العباد وليشركنا  
فيما نباشره من مصالح الشغور والقلاع والبلاد وسنتعاهد الولد من الوصايا بما سينشأ  
معه نوأما ويمتزج بلحمه ودمه حتى يكاد يكون ذلك الهاما لاتعلما . وفي الولد بحمد  
الله نقاء الذهن وصحة التصور ماتشكل فيه الوصايا احسن التشكيل . وتظهر صورة  
الابانه في صفاه الصقيل . فلذلك استغنيانا عن شرحها هاهنا مسرودة . وفيه بحمد  
الله من حسن الخليقة ما يحقق انها بشرف الالهام موجودة والله لا يعد منا منه اشفاقا  
وبرا ويجعله ابدا للامة سندا وذخرا .

ثم وردت الاخبار بفتور عزائم العدو . وان سبب حركه جلال الدين ولد  
الدوادران هلاون بلغه ( ٥٠ ق ) ان بلاد العراق فيها جماعة من الاجناد والاتراك  
قد استخفوا وتزويوا بزى الفقراء والفقهاء وانقطعوا بالمدارس والربط وانهم في كل سنة  
يتسللون الجماعة بعد الجماعة الى الديار المصرية . فأراد التحيل عليهم بحيلة  
يجمعهم بها وتحقق ان المذكورين لا يركنون الى القطار فسير الى جلال الدين المذكور  
يفهمه طلب نجده ويحسن له طلب جماعه من الاتراك والجنود والانفاق فيهم واستخدامهم  
نجده على بركه . فسارع جلال الدين الى ذلك وبذل الاموال واستخدم . فأجتمعت  
له جماعة كبيرة . وفهم في اثناء هذه الحال القصد في هذا الامر انه هلاك  
لجميعهم . فتجهز وخرج معرجا الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتواصلت الاخبار  
بذلك فابتهج السلطان بذلك . وفتح عزم الحركة وشرع السلطان في ختان ولده الملك  
السعيد وامر الناس بالتأهب للعرض والاسلحة والجواشن وآلة الحروب خاصة . واما ولد

الدوادار فانه خرج واجتمع هو والعربان بنوا خفاجه غلمان السلطان ووصلت جماعة من  
جهته فكتب السلطان باطابة قلبه وكتب الى سائر امراء خفاجه وعربه (١) وغيرهم  
بخدمتهم واغاثتهم . وامر امراء البغادده بالكتابة اليهم بما هم فيه من نعمة .  
وفي اواخر شهر رمضان من هذه السنة ظهر كوكب بالشرق ذو ذؤابة  
بالافق نحو المغرب وصار يطلع في كل يوم قبيل الفجر خلف النجم المعروف بكوكب  
الصبح . ثم صار يتقدم في كل يوم قليل الى ان صار يبدو مرتفعا عن كوكب  
الصبح ويبقى ضوء ذنبه ظاهرا ولم يتغير موضعه من منزله وكان بعده منها الى  
جهة (٥١ و) المشرق نحو رمح طويل ويبقى ظاهرا ثم يرتفع بارتفاعها ويسير بسيرها .  
وبقي الى اوائل ذي القعدة من هذه السنة الى ان تغلب عليه ضوء النهار . وكان  
يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في جو السماء . وظهر ايضا من قبل المغرب بشمال  
بعد العشاء الاخره في ليال عدة من اواخر شهر رمضان واوائل شوال خطوط مضيئه  
كهيئة الاصابع مرتفعة في جو السماء . واحصرت الشمس في اواخر الرابع من شوال  
من هذه السنة قبيل المغيب وذهب ضوء الشمس بحيث توهم كثير من الناس انها كسفت  
وغربت وهي كذلك . ولما كان بعد العشاء الاخره اصاب القمر مثل ذلك ليلة الخامس  
من شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة احضر الى الملك الظاهر طفل ميت من المقس بالقاهرة له  
راسان واربعه اعين واربعه ارجل واربعه ايدي ذكر انه وجد بساحل المقسم .

---

(١) " غزیه " في ابن عبد الظاهر (ص ١١٠) والقلقسندی ج ٤ ص ٢١٥ وهي هنا مشكولة .

## ذكر قتل الملك المغيث صاحب الكرك

قد قدمنا من اخبار الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل الايوبي وكيف ملك الكرك وكيف اخذت منه وكيف قبض عليه وارسل الى قلعة الجبل بظاهر القاهرة المحروسة وحبس بها فأغنى عن الاعادة ها هنا . حكى الشيخ قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه ان الامير عز الدين استدعى من يقتل الملك المغيث ممن يثق به واعطاه الف دينار . وكان استاد داره . وكان رجلا دينا وفيه تقوى فأبى ان يفعل فأكد عليه . فقال له والله لو اعطيتني ملء هذه الدار دنانير ما فعلت هذا ولو ضربت رقبتني . فانتهمزه وحاوله بكل طريق فلم يجب . فأعرض عنه وطلب آخر من اصحابه فيه شره وعنده شهامة واقدام . فأمره بذلك فبادر اليه . ودخل على المغيث وقتله خنقا . واخذ الالف دينار وشرع يشرب في دار له على بركة الفيل واخرج من الذهب فسأله ندما وه (١٥٠) في حال سكره : من اين لك هذا المال ؟ فذكر الواقعة . فشاع ذلك واتصل الخبر بالملك الظاهر . وكان حريصا على كتمه ويظهر الامر ان الملك المغيث حي يرزق وانه موسع عليه في النفقة . فأنكر على الامير عز الدين الحلبي وطلب الشخص القاتل منه فأحضره اليه . فأمر باستعادة الالف دينار منه وقتله .

وكان قتل الملك المغيث في اوائل هذه السنة . وقيل في اواخر سنة احدى وستين .

ذكر رجوع رسل الملك الظاهر وصحبتهم رسل الملك بركه .

كنا قدمنا ان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ارسل رسل الى الملك بركه بسبب استمالته الى قيد الاسلام واغراه بهولاكو والايقاع به . ولما

وصل الرسل الى بلد الاشكري مرض الفقيه مجد الدين فرجع صحبه رسل الملك بركة  
الواصلين الى الابواب الشريفه وهم جلال الدين ابن القاضي والشيخ علي المدمشقي  
وتوجه الامير سيف الدين ..... (١) من المغل . قال القاضي  
محي الدين ابن عبد الظاهر في كتابه الذي سماه "الفضل الباهر من اخبار الملك  
الظاهر" : كان اجتماع الرسل بالاشكري في آنيه . ثم رحلوا الى قسطنطينيه  
في عشرين يوما ومنها الى اصطنبول ومنها الى دفنسا وهي ساحل السودان من  
جهة الاشكري ثم ركبوا في البحر الى البر الاخر ومسيرته مابين العشره ايام الى  
اليومين يريح طيبه ثم طلعا الى جبل يعرف بسوداق . فالتقاهم الوالي بتلك  
الجهة واسمه طابوق فركبهم على خيل البريد الى القرم يسكنها عدة اجناس من  
القفجاق والروس . ومن الساحل الى هذه القرية مسيرة يوم واحد . ثم ساروا  
من القرم الى بره يوما واحدا فوجدوا بها مقدا اسمه طوقبخا على عشرة الاف  
فارس حاكما على تلك الجهات ثم ساروا عشرين يوما في صحراء عامرة بالخركاوات والاغنام  
الى بحر ايتل وهو بحر حلو سعته سعة بحر النيل وفيه مراكب الروس . ومنزلة (٥٢ و)  
الملك بركة الساحل منه . وحملت اليهم الاقامات والاغنام طول هذه الطرقات .  
ولما قاربوا الارد التقاهم الوزير شرف الدين القزويني وهو يتحدث بالعربية والتركية  
فأنزلهم في منزلة حسنة وحمل اليهم الضيافة من اللحم والسمن واللبن وغير ذلك .  
" ثم حضروا عند الملك بركة والوزير شرف الدين في خدمتهم فخدموه على العاده .  
وكانوا قد فهموا آدابه التي تعتمد معه وهي الدخول من جهة اليسار . فإذا اخذت  
الكتب منهم ينتقلون الى جهة اليمين ويكون القعود على الركبتين . ولا يدخل احد  
معه الى خراكة الملك سيف ولا سكين ولا عدة ولا دبوس . ولا يدوس برجله عتبة

الخرکاه ولا یقلع الانسان عدته الا على الجانب اليسار ولا یتک القوس في القربان  
ولا یخلیه موتورا ولا یحط في قربانه نشابا ولا یأکل الثلج ولا یغسل ثوبه الا في الورد .  
" فلما دخلوا الیه وجدوه في خرکاة کبیره تسع مایة رجل . وقیل تسع قدر  
خمسمایة نفر مکسوة لبادا ابيض ومستره من داخلها بصننات وخطای وجواهر ولولو  
وهو جالس على تخت مرخي الرجلین وعلى الكرسي مخدة . فانه کان به وجع النقرس .  
والی جانبه الخاتون الکبری واسمها طغطغای خاتون . وله امرأتان غیرها وهما ججک  
خاتون وکهار خاتون . وليس له ولد . وصفته خفیف اللحية کبیر الوجه في لونه  
اصفرار یلف شعره عند اذنيه وفي اذنه حلقة وسها جوهرة ثمینة وعليه قبا خطای .  
وعلى رأسه سراقح وفي وسطه حياصه من ذهب مجوهرة معلق بها صولق بلغاری  
اخضر . وفي رجله خف کیمخت احمر . وليس في وسطه سيف . وحياصته قرون  
سود معوجه مقعده بذهب وعنده خمسون امیرا او ستون على کرسای في الخرکاه .  
ولما دخلوا الیه وادوا الرسالة اعجبه ذلك واخذ منهم الکتاب وامر  
وزیره بقراءة الکتاب ثم نقلهم عن يساره الی یمینه واسندهم الی جانب الخرکاه خلف  
الامراء الذین ( ٥٢ ق ) بین یدیه . واحضر لهم القمز . وبعده العسل المطبوخ .  
ثم احضر لهم لحما وسمکا فلما اكلوا امر ان ینزلوا عند زوجته ججک خاتون . فلما  
اصبحوا اضافتهم الخاتون في خرکاتها ثم انصرفوا آخر ذلك النهار الی المكان الذی  
لهم وصار یطلبهم في اکثر اوقاته ویسألهم . فسأل عن الفیل والزرافة ومصر .  
وسألهم عن النيل وقال : سمعت ان عظام لابن آدم ممتدا على النيل یعیرون  
الناس علیه . فقالوا مارأینا هذا . "

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر

ماصيغته : نقلت من خط ابي زكريا بن اياس بن القاسم صاحب " تاريخ الموصل " قال : قال عبيد الله بن اسحق : بلغنا انه لم ينج من الغرق الا من كان في السفينة ورجل يقال له عوجا بن عنق زعموا ان الماء كان الى نصف ساقه . ثم اهلكه الله تعالى بعد ذلك فيما يزعمون في زمن موسى عليه السلام . ولم يكن له ولد . وقال محمد بن اسحاق انه كان يضرب بيده فيأخذ بها الحوت من البحر فيشويه في حر الشمس حتى ينضجه ثم يأكله . وكان عمره فيما يذكر ثلاثة الاف سنة وستماية سنة . وكانت امه من بنات آدم عليه السلام . فعاش حتى قتله موسى عليه وعلى نبينا محمد رسول الله افضل السلام .

وذكر في سلامته من الغرق<sup>ما</sup> / ذكره الطلحي . وكان ارتفاع الماء فيما يروى عن وهب بن سليمان عن شعيب الجناي قال : سيق ماء الارض ماء السماء بأربعين يوما وعلا الماء فوق اطول جبل في الارض مسيرة خمسة اشهر صعودا وقيل ان الماء علا فوق كل شيء خمسة عشر ذراعا . وقد ذكر ان موسى عليه السلام كان طوله سبعة اذرع بذراعه . وقفز عن الارض سبعة اذرع فوصل الى كعبه وما صح ذلك . والدليل على ان اطوال ( ١ ) الناس مناسبة منذ قيام الدنيا والى هذا الوقت ان النواوس وهو القير الموجود الان بالاهرام ولا خلاف انه قبر بانيتها . وهو على طول الانسان . وكذلك بقيه النواويس الموجودة في مصر القديمة وغيرها . والاهرام بنيت فيما ورد قبل طوفان نوح ( ٥٣ و ) عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام لان بانيتها رأى في علمه ان آفة من الماء تهلك العالم . فبناها وقاية له والصحيح انها قبور .

( ١ ) كذا في ابن عبد الظاهر ( ص ١١٦ ) لكنها " اطول " في الاصل .

انتهى ما ذكره • وقد قدمنا في اول كتابنا هذا ما قاله العلماء في الاهرام وما قالوه في عوج بن عنق من الاختلاف والله اعلم بصحة ذلك على ما اتى •

تتمة خبر رسل الملك الظاهر وما اتفق لهم : وفسر قاضي القضاة الذى عند الملك بركة الكتاب وبعث (١) به نسخة الى القان • وقرئ كتاب السلطان بالتركي على من عنده وفرحوا به • واعادوا الرسل بجوابه وسير معهم رسله • فان لكل امير عنده مؤذن وامام • ولكل خاتون مؤذن وامام والصغار يتلقنون القرآن العزيز في المكاتب • وعادوا من جهة الاشكرى ووصلوا الى الابواب الشريفة وحضروا عرض العساكر المنصورة لابسة كما سنذكره ان شاء الله تعالى وذلك في عاشر ذى القعدة من هذه السنة • وما زال الرسل يحضرون الى خدمة السلطان ويشاهدون لعب الكرة وحضروا الطهور وانزلوا باللوق •

وقال صاحبنا صام الدين ابراهيم بن دقماق : اقام رسل الملك الظاهر عند الملك بركة مدة ستة وعشرون يوما • واعطاهم من الذهب الذى يتعاملون به في بلاد الاشكرى • واخلفت عليهم زوجته ججك خاتون • واعطاهم الاجوية • وارسل معهم الرسل • ورجعوا فأقاموا في بلاد الاشكرى الى سنة خمس وستين والله اعلم اى ذلك كان • قال : وحكى الصاحب عز الدين ابن شداد : ان الرسل دخلوا القسطنطينية ووجدوا الباسلوس كرمخايل صاحبها غائباً عنها في حرب كانت بينه وبين الفرنج • فلما بلغه وصولهم طلبهم اليه فساروا اليه مسيرة عشرين يوما في عمارة متقدمة فاجتمعوا به • (٢) •••••

ذكر عرض الملك الظاهر عساكر الديار المصرية

(١) الاصح " منه "

(٢) سطران غير مقروئين •

كنا قد منا ذكر اهتمام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بأمر

العدد الحربية والاستكثار منها والزام الامراء والمفادرة والجند بتكملة العدة . وهي  
عدة الحرب وعدة النجارة وعدة الحجارة . وارسل بذلك الى جميع البلاد الشامية  
والحلبية والى الملك المنصور صاحب حماه فاهتموا بذلك همة عظيمة ولم يبق لهم  
شغل الا تحصيل العدد والاستكثار منها ومن الجواشن الليمخت المصفحة بالذهب  
والفضة وبركصطوانات الخيل جواشن والخوذ الفرنجية فرأى عرض العساكر جميعها في  
يوم واحد وتقدم قبل ذلك الى كل امير ان يعرض اصحابه ومضافيه .

وفي العشر الاول من ذى القعدة من هذه السنة جلس (٥٣ق) السلطان

الملك الظاهر على الصفة التي بجانب دار العدل عند طلوع الشمس والعالم قد شرعوا  
في اللبس من الليل . وامتلاءت الدنيا عساكرا فلا تقع العين الا على خوذ لامعه وانوار  
ساطعه وخيول تصهل وجنود تقبل واطلاب سايقه وعساكر متلاحقه . وساق كل امير  
في طلبه لابسا لامة حربه وجروا من الجنايب خيولا كأنها الرياح في المطاردة والجبال  
في المشاهده عليها من عدد الحروب ما تطمئن به من الممتطين لصولتها القلوب  
وامر السلطان ان لا يلبس احد في هذا اليوم الا ما هو من شعار الحروب وان تكون  
التشاهير والمراوات لوقت آخر .

وكان السلطان قد عفى عن سر حررد قسطلان يافا واطلقه فركب وشاهد

ما يهرعقله . وقال : رأيت عسكر الفرنج وعساكر هلاون وما رأيت مثل هذه العساكر  
العظيمة . ولم يزل السلطان جالسا والعساكر سايقين لابسين ود يوان الجيوش  
بين يدي السلطان يجيئون عما يسألون . مع ان السلطان لا يكاد يخفى عليه شيء  
من عساكره بالاسماء والصفات . وعبرت العساكر خمسة خمسة . وطال الامر فعبروا  
عشرة عشرة وكاد الناس يهلكون من الزحام وحمو الحديد . شعر :

ومضان بصرق او شعاع شمس

حمي الحديد عليهم فكانه

فعبّر الناس بلا حساب وطال الامر وقرب وقت المغرب والعالم لا يزدادون الا كثرة . وهلك  
ذلك اليوم من الزحام جماعة منهم عز الدين ايبك مملوك الامير عز الدين الحلي . وكان  
قصد السلطان بركوب الناس في يوم واحد حتى لا يقال ان احدا استعار من احد شيئا .  
وبقي كل احد يدخل من باب القرافة ويخرج من جهة الجبل الى باب النصر الى  
الدھليز المضروب ( ٥٤ و ) هناك . ولما قرب وقت المغرب ركب السلطان بقياء  
ابيض لا غير وساق في وسط العساكر اللابسه العدد في جماعة يسيره من سلاح درايته  
وخواصه . ونزل الى الدھليز ورتب المنازل ورجع الى قلعته وقت المغرب ومهابته اعظم  
في القلوب من وقع السلاح . وعظمته تخطف الابصار ولا يقدر احد على تلحظه ولا  
التماح . ثم ان الناس اهتموا باللعب ولبسوا خيولهم التشاهير والبراشم البحرية  
والمراوات والاهله والذهب والفضه والاطلس والخطاي وغير ذلك شيئا عظيما . ونزل  
السلطان وجناييه تجر بين يديه تيهر العيون بحسنها وحسن ما عليها من الاهله  
والمراوات والبنود . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك  
الظاهر قال لي القاضي فتح الدين ابن سناء الملك قبل هذا الوقت بمدة سنة ان الذي  
دخل في المراوات من البنود الاطلس والاصفر قيمته عشرة الاف دينار وما تجدد بعد  
ذلك لا يحصى . وساق السلطان الى ميدان العيد وقدامه جناييه التي ماسمع  
ان ملكا جمع مثلها ولا غالا في اثمانها كمغالاته . ولقد سير طلب فرسا من هذه الخيول  
من صاحب المدينة المشرفة النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل  
الصلوة والسلام . فحضر ولد صاحب المدينة وصحبته عدة خيول من جملتها هذه  
الفرس . وذكر انه سير الى نجد ودخل على اصحابه دخول الزمام وبدل لهم جملة  
من ابل وجواري وقماش حتى اخذه فأعطاه السلطان الفي دينار مضافا الى الخلع  
والافتقاد . واعطى ولده جملة كبيرة واكثر تحصيل هذه الخيول على هذه الصفة

وكانت كما قييل :

وخيل عليها الدارعون كأنها  
الفن القنا حتى لو ان نصالها  
يصرفها ماضي العزيمة جاعل  
ملك لو ان الارض في ظل عفوه  
رياح سرت (يحملن) (١) في السحب امواها  
تميز عن آذانها ما عرفناها  
بمصر على اسم الله واليمن مرساها  
وستر سجايه الكرام لفظاها

وشرط السلطان لكل امير يصيب القبق فرسا من هذه الخيل بما عليه من التشاهير  
وخلعة لكل مفردى او مملوك او جندي تليق بمثله • وساق (٥٤ق) السلطان والامراء  
على طبقاتهم ثم المفادرة والبحرية والظاهرية والحلقة والاجناد • ودخل الناس بالرمح  
بكرة النهار ونزل السلطان وقت الصلوة للصلاة واطعام الطعام • ثم ركب السلطان ولبسوا  
وركب السلطان وشفع ذلك بهومي النشاب والعطاء والخلع •

وحضر رسل الملك بركه في هذا الوقت فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن  
زيهم واهتمام السلطان وحسن الرجال والخيول المسبوحة ما بهرهم واستمر وقوف السلطان  
وهم الى جانبه يشاهدون خلفه حركات هذه الجنود واصابه رميها • واقاموا كذلك  
اياما على هذه الصفة •

وفي تاسع ذى القعدة الشهر المذكور خلع السلطان على من خلع عليه من  
الملوك والامراء والبحرية والحجاب والحلقة وارباب المناصب والعمام والوزراء والقضاه  
وارباب البيوت • اعطاهم ذلك مرة ثانية • وحضر الناس لابسين الخلع ولعبوا بقيه  
ذلك النهار • فقالت رسل بركه للسلطان : هذه عساكر مصر والشام • فقال : بل  
عساكر المدينة خاصة غير الذين في الثغور مثل اسكندرية ودمياط ورشيد وقوس  
والمجردين والذين في اقطاعهم • فعجبوا من ذلك • وذكر الرسول انه ما رأى خيلا

(١) كذا في ابن عبد الظاهر ص ١١٢ وهي في الاصل ساقطه •

ولا عدة في عسكر السلطان جلال الدين ولا غيرهم مثل هذا الموكب .

وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور عمل السلطان السماط في القلعة المحروسة .

وحضر الملك السعيد بن الملك الظاهر . وحضر في خدمته اولاد الملوك واولاد الامراء  
فظهر الملك السعيد . ثم ظهر ابن الامير عز الدين الحلبي اتابكه وابن الامير شمس  
الدين سنقر الرومي وولد سيف الدين سكر وولد حسام الدين ابن بركة خان وولد الملك  
المجاهدين صاحب الموصل ثم اولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة وولد فخرالدين  
الحمصي وجماعة من اولاد الامراء .

وكان قبل ( ٥٥٥ و ) ذلك رسم السلطان بكسوة جماعة من الايتام وابناء الفقراء

بمصر والقاهرة فأحضروا الى القلعة وطهروا في هذا اليوم . وكان السلطان رسم ان  
يختن مع ولده اولاد الملوك والامراء والمقدمين والاجناد والقضاة والفقهاء والعوام  
والفقراء . ونادى بذلك مدينتي مصر والقاهرة . واحضر الناس اولادهم فبلغ عدد  
الصغار الف وستماية وخمسة واربعين من اولاد الفقهاء والعامّة خارجا عن اولاد الملوك  
والامراء والمقدمين والجند فأمر لكل منهم بكسوة على قدره ومائة درهم ورأس غنم . وحمل  
السلطان عن الامراء والخواص كلفه التقادم وسد هذا الباب شرف نفسه وعداولا عما  
كان يفعله غيره من الملوك في مثل هذا المهم العظيم من تكليف الناس . ما احسن  
قول القايل .

ملك تفرد انه يهب البلاد مع الممالك  
ويجود بالمدن العظام والحصون وما هنالك  
حاشاه يسلك من قبول هدية تلك المسالك  
اوانه مع جوده وعطاءه يرضى بذلك

ذكر توجه الملك الظاهر الى الصيد ومسيره الى ثغر الاسكندرية

ورجوعه الى قلعته سالما

لما فرغ السلطان الملك الظاهر من هذا المهم العظيم كما قدمنا شرحه خرج من قلعته متصيذا فعدى الى بر الجزيرة في ذى القعدة من هذه السنة . وسار الى الطرانه الى وادى هبيب (١) ونزل بالدره التي هناك . ووصل تروجه واخذ منها الى جهة الحمامات وسار الى منزله الكبش وقيل الكرش بالراء قرب العقبة الصغرى التي غربي الحمامات . وركب من الكبش الظهر وضرب حلقه في اليوم الثاني ووصلت الميسرة الى فوق العقبة الصغرى . وعيد عيد الاضحى ونحر الاضاحي وصلى صلاة العيد .

وبلغه ان بعض العربان قد عصوا في بعض البرارى فجرد اليهم جماعة وحضر جماعة من عرب هواره وعرب سليم فكتب عليهم الحج بعمارة البلاد وان لا يقربوا احدا من العربان العصاة . وعاد السلطان الى الاسكندرية وصلى في الجامع الغربي . وعم جميع الامراء والمفاردة وخواصه بما فرقه عليهم من الاموال والاقمشه عمل الدار الطراز والاشكر لاط ولعب الكرة (٥٥ق) بميدان الاسكندرية وزار الشيخ الشاطبي . وسار متوجها الى القاهره المحروسة . ولما نزل بتروجه عند رجوعه رسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزاز على عرب برقه وتحدث معه في امر العربان وكونهم ينتفعون من مصر باثمان الخيول المجلوبة والاغنام وغيرها . وانهم يستنتجون الاغنام ويزرعون الزرايع ولا يقومون بحق الله تعالى من الزكاة والعشر . وابوبكر الصديق رضي الله عنه يقول : ولو منعوني عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله وسلم لقابلتهم على منعه . وقد قال الله تعالى : واقيموا الصلاة واتوا الزكاة (٤) فالتمز الامير عطا الله بهذا الامر وانعم السلطان عليه سنجدق ونقارات فتوجه ملتزما حفظ البلاد واستخراج الزكاة من العربان والله اعلم .

(١) كذا في ابن عبد الظاهر (ص ١١٦) وفي الاصل بدون نقط .  
(٢) سورة النساء ٤ آية ٧٦ .

ولما وصل السلطان الاسكندرية الى قلعته سالما وصل الى الابواب الشريفه  
شحنه تكريت ومعه جماعة • فأحسن السلطان اليهم وعمل فيهم كما قال الله تعالى :  
اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ( ١ ) •

وفي هذه السنة وصل للسلطان الملك الظاهر عشرة عقبان فأطلقها •  
فعمل في ذلك الامير جمال الدين ابن الامام الحاجب :

جاءت ملوك الطير في يد أسر      قهرا الى ملك الانام الظاهر  
اضحى سليمان الزمان فملكه      يسمويه لقياصر واكابسر  
ملك الزمان ستاتينك مثلهم ( ٢ )      في اسر خادمك الزمان الجائر

ذكر توجه عسكر جهزه السلطان الى خيبر لاصلاح من بها •

ابت همة السلطان الملك الظاهر الا افتتاح البلاد القريبة والبعيدة واحتمال  
المشاق ( ٥٦ و ) في المهمات العتيدة • ورأى ان بلاد الحجاز طريق البلاد اليمينية  
وظهر البلاد الكركيه والشوبكيه • ونظر الى جهة خيبر فوصلته كتب اصحابها  
عبيد الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه يذلون الطاعة والخدمة ويستجدون  
اسباب النعمة • فسير نجابين استصبح الاخبار • وانتدب الامير امين الدين  
موسى بن التركماني • وجهاز الرماة والمقاتله وانفق فيهم الاموال وجهاز الخلع  
للمقدمين والمشايخ وكتب الى نايب الكرك بتجهيز امراء العربان وجماعة من البحرية  
المجردين بالكرك صحبته وجهاز الغلال والذخاير لهذه القلعة فتوجه الامير  
امين الدين وافتتحها •

( ١ ) سورة قريش ١٠٦ آية ٤

( ٢ ) كذا في ابن عبد الظاهر ( ص ١١٧ ) وغير واضحة في الاصل •

وفي هذه السنة ظهر قتلى في الخليج وفقد جماعة من الناس ائمتهم بهم  
معارفهم والتبس الامر فيهم . ودام هذا الحال مدة شهر حتى ظهر ان امرأة حسنة  
تسمى غازية كانت تخرج في زينة فاخره . وتطمع من يراها من الاحداث ومعها امرأة  
عجوز فاذا رأت احدا مال اليها بالنظر وتبعها تعرضت اليه وخاطبته في امرها  
وقالت له لا يمكنها تجتمع بأحد الا في منزلها خوفا على نفسها . فمنهم من يحمله  
الغرض على موافقتها فينطلق معها فاذا حصل عندها خرج اليه رجلان فيقتلانه  
ويأخذان لباسه وما معه . وكانوا على ذلك يتنقلون من مكان الى مكان خوف الشعور  
بهم . الى ان سكنوا خارج باب الشعرية على الخليج . فاتفق انه كان بالقاهرة  
ماشطه مشهورة فجاءتها العجوز وقالت لها : عندنا امرأة قد زوجناها ونريد منك  
تدبير امرها وتزيينها بأحسن زينة . ونحن نعطيك مئمة احبتي وواعدتها على  
المسير اليها فحملت المشطة (٥٦ق) ماتيسر عندها من الحلى والثياب مع جارسة  
لها وخرجت اليهم فدخلت عندهم وانصرفت الجارية . فلما انصرفت الجارية قتلوها  
وابطى خبرها على الجارية . فجاءت الى الدار فطلبتها فأنكروها . فوشت بهم  
الى الوالي بالقاهرة . فركب الى الدار وهجمها فوجد فيها الصبية والعجوز  
فأخذها وتوعدهما فاقرأ على نفسيهما وعلى رجلين آخرين . فحبس النساء فسمع  
بهما احد الرجلين فأتى يتفقدهما فقبض عليه وعوقب حتى اقر فدل على رفيقسه  
رجلا في جوارهم له اقمته يحرق فيها الطوب . فكان يلقي فيها من يقتلوه .  
فيحترق ولا يعرف به احدا . واظهروا من الدار حفاير مملوءة قتلى فطالعوا  
السلطان بأمرهم . فامر بتسميرهم تحت القلعة فسمروا في يوم واحد وشفع عند  
السلطان في المرأة بعد تسميرها بيومين فأمر باطلاقها ففكت مساميرها واطلقت .  
فأقامت اياما وماتت . ولما سمروا عمد بعض عوام البلد الى بيتهم فعمره مسجدا  
والله اعلم .

قال بعض اهل التاريخ وفيها امر السلطان الملك الظاهر بانشاء خان بالقدس . الشريف وفوض امر بنايه للامير جمال الدين محمد بن نهار . ونقل اليه من القاهرة بابا من بعض دها ليز قصور الخلفاء بمصر واقف اوقافا حسنة منها قيراط ونصف من قرية الطره من اعمال دمشق . وثلاث وربع قرية المشيرفه من عمل بلد السواد ونصف قرية لينا من عمل القدس يصرف ذلك في ثمن خبز واصلاح نعال من يرد اليه من المسافرين المشاة . وفلوس وبنى بالخان طاحونا وفرنا . وجعل النظر فيه للامير جمال الدين محمد بن نهار .

وفيها اتفقت واقعة بالمغرب بين السلطان ابي يوسف (٥٧٧ و) يعقوب المريني وبين الفرنج . وكان المقدم على الفرنج قائدا يسمى بدر قزمان . وكان الملتقى على مكان يقال له بيرة فهزمه المريني وقتل جماعة ممن كان معه واثر في تلك البلاد آثارا حسنة .  
(٥٨ ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذا العام وبعض اخبارهم .

ابراهيم بن مكي بن عمر بن نوح بن عبد الواحد المخزومي الدمامي يلقب ضياء الدين الكاتب . سمع من ابي الحسين علي بن قصر بن الحسين الخلال وحدث بالقاهرة فسمع منه الشريف عز الدين احمد بن محمد وغيره وتقلب في الجند الديوانيه بديار مصر . ولد في رابع عشر المحرم سنة اربعمائة وثمانين وخمسمائة بدميامين وتوفي في حادي عشر ذي الحجة سنة اثنتين وستين هذه السنة ببليسير رحمه الله تعالى .

---

(١) لا وجود لصفحة رقم ٥٧ ق ولا لصفحة ٥٨ و مع العلم ان صفحة ٥٧ و لم يكتب فيها الا ثلاثة اسطر وبعض السطر .

احمد بن ابي عبد الله محمد بن مندر المالقي المصري يكنى ابا جعفر ويعرف بالضياء الحافظ . كان عارفاً بالادب وله نظم حسن ومعرفة بعلم عدة . توفي في هذه السنة .

احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن رافع الجلي الاسدي يكنى ابا العباس ويلقب كمال الدين ويعرف بأبن الاستاذ . سمع الكثير وحدث وولي قضاء القضاء بحلب واعمالها في سنة ثمان وثلاثين وستماية . وكان في عنفوان شبابه . فحمدت سيرته وشكرت طريقته . وكان سديد الاحكام وله المكانة العظيمة من الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي صاحب حلب ومن سائر ارباب الدولة . ولم يزل متولياً الى ان ملك التتار حلب . توفي في نصف شوال من هذه السنة .

اسماعيل بن علي (١) بن الجباب المصري يلقب لشمس الدين ٠٠٠٠٠ (٢) بعض الاخوان قال : زرت القرافه الصغرى وشاهدت (٣) الجبل المقطم تحت العارض بجوار مراكم موسى في تربة قديمة بايوان كثير معقود قيورا عديدة على لوح رخام عند رأس قبر منها مآثاله بعد (٥٩ و) البسطة الشريفه : اولم يروا انا نأتي الارض تنقصها من اطرافها (٤) . هذا قبر الفقير الى الله تعالى شمس الدين اسماعيل بن علي بن الجباب توفي في الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وستين وستماية .

سليمان بن عامر العقرباي الدمشقي يكنى ابا المؤيد ويلقب زين الدين ، ويعرف بالزين الحافظي . لهذا الزين الحافظي امور قبيحة وقعت منه في حق المسلمين

(١) في الاصل " ع ٠٠٠ لي " .

(٢) في الاصل " احب لي " ولعلها " اخبرني " .

(٣) في الاصل " وشهدت " .

(٤) سورة الرعد ١٣ آية ٤٠ .

حين حضر التتار الى الشام وقد قدمنا بعض ما وقع منه فنسأل الله حسن الخاتمة يمنه  
وكرمه انه على كل شيء قدير . ذكر صاحب ابن شداد في سيرة الملك الظاهر  
ركن الدين بيبرس الصالحي ان من جملة الاسباب المؤكدة لقتله ان الملك الظاهر  
استدعى اخاه عماد الدين احمد المعروف بالاشتر من دمشق وعوقه اياما ثم افرج  
عنه وانعم عليه في الشهر بخمسمائة درهم ورتب له خبزا ولحما وغير ذلك مما يحتاج  
اليه . وامره ان يكتب الى اخيه الزين المذكور كتابا يعرفه فيه نية السلطان وان  
ماله ذنب وهو هوى ممانسب اليه من افعاله القبيحة وانضمامه في سلك هولاء ملك  
التتار . فكتب اليه بجميع ما اراد الملك الظاهر فلما وصلت الكتب الى الزين الحافظي  
حملها الى هولاء وعرضها عليه . وقال له ان صاحب مصر انما يكتب لي يمثل هذا  
ليقع في يدك فيكون سببا لقتلي . وقد عزمتم ان اكتب من عنده من الامراء القائمين  
بدولته والاعيان بمثل ما كاتبني لأكيده كما كادني . فأذن له فكتب كتابا لجماعة  
فوقعت في يد السلطان الملك الظاهر فعلم انها مكيدة منه . فكتب اليه يشكره  
على عرض الكتب على هولاء واستصوب رأيه في ذلك كونه عرضها لتزول التهمة (٥٩ق)  
عنه . وبعث الكتب مع قصاد وقرر معهم انهم اذا وصلوا الى وسط جزيرة ابن عمر  
يتجردوا من ثيابهم على انهم يسبحوا ويحتالوا في اخفاء انفسهم ليظن انهم قد  
غرقوا وتكون الكتب في ثيابهم . ففعلوا ذلك فرأى نواب التتار الثياب فأخذوها وفتشوها  
فوجدوا فيها الكتب فحملوها الى هولاء فوقف عليه وكنم امرها واسرها في نفسه مضرا  
لقتله . ثم احضره وقال له : انت قد ثبتت عندي خيانتك وتلاعبك بالدول فانك  
خدمت صاحب بعليك طبييا فخنثه ، واتفقت مع غلمانه على قتله . فلما قتل انتقلت  
الى خدمة الملك الحافظ الذي عرفت به ونسبت اليه فلم تلبث ان خنثه وباطنت عليه

الملك الناصر صاحب حلب واخرجت قلعة جعبر من يده . ثم انتقلت الى خدمة الملك الناصر ففعل معك ما لم تسم اطعامك اليه ولا الى بعضه . فخنثه معي حتى جرى له ما جرى . ثم انتقلت الى فأحسنت اليك احسانا لم يخطر ببالك فجعلت تكافيني عليه بالافعال الرديسة وتعاملني عليه بما كنت تعامل به الملك الناصر وشرعت في مكاتبة صاحب مصر فأنت معي في الظاهر خارجا عني في الباطن . فأنت شبهك شبه القرعة على وجه الماء كيفما ضربها الهوى سارت وعدد له ذنوبا عديدة في خيانته في الاموال التي كان سيره في جبايتها واستخراجها . ثم امر بقتله وقتل اخوته واولاده ومن يلوز به . فكان مجموعهم نحو الخمسين فضربت رقابهم صبورا . لم ينج منهم سوى ولد له يسمى مجير الدين محمد وولد اخيه شهاب الدين . قتل الزين الحافظي في اواخر هذه السنة .

• صالح بن ابي بكر بن سلامة المقدسي الحمصي يكنى ابا البقاء الفقيه الشافعي . ولي القضاء بمدينة حمص . كان حسن الظاهر سديد الطريقة محمود السيرة توفي بحمص في هذه السنة .

(٦٠) عبد الملك بن نصر بن عبد الملك المصري النجوى يعرف بابن اللغوى ولد في رابع صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالاسكندرية . وتوفي بمصر في رابع عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة ودفن من يومه بسفح الجبل المقطم .

عبد الكريم بن قاضي القضاء جمال الدين عبد الصمد بن محمد الانصارى الخزرجي الدمشقي يكنى ابا الفضائل ويلقب عماد الدين يعرف بأبن الحرستاني . روى عن الخشوعي وعن ابيه وغيرهما . كان دينا ناب في القضاء بدمشق عن والده في الايام العادلة وعن قاضي القضاة الخوي عند توجهه الى الحجاز الشريف وولي

قضاء القضاة بدمشق في الايام الاشرفيه • وولي الخطابة والامامة • بجامع دمشق  
وتدريس الزاوية الغزالية سنة ثلاث واربعين وستماية • ثم ولي مشيخة دار الحديث  
الاشرفية • واستقر ذلك من الايام الصالحة النجميه ومن قبلها الى ان تعصب  
عليه نائب السلطنة الامير جمال الدين اقوش النجيبى وكاتب السلطان في حق ولده  
محي الدين فجاءه المرسوم بتولية ولده الخطابه مع الزاوية الغزالية وان يولي  
دار الحديث للشيخ شهاب الدين ابوشامه • وليد الخطيب عماد الدين بدمشق  
في سابع عشر شهر رجب سنة تسع وتسعين وخمسماية • وتوفي ببیت الخطابه بالجامع  
الاموى بعد صلاة الصبح من يوم الاحد تاسع عشرى جمادى الاولى من هذه السنة  
وصلى عليه بالجامع قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلکان • وسوق الخيل  
الشيخ شهاب الدين ابوشامه وكان له مشهد عظيم حضر جنازته غالب من في دمشق  
وحواضرها • وانتشر الخلق فكان اولهم الصالحة وآخهم سوق الخيل • ودفن بسفح  
جبل قاسيون ظاهر دمشق قريبا من ابيه •

محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحسن بن سراقه الانصارى (٦٠ق) الشاطبي  
يكنى ابا بكر ويلقب محي الدين ويعرف بابن سراقه الحافظ • ولي مشيخة الحديث  
بالمدرسة الكاملة بالقاهرة المحروسة • وليد بشاطبه من بلاد الاندلس في شهر  
رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسماية • وتوفي بالقاهرة بعد الظهر من يوم الثلاثاء  
العشرين من شعبان من هذه السنة ودفن من الغد بسفح المقطم •

محمد بن عيسى وقيل ابن منصور السكندري يكنى ابا القاسم يعرف بالقبارى  
الشيخ الصالح الزاهد • كان احد المشايخ المشهورين بكثرة الورع والتحرى في  
المأكل والملبس والانقطاع والتخلي وترك الاجتماع بابناء الدنيا والاقبال على مايعنيه •  
وكان يزوره الملوك والامراء فلا يكاد يجتمع بأحد منهم •

ولما توجه الملك الظاهر الى الاسكندرية قصد زيارته فركب الى بستانه فلم يفتح له الباب . ويحكى عنه انه كان اذا رأى ثمره ساقطه في ارض البستان تورع عن اكلها خشيه ان تكون الثمرة من شجرة غيره قد حملها طائر فسقطت من الطائر الى غيطه . وحكى عنه انه اباع دابة بخمسين درهم . فأحضرت الدراهم فجعلها في قادوس . وان المشتري لها اتاه بعد يومين فقال له ان الدابة لم تأكل علفها منذ يومين . فقال له : ما صنعتك قال : رقاص . فدخل واخرج القادوس وفيه الدراهم وضعفها وقال : افتح يدك فان دابتنا ماتت الحرام . وان ذلك الرجل اباع كل درهم منها بثلاثة دراهم لاجل البركه . وله مناقب كثيرة توفي ببستانه بجبل الصيقل ظاهر ثغر الاسكندرية في هذه السنة ودفن بوصية منه وذكر قاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان عن الشيخ مجد الدين ابن الخليلي ان موته كان في سادس شعبان وان الاثاث المخلفه عنه كان قيمته خمسين درهم فبيع بنحو عشرين الف درهم وان الناس تزايدوا فيه رجاء البركة حتى في الابريق الذي كان يتوضى به .

(٦١٥) محمد بن ابي بكر بن سيف التنوخي الموصلي يلقب شمس الدين الوتار المقرئ .

خطب بجامع المزه . وكان له حاصل من الادب وله شعر فمنه قوله :

وكنت واياها منذ اختط عارضي      كروحين في جسم وما نقضت عهدا  
فلما اتاني الشيب يقطع بيننا      توهمته سيفا فالبسته غمدا

ومن شعره في صاحب صفى الدين ابن مرزوق لما عزل من الوزارة في دولة الملك

الاشرف بن الملك العادل الايوبى :

ما ابصر الناس ولا يبصروا      في عصرهم مثل ابن مرزوق  
من جهله يحكم في عزله      كهارب يضرب بالبقوق

ولد في سنة تسع وسبعين وخمماية بالموصل . توفي في هذه السنة ووجد على

قبره مكتوب هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر لؤلؤة وكان قد صاغها الرحمن من صلف  
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

موسى بن الملك المنصور ناصر الدين ابراهيم بن الملك المجاهد اسد الدين

شيكوه الايوبي الحمصي . يكنى ابا عمران ويلقب مظفر الدين وينعت بالملك الاشرف

صاحب حمص . كان شابا عفيفا عما يقع فيه غيره . وكان كريما له صلات لمن يقصده .

يحب اهل العلم وله في كسرة التتار في المرة الثانية الاثر الجميل والفعل الحميد .

توفي بحمص في يوم الجمعة حادي عشر صفر من هذه السنة قبل الصلاة . ودفن ليلا

على جده الملك المجاهد بالمدرسة التي انشأها بباطن حمص ومات وله خمس وثلاثون

سنة ولم يكن له ولد ولا اخ ولا ولي عهد .

لاجين بن عبد الله العزيزي يلقب حسام الدين الجوكندار كان من مماليك الملك

العزيز غياث الدين صاحب حلب . وكان شجاعا جوادا كريما كيسا لطيفا متواضعا محبا

للفقراء (٦١ق) احسن الاعتقاد بالصالحين وله المواقف المشهورة . ذكره الشيخ

قطب الدين اليوناني (١) في تاريخه واثنى عليه وقال : كان له في الفقراء والصالحين

عقيدة حسنة ويكثر الاحسان اليهم وكان يعمل الساعات ويحضر فيها من المآكل والمشارب

والروائح الطيبة ما يبهر العقل ويتجاوز الحد ويمد السماط ثلاث مرات بشرط انه لا يرفع

منه شيئا بل يواكل منه ما امكن ويتفرق من حضر ما بقي . وجميع ما يشرب في تلك الليلة

من اولها الى آخرها من المياه مصنوعا بالثلج والسكر المكرر وما الجلاب والسود .

(١) كذا في الاصل ولعلها اليونيني .

فاذا كان في وقت السحر اخذ الحمام المجاورة لداره ودخل اليها ومعه معظم الجمع فيخدم الفقراء بنفسه وغلماه فاذا خرجوا يعقد من عليه قميص خليع او دلق واحضر اليهم قمصانا جددا ودلوقا في غاية الحسن ثم يستدعيهم الى داره ويسقيهم من الاشربة ما يناسب الحمام ويلائمه . وبعد لهم السماط من التطماج والحلوى السخنة ويخلع على المغاني . وكانت الاشياء بدمشق غالية في ذلك الوقت جدا . وقيل كان تقدير ما يصرفه على كل سماع ثمانية الاف درهم . توفي لاجين المذكور في رابع عشر المحرم من هذه السنة بدمشق ودفن بسفح قاسيون وقد ناهز الخمسين سنة . وقيل انه سم من مملوكه جمال الدين ايدعى بمواطاة عليه .

يحيى بن علي بن عبد الله بن علي بن مفرج القرشي الاموي يكنى ابا الحسين ويلقب رشيد الدين النابلسي الاصل المصري المولد والدار المالكي العطار الحافظ . سمع الكثير من خلق كثير وحدث بالكثير وانتهت اليه رياسة الحديث بعد الحافظ ركن الدين المنرى . ولد في شعبان سنة اربعمائة وثمانين وخمسمائة وتوفي بمصر بعد الظهر من يوم الاثنين ثالث جمادى الاول من هذه السنة . ودفن بسفح المقطم قريبا من (١) ابي بكر الخزرجي رضي الله عنهما .

٦٦٣ هـ (٢٤٤ تا ١٢٦٤ - ١٣ تا ١٢٦٥)  
(٦٢) ذكر الحوادث في سنة ثلاث وستين وستماية

توجه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في اوائل هذه السنة الى الصيد فأقام باوسيم وعرج الى جهة العباسية . ورعى البندق واصرع جماعة وادعوا للسلطان ومن جملتهم الامير فخر الدين عثمان بن الملك المغيث صاحب الكرك وصرع السلطان الملك الظاهر نسوا في ثالث شهر ربيع الاول قريب (٢) رأس الماء .

(١) بعدها نصف سطر بياض قيل " ابي " .  
(٢) يبدو كأنها كانت " قريبا " ثم كتبت كما هي في المتن .

ذكر نزول التتار على البيرة ومحاصرتهم لها وتجريد العساكر المصرية اليها

وخرج الملك الظاهر الى الشام

كان السلطان الملك الظاهر خرج متصيذا بجهة العباسة واعراس . فبلغه ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيرة المحروسة فوثب وثبة الاسد المفترس واندفع انقاع السيل المحتبس واخذته الحمية للاسلام ومنع جنبه ان يضطجع وعينه ان تنام . وامر الامير بدر الدين الخزندار بالركوب على الخيل السابقة . وانه ساعة وصوله يجرده اربعة الاف فارس من العسكر الخفيف وساقوا وساق السلطان من اعراس الى قلعته . فأقام ليلة واحدة وكانت العساكر متفرقة في البلاد والخيول على الربيع وكانت الفرنج قد افهمت التتار ذلك وان عسكر الديار المصرية لا يمكنها وقت الربيع الحركة . وما علموا ان للاسلام ملكا يحمل النفس على المشاق . واذ ساق الى جهة تخيل ان ركب على البرق وساق . فلما استقر بقلعته رسم للامير عز الدين ايغان الملقب بسم الموت بتقدمة العساكر ولمن هو مسافر معه بالتوجه جرايد . ومنهم الامير فخر الحمصي والامير بدر الدين بيليك الايدمرى والامير علاء الدين كشتغدي الشمسي وجماعة (٦٢ق) من الامراء والحلقه وتوجهت هذه العساكر في رابع شهر ربيع الاول من هذه السنة .

وامر الامير جمال الدين المحمدي وجمال الدين ايدغدي الحاجبي بالتجهيز في قريب اربعة الاف اخرى . فخرجت هذه العساكر ثاني يوم خروج الامير عز الدين ايغان وسافروا بعد سفر العسكر الاول بأربعة ايام .

ولما توجهوا شرع السلطان في التجهيز وسير السلاح داريته لاحضار الدواب من الربيع واحضار الجند . وخرج السلطان الملك الظاهر بنفسه في خامس شهر ربيع الاخر من هذه السنة . ورحل في سابع الشهر المذكور . وسار والنصر تقدمه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرج  
الا جهاد في سبيلي والا ايمان بي وتصديق لرسلي ان ادخله الجنة او ارجعه  
الى مسكنه الذي خرج منه نايلا مانال من اجر او غنيمة . وكانت العساكر تملأ  
الارض وما نقصت في العين بسبب من جرد . وصارت الجمال تتفانا بلا سبب . وقيت  
اموال الناس مطروحة على الطرقات . ولمهابة السلطان لم يتأخر احد . ولما  
عرفوا السلطان يحال الناس ويموت الجمال . قال : ما انا في قيد الجمال انا في  
قيد نصره الاسلام .

ونزل السلطان غزه في العشرين من شهر ربيع الاخر . فوصلت كتب النواب  
بأن العدو نصب على البيه سبعة عشر منجنيقا . فكتم السلطان هذا الامر عن  
امراءه ولم يطلع عليه الا الامير شمس الدين سنقر الرومي وسيف الدين قلاون الالفى .  
وصار يكتب الى الامير عز الدين ايغان ويقول : متى لم تدركوا هذه القلعة والا سقت  
اليها بنفسي جريده . فساق العسكر وحث السير .

ولما نزل السلطان في (٦٣و) قريتا (١) ركب للصيد فتقنطر عن فرسه  
وانهشم وجهه وانسلخ جلده فأظهر تجلدا ورحل فنزل بينا (٢) . وحضر في الخدمة  
قسطلان يافا واحضر جملة من التقادم .

ذكر وصول العساكر الاسلامية لحماية البيه وهزيمة التتار  
وورود البشائر الى الملك الظاهر بذلك

كنا قدمنا ان التتار قد جمعوا ونازلوا البيه المحروسة . وان السلطان

(١) في الاصل بدون نقط اما في ابن عبد الظاهر (ص: ١٢) فهي قريبا من صيدا وهي  
"قريتا" عند المقرئى ، السلوك، (ص: ٥٢٤)  
(٢) في الاصل بدون نقط .

الملك الظاهر لما بلغه ذلك جرد العساكر اولا اولا . ثم خرج بنفسه وتوجه الى جهة الشام .  
فلما وصلت العساكر الاسلامية المجردين من الديار المصرية الى البيرة وشاهدوهم التتار  
ورأوا عزائمهم الماضية في قتالهم هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم وانهمزوا لايلى  
احد على احد ولا يقف والد لولد . فلما كان سادس عشر من شهر ربيع الاخر الشهر  
المذكور ورد البريد الى يبنى من جهة الامير جمال الدين النجيبى نايب السلطنة  
بالشام . وكان السلطان قد دخل الى الحمام في دهليزه المنصور فسمع انه قد  
وصل خبر طيب فقام لوقته عريانا وقرئت عليه الكتب فوجد في كتاب الامير جمال الدين  
النجيبى نائب دمشق بطاقه من الملك المنصور صاحب حماه مضمونها انه وصل الى  
البيرة بالعساكر المنصوره صحبة الامير عز الدين ايغان وجماعة الامراء يوم الاثنين .  
وان التتار عندما شاهدوهم وراوا عزائمهم الماضية هربوا ورموا مجانيقهم وغرقوا  
مراكبهم وانهمزوا لايلى احد على احد ولا يقف والد لولد . وكان كتابتها من  
البيرة الى حين وصولها الى يبنى اربعة ايام . فان البطاقة وصلت الى حماه الى  
دمشق على الجناح . ومن دمشق حضر البريد بها الى يبنى وهذا الاحتفال السلطان  
بامر الاسلام وترتيب (٦٣ ق) المصالح العامة ، واية همة اعظم من همته تبلغه  
الاخبار من البيرة وهو في اول بلد الساحل في اربعة ايام ويكون في الحمام فلا  
يصبر الى ان يلبس قماشه بل يخرج على الصفة التي ذكرناها عجلا خشية من مصلحة  
تفوت .

وللوقت سير البطاقة صحبة الامير حسام الدين لاجين النوادر فأوقف عليها  
الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير سيف الدين قلاون الالفي . ثم حضر اربعة  
مماليك من جهة الامير عز الدين ايغان والامير فخر الدين الحمصي والامير بدر الدين  
الايدمرى والامير بدر الدين العلاتي مقدم عسكر الشام باليشارة . فطلب

السلطان امراء دولته وقرأوا الكتب واستبشروا بهذا النصر وكفى الله المؤمنين

القتال . وكتب كتب البشائر الى الديار المصرية وغيرها .

واصبح ينظر في امور دولته لانه كان اذا لم يركب يصلي الصبح ويخرج الى باب دهليزه ويجلس على كرسي امير جنداره ظاهرا للناس كافة . ويقرب منه الفقير والمرأة والضعيف ويقضي حوائج الناس ويسمع قصص الرعايا ويوقع عليها بين يديه الى ان يرى امراءه وحضروا من ركوب الخيل يقوم ويجلس في مرتبه السلطنة ويحضر الامراء ويمد لهم الخوان ويجلس لقضاء حوائج الناس وللعلامة على الكتب . وانما ذكرنا ذلك ليعلم ان هذا السلطان اوقاته مستغرقة في مصالح المسلمين ولذته في الاهتمام بأمر الدين .

ثم احضر البريدية من البيره سكك حديد كان العدو صنعها للصعود في الاسوار . وورد كتاب الامير جمال الدين اقوش المغيبي النايب بالبيرة يذكر صفة الحال وما اشتعلت عليه من قوه العزائم وشدة الشكايم . وانه لما كثر العدو على القلعة وطم الخندق حفراهل البيره حفيرا قدر قامه (٦٤ و) وعملوا فيه سردابا نافذا الى الاحطاب التي كان العدو ردمها في الخندق . ورموا فيها النار فاحترقت جميعها في الخندق وما قدر العدو على طفيها . ثم سد المسلمون السرب المحفور . وذكر مصابرة اهل الثغروان نساءهم فعلن من حسن البلاء في قتال الاعداء مالا يفعله الرجال . ومن جملة ما وصف ان برجاً واحداً كان عليه خمسة عشر منجنيقاً وثبت شهرين . وكان العدو قد ضربوا اربعين سكة كل سكة ثلاثة ارطال بالحلي وخمسين سكة كبيرة . وجعلوا فيها الحبال ليجروا بها السلام ويرفعوا المقاتلة . فأخذ اهل الثغر الجميع واخذ من العدو مراكب كبارا وصغارا .

فكتب السلطان بأطابة قلوبهم وعينت امثله بأقطاعات لمن جاهد من البحرية

وغيرهم بالبيره . واستشهد الامير صادم الدين بكتاش الزاهدي احد الامراء

المجردين بها بحجر منجنيق • وترك موجودا كبيرا وبننا واحدة تستحق نصف ميراثه • فرسم ان يكون جميع ميراث ابيها لها لاتشارك فيه لما فعله ابوها في الخدمة • واهتم بعمارتها وحمل الاقوات اليها • وكتب الى جميع القلاع والولايات بمساعدة هذا الثغر وكتب تذاكر بما يحمل اليها من مصر والشام من اصناف واسلحة وعدد مجانيق وغيرها • وكلما تحتاجه هذه القلعه ومن فيها عشر سنين • وكتبت الى الامراء انهم لا يتحسروا من مكانهم حتى ينظفوا جميع الخندق وينقلوا الحجارة التي ردمت فيه وكتب بذلك الى الملك المنصور صاحب حماه والى جميع الناس • وامر بنقل ذلك على اكتافهم وخليهم • فاقاموا كذلك مدة •

ووردت الى السلطان كتب الامراء بها وهم يصفون ما يعتدونه من حمل التراب بنفوسهم ونقل الحجارة • فصادف ذلك ان السلطان واقف على سور قيسارية وهو (٦٤ق) يهدم بنفسه • وفي يده القطاعة وقد تجرحت يده • فكتبت في الجواب: انا بحد الله تعالى ماتخصنا عنكم براحة ولا انتم في ضيق ونحن في سعة • ما هنا الا من هو مباشر الحروب الليل والنهار وناقل الحجار ومرايط الكفار • وقد تساونا في هذه الامور • وما ثم ماتضيق به الصدور " •

ووردت كتب الامراء يخبرون بأن النوبه كانت على الامير عز الدين ايجان والامير فخر الدين الحمصي • والامير بدر الدين الايدمرى وجماعة من البحرية • وكانت خيلهم في الجانب الشامي ترتعي وهم رجاله يعلمون • فأحاطت بهم فرقة من التتر المقل ملبسين • فاجتمعوا ورموهم بالنشاب وانكوهم بالجراحات فولوا منهزمين وسار العسكر خلفهم فوجد منهم جماعة قد هلكوا من تلك الجراح في الطريق • وفي حران وغيرها وجماعة من كبارهم قتلوا في ذلك اليوم •

وسير السلطان استدعى من الديار المصرية مايتي الف درهم ومايتي تشریف  
وجهنز معها من دمشق مائة تشریف ودرهم • وسير الجميع الى البيره • وكتب الى  
عز الدين ايغان بأن يحضر اهل القلعة وجميع من بها من امير ومأمور وجندى وعامى  
ويخلع عليهم وينفق فيهم المال حتى الحراس وارباب النؤ (١) يلبسون الخلع  
ويخدمون "ياب" (١) القلعة • وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال :  
يا رسول الله اى الاعمال افضل ؟ قال : مؤمن يجاهد بنفسه وما له في سبيل  
• ثم رحل في شعب من الشعاب يعبد الله • وقال الله تعالى :  
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله  
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء (٢) •

ووصل كتاب الامير عز الدين ايغان بانه اعتمد هذا الامر • وسار خبره في  
البلاد (٦٥ و) وتحقق الناس ان السلطان لا يضع للمايه عمل عامل وانه ليس عن  
غلمانه بغافل • وطالبت قلوب اهل القلاع بذلك • وقالوا : السلطان يطوى لنجدتنا  
المراحل وتسبق عساكره الاخبار الى المنازل • ولما وصل الامير جمال الدين  
المحمدى رسم السلطان بأن يكون مقدما على العساكر المصرية والشامية لكبر سنه •  
والامير عز الدين ايغان يتحدث في المهمات واطلاق الاموال وترتيب امور البلاد  
فوردت كتبهم بأن الخنادق قد تنظفت ولم يبق لهم عائق •

فرسم السلطان ان يحملوا الى القلعة حجارة زلط • وقرر على صاحب حماه  
لنفسه خاصة الف زلطه وعلى كل امير من امرائه مائة حجر وكل جندى خمسين زلطه •  
وكذلك قرر على جميع الامراء والجند • وقرر عليهم حمل النشاب والاخشاب للمجانينق  
وجرد للعمارة الامير علم الدين والامير سيف الدين بلبان الحبشي وركن الدين الصروى

(١) بدون نقط في الاصل

(٢) سورة البقرة (٢) آية ٢٦٠ •

وتجرد من كل امير صحبتهم ثلاثة نفر يقيمون لنجار العمارة . واذا اتموا ذلك يتوجهون الى تل باشر للاغارة على بلاد سيس فورديت كتبهم باعتماد ذلك جميعه . واستمر حمل الغلال الى البيرة فلا ترى الا قوافل حاملة وركايب موسقه راحلة . وكتب السلطان الى الامير جمال الدين النجيبى بالحث على ذلك والتويخ (١) فعزم عزمة الرجال وحمل ماملأ الارض من الغلال وحملت اليها المجانيق من شيزر وعوضت عنها من دمشق . ورحل عنها العسكر وقد نصره الله وافظه وشيد بنية السلطان الثغر وعمره .

ذكر تبطيل المزور واخراجه من اقطاعات الجند وتعويضهم غيرها .

لما فرغ السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من امر البيره كما قدمنا شرحه (٧٥ق) رأى ان يتبع الحسنه حسنة وان يزيل منكرا تغدوا آثاره بينه وكتب الى الديار المصرية بتبطيل المزور وان تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان . وكتب الى الامير عز الدين الحلبي : اشتهي لاجلي تزيل هذا المنكر فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك . وقال القمع الذي جعله الله تعالى قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بابطاله . ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهة شئ يعوضه من مال الله الحلال . فورديت الكتب واعتماد ذلك وعوض المقطعون وكتبت هذه الحسنه في صحائف هذه الدولة والله اعلم .

ذكر تجهز الملك الظاهر لغزو الفرنج وفتح بلادهم .

لما وصلت الاخبار الى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي وهو

بالساحل بنصرة العساكر الاسلامية على التتار وانهمزامهم شر هزيمة وامر بعمارة ثغر  
البيرة كما قدمنا شرحه ثني عينه الى جهة الفرنج ليدينهم كما دانوا ويكون لهم كما  
كانوا . وما اعلم احدا مغزاه ولا فهم اين مرامه ومرماه . وركب من العوجا بعد  
رحيل الاطلاب للتصيد في غابة ارسوف . ورسم للامراء بان من اراد الصيد فليحضر .  
فأن الغابة كثيرة السباع وكان قد احضر الى باب دهليزه سبع مقتول احضره احد  
الاجناد فأنعم على قاتله . وتشوف الى تنظيف الغابة من الوحوش الكاسرة وساق  
فمر على قنطرة نهر العوجا فوجد جماعة من الرعية والسوقيه عابرين على القنطرة  
في ليلة شاتيه فوقف وامران (٦٦و) لا يعبر احد حتى تعبر الضعفاء . ووقف لرجل  
دابه فما زال واقفا حتى نزل خواصه وحملوا الدابة ونقلوا القماش . قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . وساق  
السلطان من ذلك المكان فرتب الحلقة ميمينه وميسرة ودخل الغابة وقضى بغيته من صيده  
وجرب سيوفه في تلك الوحوش على انها لم تنزل مجرية ورتب الخوف على الاعداء وان  
كانت عليهم مترته . وسار الى ارسوف وقيسارية وشا هدهما وعاد الى دهليزه فوجد  
اخشابا للمهمات قد احضرت صحبة زرد خاناه كان الامير علم الدين نائب امير جاندار  
قد احضرها فطلب الامير عز الدين امير جاندار وامره بنصب عدة مجانيق مغربية  
وفرنجيه من الاخشاب المذكورة . وفي وقت السحر من اليوم الثاني خرج السلطان  
بنفسه وجلس عند الصناعات ليبدلوا الاجتهاد فعمل في ذلك اليوم اربع منجنيقات كبار  
خارجا عن الصغار . وكتب السلطان الى قلاعه بطلب المنجنيقات والصناعات والحجارين  
ورسم للعسكر بعمل سلالم . وعين لكل امير حمل عدة منها ورجل الى قريب عيون  
الاساور فأمر بعد عشاء الاخره بلبس العدد وركب قريب الصبح وساق الى جهة  
قيسارية وكان ماسنذكره ان شاء الله تعالى .

ذكر بعض اخبار قيسارية وفتحها

اعلم ارشدنا الله واياك ان قيسارية من البلاد الساحلية في جند فلسطين •  
وكانت مدينة على سيف البحر حصينة منيعة لها ربح كبير •

قال البلاذري : ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما فلسطين مع ما ولاء من اجناد الشام وكتب اليه  
يا امره بغزو قيسارية • وقد كانت حوصرت قبل ذلك فنهض (٦٦ ق) اليها في سبعة  
عشر الف مقاتل اهلها • فمروا الى دمشق • واستخلف عليها اخاه معاوية بن  
ابي سفيان رضي الله عنهم وذلك في سنة ثمان عشرة • ولما توفي يزيد كتب امير  
المؤمنين عمر بن الخطاب الى معاوية رضي الله عنهم توليته على ما كان يتولاه يزيد  
فشكر ابو سفيان ذلك لعمر رضي الله عنهما وقال : وصلتك رحم ، فحاصرها معاوية  
رضي الله عنه حتى فتحها في شوال سنة تسع عشرة للهجرة قسرا • وبعث بفتحها  
تميم بن ورقا عريف خضع الى عمر رضي الله عنه فقام عمر رضي الله عنه على المنبر  
ونادى في الناس الا ان قيسارية قد فتحت • ولما فتحت وجد بها من المرتزقة  
سبعماية الفا ومن السامرة ثلاثون الفا ومن اليهوم مائتا الف • ووجد فيها ثلاثماية  
سوق قائمة كلها • وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة الف • وحوصرت سبع سنين  
الا شهرا واحدا • وقال ايضا عن من حدثه ان الروم خرجت في ايام عبد الله بن  
الزبير رضي الله عنهما الى قيسارية فشدتها وهدمت مسجدها الجامع فلما استقام (١)  
لعبد الملك بن مروان الاموي الامرم قيسارية وبني مسجدها وشحنها بالرجال •  
انتهى كلامه •

(١) في الاصل بدون الميم •

ولم يزل يلي قيسارية من يلي جند فلسطين الى ان اخذتها الفرنج في سنة اربع وتسعين واربعماية بالسيف وقتلوا من فيها . ولم تنزل بأيديهم الى ان فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي على يد الامير بسدر الدين دلدوم الياروقي وغرز الدين قليج في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية .

ثم خرجت عنه في الهدنه بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية . واستمرت في ايديهم (٦٧٠) الى ان كسوهشكر ريدا فرنس الفرنجي على دمياط في سنة سبع واربعين وستماية . واسرثم اطلق . فنزل الساحل وعمر قيسارية وشيدها وحصنها . ولم تنزل بأيديهم الى ان نزل عليها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في هذه السنة على حين غفلة من اهلها في يوم الخميس تاسع جمادى الاول . ولوقته طاف بها وهاجمها الناس والقوا نفوسهم في خنادقها وعمدوا الى السكك الحديد الذى للخيل والسبح والمقاود فعلقوا فيها وطلعوا من كل جانب ونصبت عليها السناجق وحرقت ابوابها وهتك حجابها فهرب اهلها الى قلعتها . وسير السلطان كتب البشائر الى البلاد والى الاتابك فارس الدين .

ونصب السلطان المنجنيقات على القلعه وهي من احصن القلاع واحسنها وتعرف بالخضراء وكان الريد فرنس حمل اليها العمد الصوان واتقنها . وما رئي في الساحل احسن منها عمارة ولا امتع ولا ارفع لان البحر الملح خاف بها وحابر في خنادقها والثقوب لاتعمل فيها للعمد الصوان المصلبة في بنائها حتى اذا علق لا تقع . واستمر الزحف عليها ورهي المنجنيقات والسلطان تارة يرهي النشاب من علو كنيسة قبالة القلعة وتارة يركب ويخوض عباب البحر ويقاقل (١) . وعملت دبابات وزحافات واطلق النشاب

(١) في الاصل بدون نقط .

للعساكر من قلعه عجلون لكل صاحب مائة فارس اربعة الاف سهم . وكذلك الحلقة والجند  
ورسم بنقل الاحطاب وحجارة المجانيق وخلع على الامير عز الدين الافرم امير جاندار  
لاجتهاده في المنجنيقات وعلى المنجنيقيه .

وجرد الامير شهاب الدين القيمري بجماعة من عسكر الساحل لجهة بيسان فسير  
جماعة من التركمان والعربان الى ابواب عكا فأسروا جماعة من الفرنج ودوابا وغيرها .  
(٦٧ق) واستمر السلطان على المصابره والمثاغرة . واقام بالكنيسة لا يخرج الى  
دهليزه يرامي هو وجماعة الافجيه يمنعون الفرنج من الصعود الى علو القلعه .  
وتارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل ويجر من تحته حتى يصل الى الاسوار  
ويرى الثقوب بنفسه واخذ في بعض الايام في يده ترسا وقاتل وما رجع الا وفي ترسه  
عدة سهام .

وفي ليلة الخميس منتصف جمادى الاول الشهر المذكور حصرت الفرنج واسلموا  
القلعه بما فيها وتسلق المسلمون اليها من الاسوار وخرقوا الابواب ودخلوها من  
اعلاها واسفلها واذن بالصبح عليهم . وطلع السلطان الى القلعه وقسم المدينة  
على اكرامه وخواصه ومماليكه وحلقته وشرع في الهدم . ونزل واخذ بيده قطاعة  
واخذ يهدم بنفسه وراه المسلمون فتشبهوا به وعملوا بنفوسهم وصار يياشر ذلك  
بنفسه ويده . وقد اكتسى من الغبار اثوابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
لا يلج النار رجل بكى من خشيه الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبد  
غبار في سبيل الله ودخان جهنم ، وقال صلى الله عليه وسلم : ما اغبرت قدما عبد  
في سبيل الله فتسمه النار .

قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر ماصيغته :  
وهذه قيسارية من المداين قد يماضحت في صدر الاسلام وذلك في سنة تسع عشره من  
الهجرة النبوية . وسبب فتوحها ان الكفار المنتزحين بين يدي المسلمين التجأوا اليها  
وتحصنوا . فلما فرغ المسلمون من غزاة اجنادين ومن فتوح دمشق ومن قلعة فحل ومن  
قلعة اليرموك التي بدد الله فيها جموع الروم كتب امير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه الى يزيد بن ابي سفيان رضي الله عنهما : اما بعد فقد وليتـك  
(٦٨و) اجناد الشام كله وكتبت اليهم ان يسمعوا ويطيعوا ولا يخالفوا لك امرا فاخرج  
فعسكر بالمسلمين ثم سربهم الى قيسارية ثم لاتفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه  
لا ينبغي افتتاح ما افتتحتم من ارض الشام مع مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى  
جانبيكم . وانه لا يزال قيصر طامعا في الشام ما بقي فيها احد من اهل طاعته ولو  
قد فتحتموها قطع الله رجاء من جميع الشام والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين  
ان شاء الله تعالى . فسار اليها يزيد رضي الله عنه وقاتلها قتالا شديدا فلم  
ينالوا منها شيئا . فقام عبادة بن الصامت رضي الله عنه ثم قال في جملة ما وعظهم  
به اني خايف عليكم ان تكونوا قد غلتم يعني سرقتم المكاسب ولم تقسموها . فان عمر  
رضي الله عنه قال للمسلمين في نوبة اليرموك : سبحان الله او قد دافعوهم يعني  
المشركين . اما اظن المسلمين الا قد غلوا . وقال : لو لم يغلوا ما وافقوهم ولظفروا  
بهم بغير مونه اى بغير تعب . فصدقهم المسلمون القتال . فلما كان بعض الايام خرج  
اهل قيسارية والمسلمون غافلون فاجتمعوا عليهم من كل جهة ونصر الله عليهم فقتل  
في المعركة خمسة الاف رجل . ولما شاهد يزيد تلاف حالهم استخلف عليهم معاوية  
بن ابي سفيان رضي الله عنهم ورجل عنها ففتحها الله على يديه في التاريخ المذكور .  
ولم يبق في الشام حينئذ عدو للمسلمين في اقصاه ولا ادناه . وصار الشام كله  
للمسلمين . انتهى كلامه .

وفي جمادى الاول الشهر المذكور وردت الى السلطات الملك الظاهر كتب الامراء

المجردين للغاره بأنهم وصلوا الى ابواب عكا وغنموا وعالوا . سالمين .

وفي هذه الايام ورد خبر من جهة يافا بأن الامير علم الدين سنجر الصيرفي عمل

حيله على بعض اصحابه وسيره الى يافا ليقتضي له شغلا . وكان قد اتفق مع قسطلان

(٦٨ق) يافا على القبض عليه فقبض عليه واعتقل في الجب فأنكر السلطان الملك الظاهر

ذلك فأحضر اليه من يافا كتاب استاذه اليهم بحبسه . فجمع السلطان الامراء وفي

جملتهم الامير علم الدين الصيرفي وانكر عليه هذا الامر غاية الانكار وخلص المذكور

من الامير . قال الله تعالى : وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين

من الرجال والنساء والولدان (١) . قالت العلماء : انقاذ اسرا المسلمين

من ايدي الكفار من افضل القربات والثوبات . وقد قال بعض العلماء : اذا

اسروا مسلما واحدا وجب على الاسلام ان يواظبوا على قتالهم حتى يخلصوه ويبيدوا

الكفار والله اعلم .

ذكر ارسال الملك الظاهر تجريده الى حصن المطوحه وتوجه السلطان

الى جهة عثليست وارسال تجريده الى حصن حيفا وتسلمهم له

ورجوع السلطان الى دهليزه سالما

لما قارب السلطان الملك الظاهر الفراغ من هدم قيسارية سير الامير شمس الدين

سنقر الالفي الظاهري والامير سيف الدين المستعزى وجماعة فهدموا قلعة للفرنج عند

المطوحه . وكانت عاتيه عاصبه . ودكوها الى الارض .

وفي سادس وعشرين جمادى الاول الشهر المذكور توجه السلطان الى جهة عثليث جريده وسير شمس الدين سنقر السلاح دار الظاهري والامير عز الدين الحموي والامير شمس الدين سنقر الالفي الظاهري الى حيفا فساروا اليها ودخلوا قلعتها فنجا الفرنج بأنفسهم الى المراكب بعد ان قتل منهم واسر واحضرت الاسارى والثروس واخربوا المدينة وقلعتها واحرقوا ابوابها وجعلوها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وكان اخذها وما اعتمد فيها من قتل واسر واخرب واحرق في يوم واحد وعاد الامراء سالمين . واما (٦٩و) السلطان فانه وصل الى عثليث وامره بشعثها وقطع اشجارها . فقطعت جميعها وخربت ابنيتهما في ذلك النهار . وعاد السلطان واذاق الكفار حسرة وواى حسرة . ولا بد ان يعيد الحيف عليهم كما بدا اول مرة . وثنى العنان عنها وهو اليها يمتد . وحول الساعه وهو الى مرماتها يشتد واخرها الى اجل سعى . ورأى انه تقدم على امرها الذى ليس بمهم وترك اهلها في حبس منها وقطع قلوبهم قبل قطع المسيرة عنها . وعاد الى دهليزه بقيسارية وكمل هدمها . حتى لم يدع لها اثرا . ووصل والسلطان على قيسارية الامير سيف الدين الزيني وصحبته المنجنيقات المحضره من جهة الفرنج ومن جملتهم احد ابناء الملوك فأعطاهم السلطان الاقطاعات واحسن اليهم . ومرض ايضا جماعة من الامراء فركب السلطان اليهم وعادهم . وهم الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير عز الدين امير جاندار والامير سيف الدين الزيني امير علم .

### ذكر بعض خبر ارسوف وفتحها

قال القاضي الامام الرئيس الاوحد العالم عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي في تأليفه " الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة " ما صيغته :  
أرسوف ليس لها في الفتوح العمري ذكر ولا فيما وقفت عليه من الكتب المؤلفة فسي صدر الاسلام . قال : واول ما احاط به علمي من امرها ان الفرنج تسلموها في سنة

اربع وتسعين واربعماية ثم فتحها الناصر صلاح الدين في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .  
ثم دخلت في بلاد المهادنة بينه وبين الفرنج . ولما اطلق ريد فرانس ونزل الساحل  
عمر قيسارية وارسوف وبقيت في ايدي الفرنج الى ان فتحها الملك الظاهر بيبرس سنة  
ثلاث وستين وستماية واخرها " . انتهى كلامه .

قلت في تاسع وعشرين من جمادى الاول من هذه السنة سنة ثلاث وستين  
(٦٩٩ق) رحل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي من قيسارية ولم  
يعلم احد الى اين توجهه . وسار الى ارسوف فنزل بها مستهل جمادى الآخرة من  
هذه السنة . وامر بنقل الاحطاب فصار حولها كالجبال الشاهقة والتلال السامقة .  
وما ان اطل الاعداء له يشاهدون قالت لهم الاقدار حسب جهنم انتم لها واردون  
فعملت منها الستائر وامر بحفر سرا بين <sup>من</sup> خندق المدينة الى خندق القلعة وسقفت  
بالاخشاب . ولما فرغ من السرا بين سلم احدهما للامير شمس الدين سنقر الرومي  
والامير بدر الدين بيسرى والامير بدر الدين الخزندار الظاهري والامير شمس الدين  
الذكر الكركي وجماعة الامراء السنجقية وغيرهم . وسلم السرب الآخر للامير سيف الدين  
قلاون الالفي والامير علم الدين الحلبي الكبير والامير سيف الدين كرمون وجماعة من  
الامراء . وعمل طريق من الخنادق الى القلعة فخرج الفرنج لاحراق الاحطاب  
فطلبهم الامير سيف الدين قلاون وغيره وقلب عليها المياه بنفسه وجماعة الامراء  
وطغيت تلك النار .

ولما تكامل ردم الاحطاب بالخندق تحيل الفرنج بأن نقبوا من داخل القلعة  
الى ان وصلوا الى تحت الردم فحرقوا الارض الى الاحطاب وعملوا بتاتي ملاءته ادهانا  
وسحوتا واوقدوا النيران وعملوا في النقوب المنافع ولم يعلم العسكر بهذه الحيلة الا  
بعد تمكن النيران . وكان ذلك في الليل فحضر السلطان بنفسه في الليل ورمى

الناس نفوسهم في النار لاطفائها وسكبت المياه بالزوايا فما افادت شيئا • واشتعل جميع ما بالخندق من الاحطاب وصارت هباء منثورا • وتمت الحيلة للفرنج خذلهم الله تعالى •  
ولكن احدث الله بعد هذا النصر امورا وهو بأن السلطان تقدم (٧٠ و) الى الامير شمس الدين سنقر الرومي ومن معه وهم نصف امراء السنجقيه وميمينه الامراء البحرية وميمينه الحلقة وميمينه لامراء الحاضرين غير من هو مجرد في البيرة وغيرها بأنه يأخذ هو والجماعة المذكورون من مكانه في باب السرب من حافات الخندق من جهة سوره حقا الى البحر الملح • وتقدم الى الامير سيف الدين قلاون الالفي بأن يأخذ هو ونصف السنجقيه من جهة الميسرة ويمسرة الحلقة ويمسرة البحرية بأنهم يحفرون الى آخر الخندق من الجهة الاخرى • وان يحفروا من كل ناحية من هذه النواحي سريرا يكون حايط خندق العدو سائرا له • ويحفر في هذا الحائط ابواب يرمي التراب منها وينزل في هذا السرب حتى يساوى ارضها بأرض الخندق • وطلب عز الدين ابيك الفخرى احد اصحاب الاتابك واحضر المهندسين وعقد هذا الامر به • فاستمر العمل في هذه الخنادق والملك الظاهر طائف بنفسه وملازم الخندق يعمل فيه بيده • ويساوى الناس في جر المنجنيقات ورمي التراب ونقل الحجارة •

قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلفه سيرة الملك الظاهر : فتعست

ام الجبان • فلقد رأيت السلطان يبذل من نفسه كل مصون ويهون منها مالا يهون • وهو بمفرده ماشرفي يده ترس وهو تارة في السرب وتارة في الابواب التي تفتح وتارة على حافة البحر يرامي مراكب الفرنج ويجرفي المجانيق ويطلع فوق الستائر يرمي من فوقها ويرى كل احد حقه من المباشرة والامر بالجهد وشكر من يجب شكره والخلع على كل من يفعل فعلا حسنا من ساير الناس • ومع هذا رحم الله الامه بسلامته ومن عليهم بوقايتة • قال القاضي محي الدين : حكى لي الامير جمال الدين ابن بهار •

قال : رأيت (٧٠ ق) السلطان في هذا النهار رمى ثلاثماية سهم نشابا \* وقد قال صلى الله عليه وسلم : الا ان القوة الرمي \* وقال صلى الله عليه وسلم : من رمى بسهم في سبيل الله كان كعتق رقبه \* وقال صلى الله عليه وسلم : اذا .....  
..... (١) فارموهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم واتفق ان السلطان حضر الى السرب وبعد في رأسه خلف طاقة يرمي فيها فخرجت جماعة من الفرنج الفرسان ومعهم الرماح بالخطاطيف فلم يشعر الا وهم على باب السرب \* فقام وقتلهم يدا بيد \* وكان معه الامير شمس الدين سنقر الرومي والامير بدر الدين بيسرى الشمسي والامير بدر الدين الخزندار وغيره \* وصار سنقر الرومي يناوله الحجارة فقتل بها فارسين \* وقطع الامير حسام الدين الدوادار احد الخطاطيف بسيفه وجرح في عضده ورجع الفرنج على اسوأ حال \* وكان السلطان يطوف بين عساكره في الحصار بمفرده ولا يجسر احد ينظر اليه ولا يشير بأصبعه وحضر العباد والزهاد والفقهاء والفقراء الى هذه الغزاة المباركة التي ملأت الارض بالعساكر واصناف العالم \* ولم يتبعها خمر ولا شيء من الفواحش بل النساء الصالحات تسقين الماء في وسط القتال ويجرون في المجانيق \* واطلق السلطان لجماعة من الصالحين الرواتب مثل الشيخ على المجنون والشيخ الياس من الاغنام والحوائج \* واطلق للشيخ على البكا جملة من المال وما سمع ان احدا من خواصه اشتغل عن الجهاد في توبته بشغله ولا سير امير غلمانه في نوبته \* واستراح هو الا الناس "سوا" في هذه الامور \*

ولازم السلطان تفقد المجانيق بنفسه في كل وقت وعمل كرمون آغا منجنيقا بسبعة سهام "سرا سرا" حسنا \* واحضر من دمشق مجانيق وكانت المفاردة في العقاب تحملها (٧١ و) على الرقاب \* واجتهد الامير عز الدين الافرم في امر الحصار الاجتهاد القام \* ولم ينزل ملازم البيت عند المنجنيقات وهو المتصرف فيها \* ولما امرت المنجنيقات فسي هدم الاسوار وفرغ من السرايات التي الى جانب الخندق من الجهتين وفتحت فيها

ابواب متسعة • حصل الزحف على ارسوف في نهار الاثنين ثامن شهر رجب الفرد من هذه السنة وفتحت في ذلك النهار • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم : غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها • ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها • وقال صلى الله عليه وسلم • طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله • اشعث رأسه مغبرة قدماء • فان كان في الحراسة وان كان في الساقه كان في الساقه • •

زار السلطان قبر الشيخ الصالح علي بن عليم المدفون الى جانب ارسوف • وهذا

الشيخ علي بن عليم من الصالحين المشهورين بالبركات والكرامات • من جملة بركاته انه مدفون على باب ارسوف ولا يدخل الى تربته خنزير • ويساق فيخرج من الباب وعاد ابن البان صاحب ارسوف في امره وشرب عند تربته فيست يده واقام ثلاثة ايام ومات • فعظمت الفرنج من ذلك الوقت • ويحكى عنه رحمه الله تعالى ان خادمه دخل عليه يوما وهو في خلوته فسمعه يقول : والله لا ارضى فخرج ودخل مرة اخرى فسمعه يقول والله ما ارضى • ثم سمعه يقول رضيت • فبقي في قلب الخادم من ذلك شيء • فلما حضرت الشيخ الوفاة قال للخادم في خاطرك شيء لا بد ان ازيله • وهو ذلك الذي سمعته اذكره • قال : نعم • قال : شفيعي الحق سبحانه وتعالى في الفرج من زارني فلم ارضى • ثم شفيعي في الفين فلم ارضى • ولم ارضى الا (٧١ق) في جميع من زارني ان لا يعذبه الله بالنار فعند ذلك رضيت • وعبرت مركب وفيها رجل مسلم اسير مع الفرنج فسأل عنه فقال له هذا قبر رجل صالح • فقال اللهم ان كان لعبدك هذا حرمة وهو من عبادك الصالحين فخلصني • ورفع صوته فضربه الفرنج فوقفت المركب ثلاثة ايام حتى اطلقوه فنزل الى قبره • وهذا الشيخ مشهور مذكور في الكتب والله اعلم •

وكان للشيخ الصالح علي المجنون كرامات معروفة . فجرت منه نكته غريبه في هذه الغزاة وهي انا كنا قدمنا ان الشيخ علي المجنون وجماعة من الصالحين حضروا هذه الغزاة . فلما كان في يوم الفتح قبل ان يعلم احد حديث الفتح ركب الشيخ علي وحصل له حال فساق الى ان وقف على حافة الخندق . وازيد وغاب ذهنه وصار يرفع صوته ويشير الى القلعه . وستره الناس بالطوارق . ولم يزل على هذه الحالة حتى سير الامير شجاع الدين الشبلي وعرف السلطان ان الباشورة انشقت . فلما ثني انشيخ على رأس فرسه ورجع الى باب السرب وقع سور الباشورة وشاهد الناس هذه الحالة والكرامة . ومن كرامات هذا الشيخ علي ما حكى عن ابي صبره قال : كنت اخدم صاحب مردين فحضر هذا الشيخ علي المجنون اليه وشفع في تركمان حبسهم المذكور فلم يقبل شفاعته فيهم . فأعاد السؤال فأنكر عليه صاحب مردين دخوله في هذه القضية . فحصل للشيخ حال وقال والده لارمين حجارة هذه القلعه على رأسه . فأرسل الله تعالى سحابة . وكان الوقت صيفا واستلت على القلعه واسودت حتى اظلم الوقت وامطرت حجارة فتطارح صاحب مردين على رجله حتى رضى واقلعت (٧٢) والسحابة . ولما قدر الله وقوع الباشورة في الساعة الرابعة من نهار الخميس طلوع المسلمون اليها تسليقا . وما احس الفرنج بالمسلمين الا وقد خالطوهم من كاب باب . ورفعت الاعلام الاسلامية على الباشورة . وحفت بها المقاتله . وطرحت النيران نفي ابوابها واعطى السلطان سنجقه الامير شمس الدين سنقر الرومي . وامره ان يؤمن الفرنج به من القتل عندما طلبوا الامان . فلما اراد الفرنج بطلوا القتال وسلم السنجق للامير علم الدين سنجر المسروري الحاجب المعروف بالخياط ودليت له الحبال من قلعه ارسوف فربطها في وسطه والسنجق معه . ونشله الفرنج الى القلعه . فأخذ سيوفهم واحضروا في الحبال والامراء صفوف والاسارى يؤمى بهم السوف .

وكان فتح قيسارية يوم الخميس . وفتح قلعتها يوم الخميس . وفتح ارسوف يوم الخميس . وهذا دليل على توفيق الله سبحانه وتعالى لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان يخرج في سفر الا يوم الخميس . وقال العلماء ينبغي للمجاهد ان لا يخرج الا في يوم الخميس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره لان الاعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى يوم الخميس . ولما لم يبق بأرسوف احد من الفرنج اباح السلطان القلعة للمسلمين بما فيها من غلال وذخاير ومال . وكان بها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض منها الا لما اشتراه بماله . وكان في اسر الفرنج جماعة من المسلمين خلصوا تلك الساعة واخذت قيودهم قيد بها الفرنج . ونقل الاسر من المسلمين الى الكافرين وبقي به صدور قوم مؤمنين فسبحان الفعال لما يريد . وجرد السلطان جماعة من المقدمين يتوجهون مع الاسارى . وسير لكل امير جماعة من اسارى الفرنج ولكل مقدم جماعة .

وكتب السلطان (٧٢ق) الى قسطلان يافا بأن يكتب الى صاحبه بأنا لا نحتمل الهزيمة . واذا اخذ احد مزرعة اخذنا عوضها قلعة مرتفعة . واذا اسر لنا فلاح اسرنا الفا من مقاتله لابسه السلاح . واذا هدموا جدارا هدمنا اسوارا . والسيف في يد الضارب والجواب عنانه في قبضه الراكب . ولنا يد تقطع الاعناق ويد تصل الى الارزاق ومن تحرش فعن تجربة ومن اراد شيئا من الاشياء فهذه الامور له مرتبه .

وشرع السلطان في تقسيم ابراج ارسوف على الامراء وجعل هدمها دستورهم (١) ورسم بأحضار الاسارى لآخوابها فكانوا كما قال الله تعالى : يخربون بيوتهم

---

(١) في الاصل بدون نقط .

بأيديهم وايدى المؤمنين (١) . فنظم القاضي محي (٢) ابن عبد الظاهر جامع

سيرة الملك الظاهر في وصفالفتح المذكور ابياتا منها :

وقد غلبت على الدنيا فدونها واكتب الى الارض بالبشرى فريك في وثبت بالدين لما ثبت (٣) مقتدرا طلبت ثار الهدى والدين اذ تعدت نصبت للشرك اشراكا فصدتهم قلعتهم بقلع ظلت تهدمها ان اسرعوا نقلة عنها فانهم ان الفتوحات لما رث ملبسها في كل ارض جيوش قد بعثت بها ففي الحجاز لها نفع وفي حلب لها السيوف التي كم اقفرت بلدا اكرم بها عصابة مثل النجوم سنا اجلت من الكفر اقطارا وكم عمرت كم قد قذفت شياطين العدو بها يشني اعنتها ملك عزائمها ملك سعادتته قالت لتسمع ما لا يحسب الناس قيسارية ضعفت لكنها بذبول النصر قد علق كذاك ارسوف لما جاز غايتها	كما تسرك والدنيا لمن غلبا السبع السموات بالبشرى لها كتب ياخير من ثاب او ياخير من وثبا عنه الملوك وما اسطاعوا لها (٤) طلبا لم يقدروا رهبا ان يقدروا هربا انت الذى تبغي (٥) المسلوب لالسلبا حلوا لها كل برج ظل منقلبا تبتز من بز قيسارية القشيا حتى لقد اصبحت اياتها عجبا نفع وكم تركت من خلفها حلبا لما غدوت ومنها تعطر العريا وكالرجوم اذا لها (٦) اضرمو اللهب من الجيوش لهم ماكان قد خربا حتى لقد ابصروا من شهبها شهب قد اصبحت في الوغى راحتها التعبا (٧٣و) من الثغور نأى عنها وما قربا او اسلمت نفسها من خيفة رهبا وقد اتته لعاكا تطلب الحسبا ماجا محتبطا بل جا محتبطا
---	--

(٧٣و)

(١) سورة الحشر ٥٩ اية ٢ (٢) كذا في نسخة اسم محي الدين .  
(٣) بدون تنقيط في الاصل . (٤) كذا في الاصل ولعلها " له " (٥) كذا في الاصل  
والوزن يقتضى ان تكون " تبتغي " (٦) كذا في الاصل والوزن غير مستقيم ولو كانت  
( ما ) لاستقام الوزن وما اختلف المعنى .

لئن غدا آخذ الدنيا ومعطيها  
فللحديد رقاب منهم اسمرت  
وللسيوف دماء منهم سفكت  
وللصحاف اجرزان صفحتها  
الملك جد وجد يستضاء به  
لازال في نعمة يدعو الانام له  
فأنه احسن التقسيم محتسبا  
وللخيول من البلدان ما وهبا  
وللنسر من الاشلاء ما انتهبا  
وللبشائر ذكر طرز الكتبا  
وليس زهوا ولا لهوا ولا لعبا  
وذاك حق على الاسلام قدوجبا

لما فتح الله تعالى على السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي  
قيسارية كما قدمنا شرحه امر الامير سيف الدين الرومي الدوادار بكشف بلادها وتحقيق  
متحصلها . وعملت اوراق بذلك . ولما فتح الله ارسوف كما قدمنا شرحه طلب قاضي  
دمشق والعدول ووكيل بيت المال بها وتقدم بأن يملك الامراء المجاهدون من البلاد  
التي فتحها الله عليه ما يأتي ذكره . وكتب التواقيع لكل منهم ولم يطلعوا عليها .  
ولما اثبتت التواقيع فرقت على اربابها وكتب بذلك مكتوب جامع بالتمليك ونسخته (١):

اما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة المعقود وتمكينه التي رفلت الملة  
الاسلامية في اصفى البرود وفتحها الذي شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت  
لامر ما يسود من يسود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاهد الكفار  
وجاهدهم بالسيف البتار واعلمهم لمن عقبى الدار وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشي  
والابكار (٧٣ق) فان خير النعمة نعمه وردت بعد اليأس واقبلت على فترة من تخاذل  
الملوك وتهاون الناس . فأكرم بها نعمة وصلت للملة المحملية اسبابا . وفتحت للفتوحات  
ابوابا وهزمت من التتار والفرنج العدوين وربطت من الملح الاجاج والعذب الفرات  
بالبرين والبحرين . وجعلت عساكر الاسلام تذل الفرنج بغزوهم في عقر الدار وتجوس  
من حضرتهم المانعة خلال الديار والامصار وتقود من فضل عن شبع السيف الساغب الى  
حلقات الاسار . ففرقه منها تقتلع للفرنج قلاعا وتهدم حصونا وفرقة تبني ما هدم التتار

بالمشرق وتعليه تحصينا • وفرقه تتسلم بالحجار قلاعاً شاهقة وتتسنم هضاباً سامقة •  
فهي بحمد الله البانيه الهادمة والقاسية الراحمة كل ذلك لمن اقامه الله وجرده  
 سيفاً فغرى • وحملت ريلح النصره ركابه تسخيراً فسار الى مواطن الظفر وسرى وكونته  
 السعادة ملكاً اذا راته في دستها قالت : تعظيماً له ما هذا بشراً وهو السلطان  
 الملك الظاهر ركن الدين والدين ابوالفتح بيبرس جعل الله سيوفه مفاتيح للبلاد  
 واعلامه اعلاماً من الاسنة على رأسها نار بهداية العباد فانه آخذ البلاد ومعطيها  
 وزاهبها بما فيها • واذا عامله الله بلطفه شكر واذا قدر عفى واصح • فوافقه القدر  
 واذا اهدت اليه النصره فتوحات قسمها في حاضرها لديه متكسرماً وقال الهدية  
 لمن حضر • واذا خوله الله تخويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار  
 والدماء للسيف البتار والرقاب للأسار والبلاد المزدرعة للأولياء والانصار • ولم يجعل  
 لنفسه الا ما تسطره الملائكة في الصحائف لصفاحة من الاجور • وتطوى عليه طويات  
 السير التي غدت بما فتحها الله من الثغور باسمه باسمه الثغور :

فأعطى المدن واحتقر الضياعاً	فتى جعل البلاد من العطايا	
عياناً ضعف ما فعلوا سماعاً (و٧٤)	سمعنا بالكرام وقد اراننا	(و٧٤)
جميلاً كان ما فعل ابتداء	اذا فعل الكرام على قيا س	

ولما كان بهذه المثابة وقد فتح الفتوحات التي اجزل الله بها اجره وضاعف  
 ثوابه • وله اولياء كالنجوم ضياء وكالاقدار مضاء وكالعقود تناسقا وكالويل تلاحقا  
 الى الطاعة وتسابقاً رأياً لا ينفرد عنهم بنعمه ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحه غدت  
 بسيفوفهم تستنفذ وبعزائمهم تستخلص وان يؤثرهم على نفسه • ويقسم عليهم الاشعه  
 من انوار شمس مويقي للولد منهم وولد الولد ما يدوم الى آخر الدهر ويبقى على  
 الابد • وتعيش الابناء في نعمته كما عاش الاباء وخير الاحسان ما شمل واحسنه

ما خلد \* فخرج الامر العالي لا زال يشمل الاعقاب والذراى وينير انارة الانجم  
الدرارى ان يملك امرأه وخواصه الذين يذكرون وفي هذا المكتوب يسطرون ما يعين من  
البلاد والضياح على ما يشح ويبين من الاوضاع وهو الاتابك فارس الدين اقطاى الصالحي  
عتيـل بكما لها \* الامير جمال الدين ايدغدى العزيزى النصف من  
زيتا \* الامير بدر الدين بيسرى الشمسي الصالحي نصف طوركرم (١) الامير  
شمس الدين الدكر الكركي (٢) ربع زيتا \* الامير سيف الدين قليج البغدادي  
ربع زيتا \* الامير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحي افراسين بكما لها \* الامير  
علاء الدين ايدكين البندقدار الصالحي تامه (٣) الشريفه بكما لها الامير عز الدين  
ايدمر الحلبي الصالحي نصف قلنسوة (٤) \* الامير سيف الدين قلاون الالفى الصالحي  
نصف طيبه الاسم \* الامير عز الدين ايغان سم الموت نصف طيبة الاسم \* الامير  
جمال الدين النجيبى نايب سلطنة الشام ام الفحم بكما لها من قيسارية \* الامير  
(٧٤ ق) علم الدين سنجر الحلبي الصالحي بتان (٥) بكما لها الامير جمال  
الدين اقوش المحمدى الصالحي نصف بورين \* الامير فخر الدين الطنبا الحمصي  
نصف يورين \* الامير جمال الدين ايدغدى الحاجبي (٦) الناصر <sup>نصف</sup> بيرين (٧)  
الامير بدر الدين بيليك الايدمرى الصالحي نصف بيرين \* الامير فخر الدين عثمان  
بن الملك المغيث ثلث جلهمه (٨) \* الامير صارم الدين صراغان ثلث جلهمه (٩)

- ١) وبعده في ابن ابي الفضائل (ص ١٣٩) "والامير بدر الدين بيليك الخزندار نصف طوركرم"
- ٢) الركني في ابن ابي الفضائل (ص ١٣٩).
- ٣) "باقة" في ابن ابي الفضائل (ص ١٤٠) (٤) وبعده "الامير شمس الدين سنقر الرومي  
نصف قلنسوة" ابن ابي الفضائل (ص ١٤٠)
- ٥) في الاصل بدون نقط \* راجع ابن ابي الفضائل (ص ١٤٠)
- ٦) الخاصي في ابن ابي الفضائل (ص ١٤٠)
- ٧) بيرين ابن ابي الفضائل (ص ١٤١)
- ٨) "حلبه" في ابن ابي الفضائل (ص ١٤١)
- ٩) ساقط هنا "الامير شمس الدين سلاى البغدادي ثلث حلبه" ابن ابي الفضائل (ص ١٤١).

الامير ناصر الدين القيهرى نصف البرج الاحمر . الامير سيف الدين بلبان الزينسي  
الصالحى نصف البرج الاحمر . الامير سيف الدين ايتامش (١) السعودى نصف تما (٢)  
الامير شمس الدين اقسنقر السلحدار نصف تما (٣) الملك المجاهد سيف الدين اسحاق  
صاحب الجزيرة نصف دنابه . الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابه . الامير بدر  
الدين محمد بن ولد الامير حسام الدين برکه خان دير العصفور (٤) بكما لها .  
الامير عز الدين ابيك الافرم امير جاندار نصف الشويکه . الامير سيف الدين كرمون آغا  
التمترى نصف الشويکه . الامير بدر الدين الوزيرى نصف طرس (٥) الامير رکن الدين  
منکورس الدويدارى نصف طرس . الامير سيف الدين قشتمر العجيبى عرار بكما لها .  
الامير علاء الدين اخو الدويدار نصف عرعا . الامير سيف الدين بيحق (٦) البغدادى  
نصف عرعا . الامير سيف الدين ذكحل (٧) البغدادى نصف فرعون . الامير علم الدين  
سنجر الازكشى نصف فرعون . الامير علم الدين طردج (٨) الامدى سبايا (٩) بكما لها .  
الامير حسام الدين ايتامش ابن اطلس خان سيدا بكما لها . الامير علاء الدين كندغدى  
الظاهرى امير مجلس الصير الفوقا (١٠) الامير عز الدين ابيك الحموى الظاهرى نصف  
ارتاج . الامير شمس الدين سنقر الافى نصف ارتاج . الامير علاء الدين طيبرس الظاهرى  
نصف يافه (١١) الغربية (٧٥) الامير عز الدين الاتابك الفخرى القصير بكما لها .

- 
- (١) انتمش في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٢) يما في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٣) كذا في الاصل وفي ابن ابي الفضائل (ص ١٤١) يما .
  - (٤) دير الغصون في ابن ابي الفضائل ص ١٤١
  - (٥) طبرس في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (٦) قفجق في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ .
  - (٧) ذكحل في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (٨) طردج في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ .
  - (٩) اقبابه في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢ (١٠) الصغرا بكما لها في ابن ابي الفضائل ص ١٤٢
  - (١١) باقة في ابن ابي الفضائل ص ١٤٣ .

الامير علم الدين سنجر الصيرفي الظاهري اخصاص بكمالها • الامير ركن الدين بيبرس المعزى نصف قفين • الامير شجاع الدين طغريل الشبلي امير مهمندار نصف كفرراعي • الامير علاء الدين كندغدى الجيشي (١) مقدم الامراء البحرية نصف كفرراعي • الامير شرف الدين بن ابي القسم نصف كستا • الامير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كستا • الامير جمال الدين موسى بن يعمر استاد الدار العالية نصف برويكه (٢) • الامير علم الدين سنجر الحلبي الغزاوى (٣) نصف برويكه • الامير علم الدين سنجر نايب امير جاندار نصف حانوتا من ارسوف • الامير سيف الدين بيدغان الركني افراد نسيفا (٤) بكمالها من قيسارية • الامير عز الدين ايدمرى الظاهري نايب الكرك ثلث جبله من ارسوف • الامير جمال الدين اقوش السلحدار الرومي ثلث جبله • الامير شمس الدين سنقرجاه الظاهري ثلث جبله من ارسوف الامير بدر الدين بكتاش الفخرى امير سلاح ثلث جلجوليه • الامير علاء الدين كشتغدى الشمسي ثلث جلجوليه • الامير بدر الدين بكتوت بجكا (٥) الرومي ثلث جلجوليه (٦) •

وكتب من كتاب التملك الشرعي الجامع نسخ وفرقت لكل امير نسخة بمكانه • وخلص على قاضي القضاة وتوجه الى دمشق • وكتب الله تعالى هذه الحسنة للسلطان الملك الظاهر في صحيفته قبل كتابتها في سيرته • وتسلم كل من الامراء ما خصه من ذلك • ونقلت المنجنيقات الى القلاع القريبة الكرك وعجلون وغيرها •

ورحل السلطان من ارسوف بعد استكمال هدمها في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وستماية هذه السنة • والفرنج قد انقطعت ظهورهم واختلت امورهم وخابت مساعيهم • وقام بالعويل ناعيمهم • وكلمة الاسلام قد رفعت واسباب (٧٥ ق) الكفر من الحياة قد قطعت وحصونهم الحصينة ما نفعت •

(١) النجيشي في السلوك ص ٥٢٣ (٢) "برنيكيه" في ابن ابي الفضائل ص ١٤٣

(٣) العزازى في ابن ابي الفضائل ص ١٤٣ (٤) فرديسيا في ابن ابي الفضائل ص ١٤٣

(٥) كجكا في ابن ابي الفضائل ص ١٤٤ (٦) لائحة هذه الاسماء في السلوك للمقرئى

ص ٥٢٣ - ٥٣٤ ويقول E. Blochet (ج ١ ص ٤٨١) انها في النويرى ايضا لكن هنالك بعض الاختلاف

وسار السلطان الى غزه وعاد منها الى مقر مملكته بالديار المصرية • وخرج الملك السعيد بن الملك الظاهر واتابكه عز الدين الحلي نايب السلطنة بالديار المصرية للقايسه من بركة الحجاج • ودخل السلطان وشق مدينة القاهرة وهي مزينة في يوم الخميس حادى عشو شعبان من هذه السنة والاسرى بين يديه ودخل قلعته • وعرض ما حصله الامير عز الدين الحلي والصاحب بها، الدين من الخزائن ولم يترك احدا من امير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى ولا خواصه ولا برد داريته ولا جميع حاشيته الا اعهم بالخلع والاحسان واحسن الى رسل الملك بركة وكتب الى اليمن والانبرور بالبشائر واخرج جملة من الصدقات غلطة ودراهم وكساوى فرقت في الفقراء بجامع الازهر وغيره •

### ذكر ما وقع بالقاهرة ومصر من الحريق وما فعله

#### الملك الظاهر عند قدومه الى قلعته •

كان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى بلغه ان الحريق بمصر والقاهرة قد كثر في كل مكان • وشاع الخبر بأن النصارى يفعلون ذلك لاجل اتلاف دينهم واحراق كنائسهم • وصار الناس من ذلك في شدة عظيمة • ووجد النفط والكبريت في بعض الجهات • فلما حضر السلطان الى قلعته واستقر في مقر مملكته طلب النصارى واليهود وانكر عليهم هذه الامور التي تفسخ عهدهم وارم بحريق جميعهم • فجمع منهم عالم كثير في القلعة واحضرت الاحطاب والحلفاء • فلما راوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب سألوا الرحمة ومننوا بسابق الخدمة • فشفع فيهم الامير فارس الدين اقطاى اتابك الطساكر على ان يلتزموا بالاموال التي احترقت وان يهلوا الى بيت المال خمسين الف دينار • فأفرج عنهم • وقال صاحب "نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك" قرر عليهم حمل خمسمائة الف دينار (٧٦ و) الى بيت مال المسلمين • والتزم بتوزيعها واستخراجها بطرك النصارى • والتزموا انهم لا يعودون الى شي مما كانوا يعتمدونه

من المنكرات ولا يخرجون عما هو مرتب على اهل الذمه وانفصل الحال على ذلك وحمل  
المال اولا اولا . والله اعلم .

### ذكر هروب زامل بن علي والقبض عليه

لم يزل السلطان محسنا الى الامير نور الدين زامل بن علي وهو لا يزيد الا علوا  
واستكبارا والفتنة لاتسكن بينه وبين الامير عيسى بن مهنا . ولما طلعت العساكر الى  
الشام صحبة الامير علاء الدين طبرس واجتمعت بالبلاد الحلبية قبضوا على زامل بن علي  
لتستويح الخواطر من تلك الفتنة واحضروه الى قلعة عجلون . ولما بلغ السلطان الملك  
الظاهر ذلك احضره واعتقله ثم افرج عنه وطيب قلبه وصار يلعب مع السلطان الكرة .  
وطلب السلطان الامير شرف الدين عيسى بن مهنا واجمل بن حجي والامير هرون واصلح  
بينه وبينهم واعادوا الى الامير زامل اقطاعه وامرته . وتوجهوا فلم يصبر زامل الى ان  
يصل الى البلاد بل ساق من اول الرمل الى البلاد . وذكر ان عيسى هجم بيوته  
فأخرب زامل وافسد وقبض على قصاد السلطان ومملوك الاتابك المتوجه الى شيراز واخذ  
الكتب وتقرب بها الى هلاون وتوجه اليه بنفسه واطعمه في المسلمين . فأعطاه هلاون  
اقطاعا في العراق وتوجه الى الحجاز لمشتاه فنهب وقتل وانتهب حرمة الاشراف وحضر  
الى اوائل الشام . وكان الملك الظاهر قد اعطى اقطاع زامل وامرته لاختيه ابي بكر  
فضاقت على زامل الارض بما رحبت . وراسل السلطان في طلب العفو فقرر معه الحضور  
وعينت له مدة وكتب اليه انه ان تأخر عن هذه المدة ليسر له عهد ولا ايمان فتأخر  
عن المدة المعينة (٧٦ق) فلما وصل سير السلطان الى القلعة ورسم بحبسه وسكنت  
الفتنة ووقعه الله في البئر التي حفرها وراه عاقبه بطن النعمة التي كفرها . وهذا  
جزاه من كفر الاحسان و خان الله وخان السلطان . جعل الله كل باع عليه في  
قبضته اسيرا وخوله في الدنيا ملكا عظيما وفي الاخرة نعيما كبيرا .

## ذكر قتل الامير علم الدين سنجر بن صون

كان الامير علم الدين سنجر بن صون من رجال الحلقة فتحرك في ايام الملك المظفر سيف الدين قطز صاحب الديار المصرية بحركات دميمة . ولما انتقلت السلطة من الملك المظفر الى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي احسن اليه واراد استصلاحه فرجع الى ماكان يعتمده في الدولة المظفرية . فاعتقله السلطان الملك الظاهر مدة ثم ذكر له خدمه سابقة فاطلقه وامره فشرع في الامور التي كان عليها . فطلبه السلطان في الموكب وقال له اني اسمع عنك موافقة للمقسدین فارجع عما انت عليه . وسيره خلعه وذهب فأخذ ذلك وهو الى العرب وسير في افساد جماعة من العسكر . فأرسل له السلطان امانات مرارا فردها وتواتر فساده فسير اليه السلطان من قطع رأسه واحضر بعد ذلك اخوه فأحسن السلطان اليه والله اعلم .

في خامس عشرى شعبان من هذه السنة، جلس السلطان الملك الظاهر بدار العدل وطلب تاج الدين ابن القرطبي . فلما حضر قال له : اضجرتني مما تقول عندي مصالح لبيت مال المسلمين فتحدث الان ما عندك . فتحدث في حق قاضي القضاة وفي حق صاحب سواكن والامراء الذين يتوفون وانهم اخذوا اكثر من حقوقهم فأحضر (٧٧) السلطان زيارا واره للناس وقال : من صبر على هذا الزيار يستكثر له اقطاع او يستكثر لورثته موجود لخلفه لهم وانكر عليه وامر بحبسه .

وتحدث السلطان في امر الجند وانهم في البكار وفي مواطن الحصار لا يصل اليهم شاهد فيشهد احدهم اصحابه فاذا حضروا لاتقبل شهادتهم وتضيع اموال الناس لهذا السبب . وقال انا ارى ان كل امير يعين من جماعته من فيه خير وديانة يسمع قوله . وكذلك كل مقدم وكل جماعة من الجند ممن فيهم الخير والصلاح تسمع اقوالهم لتحفظ اموال الناس .

ففرح الامراء بهذه القضية .

وشرع قاضي القضاة في اختيار الناس الجياد لذلك وجلس ايضا بدار العدل في  
تاسع وعشرين شعبان الشهر المذكور فوقف له شخص في امر خلو الاملاك الديوانية . فأنكر  
كون الديوان لا يخلي عن الناس وامر بالاخلاء عند الاجارة .

وفي هذا الشهر وصلت رسل من جهة الانبرور ووصلت رسل الملك الاشكري واحضر  
رسول الاشكري جملة من الهدايا من الاطلس والوبر والطيور وغيرها .

وفي هذا السنة توجه الامير بدر الدين بيليك الفايزي ومعه جماعة كشافه وساق  
حتى سقي خيله من دجله .

وفي سابع شهر رمضان من هذه السنة وصلت العساكر التي كانت بالبيرة صحبة  
الامير جمال الدين المحمد<sup>١</sup> والامير عز الدين ايغان . وفي شهر رمضان وصلت هدية  
من جهة ملك الكرج الى الابواب الشريفه (١) وسبب ذلك ان السلطان كان سير  
القصاد الى ملوك الطوايف ومن جعلتهم ملك الكرج داون بن سودان ملك ابخر (٢)  
ووصل من جهته كتاب عرب وهو (٧٧ق) الشكر قدام الله . ولخوف العدو في الطرقات  
ما ذكرت اسم السلطان ولا اسمي . وقد فرحت فرحا عظيما كونك فتشت على محبة اهل  
بيتي لاهل بيتك والان فقد حلفت لك على الانجيل اني عدو عدوك وصديق صديقك  
والناس مترددون من عندي الى عند الملك بركه فان كان لك شغل سير الى عندي  
رسولا حتى اوصله الى عنده الى غير ذلك والله اعلم .

---

(١) في الاصل الشريف

(٢) كذا في الاصل .

## ذكر بعض خبر قرقيسيا وفتحها

كانت قرقيسيا هذه من اقدم المدن وكانت تعرف بالزباء ملكة من ملوك الجاهلية وفيها يقول ابن دريد :

فاستغزل الزباء قسرا وهي من عقاب لوح الجواعلى منثما .

وكان السلطان قد ارسل اهلها وسير اليها الامير كمال الدين الطورى وملكها واقام بها مدة . فقصدها التتار . وكانت حمص والرحبة في يد الملك الاشرف صاحب حمص وهذه الجهة لايتأتى فيها امر الا بالرحبة فعاد كمال الدين الطورى الى خدمة السلطان الملك الظاهر وتركها .

وفي شهر رمضان من هذه السنة ارسل مقدموها الى عز الدين السكندرى النايب بالرحبة وسأله عفو السلطان وسيروا رهاينهم فسارت اليها جماعة من الخيالة والاقبية وساقوا من اول الليل الى نصفه وياتوا على ماكسين . فلما اصبح الصبح احاط بها المسلمون وعسكر السلطان وتسلموها وقتلوا من كان بها من عسكر التتار والكرج واسروا من المرتدة نيفا وثمانين نفرا . وتسلموا الجسر ومراكبه والسلسلة . وكان تسلمها في نصف شهر رمضان من هذه السنة .

وفي هذه السنة بلغ الملك الظاهر ان بحر اشمووم الذى كان الامير سيف الدين الرشيدى توجه لعمله (٧٨٠) ان عمله ما افاد . فرسم بتحصيل المراكب لاجل التغريق وحصلت الالات . وتوجه السلطان اليه بنفسه في ثاني شوال من هذه السنة وقسم عمله على الامراء وعمل بنفسه . وشاهد على كتفه قفه مملوءة ترابا فلم يبق احد من امير ولا وزير ولا كبير الا وبادروا العمل بنفوسهم . وحصل الاجتهاد من كل جهة وصار السلطان مستمر العمل في كل يوم يركب في مركب ويشاهد تغريق

المراكب ويحسن الى من نهض في العمل • فتنجز الشغل في ثمانية ايام وتكامل الحفر •  
وكذلك الجهة التي من جهة جوجر • وتوجه السلطان الى منزلة ابن حسون وعاد الى  
قلعته في حادى وعشرين شوال الشهر المذكور • ورسم السلطان بابطال حراسة  
النهار بالقاهرة ومصر • وكانت جملة مستكثرة وكتب التواقيع بابطالها طلبا لثواب الله  
تعالى •

وفي يوم الجمعة قرئ مكتوب بأشوم بمسامة الاعمال الدقهليه والمتاحية  
بأربعة وعشرين الف درهم عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدى •

وفي شوال المذكور توجه شجاع الدين ابن الداية الحاجب الى الملك بركه  
رسولا من السلطان في كف غارات الملك بركه عن بلاد الاشكرى حسب سوء  
الاشكرى في ذلك • فسيره في ذلك وفي مهمات اخر • وسير معه ثلاث عمر اعتمر  
بها بمكة شرفها الله تعالى للملك بركه لم يعمل مثلها لما اشتملت عليه من الايات  
والاحاديث النبوية والازهاب • وسير معه قمقمان من ماء زمزم ودهن بلسان وغير  
ذلك • وتوجه معه احد اصحاب الملك بركه وهو جمال الدين محمود •

وفي آخر شوال الشهر المذكور تشوش مزاج السلطان الملك الظاهر فتداوى  
بالصدقه (٧٨٠ق) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : داووا مرضاكم بالصدقه  
وافرج عن المعتقلين •

وفي ذى القعدة من هذه السنة وصل الى الابواب الشريفة الراهب كريانوس المسير  
الى الملك الاشكرى بكتاب الاشكرى بالحلف للسلطان على حفظ العهود •

وفي ذى القعدة الشهر المذكور وصل الامير جمال الدين النجيبى الى الباب  
الشريف فتحدث معه في مهمات الامور وكتب على يده تذكرة بمصالح الرعية وعاد في

ذى الحجة •

ذكر من ولي القضاء بمصر المحروسة من زمن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه الى ان جعلهم الملك الظاهر ركن الدين ببيروت في هذه السنة اربع  
قضاة من كل مذهب من المذاهب الاربعة اهل السنة والجماعة قاضي شافعي وقاضي  
حنفي وقاضي مالكي وقاضي حنبلي •

اعلم ارشدنا الله واياك ان اول من ولي القضاء بمصر المحروسة في زمن  
عمر بن الخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه بعد ان فتحها عمرو بن العاصي رضي  
الله عنه قيس بن ابي العاصي السهمي رضي الله عنه فأقام الى سنة اربع وعشرين  
للهجرة وتوفي رحمه الله تعالى •

وولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعده عثمان بن قيس بن ابي  
العاص فلم يزل قاضيا بمصر الى ان عزله امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان الاموي  
رضي الله عنهما في سنة اثنتين واربعين للهجرة •

وولي بعده سلمان (١) بن عنز (٢) النجيب • وولي بعده (٣) ٠٠٠٠٠٠  
عابس بن سعيد المرادي (٤) وكان اميا فلم يزل الى ان توفي في زمن الامير عبد العزيز  
بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي امير مصر نيابته اخيه امير المؤمنين (٧٩ و)  
عبد الملك بن امير المؤمنين مروان بن الحكم الاموي في سنة ثمان وستين للهجرة •

- 
- (١) "سليم" في كتاب القضاة ص ٥ وابن حجر، رفع الاصر (ص ٤)
  - (٢) "عسر" في مقدمة كتاب القضاة (ص ٨)
  - (٣) بياض في الاصل •
  - (٤) كذا في الاصل وهي المردي في كتاب القضاة (ص ١١) والمرادي في رفع الاصر (ص ٤)

- وولي بعده بشير (١) بن النضر المزني .
- وولي بعده عبد الرحمن بن حجير (٢) الاكبر فلم يزل الى ان توفي في سنة ثلاث وثمانين للهجرة . وقيل في هذه السنة كانت اول ولايته وان وفاته كان في سنة خمس وثمانين للهجرة والله اعلم اي ذلك كان .
- وولي بعده يونس بن عطية الخضرى فلم يزل الى ان توفي في سنة ست وثمانين للهجرة .
- وولي بعده عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الكندي . (٣)
- وولي بعده عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل ابن حسنه (٤) . ولم يزل الى ان توفي في سنة تسع وثمانين للهجرة .
- وولي بعده عبد الاعلى بن خالد بن ثابت العبسي (٥) .
- وولي بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حجير الخولاني ولم يزل الى ان عزل في سنة ثلاث وتسعين للهجرة .
- وولي بعده عياض بن عبيد الله الازدي بن السلامي ولم يزل الى ان عزل في سنة مائة للهجرة .
- وولي بعده عبد الله بن خدام (٦) ولم يزل الى ان عزل في سنة اثنتين ومائة .
- وولي بعده يحيى بن ميمون الحضرمي ولم يزل الى ان عزل في سنة اربع عشرة ومائة .

---

(١) بشر في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ٤ و هو بشير في كتاب القضاة ص ١٣  
(٢) في الاصل بدون تنقيط .  
(٣) في الجلال في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١٢  
(٤) في كتاب القضاة ص ٢٣ " الحسيني "  
(٥) عبد الاعلى بن خالد الفهمي ، رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١١  
(٦) حذامر في كتاب القضاة ص ٣٢

وولي بعده يزيد بن عبد الله بن خـدام ( ١ )

وولي بعده الجعان بن خالد المدلجي ( ٢ ) • ولم يزل الى ان توفي في سنة

خمس عشرة ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو محمد حجن تويه ( ٣ ) بن نمر بن جبريل بن ثعلب بن ربيعة بن نمر

الضرمي • وهو اول من ديون الاحباش وجعل لها ديوانا واستعفى عن القضاء

فقيل له فمن ترى يكون فأشار لخير (٤) بن نعيم وكان استعفاءه من الحكم على

ما ذكره الفراء في تاريخه في سنة (٧٩ق) احدى وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو اسماعيل خير بن نعيم بن مرة بن كعب بن عمر بن خزيمه بن اوس

الضرمي • ولم يزل الى ان عزل في سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده اوس الضرمي وعزل في سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة •

وولي بعده عبد الرحمن بن سلام (٥) بن ابي سالم الجيشاني • ولم يزل الى

ان انقرضت الدولة الاموية وعزل لما دخلت عساكر بني العباس مصر في سنة ثلاث

وثلاثين ومائة للهجرة •

واعيد بعده خير بن نعيم للقضاء ولم يزل الى ان حبس جنديا على دين فأخرجه

امير مصر فعظم ذلك على خير فعزل نفسه عن القضاء في سنة خمس وثلاثين ومائة للهجرة •

فقالوا له من تولي بعدك فقال كاتبني ولم يعد بعد ذلك الى القضاء • وتوفي في سنة

ستين ومائة وقبره عند قبر القاضي بكار بن قتيبه وهو يسزار •

---

( ١ ) حذامر في كتاب القضاة ص ٣٢

( ٢ ) الخيار بن خالد المدلجي في رفع الاصر ص ٤ ملحوظة ١٩

( ٣ ) بدون تنقيط - راجع كتاب القضاة ص ٣٦

( ٤ ) بدون تنقيط في الاصل راجع كتاب القضاة ص ٤١

( ٥ ) ابن سالم في كتاب القضاة ص ٤٦

وولي بعده غوث بن سلمان الحضرمي (١) وهو كاتب خير بن نعيم القاضي قبله  
فبقي الى ان خرج مع الامير صالح بن علي العباسي امير مصر للصابية في سنة اربع  
واربعين ومائة للهجرة .

وولي ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد الباتي والبات بالباء الموحدة والتاء المثناة  
من فوق بعد الالف بطن من حمير فبقي الى ان استعفى فأعفي وجعل مكانه يقضي  
عبد الله بن بلال الحضرمي .

وولي من بعده عوف بن سليمان (٢) سنة اربع واربعين ومائة للهجرة  
وشخص عوف الى العراق ورتب مكانه ابو خزيمه ابراهيم بن يزيد فبقي الى ان توفي  
في سنة اربع وخمسين ومائة للهجرة .

فولي ابو جعفر المنصور امير المؤمنين العباسي ابا عبد الرحمن عبد الله بن  
لهيعة بن عقبه واجرى له في الشهر وهو اول قاضي اتاه الحكم من قبل الامام العباسي  
(٨٠و) وهو اول قاضي ركب للهِلال مع الشهود . وبقي الى ان عزل في سنة اربع وستين  
ومائة للهجرة .

وولي بعده اسماعيل بن اليسع الكوفي الخنفي . كان يذهب الى قول الامام  
ابي حنيفة رضي الله عنه . فكتب الليث بن سعد الى الخليفة ببغداد ان اصرفه عنا  
فصرفه .

وعاد الى القضاء غوث بن سلمان كاتب خير بن نعيم فلم يزل الى ان توفي  
في سنة ثمان وستين ومائة . وقيل انه هو اول قاضي ركب للهِلال وقيل ابن لهيعة  
على ما قدمنا شرحه . فولي بعده المفضل بن فضالة بن عبيد العساني (٣)

(١) غوث بن سليمان الحضرمي - رفع الاصر ص ٥ ملحوظة ٥

(٢) بياض في الاصل .

(٣) بدون تنقيط وهي العتبان في كتاب القضاة ص ٦٥ .

وهو اول قاضي اطلال الكتب • وكان من فضلاء الناس وخيارهم • وقبره رحمة الله  
احد المزارات • وهو وولده في قبر واحد • وعزل في سنة تسع وستين ومائة للهجرة •

وولي بعده ابو طاهر (١) عبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن حزم الاعرج

الانصاري • ولم يزل الى ان استعفى فأعفي في سنة اربع وسبعين ومائة للهجرة ،

ثم اعيد المفضل بن فضالة وعزل في صفر سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة •

وولي محمد بن مسروق الكوفي • ولم يكن محمودا في ولايته • وبقي الى ان خرج

للعراق في سنة اربع وثمانين ومائة للهجرة • واستخلف عنه اسحق بن الفرات التجيبي

بعد التاء المثناة من فوقها جيم فبقي الى صفر سنة خمس وثمانين ومائة للهجرة وعزل •

وولي بعده عبد الرحمن بن عبد الله بن المحرر (٢) بن عبد الملك بن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول من دون اسماء الشهود • وعزل في خلال سنة

اربع وتسعين ومائة •

وولي بعده هشام (٣) بن ابي بكر البكري <sup>من</sup> اولاد ابي بكر الصديق رضي الله

عنه وكان حنفي المذهب • وتوفي في غره المحرم سنة ست وتسعين ومائة للهجرة وهو

على الحكم •

فولي مكانه (٨٠ق) ابراهيم بن البكا (٤) وواه الامير جابر بن الاشعث امير

مصر وصرف جابر وعزل ابراهيم بعده في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة •

وتولى مكانه لهيعة بن عيسى • فلم يزل على القضاء الى ان قدم المطلب بن عبد

الله اول سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة فعزلته •

---

(١) ابو الظاهر • رفع الاصر ص ٥ ملحوظة ١٤  
(٢) لعلمها المحير وهو عبد الرحمن بن عبد الله العمري - كتاب القضاة ص ٧٨ ورفع الاصر  
ص ٥ ملحوظة ١٥ (٣) هاشم في كتاب القضاة ص ٩٣  
(٤) كذا في الاصل وهو ابن البكا في كتاب القضاة ص ٩٧ وهي بدون همزة في رفع الاصر  
ص ٥ ملحوظة ١٧ •

وولي بعده الفضل بن غانم ثم عزله واعاد لهيعة بن عيسى . فلم يزل على القضاء حتى توفي في ذي القعدة سنة اربع ومايتين للهجرة .

فتولى بعده السرى بن الحكم وامير مصر يومئذ ابراهيم بن اسحق العارمي حليف بني زهرة فاستعفى فأعفي .

وولي مكانه ابراهيم بن الجراح . وكان يذهب الى قول الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . فلم يزل قاضيا الى ان قدم الامير عبد الله بن طاهر مصر اميرا في سنة احدى عشرة ومايتين للهجرة فعزله .

وولي مكانه عيسى بن المنكدر ( ١ ) بن محمد بن المنكر . واجرى له عبد الله بن طاهر في الشهر اربعة الاف درهم . وهو اول قاضي اجرى عليه ذلك فلم يزل الى ان قدم الامير المعتصم بن هرون الرشيد العباسي مصر اميرا زمن اخيه امير المؤمنين المأمون في سنة اربع عشرة ومايتين وكلم فيه احمد بن ابي داؤاد قاضي العراق فاشخصه الى العراق وتوفي هناك .

وبقيت مصر بغير قاضي . وقدم امير المؤمنين المأمون الخليفة الى مصر في خامس المحرم سنة سبع عشرة ومايتين للهجرة ولم يقدم احد من خلفاء بني العباس مصر في خلافته الا المأمون هذا .

وولي القضاء بمصر يحيى بن اكنم فحكم ثلاثة ايام بها وخرج امير المؤمنين المأمون الى سخاو واصلح احوالها وتوجه الى الاسكندرية ( ٨١و ) وعاد الى مصر وخرج عنها في الخامس من صفر من هذه السنة . وجعل القضاء بمصر الى هرون بن عبد الله الزهري قلده ذلك وهو بالشام . فقدم الى مصر بعد ليال بقين من شهر رمضان

---

( ١ ) كذا في الاصل وفي كتاب القضاة ص ١١١ لكنها المتكدر في رفع الاصر ص ٥ ملحوظه ٢٢

سنة سبع عشرة ومايتين للهجرة • فلم يزل قاضيا الى سنة ست وعشرين ومايتين للهجرة  
فصرف عن القضاء •

وولي مكانه محمد بن ابي الليث الاصم الى شهر ربيع الاول من سنة خمس وثلاثين  
ومايتين للهجرة • فعزل وجس ويقيت مصر بغير قاضي حتى وليها الحارث بن مسكين  
في جمادى الاخره سنة سبع وثلاثين ومايتين • جاءته الولاية وهو بالاسكندرية فلم  
يزل قاضيا الى ان صرف عنها يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الاخر سنة خمس  
واربعين ومايتين للهجرة •

وولي بعده عبد الرحمن بن ابراهيم بن الس (١) الدمشقي • جاءته الولاية  
وهو في الرملة من اعمال فلسطين • فتوفي قبل ان يصل الى مصر في سنة خمس واربعين  
ومايتين للهجرة •

تولى بعده القاضي بكار بن قتيبة ابن اسد بن ابي بردعه بن عبيد الله بن  
بشير بن ابي بكره الحارثمولي رسول الله صلى الله عليه وسلم البصري من اهل البصرة •  
ودخل الى مصر لثمان خلون من جمادى الاخره سنة ست واربعين ومايتين للهجرة •  
وبقي الى سنة سبع وستين ومايتين للهجرة وهي السنة التي اعتقل فيها القاضي بكار  
المذكور • وكان السبب في ذلك على ما حكاه المؤرخون في كتبهم ان الخليفة  
المعتمد على الله ابا العباس احمد بن المتوكل على الله جعفر بن هرون الرشيد  
العباسي كان مشتغلا ببلداته • فخرج عليه صاحب الزنج وقام بالحرب الموفق اخو  
المعتمد وطال موافقته لصاحب الزنج فقصد الموفق القدوم الى مصر وسها الامير احمد  
بن (٨١ق) طولون • فبلغ ذلك اخاه المعتمد فسير اليه واعاده عن هذا الرأي  
استبقا لابن طولون • وكان جرى بين الامير احمد بن طولون وبين الامير الموفق

---

(١) في رفع الاصر ص ٦ ملحوظة ٣ هو ابن ابراهيم الدمشقي •

مكاتب مقتضاها تسيير الجند والعمال اعانه له على صاحب الزنج فقصر عنه احمد بن طولون . فندب اليه الموفق عسكريا . فقاتله احمد بن طولون فكسره . وجرت احوال فلما بلغ ابن طولون ذلك سير الى فقهاء مصر وكان بالشام فتوجهوا اليه الى دمشق في سنة سبع وسبعين ومايتين للهجرة . وكان في جملة الفقهاء قاضي مصر القاضي بكار بن قتيبه فقال لهم احمد بن طولون ان الموفق خلع طاعة اخيه المعتمد . وكان الموفق ولي عهد اخيه فأفتوا (٨١و) فقهاء مصر بخلع الموفق من ولاية العهد . فتوقف بكار بن قتيبه عن خلعه . فقال له الامير احمد بن طولون : لم لاتوافق الفقهاء ؟ فقال له : انت اوردت علي كتاب الخليفة المعتمد بولاية اخيه الموفق فأورده علي بخلعه . فقال هو الآن مغلوب مقهور في يديه وانا ايضا احبسك حتى يرد كتابه باطلاقك . فقيده وسيره الى مصر وحبسه . وكان بن طولون كل سنة يصله بالف دينار فعاد طالبه بها فسيرها اليه بختمها . وكان عدتها ستة عشر كيسا . وبقي القاضي بكار محبوسا الى آخر ايام احمد بن طولون .

ورثب في الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شادان الجوهري . وبقي القاضي بكار معتقلا الى ان توفي الامير احمد بن طولون في ليلة الاحد لعشر بقين من ذي القعدة سنة سبعين ومايتين للهجرة . وتوفي القاضي بكار بعده في يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة . ومولده في (٨٢و) سنة اثنتين وثمانين ومائة ومدة ولايته القضاء اربعا وعشرين سنة وستة اشهر وستة عشر يوما وكان عالما زاهدا . حدث بالكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وله اخبار مشهورة . وقد تقدم ذكره . وقبره احد المزارات بالقرنة بسفح الجبل المقطم .

وولي بعده ابو عبد الله محمد ابن عبدة بن حرب البصري . ثم استتر بسبب فتنه بني طولون فأقام مستترا عشر سنين وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومايتين للهجرة . وبقيت مصر بغير قاضي الى ان ولي ابو زرعة محمد

بن عثمان الدمشقي وعزل في صفر سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة • وتوفي ابو زرعة بالشام في سنة اثنتين وثلاثماية •

واعبيد ابو عبد الله محمد بن عبده بن حرب في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومايتين للهجرة • وعزل عن الحكم في مستهل شهر رجب من هذه السنة لان الامير استصحبه معه الى الشام وولاه قضاء حلب • وولي ابا ملك بن ابي الحسن الصغير ثم ولي ابا عبيد على بن الحسن بن حرب بن عيسى بالشام • وكان قدومه مصر لليلتين خلتا من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومايتين للهجرة • وبقى الى ان عزل في سنة احدى عشره وثلاثماية •

وولي مكانه ابو الذكر محمد بن يحيى بن مهدي بن هرون بن عبد الله بن هرون بن ابراهيم الاسواني خليفة لابي يحيى عبد الله بن ابراهيم بن مكرم الى ان عزل ثاني عشر صفر سنة اثنتي عشره وثلاثماية •

وولي مكانه ابو محمد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد العظيم بن عبد الله بن عبد الاعلى (١٠٠٠) في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشره وثلاثماية •

وولي مكانه ابو علي عبد الرحمن بن اسحق بن محمد بن معمر بن (٨٢ ق) حبيب بن المنهال السدوسي وصرف سابع شهر ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلاثماية • وولي ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد بن اسحق بن اسماعيل بن حماد في الثامن من شهر ربيع الاخر سنة اربع عشرة وثلاثماية • وعزل عن القضاء في ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاثماية •

وولى مكانه ابو محمد عبد الله بن احمد بن ربيعة بن سلمان بن خالد بن عبد الرحمن الربيعي من اهل دمشق • وعزل عنها لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثماية • وعاد اليها ابو عثمان احمد بن ابراهيم بن حماد • وعزل عنها في سابع شهر ربيع الآخر سنة عشرين وثلاثماية للهجرة واعيد اليها ابو محمد عبد الله الربيعي وعزل عنها في عاشر صفر سنة احدى وعشرين وثلاثماية •

وولى مكانه هاشم اسماعيل بن عبد الواحد بن محمد الربيعي المقدسي الشافعي وعزل في عاشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة •

وولى مكانه ابو جعفر احمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم اللينورى في شهر جمادى الآخرة • ثم عزل في سابع شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية •

وولى ابو عبد الله محمد بن موسى بن اسحق السرخسي • وقي الى سنة اربع وعشرين وثلاثماية •

وولى ابو بكر محمد بن احمد بن محمد بن جعفر بن الحداد الكتاني الفقيه وعزل في شهر ربيع الاول سنة اربع وعشرين وثلاثماية •

وولى بعده ابو بكر محمد بن بدر مولي ابن حكيم خلافة لمحمد ابن الحسن بن ابي الشوارب • وتكرر حاله بها الى ان توفي وهو في ولايته على القضاء سنة ثلاثين وثلاثماية للهجرة •

وولى ابو محمد عبدالله بن احمد بن شعيب بن الفضل بن ملك ابن دينار يعرف بأبن اخت وليد وعزل • واعيد اليها ابو بكر بن (٨٣ و) الحداد • وعزل في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية للهجرة • واعيد ابو محمد عبدالله ابن اخت وليد وعزل ايضا في سنة ثلاث وثلاثين السنة المذكورة •

وولى عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز بن عبد الله العباسي الهاشمي

وكان خليفه لآخيه ثم عزل عنها في نصف ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلاثماية للهجرة •

وولى ابوبكر عبد الله ابن محمد بن الخطيب بن الصقر بن حبيب الاصمهاني

المعروف بالخصي تولى في سنة ١٠٠٠ (١) وتوفي في سنة ثمان واربعين وثلاثماية للهجرة •

وولى بعده ولده ابو عبد الله محمد بن عبد الله • اقام خمسا واربعين يوما

ومات • فولى كافور الاخشيدى مكانه ابا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر

بن مخبر بن صالح بن اسامه • الدهلي في نصف شهر ربيع الاخر سنة ثمان واربعين

وثلاثماية فبقي الى آخر الدولة الاخشيدية •

وجاءت الدولة العبيدية فأبغاه الامير جوهر الرومي الذي ارسله المعز العبيدى

صاحب الغرب من الغرب الى مصر • واستولى عليها ونى القاهرة المحروسة على القضاء •

وورد المعز لدين الله اول العبيد بين بالديار المصرية ديار مصر واستقر بالقصر بالقاهرة

المحروسة التي بناها له مولاه جوهر المقدم ذكره • واقتر المعز هذا القاضي على ولايته

فلم يزل الى ان توفي المعز وقام بالامر من بعده ولده العزيز • فأقر القاضي المذكور

على ولايته ثم عزله في صفر من سنة ست وستين وثلاثماية للهجرة • وهو من القضاء

المشهورين بالحديث والعلم وطول المدة •

وولى العزيز بالله بن المعز العبيدى مكانه ابا الحسن على بن النعمان بن

محمد بن منصور بن احمد بن حيون المغربي • وكان قدم مع المعز من الغرب • وولاه

العزيز مضافا للقضاء الخطابة والامامة والعيار في الذهب والنظر في الحكم بمصر

والقاهرة واعمالها (٨٣ق) والمغرب والحرمين الشريفين مكة والمدينة • وهو اول

قاضي نعت بقاضي القضاء بالديار المصرية واول من نعت بهذا النعت في الاسلام

القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنهما نعته بقاضي القضاة امير المؤمنين هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي ببغداد . وكان لا يدعى بقاضي القضاة الا قاضي بغداد . وكان ساير القضاة بجميع البلاد التي تحت حكم الخليفة قاضي بغداد هو الذي يوليهم .

فايدة تذكر زيدتها في هذا المكان وهي اول ملك نعت بالملك في ملوك الاسلام عند الدولة بن بويه الديلمي ملك بغداد مع الخليفة . واول من نعت بالسلطان في ملوك الاسلام محمود بن سبكتكين سلطان العجم .

نرجع لذكر القاضي ابن النعمان . لم يزل على ولايته الى ان توفي في السادس من شهر رجب من سنة اربع وسبعين وثلاثماية للهجرة واورده المسبحي في تاريخه شعرا ودفن بتريقه عن مسجد الاقدام .

وتولى مكانه اخوه ابو عبدالله محمد بن النعمان فبقي الى ان توفي في رابع صفر سنة تسع وثمانين وثلاثماية للهجرة . ودفن عند اخيه . وكان اديبا شاعرا ذكر له المسبحي ابيات . قال المسبحي : ورأى القاضي محمد بن النعمان رؤيا فأحضر ابن قديده المفسر فقال له : رأيت كأن الباري عز وجل نزل من السماء . فلما بلغ ارى مات فقال له ابن قديده : ان الله هو الحق وموته ابطاله . وان الحق لا يزال حيا حتى يصير اليك فيموت . فأطرق القاضي ومات بعد مدة يسيرة .

وتولى الحكم بعد ابن النعمان ابن اخيه الحسين بن علي بن النعمان ابو عبدالله فبقي الى ان عزل .

وولى بعده ابو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ابن عمه وعزل في يوم الجمعة (٨٤و) سادس عشر شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلاثماية .

وولى مكانه مالك بن سعيد بن مالك الفارقي . وكان قاضي اطرابلس واختص به فلم يزل الى ان صرفه وقتله الحاكم بن العزيز بن المعز العبیدی في يوم السبت لاربع ليال بقيت من شهر ربيع الاخر سنة خمس واربعمائة .

وولى مكانه ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي العوام يوم الاحد حادى عشر جمادى الاخرة سنة خمس واربعمائة . فلم يزل الى ان توفي لعشر بقين من شهر ربيع الاول من سنة ثمان عشره واربعمائة .

فولى مكانه قاسم بن عبدالله بن النعمان في رابع جمادى الاول من سنة ثمان عشرة . وعزل عنها لخمس بقين من شهر رجب من سنة تسع عشره واربعمائة .

وولى مكانه ابو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي في التاريخ المذكور ثم عزل في سابع عشر ذى الحجة سنة سبع وعشرين واربعمائة للهجرة واعيد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان واستخلف عنه القاضي القاضي مصنف الشهاب ثم صرف عنها .

وولى ابو احمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم ثم صرف عنها واعيد اليها قاسم بن عبد العزيز بن النعمان وصرف عنها في ثاني المحرم سنة احدى واربعين واربعمائة . وتولى ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى (1) ثم بعد ذلك اضيف اليه الوزارة وهو اول قاضي جمع له بين القضاء والوزارة . فلم يزل عليها الى ان صرف في مستهل شهر الله المحرم سنة خمسين واربعمائة للهجرة .

تولى بعده ابو علي احمد بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف عنها في ذى القعدة من هذه السنة وتكرر في القضاء والوزارة غير مدة . ووليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب وصرف عنها في سنة اثنتين وخمسين واربعمائة للهجرة وتكرر في القضاء (٨٤ ق) غير دفعه .

ووليها ابو عبد الله احمد بن محمد بن ابي زكريا في حادى عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين واربعماية . فلم يزل الى ان توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين واربعماية للهجرة . فأعيد اليها ابو علي احمد بن قاضي القضاء عبد الحاكم بن سعيد الفارقي رابع عشر صفر . وصرف عنها خامس شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين السنة المذكورة . واعيد اليها ابو القاسم عبد الحاكم بن وهيب (١) ثم صرف عنها في سنة خمس وخمسين واربعماية ثم ولي الوزارة والقضاء ابو محمد الحسن بن مجلي بن اسد بن ابي كدينه (٢) في رابع عشر شعبان وقبر عليه في ذى الحجة وتكرر في القضاء والوزارة دفعات تزيد على اثني عشر كرة .

وتولى ابو الحسين علي بن عبد الحاكم ثامن عشرى شهر ربيع الاخر سنة ست وخمسين واربعماية . وصرف عنها في خامس جمادى الاخره متبها ثم رتب في الحكم عند دخول الامير بدر الجمالي امير الجيوش ابو يعلي حمزة بن الحسين بن احمد العرقى (٣) فلم يزل في الحكم الى ان توفي .

فولى ابو الفضل طاهر بن علي القضاعي لعله ولي في سنة ثلاث وسبعين واربعماية . ثم ولى بعده جلال الدولة ابو القاسم على بن عمار ثم صرف . وولى بعده ابو الفضل هبة الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن نباته لعله ولايته كانت في رابع شعبان سنة خمس وسبعين واربعماية . ثم ولى من بعده ابو الفضل بن عتيق . ثم ولى من بعده ابو الحسن على بن يوسف بن الكحال النابلسي . ثم ولى من بعده فخر الاحكام ابو الفضل محمد بن عبد الحاكم المليجي . كانت

(١) "ابن وهب" رفع الاصر ص ٨ ملحوظة ٦

(٢) بدون تنقيط في الاصل . راجع رفع الاصر ص ٨ ملحوظة ١٤

(٣) بدون تنقيط في الاصل . راجع رفع الاصر ص ٩ ملحوظة ١٠

ولايته في سنة سبع وثمانين واربعمائة . ثم ولي (٨٥و) من بعده ابو الطاهر محمد بن رجاء فلم يزل الى ان توفي في سنة ثلاث وتسعين واربعمائة . وولي مكانه ابو الفرج محمد بن جوهر بن دكي النابلسي . فلم يزل الى شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين واربعمائة فصرف .

وتولى ابو الفضل نعمه بن بشير الجليس النابلسي ثم استعفى في سنة اربع وخمسمائة فأعفى . وولي مكانه الرشيد عماد الاحكام ابو عبد الله محمد . وقيل احمد بن قاسم الصقلي (١) ولم يزل الى ان توفي فأعيد القضاء الى ابن الجليس النابلسي ثم صرف .

وولي مكانه فقه الملك عمدة الاحكام ابو الفتح مسلم بن علي الرسعني ذكر في الحكم في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة . ولم يزل قاضيا الى ان وزر المأمون بن البطائحي . فاتفق ان المأمون عمل عزاء للامير محمود بن ظفر والى قوص . فلما كان وقت صلاة الصبح قدمه المأمون للصلاة . فلما احرم ادركه هلع فلحن وارتج عليه في قراءة " والشمس وضحاها " فوقف عند قوله " ناقة الله وسقياها " فردها المأمون عليه فزاد استبهاما . فكرر المأمون الرد على القاضي فلم يهتدى . وصدق قوله " ناقة الله وسقياها " فقال " وسقياها " . فقرأ المأمون بقيه السورة عنه وسجد وسجد الناس لسجوده . ثم قام في الركعة الثانية وقد دهش . فلم يفتح عليه بشيء . وكمل المأمون الصلاة وفرغ فلما انقض الناس من المجلس وكل المأمون على القاضي حتى يحفظ من القرآن ما يصلي به وصرفه . واستخدم عوضا منه ابا الحجاج يوسف بن ايوب المغربي وكان قاضي الغربيه . فلم يزل الى ان توفي في سنة احدى وعشرين وخمسمائة . فولي القاضي سناء الملك ابو عبد الله محمد بن هبة الله

---

(١) هو احمد بن قاسم بن زيد الصقلي الملقب بالقاضي الرشيد رفع الاصر ص ١٠ ملحوظة ٥ .

بن ميسر القيسراني (١) (٨٥ق) في ايام الامر العبيدي . وولاه الوكالة والنظر في المقياس وغيره . ولم يزل الى ان تولى الخلافة بالديار المصرية الحافظ العبيدي فعزله في سنة ست وعشرين وخمسمائة للهجرة .

نكته : اول من رتب اربع حكام على اربع مذاهب ابن امير الجيوش في الدولة العبيدية ، حكي القاضي جمال الدين ابن تنكرانه وجد في تعاليق خاله العماد بن اخي العلم انه في سنة خمس وعشرين وخمسمائة عند قيام الامير ابي على بن الافضل امير الجيوش بأمر الملكة رتب ان يكون في الحكم اربع قضاة على اربع مذاهب . وهم الفقيه سلطان بن رشأ الفقيه الشافعي قاضي الشافعية وابو محمد عبد المولى بن الليثي الفقيه المالكي قاضي المالكية وابو الفضل بن الازرق الاسماعيلي قاضي الاسماعيلية . وابن ابي كامل الفقيه الامامي قاضي الامامية . وان المذكورين استمروا الى آخر السنة . فرق بين هؤلاء القضاة والقضاة الذين ولاهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لان في هؤلاء من مذهبه غير مذهب اهل السنة . ومن ولاهم الملك الظاهر جميعهم اهل السنة والجماعة .

وذكر بعضهم ان القاضي سناء الملك بن ميسر القيسراني رسم له ان لا يحكم الا ويكون عنده اربع فقهاء من جملتهم الفقيه سلطان بن رشا المذكور . حتى قيل ان الفقيه سلطان غاب يوما عن المجلس فأوجب توقف امر الحكم لغيبته . فقال بعض الحاضرين : فانفذوا لا تنفذوا الا سلطان الاية (٢) .

ولما عزل الحافظ العبيدي القاضي سناء الملك بن ميسر في سنة ست وعشرين وخمسمائة ولي ابو الفخر (٨٦و) صالح بن عبد الله بن رجا في مستهل شهر ربيع الاول من سنة ست وعشرين وخمسمائة . ثم قبض عليه وقتله . وولي مكانه سراج

(١) القيرواني في رفع الاصر ص ٩ ملحوظة ٢ و ص ١٠ ملحوظة ١١  
(٢) سورة الرحمن ٥٥ آية رقم ٣٣ .

الدين ابو الشرايا نجم بن جعفر . ولم يزل الى ان قتل في يوم الخميس ثامن شوال سنة ثمان وعشرين وخمسماية . واعيد الحكم لابي عبدالله محمد بن هبة الله بن مبشر (١) القيسراني . فلم يزل الى ان عزل عن الحكم في يوم الاحد لسبع خلون من المحرم سنة احدى وثلاثين وخمسماية . وارسل الى (٢) ٠٠٠٠٠٠ وقاتل بها عشية يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة سنة احدى وثلاثين وخمسماية .

وكان السبب في ذلك ان الامير حسين بن امير الجيوش لما اعتقل الحافظ العبيدي انشد على بن (٣) ٠٠٠٠ الاسكندري الشاعر قصيدة مدح بها الامير حسين بن امير الجيوش وضم الحافظ واهل بيته اقبح ذم واولها تبسم الدهر لكن بعد تعبيس ومر في قوله :

هذا سليمانكم قد رد خاتمته واستفرغ الملك من صخر ابن ابليس .  
فلما سمع القاضي ابن مبشر المذكور هذا البيت قام والقى عريضه طربا . ثم ان القاضي بعد ذلك لما اسقط ابن الزعفراني شاع عنه ما انسى الدهر ذكره فقتل بها والله اعلم .

وولي القضاء بعد ابن مبشر الاعز ابو المكارم احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عقيل . ولم يزل الى ان توفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية . واقام الوقت بغير قاض الى ان ولي فخر الامناء ابو الفضائل هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن بحر الانصاري (٨٦ق) الاوسي المعروف بأبن الازرق لاحدى عشرة ليلة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية . وعزل في ثالث عشر جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين وخمسماية . وولي القاضي الموفق في الدين

(١) وردت سابقا بدون تنقيط .

(٢) بياض في الاصل مقدار كلمه .

(٣) كلمة مطموسة .

ابو الطاهر اسماعيل بن سلامه الانصارى • فأقام الى مستهل المحرم سنة خمس وثلاثين  
وخمسمائة • واشيع بانه يعزل • ثم استقل وبقي الى ان صرف لسبع خلون من صفر  
سنة ثلاث واربعين وخمسمائة للهجرة • وولى مكانه ابو الفضائل يونس بن محمد  
بن الحسن المقدسي المعروف حوامرد (١) القرشي • فبقي الى ان صرفه العادل  
بن السلار في سنة سبع واربعين وخمسمائة وكان صالحا دينيا •

وولى مكانه الفقيه ابو المعالي مجلي بن جميع بن نجا المخزومي مصنف الذخاير  
فاقام الى ان صرفه الصالح بن رزيك الذى بنى جامع الصالح خارج بابي زويله بالقاهرة  
المحروسة • واعاد ابا الفضائل يونس ثم صرفه واعاد ابا المعالي وقبيل ان يونس المذكور  
ولى دفعة اخرى في سنة ثمان وخمسين كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

وتولى بعده مجلي القاضي جلال الدين ابو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل  
بن عبد الكريم الصورى في تاسع شعبان سنة سبع واربعين وخمسمائة • وصرف في العشر  
الاخير من محرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة • واعيد الحكم للقاضي يونس ولاء شاور الوزير  
ثم صرف واعيد القاضي جلال (٢) الدين بن كامل في العشر الاول من ذى الحجة من هذه  
السنة • ثم صرف في شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وخمسمائة للهجرة •

وتولى القاضي الاعز (٨٧و) ابو محمد الحسن بن علي بن سلامه المعروف بالعموريس •  
ثم صرف وتولى ابو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى ثم صرف • واعيد القاضي  
جلال الدين ابن كامل للقضاء في ذى الحجة سنة خمس وستين وخمسمائة • ثم صرف  
في سادس عشر جمادى الاول سنة ست وستين وخمسمائة •

(١) كذا في الاصل •

(٢) في الاصل بدون اللام الاخيرة •

وولي القاضي صدر الدين بن الملك بن عيسى بن درباس بن سـ (١) بن عبدوس  
الماراي (٢) • وكان قاضي الغربية • وتولي في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة  
سنة ست وستين وخمسماية للهجرة • وبقي الى ان عزل بعد وفاة السلطان  
صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الذى كان زوال  
الدولة العبيدية من الديار المصرية على يديه • واعاد اليها الدولة العباسية •  
وتولي مكان القاضي صدر الدين القاضي زين الدين علي ابن يوسف الدمشقي  
يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول في سنة تسعين وخمسماية • ولم  
يزل الى ان صرف في يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الاول سنة احدى  
وتسعين وخمسماية • وتولي في بقية النهار القاضي محي الدين ابو حامد  
محمد بن عبد الله بن هبة الله بن ابي عصرون • ولم يزل الى ان عزل في يوم الاحد  
سادس عشر محرم سنة اثنتين وتسعين وخمسماية • واعيد القاضي زين الدين علي  
بن يوسف الدمشقي • وعزل في يوم السبت ثالث المحرم سنة اربع وتسعين وخمسماية  
للهجرة • واعيد القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس ثم عزل في العاشر  
من جمادى الاول سنة خمس وتسعين وخمسماية • واعيد القاضي زين الدين علي  
بن يوسف الدمشقي ثم (٨٧ق) عزل عنها في يوم الاثنين تاسع عشر شهر ربيع  
الآخرة سنة ست وتسعين وخمسماية • واعيد اليها القاضي صدر الدين عبد الملك  
واضيف اليه دار الضرب والحسبة والخطابة والاحباس • ولم يزل الى ان توفي يوم الاربعاء  
خامس شهر رجب الفرد من سنة خمس وستماية للهجرة • وبقي الامر بحكم النواب الى يوم  
الاثنين الثامن من شهر رمضان من هذه السنة • فتولي القاضي عماد الدين ابو

---

(١) كذا في الاصل

(٢) على الهامش بخط آخر " جهنم بن " •

القاسم عبد الرحمن بن عبد الاعلى بن السكرى . ولم يزل قاضيا الى الثاني عشر من المحرم سنة ثلاث عشره وستماية . فصرف وبقي الامر يحكم فيه النواب الى مستهل صفر من هذه السنة فرتب القاضي شرف الدين ابو المكارم محمد بن عين الدولة في القاهره والوجه البحرى .

ورتب بمصر والوجه القبلي القاضي تاج الدين ابو محمد عبد السلام بن علي بن الخراط . فلم يزل الامر على ذلك الى ان جرت حالة اوجبت عزل القاضي تاج الدين عبد السلام بن الخراط في العشر الاخير من شعبان سنة سبع عشرة وستماية . وفوض الامر للقاضي شرف الدين ابن عين الدولة فاستمر قاضي القضاء بجميع احوال الديار المصرية خلا ثغر الاسكندرية مدة زمن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر نجم الدين ايوب بن شادى بن مروان الايوبي ابن اخي السلطان صلاح الدين يوسف لما كان يرى فيه من الديانة والصيانة والتعفف . وكان رجلا صالحا عالما ورعا عارفا بالاحكام . وكان الملك الكامل يعظمه ويكرمه بسبب ذلك وله معه حكايات . منها ما حكى انه رآه يوما بالطريق ( ٨٨٠ و ) فسلم عليه ورد له لشغله فوصف ما هو عليه من دين وعفه ومعرفة وعلم فقال : ومع هذا فما القاضي الاكبر السن و اشار لبعض خواصه ان يرد اليه ويستعلم منه كم مضى من عمره . فلما حضر الى القاضي واعلمه ما قال الملك الكامل اخذ ورقة وكتب فيها :

ياسائلي عن قوى نفسي وما صنعت	فيه السنون خذ التحقيق تبيننا
ثاء الثلاثين ادركت القبور بهـ	فكيف حالي في ثاء الثمانينا
يارب فالطف بشيخ مدنف هم	اسير ضعف اعنه رب آمينا

ودفعها اليه فجاء بها الى الملك الكامل . فلما وقف عليها زاد حباله وفضلته وحسن  
ادبه . ولما توفي الملك الكامل وتولى بعده ولده الملك العادل اقر القاضي شرف  
الدين على امره .

فلما جاءت الدولة الصالحة واستقر الامر بعد خلع الملك العادل لاختيه الملك  
الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل في يوم الجمعة الثالث عشرى شوال من سنة  
سبع وثلاثين وستماية . اقر القاضي شرف الدين على امره . فلما كان يوم الخميس  
عاشر شهر ربيع الاخر من سنة تسع وثلاثين وستماية . رتب القاضي شرف الدين  
في قضاء القاهره والوجه البحرى . ورتب في قضاء مصر والوجه القبلي القاضي بدر  
الدين السنجارى . فلم يزل الى ان توفي القاضي شرف الدين بن عين الدولة في تاسع  
عشر ذى القعدة من هذه السنة سنة تسع وثلاثين وستماية .

وتولى بعده القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القاهرة والوجه البحرى .  
وتولى قضاء مصر والوجه القبلي القاضي عز الدين بن عبد العزيز عبد السلام  
فلم يزل الى ان صرف ( ٨٨ ق ) عن الحكم في سنة ٠٠٠٠ ( ١ ) وستماية واضيفت اليه  
خطابة مصر .

وتولى مكانه في قضاء مصر والوجه القبلي القاضي افضل الدين الخونجى  
( ٢ ) فلم يزل الى ان توفي في شهر رمضان من سنة ست واربعين وستماية . وكان  
يخلفه في الاحكام الحمال ٠٠٠٠ ( ٣ ) فلم يزل الى ان تولى القاضي عماد الدين  
الحموى . فبقى الى ان عزل في الثامن من جمادى الاول سنة ثمان واربعين  
وستماية .

---

( ١ ) بياض في الاصل  
( ٢ ) افضل الدين محمد بن ناماورد الخونجى . رفع الاصر ص ١٢ ملحوظة ٧ .  
( ٣ ) بياض في الاصل

وتولى القاهرة والوجه البحرى وصف عنها القاضي بدر الدين السنجارى .

ورتب قاضيا بمصر والوجه القبلى القاضي صدر الدين موهوب بن عمر  
الجزرى . وكان نائبا عن القاضي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام . ثم عزل  
واعيد القاضي عماد الدين الحموى بمصر والوجه القبلى واعيد القاضي  
بدر الدين السنجارى الى قضاء القاهرة والوجه البحرى وذلك فى التاسع  
والعشرين من شهر رجب الفرد من سنة ثمان واربعين وستماية . ثم بعد ذلك  
بأيام يسيرة اضيف للقاضي بدر الدين السنجارى مصر والقاهرة واعمالها وذلك  
فى العشر الاول من شوال من هذه السنة . ثم عزل القاضي بدر  
الدين السنجارى عن القضاء بمصر وكان يخلفه فيه اخوه برهان الدين  
وكان عزله فى هذه المرة عن مصر فى يوم الاحد الحادى عشر من شهر  
رمضان سنة اربع وخمسين وستماية .

ورتب فيها القاضي تاج الدين عبد الوهاب الشافعى الشهير

بابن بنت الاعز . ثم عزل القاضي بدر الدين السنجارى عن  
القاهرة والوجه البحرى واطيف ذلك للقاضي تاج الدين ابن  
بنت الاعز . فبقى كذلك الى ان توفى الملك ( ٨٩٠ ) المعزايىك  
اول الملوك التركية بالديار المصرية فى ليلة الاربعاء خامس عشرى شهر ربيع الاول من

سنة خمس وخمسين وستماية • وقيل انه تولى الوزارة للملك العز • والاظهر انه لم يلبها في ايامه • ولم يزل في القضاء الى ان عزل في مستهل شهر ربيع الاخر من هذه السنة سنة خمس وخمسين من القاهرة والوجه البحرى •

وولى القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القاهرة والوجه البحرى • ثم ولى القاضي بدر الدين السنجارى المذكور الوزارة مضافا لقضاء القاهرة والوجه القبلي • وولى في الوجه القبلي قضاة من جهته • وبقي مع القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز مصر خاصة الى ان استدعى القاضي تاج الدين المذكور وخوطف في الوزارة فأجاب الى ذلك واستخدم فيها في السادس من شهر رجب من سنة خمس وخمسين وستماية وصرف عن الحكم بمصر •

وتولى القاضي بدر الدين السنجارى قضاء القضاة بجميع الديار المصرية • وسار الى مصر وحكم بها يوم الاحد نصف شهر رجب الشهر المذكور • وبقي الى ايام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى فصرف في التاسع من جمادى الاول من سنة تسع وخمسين وستماية •

وتولى القاضي تاج الدين ابو محمد عبد الوهاب بن بنت الاعز قضاء القضاة بالديار المصرية • ولم يزل الى سلخ شوال من هذه السنة فصرف عن قضاء مصر والوجه القبلي •

وتولى القاضي برهان الدين السنجارى قضاء مصر والوجه القبلي • فلم يزل الى الثالث من شهر رمضان من سنة تسعين وستماية فعزل • واعيدت مصر والوجه القبلي مضافا للقاهرة للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت (٨٩ق) الاعز •

وكان القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز المذكور متشددا في الاوامر الضرورية السلطانية .  
واوجب الامر السلطاني اليه ان يستنيب عنه في الاحكام مدرسي المدرسة الصالحة  
النجمية على المناهب الاربعة اهل السنة والجماعة . ففعل ذلك . وجلس القاضي  
صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس  
الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي . كما قدمنا شرحه . واستمر الامر على ذلك الى هذه  
السنة وهي سنة ثلاث وستين وستماية فجرى للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن بنت  
الاعز بحضور السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور امور اوجبت انه امر باستقلال النواب  
المذكورين في القضاء . من كل مذهب قاضي فاستقلوا به مضافا للقاضي تاج الدين  
ابن بنت الاعز كما سنذكره ان شاء الله تعالى .

قال بعض اهل التاريخ : كان الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي يكره  
القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ويحط عليه ويحط من قدره عند السلطان الملك  
الظاهر بسبب ثبته وتوقفه في القضايا التي لاخير فيها ولا توافق مذهبه . فانفق  
ان السلطان الملك الظاهر جلس يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة  
بدار العدل وقدمت قصة من بنات الملك الناصر مضمونها ان المماليك اشتروا دار قاضي  
القضاة بدر الدين السنجاري في حال حياته وان ورثته بعد موته ذكروا انها وقفها  
او حبسا . فلما قرئت اخذ الامير جمال الدين ايدغدي المذكور يحط على المتعممين  
وينقصهم . فقال السلطان للقاضي (٩٠ و) تاج الدين : يا قاضي هكذا تكون القضاء .  
فقال : يا مولانا كل شاة معلقة بعرقوبها . قال : فكيف الصورة في هذا ؟ اذا ثبت  
الحبس يعاد الثمن من الورثة . قال السلطان . فاذا لم يكن مع الورثة شيء . قال :  
يرجع الوقف الى اصله ولا يستعاد الثمن . فامتعض السلطان من ذلك ولم يتم الكلام  
في ذلك حتى تقدم رسول صاحب المدينة المعظمه النبوية على ساكنها سيدنا ونبينا

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يامولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الي مبلغ ريع الوقف الذي تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقرا اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ما قاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يامولانا هذا المال انا مستلمه وهذا الرجل لا اعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لا اعرفه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانته . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لاندفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامراء وشكى القاضي وقال : شهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندي حتى اثبتته . فقال الامير : اذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لاحاجة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الدين ايدغدى ياقاضي نترك لمذهب الشافعي لك ( ٩٠ ق ) وتولى من كل مذهب قاضي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلما كان تاسع عشر ذى الحجة الشهر المذكور من هذه السنة ولى السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي قضاة القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في ساير الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاكمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصرار يحكم في ذلك هو " لا اربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السلطانية . وقال صاحب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " ماصيغته : وفي ذى

محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام وقال : يامولانا السلطان سالت هذا القاضي ان يسلم الي مبلغ ريع الوقف الذي تحت يده لينفقه صاحب المدينة في فقراء اهلها فلم يفعل . فسأل السلطان القاضي عن صدق ما قاله . فقال نعم . فقال انا امرته بذلك فكيف رددت امرى ؟ فقال : يامولانا هذا المال انا مستلمه وهذا الرجل لا اعرفه ولا يمكنني ان اسلمه لمن لا اعرفه . ولا يمكن ان يتسلمه مني الا من اعرف انه موثوق بدينه وامانته . فان كان السلطان يتسلمه مني احضرته اليه . فقال السلطان : تنزعه من عنقك وتجعله في عنقي . قال نعم . قال لاتدفعه الا لمن تختاره . ثم تقدم الى السلطان بعض الامراء وشكى القاضي وقال : شهدت عنده فلم يسمع شهادتي في ثبوت الملك وصحته . فسأله السلطان فقال : ماشهد احد عندي حتى اثبتته . فقال الامير : اذا لم تسمع قولي فمن تريد ؟ فقال السلطان له : لم لاسمعت قوله ؟ فقال : لاحاجة في ذكر ذلك . فقال الامير جمال الدين ايدغدى ياقاضي نترك لمذهب الشافعي لك ( ٩٠ ق ) وتولى من كل مذهب قاضي . فنصت السلطان الملك الظاهر لذلك . فلما كان تاسع عشر ذى الحجة الشهر المذكور من هذه السنة وليس السلطان الملك الظاهر القاضي صدر الدين سليمان الحنفي والقاضي شرف الدين عمر السبكي المالكي والقاضي شمس الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي قضاة القضاة بالديار المصرية . وفوض اليهم ان يولوا في ساير الاعمال بالديار المصرية مضافا لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز . وابقى على قاضي القضاة تاج الدين النظر في مال الايتام والمحاکمات المختصة ببيت المال وكتب لهم التقاليد واخلع عليهم الخلع وصار يحكم في ذلك هؤلاء الاربع حكام المذكورين على الاربع مذاهب المذكورة وصاروا يلبسوا الطرحات في ايام الخدمة السلطانية . وقال صاحب " نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك " ماصيغته : وفي ذى

القعدة تحدث السلطان في كثرة المتحاكمين ورتب اربعة قضاة للمذاهب الاربعة . وكتبت لهم التقاليد السلطانية . وفي ذى الحجة رسم لمجد الدين ابن العديم بخطابة القاهرة والله اعلم .

### ذكر القبض على الامير شمس الدين الرومي وبعض خبره

كان الامير شمس الدين سنقر الرومي جمدار الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان الايوبي . وكان مواخي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لما كان في خدمة الملك الصالح ايضا وبينهما صداقة . ولما (٩١ و) قتل الفارس اقطاي كما قدمنا شرحه خرجا جميعا الى الشام وركن الدين بيبرس يتفقداه بالمال والقماش . وكذلك لما انتقلا الى الكرك كانا على هذه الصفة . فاتفق انهما كانا صحبة صاحب الكرك في الصيد . وطلب سنقر من بيبرس شيئا ولم يكن معه شيء حاضر فساق الى مصر وحضر الملك الظاهر الى الديار المصرية بعد ذلك وهو امير فلم يعتقد الملك الظاهر بشيء على عادة الخشداشيه مع انه كان من جملة اتباعه . ولما جرى للملك المظفر قطز ما جرى وقتل على يد الملك الظاهر كما قدمنا شرحه ما كان سنقر المذكور حاضرا . فلما استقرت السلطنة للملك الظاهر كما قدمنا شرحه احسن الى سنقر المذكور واعطاه الاقطاعات العظيمة فصار في هذه المدة لا يأخذ عطا السلطان الملك الظاهر بقبول . وصار يخلوا لجماعة بعد جماعة ويفرق عليهم المال . وتحقق السلطان ذلك فسير اليه يحذره مع خشداشيته ومع الامير سيف الدين قلاوون الالفي . فما افاد فيه ذلك . فلما قتل شخصين مسلمين بغير ذنب ما امكن السكوت عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اول ما يحكم الله في الدماء . وكان احد المقتولين مملوك سنقر المذكور جرت له زلة لطيفة لا يجب فيها شيء فاستشفع بالسلطان فشفع فيه

فلم يقبل شفاعته وضربه وكواه بالحديد فمات • فعز هذا على السلطان وطلبه من وقته وقبض عليه في رابع وعشرين من ذى الحجة من هذه السنة واعتقله • فقال : اشتبهى اعرف ذنبي • فسير السلطان اليه من عدد عليه ذنوبه • فتحسر وقال يا آه لو كنت حاضرا ( ٩١ ق ) قتل الملك المظفر حتى اعاند السلطان في الذى جرى • وكان سنقر قد ذكر هذا الحديث للسلطان مرتين في حال تصرفه واحسان السلطان اليه • وقال له السلطان : انت اخي وتتحسر لكونك ما قدرت تعين على والله اعلم •

وفي هذه السنة تولى الامير نور الدين ابن مجلي نيابة حلب •

وفيها حجب الخليفة الحاكم بأمر الله من الاجتماع بالناس •

ذكر هلاك اللعين هولاء ملك التتار وتملك ولده اباغا •

في هذه السنة هلك اللعين هولاء كوا بن طولوخان بن جنكز خان ملك التتار الذى فعل ما قدمنا شرحه من الافعال القبيحة من خراب البلاد وقتل العباد وتوفي في تاسع عشر شهر ربيع الاول من هذه السنة بالقرب من كورة مراغة • وقيل انهم حملوه الى قلعة تلافد فنوه بها وصارت روحه الى جهنم ويش المصير • وكانت مدة سلطنته عشر سنين • وخلف من الاولاد خمس عشرة ذكرا وهم جماغان واباغا وبصمت وبيشين وتكشي وتكدار وهو احمد واحاى والاجر وسيوجي وشودار وفنكو تمر وقنغر طاى وطرغاي وطغاي وتمر وهو اصغرهم • ولما مات اللعين هولاء جلس بعده في السلطنة ولده اباغا مكانه • فجهز جيشا لحرب الملك بركه خان • فلما بلغ الملك بركة مسير العسكر جهز جيشا وقدم عليهم ببشونوغا ابن ططر بن معلي بن دوسي خان بن جنكز خان • فسار ثم اردفه بركه بمقدم آخر واسمه بسنتاي في خمسين الف ( ٩٢ و ) فسبق ببشونوغا وتقدم الى عسكر اباغا فتكرد سوا للهزيمة • فبصر بهم بسنتاي وقد تحلقوا فظنهم احاطوا بالمقدم على العسكر القادم ومن معه فانهمز راجعا وقدم ببشونوغا ومن معه فتبع عسكر اباغا

- وساق عليهم والتقي معهم فكسرهم وقتل منهم جماعة وظفر بهم وعاد الى الملك بركه
- واما بسنتاي فعظم ذنبه عند الملك بركه

(٩٣ق) (١) ذكر وفاة من توفي من الاعيان في هذه السنة وبعض اخبارهم

ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الوهاب الانصاري الجناني يكنى ابا اسحق  
من اهل جنان قرأ ببلده على الشيخ ابن يربوع • واخذ بالمريه عن ابي عبد الله بن  
هشام بن السواس • وكان حسن السميت كثير الوقار وخطب بالجنان بالجامع الجوفي  
المعروف بالرابطة الى ان انفصل عن البلد قبل خروج اهل البلد بمدة ثم خطب  
بغرناطة وولي قضاء المريه ثم احكام القضاء بغرناطة • توفي بغرناطة في سنة ثلاث  
وستين هذه السنة •

حمزة بن محمد بن حمزه البهواني الحموي يكنى ابا يعلى الفقيه الشافعي  
قاضي حماه • توفي في هذه السنة •

خالد بن يوسف بن الحسن بن مفرج بن بكار النابلسي دمشقي يكنى ابا البقاء  
الشيخ المحدث توفي في هذه السنة

محمد بن ابي احمد بن يوسف بن موسى بن مسدى المهلبى الاندلسي  
يكنى ابا بكر الحافظ • كان فاضلا حسن المعرفة برواية الحديث • توفي بمكة المشرفة  
في هذه السنة •

موسى بن يغمور بن جلدك بن بلغان بن عبد الله المضرى • يكنى ابا  
الفتح ويلقب جمال الدين • كان من الامراء الصالحية وتولى نيابة دمشق في الدولة  
التركية • توفي بالقصير من الاعمال الفاقوسية بين الغرابي والصالحية وحمل الى  
قرافه مصر ودفن بترية والده بسفح المقطم في هذه السنة •

هبة الله بن ابي محمد بن حفاظ الانصارى الازدى يكنى ابا البركات الشيخ الصالى .  
توفى في هذه السنة بالاسكندرية .

(٩٤ و) يوسف بن الحسن بن علي السنجاري المصري . يكنى ابا المحاسن ويلقب  
بدر الدين وينعت بدى الرياستين . كان بداية امره المامه بالسلطان الملك الصالح نجم  
الدين ايوب بالبلاد المشرقيه . ثم حضر الى الديار المصرية وولى قضاء القضاة بالقاهرة  
ومصر والديار المصرية مدة . ودرس بالمدرسة الصالحية للطائفة الشافعية وناب له  
القاضي شمس الدين احمد بن خلكان . وولى الوزارة مدة . وكان موصوفا بالكرم والإيحية  
توفى بالقاهرة في هذه السنة .

محمد بن الحسن بن علي دمشقى يكنى ابا عبد الله ويعرف بابن امرأة الشيخ علي  
العريتي (١) . كان شيخا صالحا حسن الشكل حلوا المحادثة سليم الصدر عليه اثار  
الخير والصلاح . وله زاوية بسفح قاسيون على نهر يزيد احسن الزوايا واقدمها . وفي  
جانبها قبه فيها ضريح الشيخ علي القريتي (١) حضر السلطان الملك الناصر صلاح الدين  
يوسف الى زيارته . توفى في سنة ثلاث وستين هذه السنة وخلف اولادا .

---

(١) العريتى في الاصل . راجع

(٩٥ ق) (١) ذكر الحوادث في سنة اربع وستين وستماية ٦٦٤ هـ / ١٣ ت ١، ١٢٦٥  
٢ ت، ١٢٦٦

في شهر الله المحرم من هذه السنة عقد الامير سيف الدين قلاون الالفي

بالكبير على ابنة الامير سيف الدين كرمونا التتري الوافد وهي والدة ولده الملك الصالح  
علاء الدين علي • وكان يوما مشهودا • وحضر السلطان الملك ركن الدين بيبرس الصالحي  
بنفسه • ونصب الدهليز بسوق الخيل لما عمل عرسه وعمل كلما يتعلق بالاسمطة من  
البيوتات وجلس السلطان بالخوان وارسل السلطان للامير قلاون " معالي " قماش وخيل  
وعشر ممالك • فقبل التقدمة واستعفى من قبول الممالك وقال هؤلاء خداشيتي في  
خدمة السلطان • وقدم له كل امير من الامراء ثلاثة ارؤس خيل ••• (٢) قماش •

وفي هذه السنة سير الملك الظاهر الى دمشق ثلاث تقاليد لثلاث حكام حنفي

ومالكي وحنبلي مضافا لقاضي القضاة شمس الدين احمد بن خلكان الشافعي صاحب وفيات  
الاعيان في التاريخ وغيره • كما تقرر الحال بمصر • وصار بدمشق اربع قضاة وهم شمس  
الدين عبد الله بن عطا الحنفي وشمس الدين عبد السلام الرواري المالكي وشمس الدين  
••• (٣) بن الشيخ ابي عمرو الحنبلي وشمس الدين احمد بن خلكان • ومن العجايب  
اجتماع اربعة قضاة (٤) في بلد واحدة في سنة يلقب كل منهم شمس الدين • واستناب  
قاضي القضاة ابن خلكان نايبا لقبه شمس الدين • وعمل الشعراء في ذلك اشعارا  
حفظها الناس • واستمر بالقاهرة اربع قضاة من كل مذهب قاضي • وكذلك استمر بدمشق  
اربع قضاة من كل مذهب قاضي • ولم يزل الامر على ذلك الى يومنا هذا والله اعلم •

وفي هذه السنة ايضا وصل الى الابواب الشريفة رسل الانبرور ورسول ملوك

(١) لا وجود للورقة ٩٥ ، وكان المؤلف ترك صفحة خالية لاضافة تواريخ وفيات اخرى •

(٢) كلمات غير مقرأة •

(٣) بياض في الاصل •

(٤) مكررة في الاصل •

الفرنج ورسل الغنث ورسل اليمن بمراكب موسقه هدايا الى صاحب قلاع الاسماعيلية صحبة  
رسلهم متوجهين الى ناد يهم ومتقربين الى مرضيهم ومبايعي ايد يهم بها على الحياة •  
وما علموا ان يد الله فوق (٩٦ و) ايد يهم • ولما حضروا بهذه الاموال رسم السلطان  
الملك الظاهر باظهار قدره يستمدل بها على فعل القدر واعتماد مصلحة تفسير نوااميسهم  
الفاسدة ومقابلة الفاسد بالفاسد من وجوه النظر • وهو انه رسم بأخذ الحقوق من هذه  
الهدايا تعجيزا لمن استكفى شرهم بالعطايا وافهاما للملوك الذين ملاء خوفهم قبولهم  
ربعا ان وراءهم ملكا يأخذ كل سفينة على هذه الصفة غضبا وانذارا بما كان في عزمه  
من اهتضامهم • فاستخرجت منهم الحقوق وكانت كتب السلطان الملك الظاهر تتوَجَّلُ  
اليهم بالانكار • وتوعدهم بخراب الديار • وورد منهم كتاب يتضرعون الى السلطان  
انه اذا عقد مع الفرنج صلحا ان يذكرهم فيه ليفهموا انهم من غلمانهم وان له بهم عناية •  
قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : واين هذه الذلة  
من كتابة مقدمهم راشد الدين سنان بن سليمان البصرى لما كتب الى صاحب حلب :

ياذا الذى بقراع السيف هددني	لاقام مصرع جفني حين تصرعه
جاء (١) الحمام الى البازي يهدده	واستاسدت بخلو الخيس اصبعه
لاتفرحن لسحت حين تنهبه	فان نفسك بعد الموت تتبعه
وقد مددناك حبالا للحياة مدا	فسوف تعلم يوما حين تقطعه
ومن يسد فم الافعى باصبعه	يكفيه ماستلاقي منه اصبعه

واعجبا من ذبابة تظن على اذن فيل ويعوضة تعد من التماثيل • ولقد قالها  
من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم ومالهم من ناصرين وقد علمت كنه وكيفيه رجالنا وما  
يقومون به من ورود حياض الموت وينتظرون من حال وقوع الفوت وانهم يرون الحياة مغرما  
ويعدون الموت مغنما فهيء للبلاء اسبابا (٩٦ ق) وتذرع للرزايا جلبابا •

ويقول في كتابه الاخر نحن كالرمح العاصف تمر بهشيم الارض فلا تؤذيه احتقارا  
وتعثر بالجمال الراسيه فتنسفها قوة واقتدارا . وما بغى علينا باغ فقتعنا عليه منه بالنصر  
ولا ظلمنا حبة خردل الا كان عوضها بلدا او مصر . ولا خرق لنا سجاف الا رقعناه بعمر  
الخارق . ولا مرق من ادب الدعوة احد الا ومرق سهم الفنا في ذلك المارق :

لله في عالمه خاتم	تجرى المقادير على نقشه
والبحر زخار له فرشه	فاحذر على نفسك من قرشه
والبغي صراع له صوله	تنكس الجبار عن عرشه
لاتنبش الشر فتبلى به	فقل من يسلم من نبشه
اذا طغى الكبر بشحم الكلى	ادخل رأس الكبر في كرشه .

قال القاضي محي الدين مؤلف سيرة الملك الظاهر : هذا قول سنان وهو  
منزق بين حصونه صعدة قد احتلها اعتقد انه يطاعن الافلاك ومتوق من بأسه  
وتأسه بكل ذى نجده يهول بهم على المعالك والاملاك . وذلك عندما رأى ملوك الاسلام  
تهولهم الاوهام ويرتاعون يقظه وتستل عليهم سيوفه الاحلام ويعتقدون ان كل يد تمتد  
انها اليهم ويحسبون كل صيحة عليهم ضنة بالنفوس ورغبة عن لباس البؤس وسوء ظن  
بأقدار الله التي لامحيد عنها واشتغالا بالنكرة في الامور التي فرغ ربك منها . والا  
لو شاهد سنان هذا الملك الذى تسبق اعنة خيوله الرياح وتملا جيوشه البطاح وتسمع  
اولياؤه بالنفوس مستريحه رضوان الله برضاه والسماح رياح وتقصد القنا طعنا به .  
فكم اقنت من سنان وكم حطمت من رماح لقرع السن ندما ولشغل بكلامه عن ان يحير  
كلما . ولراعه كما "يريدون" رجا الحرب الزبون ويتداوون مع صحة اذ هانهم في الحروب  
من الجنون (٩٧و) بالجنون . ويمتنعون بالوطني الحصين اذا اقتنع غيرهم بعلي الحصون .

ولا جرت تلك الرماح لسنانه فلا يقول ولقطع بأن سكاكين قومه الذين يقولون يصلون بها  
انها لسهام هذا السلطان تصول ولتيقن ان تلك الدعوة في مملكة من ممالك الدولة ثم  
"حجب" وتلك الرغبة ٠٠٠٠٠٠ (١) ولوقف موقف الاعتذار ولسائل الامان لرجاله الذين  
اكثر بهم الفخار ٠ ولطلب من السيوف الظاهرية الطوال بأيدي اربابها العفوع—  
سكاكين تلك الباطنية القصار ٠ ولقال عند سماع غوغاء الحروب هذه اسود تزأر بالغيل  
لاذبابه تطن بأذن فيل ٠ وملوك تأتي من الملائكة في قبيل لابعوضة تعد من التماثيل ٠  
ولما وصف نفسه واصحابه بأنهم كالرمح العاصف التي لاتؤذى الهشيم احتقارا ٠ وتعثر  
بالجبال الراسية فتنسفها اقتدارا ٠ ولعلموا انهم ان كانوا ريحا فقد لاقوا اعصارا ٠  
وان من الجبال الراسية ماتعثر الرياح بها كما قال اذا عثرت لانقيل لها عثارا ٠ وقد  
انكبهم الرياح العواصف فكيف لاتتألم الحشاشه الحشيشيه من عواصف الرياح ٠ وظنوا  
ان كل جبل كجبالهم المنسوفة ٠ وما علموا ان توقد صواهل الجياد خير من صهوات  
الجبال وخير من التوفي بالصحايف التوفي بالصفاح ٠ فالحمد لله على ان نخر هذه  
الموهبه لهذه المملكة حتي جرى ماجرى من الخضوع والذلة واحج الى رحمة هذا  
السلطان من كان لايرحم الملوك قبله ٠

ذكر قصد ملك الفرنج بطرابلس حمص وكسرهم من المسلمين ٠

قيل ان البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس جمع واستنصر بالداوية  
والاستنصار وقصد جهة حمص ٠ وكان نايب السلطنة بها الامير علم الدين سنجر  
(٩٧ق) الباشقردى قد فهم حركته فاحترز وجعل الطلايع على المخايض فقصد البرنس  
وخاضه بلاله ٠ فسبقه الامير علم الدين فيمن عنده من العسكر فملك المخاضة فأتى  
الكافر بخيله ورجلهم فوجد المخاضة قد ملكت فعدل الى غيرها فقويت نفوس المسلمين  
وعدوا الماء اليه وتبعوه ٠ فانهزم وما زالوا خلفه يقتلون وينهبون الى ان توغل

في بلاده ورد طريدا شريدا قد قنع من الغنيمة بالاياب . وكان له امل فخاب .  
ورجع المسلمون الى البلد ولم يعدم منهم احد . وكانت هذه الواقعة في ثامن  
صفر من هذه السنة .

وفي هذه المدة سير الملك الظاهر الى دمشق بأن تعمل مراكب فعملت  
وحملت الى البيرة .

وفيها توجه السلطان الملك الظاهر الى خليج الاسكندرونة لرؤيته وتقدم  
بما يجب من حفره وتصيد في جهة الحمامات ورجع . وقيل في هذه السنة اهتم السلطان  
الملك الظاهر بحفر خليج الاسكندرية وسير الامير علم الدين المسروري لذلك فتوجه ثم  
توجه السلطان بنفسه وتعرض جسم السلطان في الطريق . ولما صلح مزاجه باشر الحفر  
بنفسه وعمل الامراء وجميع الناس وازيلت الرملة التي على الساحل بين النقيدي وفم الخليج  
ثم عدا ( ١ ) . . . الى بسرا بيار وغرق مراكب هناك وثنى عليها بالحجارة . ثم رجع الى  
القاهرة المحروسة . وجهاز المحمل المبارك وخلع على المتوجه الى الحجاز بذلك وهو  
الامير جمال الدين نايب دار العدل وسير عشرة الآف درهم برسم عمارة حرم المدينة  
النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام . وسير القمح لجرايات الصناع .

وفي جمادى الاولى من هذه السنة وصل فخر الدين ابن جلبان من البلاد  
( ٩٨ و ) الفرنجية بعد ان خلص جماعة من الاسر بمال الوقف المسير من جهة الامير جمال  
الدين النجيبى وفرجت به كربات كثيرة لنساء واطفال . وسير الجميع الى دمشق وسلموا  
للقاضي ليزوج من توثر منهن التزوج .

وفي هذا الشهر المذكور رسم الملك الظاهر ببناء جسر كبير على الشريعة  
وجهز الامير جمال الدين ابن بهار الصالحي المهمن دار لبنائه وجهزت له الاصناف  
من دمشق ورسم السلطان ان يكون الجسر خمس قناطر . وكان ماءؤها قويا تبارها فاقتضت  
سعادته ان جاء سيل كثير فحدر صخورا كبارا فوقفت جرى الماء وبني الجسر .

وفي هذا الشهر تكاملت عمارة الدار الجديدة المرسوم بعمارته عند باب السر  
المطل على سوق الخيل الذي بالابواب وعمل بها دعوة للامراء فعمل القاضي محي الدين  
ابن عبد الظاهر صاحب سيرة الملك الظاهر :

بعون الله غالب  
نهبوا بأنياب النوايب  
كان البقاء من العجايب  
بالثأر للاسلام طالب  
بعظيم كتبك والكتائب  
بالحلول لها تطالب  
ريك طول اعمار الكواكب  
تبقى سعودا من مطالب  
وتلتقي فيها المأرب  
على الخيول لها العواصب  
بغير السيف ضارب  
في الحرب دونك في المراكب  
قبلك من غرايب  
بين الاغاني والمشارب  
لك العطايا والمواهب (٩٨ق)  
لملكك من محارب

ياملك الدنيا الذي اضحى  
يامن به الكفار قد  
ياذا الذي لولاه قد  
لولا سيوفك لم يكن  
كم جنه لك ان "لفت"  
فتلهفت شوقا واهحت  
ورائك قد اعطاك  
فاستعجلت واتت بما  
دار يرف بها النعيم  
قد صورت فيها الجنود  
لتكون في الخلوات ليس ترى  
في السلم حولك مثلما  
لامثلما قد صور الاملاك  
كل يصور نفسه  
فبقيت ياملك الزمان  
ابدا تمتع بالنعيم وما

ذكر تجهيز الملك الظاهر لغزو الفرنج وخروجه الى الشام  
وزيارته الخليل عليه السلام والقدس الشريف .

في شهر رجب من هذه السنة اهتم السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى بأمر الغزاة . وسير الى اعمال الديار المصرية لاحضار الجند من اقطاعاتهم . فاتفق تأخر بعض الجند فسير السلطان سلحدارته الى جميع الولايات بالديار المصرية فعلقوا ولاية البلاد بأيديهم ثلاثة ايام تأديبا لكونهم ماسارعوا الى احضار الاجناد . وكان في الولاية امراء اسفهم سارية فحضر الجند .

وخرج السلطان في مستهل شعبان من هذه السنة ورحل في ثلثه . ولما وصل غزه جرد الامير جمال الدين ايدغوى العزيزى والامير سيف الدين قلاون وجماعة من العسكر المنصور فتوجهوا الى العوجا . وتوجه السلطان لزيارة الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام والقدس الشريف . فوصل الى بلد الخليل فزار الشيخ علي البكاشم دخل الى مقام الخليل ابراهيم عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله وسائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة والسلام .

وزار وكشف المعظالم وقرئت القصص بين يديه ووقع عليها . ومد السماط الذى للخليل عليه السلام واكل منه واكل الناس والفقراء وفرق جملة من المال على الائمة والقراء والمؤذنين والقوام وغيرهم . وبلغه ان اليهود والنصارى لعنهم الله تعالى يؤخذ منهم حقوق عن زيارة الخليل عليه السلام والنزول الى المغارة بنجسهم فأنكر ذلك وكتب (٩٩ و) مرسوما يمنع النصارى واليهود من دخول المقام الشريف . واستمر الامر على ذلك فجزاه الله خيرا .

ثم توجه السلطان الى القدس الشريف فزاره وتصدق بجملة كثيرة ثم اتى الحرم الشريف مستخفيا في نفرين او ثلاثة وصلى الجمعة بالقدس . ورحل الى عين جالوت .

هذا ما كان من السلطان • وإميا ما كان من العساكر المجردة فتوجهوا الى حمص ولم يكن عندهم علم بالحركة الى اى جهة • وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى •

ذكر اغارة العساكر المجردة على طرابلس واعمالها واستيلائهم على قلعتي

حلبا وعرقا وهدمهم •

لما وصلت العساكر المجردة الى حمص كما قدمنا شرحه ورد الى الامراء كتاب

السلطان الملك الظاهر بالتوجه الى طرابلس وبلادها • فركبوا على غرة من الفرنج خذلهم الله تعالى • فجاسوا خلال الديار وانصبوا في الاودية كالبحار واصبحوا على حصن الاكراد واغاروا الى ساحل البحر من جهة طرابلس ونزلوا على حصن يعرف " نعرس " من عمل حصن الاكراد • فأقاموا عليه يوما واحدا فأخذوه واسروا به جماعة وكان بقلعة حلبا جماعة فهربوا واخلوها ودخل العسكر اليها واستولوا عليها وكسبوا منها شيئا كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره • وهذه القلعة تشبه قلعة عجلون حسانه • ولما هرب اهلها ادرك العسكر او اخرهم فقتلوهم واخذوا نساءهم •

ولما شاهد اهل قلعة عرقا ما جرى في حلبا نجوا بأنفسهم وهذه قلعة عرقا تشبه قلعة حمص • ولها من الغلات شئ كثير فتحصل بلدها في السنة من الهلالي والاقصاب والمزدرعات شئ كثير • وما زالت العساكر حتى اخرت (٩٩ق) القلعتين المذكورتين ونزلوا على حصن يعرف بالقليعات وهو حصن عظيم وتسلموه في رابع شهر رمضان بالامان • وهدمت القلعة ايضا وفي عود العساكر نزل الامير سيف الدين قلاون الالفى قريب القليعات وسير في الليل بعض المقدمين ليترقب من يخرج من الفرنج فوجد خمسين نفرا متوجهين من صافيتا الى حصن الاكراد افجيه وجرخيه • فأخذ الجميع وقتلوا • واحضرت رؤوسهم وخرج جماعة من الداوية للغارة

على الذين يحشون لخييل العساكر . وكان الامير سيف الدين قلاوون قد احترز ورتب مع الغلمان جماعة من اجناد العسكر . فلما خرج الديوية على الغلمان خرج عليهم العسكر وقتل بعضهم واسروا البعض الاخر . وسير صاحب صافيتا جاسوسا فقبض عليه وشنق ووصلت بطاقة الامراء المجردين الى السلطان الملك الظاهر بانهم وجدوا خيلا ورجلا من الفرنج متوجهين من صافيتا نجده الى حصن الاكراد وانهم قتلوا منهم مقدار خمسين فراه . ويذكرون وصول الفي فارس من العربان وانهم جاهدوا اتم جهاد . وجرح الامير شرف الدين عيسى ابن مهنا جرحين . فرسم السلطان انه من عدم له رأس من الخيل يعوض عنه رأسين من البقر ورسى بتجريد جماعة لحمص وحضور العساكر المجردة الى خدمته والله اعلم .

#### ذكر تجريد العساكر الى بلاد الفرنج واغارتهم على صور وغيرها

لما وصل السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي بعد زيارة القدس الشريف الى جهة عكا جرد الامير علاء الدين البندقدار والامير عز الدين اوغان الركني بجماعة من العسكر الى جهة صور فدخلوا الجبال في الليل وقاسوا شدة لصعوبة الاوغار واغاروا ( ١٠٠ ) وعلى صور وغنموا كثير من الجمال والبقر والغنم . واسر كمنذور ملك سيس ومعه نفران كانوا انحازوا الى برج فأخذوا بالامان واخذ وزير صور وجماعة من الفرنج .

وتوجه الامير سيف الدين اتامش الى جهة صيدا ورسم لهم السلطان بالحضور الى جهة صفد . وتوجه السلطان الى عكا . وجرد السلطان الامير بدر الدين الايدمرى والامير بدر الدين بيسرى الى جهة القرن . وتجرد الامير فخر الدين الحمصي السى جبل عامله فأغارت العساكر من كل جهة وحاصر الامراء القرن واخذت قلعة قريب عكا وتوالت المكاسب حتى لم يوجد الابقار والجواميس من يشتريها . وعمت الفارة ببلاد الفرنج من حدود طرابلس الى قريب ارسوف . العسكر المتوجه الى طرابلس في تلك الجهة والعسكر المتوجه الى صور في جهة والسلطان في جهة عكا والامير ناصر الدين القيمرى

في عثليث . ووصل كتاب من مقدم الاستاربعكا الى الاتابك بانه يسعى في الصلح  
وفيه تعريض بما يصل اليهم من عمائر طرابلس وبلد الارمن فكتب اليهم في الجواب بما  
يجب من تهديدهم وتخويفهم . ثم ان السلطان اهتم بأمر صفد وقصدها كما سنذكره  
ان شاء الله تعالى .

ذكر بعض خبر صفد ومسير العساكر والسفطان الملك الظاهر

اليها ومحاصرتها .

كانت صفد اولاً تلاً . وكان على التل قرية عامرة تحت برج اليتيم . وما زالت  
في ايدي المسلمين الى ان استولوا عليها الفرنج فيما استولوا عليه من البلاد الشاميه  
فبنوها الفرنج الداوية في سنة خمس وتسعين واربعماية ولم تذكر في شيء من الكتب  
الموضوعة في التاريخ في صدر الاسلام (١٠٠ق) وهي قلعة حصينة على جبل تحف به  
جبال واودية فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي بن مروان بعد  
حصار شديد بالامان في رابع عشر شوال سنة اربع وثمانين وخمسماية . واقطعها وطبرية  
للامير سعد الدين مبارك بن تميرك . ولم يزالا في يده الى ان توفي في سنة ثمان  
وستماية فانقلت الى ولده فتح الدين احمد فانضم الى خدمة الملك المعظم عيسى  
صاحب دمشق فقايسه بصفد وطبرية . ثم ان الملك المعظم اعطى احمد المذكور صفد  
خاصة خارجا عن طبريه فبقيت في يده الى سنة ست عشرة وستماية . ثم اخذها منه  
وخربها واخرب القدس الشريف خوفا عليهما من الفرنج وذلك في سنة سبع عشرة وستماية .  
وبقيت صفد خرابا وبلادها في يد من يملك دمشق لايهتم ببنائها ملك الى ان اعطاها  
الملك الصالح عماد الدين اسماعيل المتغلب على دمشق للفرنج فيما اعطاهم من  
البلاد ليعينوه على محاربة الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب الديار المصرية .

فلما ملكوها الفرنج استدعوا اسرى من المسلمين الذين كانوا في بلاد الفرنج ليعمروا  
صفد . وكانوا الف نفس والفرنج دون المائتين فاجتمع الاسرى وعزموا واتفقوا على ان لوثوب  
بالفرنج ثم انهم فكروا ان لا بد لهم من ملجأ يلجأون ( ١ ) اليه ويعتمدون في الذب عنهم  
عليه فكتبوا الى الامير سيف الدين علي بن قليج النورى وهو اذن ذاك في قلعة عجلون من  
قبل الملك الناصر داود صاحب الكرك ليكتب اليه في ان يأمرهم بالوثوب على الفرنج ويبعث  
اليهم من يتسلم الحصن . فبعث الامير سيف الدين الى الملك الناصر داود الكتاب . فلما  
وقف عليه سيره الى الملك الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق ( ١٠١٠ ) فأرسله  
الى الفرنج الداوية . فلما اطلعوا عليه اخذوا الاسرى ودخلوا بهم عكا فذبوهم عن  
آخريهم فلا جزاء الله خيرا ولا اعظم له اجرا على ما فعله من هذه السيئة العظيمة  
التي لم يرقم في الصحايف مثلها وعليه وزرها ثم عمروا الفرنج صفد بمساعدة الصالح المذكور  
لهم . ولم تنزل في ايديهم وهي غصة في حلق الشام والشجا في صدر الاسلام الى ان  
اهتم السلطان الملك الظاهر بقصدها في هذا العام .

وكان السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس رحمه الله تعالى قبل حضوره  
الى عكا قد رسم للامير علاء الدين ايدكين الشهابي احد امراء الشام ولجماعة من  
العسكر المنصور بأن يتوجهوا الى بلاد الفرنج ولم يعلمهم الى اين . ثم سير كتابا وامره  
ان لا يقرأه الا اذا ركب هو والعساكر متوجهين . وكان مضمونه انه يتوجه الى صفد  
ويتوجه الامير فخر الدين الفايزي الى الشقيف . فسار كل منهما الى جهته واحاط  
الامير علاء الدين بصفد احاطة حافظ لا مقاتل . ثم جرد السلطان الامير بدر الدين البند قدار  
قدار والامير عز الدين اوغان فنزلوا عليها واشتدت مضايقتها . واقام السلطان على عكا  
حتى حضرت العساكر المغيرة على صور وغيرها المقدم ذكرهم . وعمل عدة مجانيق وفرقها  
على الامراء ليحملوها ثم رحل السلطان والعساكر لابسة وساق الى قريب من باب عكا

ووقف على تل الفضول ثم رحل الى عين جالوت . وكان الامير سيف الدين الزينبي قد توجه لاحضار المجانيق من دمشق فاجتهد في احضارها واهتم بها الامير جمال الدين (١٠١ق) النجيبى . وحملت على الرقاب . وسار السلطان الى ان نزل على صفد يوم الاثنين ثامن شهر رمضان المعظم من هذه السنة المذكورة وحاصرها . وفي اثناء حصار صفد حضر رسول متملك صور الى خدمة السلطان فأنكر السلطان عليه لانه كان سير اليه يقول له ان اردت امانى فأخرج عنك اعدائي من الفرنج فان اليمين متضمنه ان تكون عدو عدوى . وسبب اعانتهم الفرنج على الاغارة على بانياس وقتل شخص من الرعيه . وان هذه الاسباب موجه نقض العهد . وان رسولكم كان حضر الى عنلى في تقرير قواعد الجنوية . وانهم يحضرون في البطس الكبار يقاتلون عكا في البحر وانا وعساكرى في البر وان متملك صور يكون هو والجنوية في البحر على اهل عكا . فحضرت وما حضر احد منهم . فعرف صاحبك ان نقض العهد كان من جهته . وانفصل الرسول على ذلك .

ووصل ايضا رسل العداوية (١) فقال لهم السلطان : بلغني انه لما اغارت العساكر الاسلاميه على بلاد طرابلس حميتم مواشي الفرنج واستودعتم اموالهم . وكتبكم كانت ترد الي بالشكوى من مجاورة الفرنج وتقولون ما نعطيهم القسطيعه الا لان عساكر السلطان بعيدة والا لو قربت العساكر منا رونا سكاكيننا من دمائهم . فلما وصلت عساكرى الى بلادكم لدفع الضيم عنكم خسفتم وجوهكم معهم باستيداع مواشيهم وليس لهم عسكر تنجد الاسلام . وطلب منهم ارسال نجدة او مال يستخدم به عسكرا او حمل القطيعه التي كانوا يحملونها الى الفرنج . ولعبد مؤمن خير من مشرك .

(١٠٢ و) ولما توجه رسولهم بهذا الجواب حضر احدهم وهو صاحب جمال الدين . وما  
سمع قط انه حضر بنفسه فأكرم وشاهد احوال العساكر . واحضر هدية لطيفة  
فأنكر عليه بسببها . فسأل الاتابك في استعطاف السلطان وزاد الهدايا شيئا  
كثيرا والتزم بحمل جملة من المال وتوجه لاحضاره .

ورد رسول صاحب بيروت بتقادم فقال له السلطان ان صاحبكم الذي كان  
متفقا معنا قد هلك وانكر عليهم تعرض كرساليتهم في البحر لمركب الاتابك وغدروا  
بأهله واخذوه . وانفصل على هذه والحالة ولم يحصل الرضى عن ملكه .  
ورد رسل يافا فأنكر السلطان عليهم كونهم نصبوا المجانيق على قلعة يافا  
مع انهم صلح .

ووصل رسل صهيون فانكر السلطان عليهم كون صاحبهم ما حضر بنفسه واحضر  
نجدة .

وأُتفق السلطان في العساكر المنصورة .

وكان السلطان يياشر (١) الحصار والزيارات تتعداه (٢) . واتفق ان  
الناس تناوشوا القتال . فساق الامير عز الدين خاص ترك الظاهري فوصل الطعن  
فتقدم الحجارون واخذوا في الثقوب ورمى الزراقون قوارير النفط في الباب فأحترق .  
وانعم السلطان على خاص ترك الظاهري بعشرة الاف درهم وفرس قيمته نفيسه وجوشن  
وخلعه .

---

(١) في الاصل بغير نقط

(٢) في الاصل بغير نقط .

وفى حادى وعشرين شهر رمضان الشهر المذكور وصلت المجانيق واهتم بها السلطان وسير الامير عز الدين امير جاندار للقائها وعجزت عنها الجمال . فجهز السلطان الامراء والجنود وسائر الناس لحملها على الرقاب من جسر يعقوب وهو مرحلة من صفد . وخرج السلطان بنفسه وخواصه وجرا خشاب المجانيق من البقر . قال (١٠٢ ق) القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سير الملك الظاهر : حكى لي الملك المجاهد صاحب الجزيرة قال : جررت مع السلطان حتى تعبت ورحلت استرحت ثم حضرت وجررت زمانا ثم رحت مرارا والسلطان على حاله ما استراح . واستمر عمله في نقل الاخشاب بنفسه وحاشيته وغلمان البيوت والاسطبلات قرمت في سادس عشرين شهر رمضان . وكان لمقدم الفرنج بيت داخل صفد واعطي السلطان اميره فطلع بنفسه الى اعلى المنجنيق المعرى حتى شاهده وامر المنجنيقيه برمييه فرمى ولازم الركوب والوقوف تحت المجانيق . وصار يخلع ويعطى ويحضر اليه بالاسرى الفرنج من جهة عكا وصور فينعم على من يحضرهم .

ووصلت العساكر المصرية والشامية التي كانت في بلاد طرابلس . ولما تكامل عيورهم نزل كل امير في منزله . وحضر الامراء فقبلوا الارض والسلطان لازم قوسه ومكانه لم يتغير منه . وخرج الامير بدر الدين الايدمرى ليرى هلال شوال فوقع في رأسه حجر . فرسم السلطان بأن لا يجتمع احد لسلام العيد ولا يتزحزح من مكانه خشيه من انتهاز العدو غره من العسكر . ورعى المنجنيق المعرى في هذا اليوم فأثر اثارا حسنة ونودى في العسكر من جلب خمر او شربها شفق .

وفي ثاني شوال من هذه السنة حصل الاهتمام بالزحف . وقرر السلطان ذلك مع الملك المنصور صاحب حماه والامراء الاكابر فتحالل الناس واجتهدوا . وكان قد عمل من التفظ اشياء من السهام المطيه والرمح ففرق ذلك على الزرايين

ووعد الحجارون انه من اخذ اول حجر كان له مائة دينار وكذلك الثاني والثالث الى العشرة (١٠٣) وامر حاشيته بان يلازموا مواضع قتالهم ولا يشتغلوا بخدمته وشرع الناس في امر الزحف من العشاء . وكان وصل جماعة من الصلحاء للغزاة ووصل الشيخ الصالح قاضي قضاة الحنابلة بدمشق فحركت الطبلخانا السلطانية نصف الليل . وركب السلطان وهجم خندق الباشورة فقاتل الفرنج قتالا شديدا وابتلى المؤمنون بلاء شديدا واستشهد جماعة من المجاهدين وصار الانسان يرى رفيقه يقتل فيجره ويقف مكانه . وتكاثر الثقب ودخل النقبون اليها . واعطاهم السلطان ثلاثماية دينار وصار كل عن عمل شيئا جزاه عنه لوقته بخلع تفرق واموال تبدل وهو يشارك الناس فيما هم فيه من قتال ودخول ثقب وزحف ونصب خيمة قريب صناعته . وجعل فيها حكما وجراحيه واحضر اليها المجرحين من الغرباء والحجارين واطلق الاشيرة والمأكول للجنس .

#### وفي ثامن شوال الشهر المذكور خاسفت الفرنج المسلمين في الثقب

فوقع خسفهم فوق خسف الامير سيف الدين قلاون الالفى فقاتلوهم بالايدي وعمل بعد ذلك جسر على باب القلعة يتوصل منه اليها .

#### وفي حادي عشر شوال المذكور ركب السلطان ووقف عند المجانيق ثم ساق

بمفرده ونزل عن فرسه واخذ ترسا ودخل الى النقب وشاهدها .

#### وفي ليلة رابع عشره زحف المسلمون اشد زحفا وساق السلطان الى قريب الباب

فارتفعت اصوات المسلمين يسألونه ان لا يغرب بنفسه . فرأى النقب وعاد . ولم تنزل الحرب قائمة والسلطان في وسط هذه الامور . وفي وقت القايله رأى الناس قد تعبوا من القتال وتفرق بعضهم فأمر خواصه بالسوق الى الصواوين واقامة (١٠٣) الامراء والجنس فيها بالدبابيس وقال : المسلمون على هذه الصورة وانتم تستريحون فأقيموا

جميعهم ورسم بقبض الامراء وكانوا نيفا واربعين اميرا فقبض عليهم وقيدوا \* واحضروا الى الزرد خاناه ثم بعد ذلك وقعت الشافعة فيهم وامرهم بملازمة مواضعهم \* ووسعت النقب وشرطت الاسوار فجبن الفرنج وحرقوا الستائر التي كانت على الباشورة ليحموها من التسليق \* فما افادهم ذلك \* ولما شاهد السلطان ذلك امر بضرب الطبلخاناه وهي خمسة وعشرون حملا فقام كل واحد الى جهته فضرب المسلمون سكك الخيل في سفح الباشورة فما اصبح الصبح الا والسناجق على اسوار الباشورة من كل جهة واندفع الفرنج الى القلعه وسلموا الباشورة \* هذا في يوم الثلاثاء نصف شوال الشهر المذكور \* وفي هذا اليوم اخذت الثقوب في برج اليتيم وغيره من ابراج القلعه وفي هذه الايام استشهد الشيخ الصالح نبهان وهو يحدد الوضوء في خيمة الامير بدر الدين الخزندار \* وكان ما سنذكره ان شاء الله تعالى \*

### ذكر تسليم الفرنج صفد وخروجهم بغير امان وقتلهم

لما انقطعت الاسباب بالفرنج بصفد سيروا الى السلطان الملك الظاهر رسلهم في طلب الامان \* فاشترط عليهم ان لا يستصحبون سلاحا ولا لامة حرب ولا شيئا من الغضيات ولا يردون شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم \* فتوجهوا وصار السلطان يعمل الحيله ويعطي بعضهم الامانات من المراي ويسير المناديل ويقرر مع جماعة منهم انهم يفتحون الابواب \* فتسامع الفرنج وحصل منهم الخلف (١٠٤) وحضر خمسة عشر نفرا من القلعة مقفزين في وقت واحد \* فخلع السلطان عليهم \* وقالوا الاصحابهم ما حصل لهم من الخير \* وثودى في العسكر بأن لا يرموا احدا من الفرنج النصارى والمستعريه غير الديوية \* فأمسك الفرنج من تلك الساعة عن القتال وردوا الامان وقالوا ما ندخل في شرط \* ورعى الرسل الخلع والعمال المنعم به عليهم من الاسوار \* ثم انهم لما

ايقنوا بالهلاك سيروا رسلهم ثاني مرة في يوم الجمعة ثامن عشر شوال الشهر المذكور يطلبون ما كانوا طلبوه اولا . فامنع السلطان عليهم . فأخذ الاتابك منديل مقدم الجمداريه وهو الامير جمال الدين اقوش القليجي واعطاه لهم على انهم لا يخرجون شيئا مما ذكرناه . فتوجه الرسل . وبعد صلاة الجمعة صاح اهل القلعة . يامسلمين الامان . وكان في ذلك الوقت قد خطب خطيب دمشق ودعى عقليب خطبه الجمعة للمجاهدين ودعى الناس وكشفت الرؤوس وخشعت الاصوات فاستجاب الله تعالى منهم . وكان صياح الفرنج يطلب الامان في تلك الساعة وما بقي احد يقاتل .

فلما كان وقت العصر فتحت الابواب وطلعت السناجق . وكانت ساعة مشهوده . ووقف السلطان راكبا على باب صفد . ونزل الفرنج اولا فأولا وصاروا جميعهم بين يديه واخرجوا معهم الاسلحة والفضيات واخفوها في قماشهم . وتحذثوا على جماعة من اسرا المسلمين واخذوهم على انهم نصارى . وكذلك صغار المسلمين المأسورين عندهم . فما اخفى الله عز وجل ذلك بل اظهره بأن السلطان رسم بتفتيشهم . فوجد معهم مما ذكرناه مما ينقض الامان لو كان حقيقه ( ١٠٤ق ) فكيف وما كان اعطاهم السلطان امانا معتبرا فأخذت منهم العدد وانزلوا عن خيولهم لكونهم ماوقوا بالشرط وجعلوا في خيمة محفوظين وتسلم المسلمون صفد .

وولي السلطان في القلعة الامير مجد الدين الطوري وجعل فيها نايب

الامير عز الدين العلائي ومقدم العسكر الامير علاء الدين ايدغدى السلاح دار . واصبح السلطان جالسا . وحضر الى خدمته الامراء والمقدمون من عسكر مصر والشام . فشكر اجتهادهم وذكر رضاه عنهم وقال : ربما عتبت على احد منكم وجرى مني انكارا وتأديب . وما قصدت بذلك الا حثكم على هذا الفتح العظيم . ومن هذا الوقت

نتحالف . ثم ان السلطان اخبر الامراء ان اسرى صفد خرجوا بغير امان معتبر . وما كان استقر من خروجهم بغير عدة ونقضهم لذلك . وانهم ماكلفوا السلطان يمينا وامرهم بضرب رقابهم . فركبوا واحضرت خيالة الديوية والاستتار وجميع من اخرج من صفد من الفرنج فضربت رقابهم على تل قريب صفد في مكان كانوا يضربون فيه رقاب المسلمين . ولم يسلم منهم غير نفرين احدهما الرسول بحكم ان السلطان كان شرب قهزا في النقوب وخرج اليه هذا الرسول فسقاه منه فعفى السلطان عنه وخيره في التوجه الى قومه . فاختار المقام في خدمة السلطان واسلم على يده واحسن اليه واعطاه اقطاعا وقربه منه واستمر في الخدمة . واما النفر الاخر فأن الاتابك شفع فيه ليخبر الفرنج بما جرى وهو من بيت الاستتار . وكان خرج رسولا فعفى السلطان عنه وفي ذلك مكيدة . فأن هذا الاستتاري لما وصل الى عكا استخفى ( ١٠٥ او ) عند الاستتار فطلبه الديوية الذين كانوا اصحاب صفد وقالوا هذا لما خرج رسولا هو وافريرليون ما حلفوا السلطان وعملوا على الفرنج وكادت تقوم بينهم فتنة بسببه . واراد الله عز وجل ان هذا الاستتاري جرح في غارة بعد ذلك فقتل بيد العساكر الاسلاميه وابى الله ان يجعل له الى الحياة سبيلا او انه يفر من السيوف الاسلاميه . وانما متعه متاعا قليلا . وكان الاتابك قد سير مع هذا الاستتاري كتابا فيه توبيخ لمقدم بيت الاستتار ومن جملته : انا اقول لك هذا السلطان سعيد وانت تغالط وكتبت الى نويه ارسوف ماتبالي بالعسكر . وكذلك قلت عن صفد وقد ظهر لك صدق حديثي هذا ما كان ( ١ ) من هؤلاء .

واما ما كان من الملك الظاهر فانه لما قتل الفرنج كما قدمنا شرحه دخل قلعة صفد وفرق على الامراء من العدد الفرنجيه والجواري والمماليك ونقلت اليها

الزرد خاناه التي كانت صحبته وصار يحمل فردة حمل النشاب على كتفه الى داخل القلعه فتشبه الناس به فنقلت الزرد خاناه والمنجنيقات اليها في اسرع وقت وطلب لها الرجال من دمشق وتقررت نفقه رجالها في الشهر ثمانين الف درهم واستخدم على جميع بلادها الامراء وعمل بها جامع في القلعه وجامع في الرض . ووقف على الشيخ على المجنون نصف ربيع الحباب (١) والربع منها على الشيخ اياس ووقف على قبر خالد بن الوليد قرية منها وركب لعيادة الامير جمال الدين ايدغدي العزيزي وغيره .

وفي سابع عشرين شوال المذكور رحل السلطان من صفد متوجها الى دمشق فزل بالجسوره وامر بأن العساكر لاتدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس (١٠٥ق) ودخل دمشق جريده ورسوم فتوجه الملك المنصور صاحب حماه مقدما على العساكر الى سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه .

وفي ثالث ذى القعدة من هذه السنة توفي كرمون آغا وفي ثامنه انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشريف . ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به . وازال صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين . قال الله تعالى في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه . قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلوات .

وفي عاشر ذى القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف ظلمات الناس والتوقيع على القصص بدار السعاده . وتوجه السلطان الى عدرا وضمير متصيذا وما احضر احد صيدا الا اخلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقيه وفرغت الخلع فأطلق السلطان لهم دراهم .

وفي ذى القعدة الشهر المذكور جمع السلطان اهل البلاد وطلع الجبل الذي غند جرود وصحبه الامراء وكان يوما شديدا الحر واشتد العطش فكاد الناس يهلكون فدلهم شخص من الجبل على عين ماء جارية لكنها يسيرة النبع فوق السلطان عندها وصار يسقي الناس بيده . وهذه كرامة وما احقه بقول الشاعر :

والله لولا الخوف منه مهابة امس يزار .

ثم ضرب السلطان حلقات صيد فعمل القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر :

يا ايها الملك الذي	فيه العقول غدت تحار
يا من اليه يفعل ما	يرضى الاله غدا يسار
بالله قل لي هل دم	يجريه سيفك ام بحار (١٠٦ و)
وهل الخيول لها مسير	تحت سرجك ام مطار
ان السيوف تركتها	لا يستقر لها قرار
عودتها شفق الدماء	فما لها عنها اصطبار
لم يبق في الدنيا فرنج	لا ولا بقيت تثار
فالوحش عن مهج العدى	لما تفانت يستعمار
واظنها بك سوف تقفر	من سوانحها القفار
ان الدماء من العدى	والوحش افناها العرار
فاسلم ودم في نعمه	وبعز بالك يستجار

وفي شهر رمضان من هذه السنة وصل الى دمشق رجل ادعى انه ولد

الامام المستعصم بالله المسمى بالمبارك الذي كان عند هلاون ملك التتار وصحبه جماعة من امراء العربان فرسم الامير جمال الدين النجيبى نايب الشام بانزاله في اعز مكان . ولما وصل السلطان الملك الظاهر الى دمشق سيرا اليه جلال الدين ابن الدوادار والطواشي مختار فما عرفاه وظهر انه بخلاف ما اظهر فسيروه الى مصر

محتفظا به .

وفي ذى القعدة من هذه السنة وصل شخص آخر اسود ادعى انه من اولاد

الخلفاء فسير الى مصر والله اعلم .

ذكر خبر هونين وتبنين من ابتداهما الى ان استولى

عليهما الملك الظاهر .

هما حصنان منيعان بناهما الفرنج بعد الخمماية من الهجرة . وهما بين  
حصن عوف وبين بانياس وصور . فتحهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم  
الدين ايوب بن شادي بن مروان وانعم بهما على مجد الدين احمد اخي (١٠٦ او)  
فخر الدين جرکس ثم استعاديهما منه وانعم بهما على الامير فخرالدين اياس جرکس .  
فولى عليهما مملوكا له يقال له صارم الدين قايماز الى ان تسلمهما الملك المعظم عيسى  
صاحب دمشق في سنة سبع عشرة وستماية واخرجهما واقطعهما لاخيه الملك المغيـث  
محمود واستمرت في يده الى ان توفي وملكهما ولده الى ان توفي في ايام الملك  
الاشرف صاحب دمشق فصار اليه وبقي في يده الى ان توفي . فصارا الى الملك  
الصالح عماد الدين اسماعيل صاحب دمشق فاعطاهما للفرنج مع ما اعطاهم من الحصون  
ولم يزالا بأيديهم الى ان تسلمهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شوال  
المبارك سنة اربع وستين هذه السنة ولم يبق لقلعهما اثر غير البلاد .

ذكر بعض خبر الرمله من ابتدائها الى ان استولى عليها الملك الظاهر .

اصل فلسطين فلسطينين بعد الفاء واللام سين مهملة ثم تا مثناة من فوقها ثم  
يا مثناة من تحتها ثم نون وهي مشتقة من اسما ملوكها الفلسطينيين في زمن اسحق بن  
ابراهيم الخليل عليهما وعلى سيدنا وتبيننا محمد رسول الله افضل الصلوة والسلام .  
ذكر ذلك المسيحي وقال هشام بن محمد الكلبي : سميت فلسطين بفلسطين بطاء مهملة  
بدل التاء بن كلسوح من بني يافث بن نوح (١) . فلسطين بن صدقيا بن عيقا

ابن حام بن نوح عليه وعلى سيدنا ونبينا محمد رسول الله افضل الصلاة والسلام .  
وكانت قصبته اولاً لد ولم يزل على هذا الشأن الى ان ولي امير المؤمنين الوليد بن  
عبد الملك بن مروان الاموي اخاه سليمان جند فلسطين فنزل لد ثم اخذت مدينة  
الرملة ومصرها واختط مسجدها (١٠٧ و) وكاكي في موضعها رمله قبقي على  
المدينة اسمها وصارت القصبه وخربت لد ولم تنزل الرمله بل مصرت عامرة الاسواق دارة  
الارزاق . ينتابها السفار ويحط بها التجار الى ان جاءها زلزلة في العاشر من جمادى  
الاول سنة ستين واربعماية هدمت دورها وشقت سورها وعفت الاثار واطلعت الماء من  
الابار واشتقت منها صخرة بيت المقدس والتأمت . فانتقل اكثر اهل الرملة بعد الى  
ايليا فعمروها ومروها . ولم تنزل الرمله تنتقل في ايدي الولاة بتنقل الجند منذ فتحت  
الى ان صارت في ايدي العبيديين ولم تنزل في ايديهم الى ان خرج مفرج بن الجراح  
على العزيز العبيدي وخلع طاعته في سنة احدى وسبعين وثلاثماية للهجرة وتغلب على  
فلسطين وبلادها ووقيت في يده الى ان خرج اليه من مصر بلتكين (١) التركي فأخرجه  
من الرملة . ولم تنزل بعد في ايدي العبيديين الى ان ملكها اتسز التركي في سنة ثلاث  
وستين واربعماية فخرج اليه نصير الدولة بعسكر من مصر فاستعادها وقصد دمشق  
محاصراً لها فحاصره فيها فاستنجد اتسز بتاج الدولة صاحب حلب حينئذ فسار اليه .  
فلما بلغ نصير الدولة مسيره رحل عن دمشق وذلك في سنة احدى وسبعين واربعماية ثم  
ان تاج الدولة قتل اتسز ملك دمشق والرمله فخرج عسكر من مصر فاستعاد الرملة فسي  
سنة اثنتين وثمانين واربعماية ثم اخذوها الفرنج في سنة احدى وتسعين واربعماية  
ووقيت في ايديهم ثم ملكها وملك معها لد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن  
نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية للهجرة (١٠٧ ق)  
ولم تنزل في يده الى ان وقعت الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين وخمسماية .

(١) في الاصل بدون نقط . وتجاوز ايضاً يلتكين . زامباور . الترجمة العربية ج ١ ص ٤٤ .

فنزل لهم عن بلاد وجعل لد والرمله بينه وبينهم مناصفة ولم تنزل على ذلك ايام العزيز والافضل والعاقل والكامل الى ان ولي ولده الملك العادل فنقضوا هذه المناصفة وتغلبوا عليهما ومقيتا في ايديهم الى ان فتحهما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في سنة اربع وستين وستماية هذه السنة فعمر الرمله وصير لها عملا وولسى فيها والله اعلم .

ذكر ماجرى للامير احمد بن حجي وولده مع خصومهما بأمر السلطان

مما يدل على عدله .

بلغ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ان الامير احمد بن حجي وهو اكبر عربان ال مرة . قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر مؤلف سيرة الملك الظاهر : وسمعتة يقول انه من نسل البرامكة من اخت الرشيد . وادعى انها كانت زوجة يحيى بكتاب . وانه رزق منها اولادا . فلما جرى ماجرى هربتهم الى البادية فأخذهم جده وهذا فيه نظر " والذي ذكره بعض اهل التاريخ ان جعفر بن يحيى هو الذي تزوج اخت الرشيد والله اعلم اي ذلك

اعتمد (١) امورا لاترضى منها انه خصى بعض التجار وانه نزل على عرادة البلوى فقتله وقتل ولده سليمان ولد اخيه . وطولع السلطان بذلك فأجاب بان هو لاء في الحجاز يفتصلون وقصد بذلك تطمين الامير احمد بن حجي فأطمأن وكتب السلطان وهو في حصار صفد الى النجيبى نائب السلطنة بدمشق يأمره بالقبض على الامير سليمان بن الامير احمد بن حجي فقبض عليه ووقعت الحوطة على اقطاع الامير احمد . فحضر الى الباب الشريف فأمر بتسليمه لغريمه الذى خصاه فراضاه على ثمانية الاف درهم . وكان السلطان في حصار صفد كما قدمنا شرحه . ولما حضر السلطان الى دمشق وصل وكيل ولد عراده ووكيل ولد عمه فأعتقل الامير احمد وسلم (١٠٨ و) للوكيل ليقتصر منه

(١) لعل المقصود ان الامير احمد . هو الذى اعتمد امورا لاترضى .

بمقتضى الشرع ونصبت له خشبه على باب دمشق فذكر بسالف خدمة ويكى الاتابك والناس  
فاشتراه السلطان بالف دينار من مال السلطان . ثم ادعى على ولد احمد بقتل ولد اخي  
عراده ففدى نفسه بالف دينار وتسلم الوكيل المال وهذه معدل تقميله وبعد ذلك  
احسن السلطان الى الامير احمد والى ولده وافرخ عن اقطاعه .

وفي هذه الايام ابطل الملك الظاهر ضمان الحشيشه ابتغاء ثواب الله تعالى .  
وامر بتأديب اكلها . وامر ببناء مكان بجبل المزه للشيخ خضر وتوجه الى الشيخ  
خضر وزاره وشاهد المقاسم التي عمرت في دولته وهي احسن مما عمر في زمن الروم .  
وحضر الى الباب الشريف رسول الاسبتار وسال استقرار الصلح على بلادهم  
من جهة حمص وبلاد الدعوة فقال السلطان : ما اجيبكم الى هذا الا بشرط ابطال  
مالك من القطايع على مملكه حماه وهي اربعة الاف دينار ومالك من القطيعه على بلاد  
بوقبيس وهي ثمان مائة دينار، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي الف ومايتا دينلر ومائة  
مدى حنطه وشعير نصفين . فأجابوا الى ابطال ذلك جميعه وكتب الهدنة وشرط  
فيها الفسخ للسلطان متى اراد ويعلمهم قبل بمدة .

وكان السلطان قد احسن الى الجبلية مدة اقامته بالساحل بالخلع والمناشير  
فصاروا يأخذون الفرنج من كل جهة في مدة اقامة السلطان بالساحل .

وفي نصف شهر رمضان ورد كتاب الامير جمال الدين النجيبى نايب الشام الى  
السلطان متضمنا ورود كتاب الجاكي والي بعليك بأن مقدمي بلد جبيل جمعوا  
وجاسوا بلاد جبيل ووصلوا الى حصن على نهر ابراهيم .